الاسم : د. عبدالحكيم حسان عمر ، الاسم : د. عبدالعزيز عبدالرحيم ، الاسم : د. محمد بنيه حجاب
التوقيع : التوقيع : التوقيع : محمد بنيه حجاب

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة ام القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع الأدب

٣٠١٠٢٠٠٠٠١٨٧٩

علي الجندي
حياته & شعره

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي

اعداد الطالب
طيب احمد الحارثي

١٠٤١٠ ٢
١٨٧٩

إشراف الأستاذ الدكتور
محمد بنيه حجاب

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان الرسالة : علي الجندي حياته و شعره)

الدرجة العلمية : الماجستير إعداد الطالب : طيب أحمد إبراهيم الحارثي

خلاصة البحث

يتناول هذا البحث شاعراً من شعراء مصر في العصر الحديث هو الأستاذ : علي الجندي ، ويحتوى على وحدتين رئيستين (أولاهما) عن حياة الشاعر وآثاره العلمية والأدبية ، وكان المنهج هو المنهج التاريخي . أما (الثانية) فتتناول دراسة شعره ومحاولة وضعه في مكانه من الحركة الأدبية ، وكان المنهج هنا تفسيرياً من ناحية ، وتحليلياً من أخرى .

ومن ثم استقرت الرسالة في ثلاثة أبواب عدا التمهيد والخاتمة ،

أما التمهيد : فإنه يشتمل على الحديث عن (حياة الشعر في العصر الحديث بين التقليد والتجديد) تمهيداً لنظم الشاعر في مدرسته الفنية (التقليدية المتطورة) .

وأما الباب الأول : فهو خاص بالتعريف بحياة الشاعر وآثاره العلمية والأدبية نخص بالذكر منها : (فن التشبيه) و (حديقة الإنشاء) و (البلاغة الفنية) و (الشعراء وإنشاد الشعر) . أما دواوينه المطبوعة فهى : (أغاريد السحر) و (الحان الأصيل) و (ترانيم الليل) و (في ظلال القمر) .

وأما الباب الثاني : فهو خاص بشعره وذلك في فصلين : أُفرِدَ (الأول) للمقومات التي تأصل عليها شعره، و (الثانى) لفنونه وأغراضه .

وأما الباب الثالث والأخير : فإنه يحتوى على خصائصه الفنية من حيث الألفاظ والأساليب ، والأفكار والمعانى ، والصور والأخيلة .

كما يحتوى على بيان منزلته الأدبية بعد الكشف عن مدرسته الفنية ، وموقف النقاد من شعره وشاعريته،ثم ختم بموازنته بغيره من طبقته من أمثال : (محمود غنيم) و (محمد الأسمر) .

أما الخاتمة فقد اشتملت على تلخيص البحث والنتائج التي أسفر عنها والتي كان منها ،

* الكشف عن شخصية (الجندى) من شتى نواحيها ومن خلال التاريخ الواضح لحياته العامة ، بعد أن تجاوزه الباحثون ولم يتعرضوا له إلا لماما .
* التوصل إلى أن (الجندى) شاعر بيانى الأسلوب رومانسى العاطفة ، يعتمد كثيراً على مخزونه الثقافى المستمد من أدب التراث .
* الكشف عن ملامح الصورة الفنية في شعره ؛ تلك الصورة التي تجلّى فيها براعته في فن التعبير .

والحمد لله رب العالمين .

عميد كلية اللغة العربية

د. محمد مريسي الحارثي

توقيعه :

الطالب : طيب أحمد الحارثي

توقيعه :

المشرف : د. محمد نبيه حجاب

توقيعه :

المقدمة

سبب اختيار الموضوع

منهج البحث ومصادره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحابته الغرّ الميامين ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين . و (بعد) ...

فإن في البيئات العربية مواهب مغمورة وعبقريات مطمورة ، وغالباً لا تجد من يساعدها على الظهور .

ومنذ سنوات قلائل وقع في يدى (مساجلة) أدبية طريفة ، تسيل رقة وعذوبة ، واعنى بها تلك المساجلة التي دارت حول (خروف العيد) بين ثلة من الشعراء الظرفاء ، أولئك هم الشاعر المطبوع محمد الأسمر ورفاقه الثلاثة : عبد الحميد مرسى ، ومحمد عبد الغنى حسن ، وثالث الثلاثة الأستاذ على بن السيد الجندى(*) .

ومنذ ذلك الحين وأنا أتنسم أخبار هؤلاء المتندرين ، وأسعى جاهداً للظفر بآثارهم التي عز وجودها في المملكة ، ولكن مدمن القرع للأبواب لابد أن يلج ، فبعد السعى وطول البحث ظفرت بديوان الأسمر ، وديوانين للأستاذ على الجندى هما : " أغاريد السحر " و " ترانيم الليل " ومازلت أعيش معهما في تلك الدواوين ، يوماً بعد يوم ، وعاما بعد عام ، والأيام تزيدنى بهما شغفاً وإليهما ميلاً وتقديراً ...

فلما اتجهت إلى تسجيل موضوعى لدرجة الماجستير ، وتبين لى أن الأسمر الموهوب سبقت دراسته ، وأن الجندى لا يزال مطوى الصفحة كان طبيعياً أن أعتمده للدراسة ، وأن يكون عنوانها (على الجندى : حياته وشعره) .

---

* تعمدت ذكر اسم الشاعر هنا كاملاً ، فقد عرف باسم (على الجندى) كتاب وشعراء آخرون من أمثال الشاعر السورى (على الجندى) ، والدكتور / على الجندى الأستاذ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ومؤلف كتاب (شعر الحرب في العصر الجاهلى) ومحقق ديوان (طرفة بن العبد) . إذ غالباً ما تنسب بعض كتب شاعرنا للدكتور / على الجندى ، كما في كتاب (نضح الأزهار في مولد المختار) .

ولا أعلم أحداً قد تناول شعره بالبحث والدرس على النحو الذى نحوناه ، بل إن كل ما بين أيدينا عنه لا يعدو أن يكون كلمة عابرة ضمن حديث عن الشعر المصرى بعامه ، فغالباً ما يكتفى بذكر اسمه وحسب في سياق الحديث عن أدباء عصره . وهذا مانجده في كتاب : (تطور الأدب الحديث في مصر / للدكتور أحمد هيكل) وفي كتاب (الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث / لمصطفى السحرتى) وغيرها كثير .

أو يترجم لحياته بإختصار كما في مقدمة ديوانه (أغاريد السحر) التي كتبها الأستاذ (محمد صالح سمك) . وكما فعل الأستاذ (أنور الجندى) عندما ترجم له بإيجاز في كتابه (أدباء ومفكرون من خلال آثارهم) مع غيره من الشخصيات ، وفيه يشير إلى بعض دواوينه الشعرية .

وعلى هذا المنوال كانت تطالعنا بعض النتف اليسيرة التي لا تروى ظمأ من رام معرفة شيء عن هذا الشاعر أو فنه .

فزادنى ذلك حباً ورغبة في دراسته ، ثم مازلت أعيش معه في دواوينه العديدة ، فضلاً عن سائر مؤلفاته الأخرى ، ومنها ما رأيته فتحاً جديداً في مجال البلاغة ...

فلما فرغت من جمع المادة ، وشعرت باتضاح الصورة لهذا البحث والسيطرة عليه من شتى جوانبه ، أخذت في التخطيط لدراسته ، ولى من سيادة المشرف خير قدوة ... وقد وفقنا الله تعالى إلى هذه الصورة التي هو عليها ، والتي استقرت أخيراً في ثلاثة أبواب عدا التمهيد والخاتمة .

أما التمهيد فقد تحدثت فيه عن (حياة الشعر في العصر الحديث بين التقليد والتجديد) وأعني بذلك البيئة الأدبية التي أحاطت بالشاعر ، لأن الأدب ـ كما يقولون ـ ثمرة التفاعل بين الأديب وبيئته ، ولهذا أخذت أتتبع الاتجاهات الأدبية التي أحاطت به وسمات كل منها ليتسنى لى أن أنظم الشاعر في مدرسته عن بينه.

أما الفصل (الثاني) فقد تناولت فيه منزلته الأدبية من خلال بيان مدرسته الفنية ، ومعرفة آراء النقاد فيه ، وموازنته بغيره من طبقته .

وأخيراً عرضت في الخاتمة أهم النتائج التي تمخضت عن هذا البحث .

و (بعد) ... فقد بذلت قصارى جهدى لإخراج البحث في أتم صورة ، وأخلصت فيه لله قصدى ، ولست أزعم أننى وصلت به إلى مرتبة الكمال أو أني وصلت فيه إلى الكلمة الأخيرة ، ولكن هي محاولة جادة إن أصابها التوفيق فبفضل من الله وحده وإلا فمن قصورى لا تقصيرى ومن عجزى لا تفريطى .

وفي الختام أحمد الله تعالى الذي هيأ لي فرصة البحث وأعاننى على إتمامه على هذا النحو . وأتوجه بخالص شكرى وتقديدى إلى أستاذي الفاضل المشرف على البحث سعادة الدكتور / محمد نبيه حجاب ، الذي أمدنى بالكثير من علمه وتوجيهاته السديدة التي كان لها كبير الأثر في إخراج هذا البحث ، فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما اتقدم بعظيم التقدير والثناء والوفاء لجامعتنا الرشيدة التي هيأت لنا هذه الفرصة ، ومهدت لنا سبل البحث .

وفي الوقت نفسه أخص بالشكر والامتنان لجنة المناقشة على تفضلها بقراءة هذا البحث ، وعلى الملاحظات الطبية التي سيكون لها أعظم الأثر في تقويم هذا العمل وتصويب زلاته .

والله أسأل أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه وأن يوفقنا إلى مافيه الخير والسداد إنه على كل شيء قدير .

تمهيد

حياة الشعر في العصر الحديث

بين

التقليـد والتجديـد

تمهيـــد :

حياة الشعر فى العصر الحديث
بين التقليد والتجديد

لاشك أن فى مجموع العوامل المكانية والاجتماعية المحيطة بالأديـــب تأثيرا كبيرا فى حياته وفكره وعاطفته وبالتالى فيما يصدر عنه مـــن أدب، والشعر على وجه التخصيص من أشد الأجناس الأدبية تأثرا بالبيئة . والبيئـــة الأدبية للشاعر ليست هى المحيط الذى يوجد به فقط ، بل انها لاتقتصر أيضا على بيئته الجغرافية ؛ إنما تتعدى حدود الزمان والمكان فتتصل بالوطـــن العربى ككل فضلا عن أدب التراث ، فنحن فى حديثنا عن بيئة الشاعر / علـــى الجندى نجد أنفسنا ملزمين بأن نتحدث بإيجاز عـــن حـــال الأدب فـــى بيئة هذا الشاعر المصرية والعالم العربى على السواء ، وكذلك لانغفـــل شيئا مهما هو أن التيارات الأدبية فى أية بيئة متداخلة وليست محدودة بحدود ومن هنا كان لزاما علينا أن نرجع الى الوراء قليلا فنطل على حال الأدب فى الفترة التى سبقت عصر شاعرنا لنرى الى أى حد تأثر به فنكون مصيبين أوقريبين من الصواب عندما نضمه الى أحد تلك التيارات وقد وُجِد الاستاذ علـــى الجندى بين ثلاثة اتجاهات او كما يقولون بين ثلاث مدارس وهـــى :

التقليدية ، والتقليدية المتطورة ، والتجديدية . وكل اتجاه منهـــا يتسم بسمات تميزه من سواه ، وهذا التقسيم لاينفى ما أشرنا اليه من تداخل هذه الاتجاهات فلا نجد شاعرا رومانسيا وجدانيا خلا شعره تماما من التقليد ، أو شاعرا مقلدا خلا شعره من الابتداع وانما هو تقسيم تقريبي للبيئـــة الأدبية التى تأثر بها شاعرنا الموهوب الأستاذ على الجندى .

وهذه الإتجاهات هى :

أولا : إتجاه الاحياء التقليدى

ظهر هذا الإتجاه فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر حيث بدأ الشعر يتحرر من قيوده التى كبلته فى العصر العثمانى الذى أطلق عليه عصر انحطاط الأدب وكانت صورة الشعر فيه (رديئة مسفة سواء فى الأغراض والمعانى والأساليب[1]) ولغة الشعر فى هذا العصر ركيكة ملئت بالمحسنات البديعية والأسجاع والألفاظ المرصوصة[2] .

وطبيعى جدا أن تشوب الخطى الأولى بعض الشوائب وذلك لقرب العهد العثمانى . يقول الاستاذ شوقى ضيف:(لقد أخذت تظهر تباشير هذا التحول فى شعرنا عند / محمود صفوت الساعاتى وعلى أبى النصر وعبد الله فكرى وعلى الليثى وعبد الله نديم وعائشة التيمورية غير أنهم لم يتخلصوا تماما من البديعيات والمخمسات والتضمينات انما الذى تخلص من ذلك كله هو البارودى ، وهو يعد الرائد المثالي لهذه الحركة)[3] .

---

(١) الأدب العربى المعاصر فى مصر . د. شوقى ضيف ص ٣٨ .

(٢) أنظر(تطور الأدب الحديث فى مصر للدكتور أحمد هيكل)من ص ١٧ الى ص ٥٨ .

(٣) أنظر كتابه (الأدب العربى المعاصر فى مصر) ص ٤٣ ، ٤٤ .

ويعد محمود سامى البارودى* إمام هذا الإتجاه فى العالم العربى (١) وعاصره شعراء آخرون خارج مصر مثل الشاعر العراقى (محمد سعيد حبوبى) وعبد المحسن الكاظمي و (ابراهيم اليازجى الشاعر اللبنانى)(٢) وغيرهم .

وقد نشط هذا الإتجاه فى بعث التراث الادبى فى شتى عصوره الزاهرة وبخاصة فى العصرين الجاهلى والعباسي ، وكان من أهم سماته : التخلص من اللغة الركيكة التى سادت فى العصر العثمانى فغلب عليها السجع والمحسنات البديعية ،ومن سوق الشعر فى المدائح الزائفة ،بالاضافة الى الإكثار من الاقتباس والتشطير والتخميس ، واستبدلوا ذلك بجزالة العبارة والتعبير

---

* شاعر مصرى ولد فى القاهرة سنة ١٨٣٨م،تعلم الفنون العسكرية فى المدرسة الحربية،وتخرج فيها ضابطا ، وكان مولعا بالأدب،وحفظ كثيرا من الدواوين الشعرية القديمة،وسافر الى الآستانة حيث أتقن اللغتين التركية والفارسية وألم بشعرائها.وبعد عودته إتصل بالخديوى اسماعيل فقلده عدة مناصب عسكرية واشترك فى عدة حملات عسكرية وكذلك فى الثورة العرابية ونفى إلى جزيرة (سرنديب)-(سيلان)-وعاد منها بعد سبعة عشر عاما الى مصر وكان فى تلك الاثناء كلها ينظم الشعر،وتوفى بعد عودته من المنفى بخمس سنوات عام ١٩٠٤م،وله ديوان شعر فى جزئين وأربع مجموعات شعرية تعرف بـ (مختارات البارودى) .

(١) أنظر(تطور الأدب الحديث فى مصر للدكتور أحمد هيكل)من ص ٦٠ الى ص ٦٦ ، وشوقى ضيف فى (الادب العربى المعاصر فى مصر)ص ٨٣ .

(٢) أنظر (الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر)للدكتور / عبد القادر القط من ص ٢٠ الى ص ٢٥ .

عن مشاعر النفس - آلامها وهمومها - إزاء الاحداث القومية المحيطة بهم، وتمسكوا بعمود الشعر فأجادوا فى الوصف والمديح والفخر وغير ذلك من الأغراض .

واستطاع البارودى ومن نسج على منواله أن يستخرجوا الدرر من كتب التراث والدواوين التى خلفها فحول الشعراء فى عصور الإزدهار .

والشاعر فى هذا الاتجاه (لم يكن مقلدا للقدماء بالمعنى السيء للتقليد إنما كل ماهناك أنه يريد أن يرد الى شعرنا جزالته ونصاعته ورصانته . أما بعد ذلك فشخصيته فى شعره قوية بارزة شخصية تستكمل حريتها وليس هذا فحسب فإنه يستشعر الحرية القومية فيتحدث عن مطامح أمته السياسية ويأسى لما تتردّى فيه من ضعف وخذلان ويعرض للأحداث الخطيرة التى مرت بها ويقارن بين ماضيها وحاضرها ويصف أمجادها الغابرة [1]).

وبعد هذا العرض السريع لهذا الاتجاه التقليدى الذى تعرض له كثير من الكتب الحديثة بالدراسة [2] وسجل بعضها (أن شعراءه لم يتخلصوا تخلصا كاملا من كل عيوب التقليديين ، فقد تورطوا أحيانا - بنسب متفاوتة - فى المحسنات والتأريخ وبعض المجاملات البعيدة عن

---

(١) أنظر شوقى ضيف فى حديثه عن البارودى فى كتاب(الادب العربى المعاصر فى مصر) ص ٤٤ .

(٢) أنظر مثلا كتاب(فى الادب الحديث)للدكتور عمر الدسوقى حـ ٢ من ص ٣١٥ الى ص ٣١٨ .

الصدق[1] وذلك أمر طبيعى فعصور الأدب متداخلة ولايمكن فصلها عن بعض بسهولة، ولايمكن لأدب قوى أن يظهر فجأة دون مقدمات تكون بها بعض الهنات ، نستطيع القول بأن هذا الاتجاه هو الخطوة الاولى فى تطور الادب العربى فى العصر الحديث .

---

(١) أنظر (تطور الادب الحديث فى مصر) للدكتور أحمد هيكل ص ٦٦ .

٢ - الإتجاه التقليدى المتطور

خلفت هذه المرحلة الإتجاه المحافظ الذى راده البارودى،وزادت عليه بإطلاع أدبائها على الآداب الغربية - سواء كانت هذه الآداب مترجمة أو بلغتها الاصلية - وهى بذلك استطاعت أن تلائم بين القديم والجديد فجمعت بين مايسمى بالأصالة والمعاصرة ، وذلك لمسايرة أذواق العصر .

أما قولنا عن هذا الإتجاه بأنه تقليدى فلأنه حافظ على الأسلوب العربى الرصين الذى سار عليه البارودى وغلب على أدب هذه المرحلة .

ومتطور : لأنه جاء فى بداية الاحتكاك بالثقافة الغربية وكان الاتجاه التجديدى فى هذه الفترة فى طور التمهيد والاعداد الفكرى لظهور الادب الذى يمثله (١) .

وبذلك فاننا لانستطيع أن نطلق على أدباء هذه الفترة: مقلدون أو محافظون مع أن (الطابع الغالب على أدب تلك الفترة هو طابع المحافظة واستلهام الماضى ، أو اتخاذ التراث العربى المشرق الذى خلفته عصور الازدهار) (٢) .

وأكثر الكتاب فى العصر الحديث يدرجون شعراء هذه الفترة ضمن الإتجاه التقليدىأو المحافظ (وهم ليسوا محافظين بالمعنى السيء الذى

---

(١) (تطور الرواية العربية)للدكتور عبد المحسن بدر ص ٤١ بتصرف - ط ٢ ، دار المعارف بمصر .

(٢) أنظر .. (تطور الأدب الحديث فى مصر) للدكتور أحمد هيكل ص ١٠٨ .

يصبح فيه الشاعر نسخة مكررة لمن سبقه .... وإنما سموهم محافظين لأنهم رأوهم يعتمدون فى شعرهم على المادة الأدبية القديمة ويتمسكون بأهدابها ، وكأنما فاتهم ما رأوه عندهم من تجديد فى معانى الشعر وموضوعاته ، وذهابهم به نحو التعبير الحر عن نزعاتنا الفردية والاجتماعية . ومن غير شك هم من حيث المادة محافظون ، اذ كانوا يترسمون هذا المثل الذى ضربه البارودى مثل الاحتفاظ بجزالة الاسلوب ورصانته . أما بعد ذلك فهم يفرضون ثقافتهم وعصورهم على شعرهم وما ينظمون منه . فهى طبقة كانت تلائم ملاءمة شديدة بين القديم والجديد ، بين الاسلوب العربى وبين الثقافة وروح العصر[1]) ولعل فى هذا ردا كافيا على من نسبهم الى الاتجاه التقليدى المحافظ مفردا .

كما لايصح أن ننسبهم الى الاتجاه التجديدى فحسب مع أن أدبهم لم يخل تماما من سمات التجديد وذلك لان هذا الأدب الجديد (ظهر وليدا غضا أمام أدب محافظ قد استوى واستحصد وملك على الناس مشاعرهم الفنية وشكل لهم أنماطهم الادبية . وهكذا لم تكن القوة الادبية لهذا التيار الغربى المجدد معادلة لقوة التيار العربى المحافظ بل لم تكن قوة هذا التيار الغربى فى ميدان الادب معادلة لقوته هو نفسه فى مجال الفكر والاصلاح الاجتماعى ، نظرا لكونه من الناحية الادبية قد كان محتاجا إلى تغييرات فكرية ونفسية واجتماعية كبيرة تمهد له وتعد للأخذ به وتدفع إلى السير فى طريقه ومن هنا كانت غلبة الطابع المحافظ على الأدب بفنونه المختلفة[2])

---

(١) الادب العربى المعاصر فى مصر للدكتور شوقى ضيف ص ٤٦ .

(٢) تطور الادب الحديث فى مصر / للدكتور أحمد هيكل ص ١٠٨ .

ومن هذا كله يتضح لنا أن التسمية الدقيقة لاتجاه هذه الفترة تقضى بأن تكون (التقليدى المتطور) :

ويقف فى طليعته عدد من الشعراء منهم : أحمد شوقى وإسماعيل صبرى من مصر(١) وجميل صدقى الزهاوى ومعروف الرصافى من العراق،ووديع عقل من لبنان وخليل مردم من سوريا(٢) .

ولقد جاءت كثيره من كتب الادب فى العصر الحديث غير ثابتة على رأى محدد إزاء هؤلاء الشعراء من ناحية التجديد فى شعرهم فنجدهم يصنفون شعرهم ضمن الاتجاه المحافظ تارة ويشيرون اشارات خفيفه الى وجود شيء من التجديد فى شعرهم تارة اخرى ،فمثلا نجد من يتحدث عن/ اسماعيل صبرى قائلابأن(له غزليات تجيش بسيل دافق من العاطفة والوجدان ، وقلّما تحس فيها بتكلف أو مايشبه التكلف .... ومع أنه عاش فى عصر البارودى بل لقد شآلق نجم البارودى وهو لايزال فى مهده مع ذلك تحس عنده أنه لايجرى فى أثره ، فقد كانا من طبيعتين مختلفتين أما البارودى فكان يعنى بمعارضة القدماء .... أما صبرى فبدأ حياته الفنية مقلدا ، ولكنه لم يكد يتقدم به سن الشباب حتى ذهب الى فرنسا فى بعثة .... وانحرف منذ نضجه الفنى عن طريق البارودى وصاحبيه حافظ وشوقى فلم يكن يعنى مثلهما ومثل أستاذهما بمحاكاة القدماء، بل كان يرسل نفسه على سجيتها .... ولم يقبل على الشعر إقبال المتكسب

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٨ ،ص ١٠٩ . وأنظر(حافظ وشوقى)لطه حسين ص ١٧٦ ، ومابعدها .

(٢) الاتجاه الوجدانى د/ عبد القادر القط من ص ٣٦ الى ص ١٠٣ .

به .... فلم يعد همه أن يجارى المتنبى وغيره من شعراء القصيدة العربية الجزلة الرنانة ، وإنما همه أن يجارى شعراء الوجدان ورقائقهم ومقطعاتهم القصيرة ...)[١] .

ويقول عنه فى موضع آخر انه (قد تعلم فى فرنسا وعرف الأداب الفرنسية فى عصر الرومانسية : عصر لا مارتين وغيره ، ولاريب فى أن ذلك أضاف الى شاعريته شيئا جديدا فقد نهل من منابع لا عهد للعرب ولا للعربية بها وفى ديوانه إشارات الى بعض أمثال وعبارات فرنسية استوحى منها بعض أبياته ومقطوعاته .... وشعره فيه تقليدى وفيه كثير من فنون البديع على طريقة معاصريه .... وأيضا إذا هو يتأثر فى بعض معانيه وأخيلته بما عرف من معان وأخيلة فى الادب الفرنسى ...)[٢] . وفى هذا تصريح بوجود تجديد فى شعر صبرى بالإضافة إلى تقليده مما يؤيد وضعنا له ضمن الاتجاه التقليدى المتطور . ويأتى أديب آخر يصنف صبرى ضمن أعلام الاتجاه التقليدى دون استثناء[٣] قائلا : (ولا تعجب إذا عددنا إسماعيل صبرى فى شعراء المدرسة التقليدية) .

ثم يبرر تصنيفه هذا - الذى يجعل القارئ يتصور الاتجاهين مسبقا - بأنه لم يفد من احتكاكه المباشر بالثقافة الغربية ويركّز على تحليل النصوص الشعرية التى يغلب فيها التقليد على شعر (صبرى) ثم يقول :

---

(١) أنظر ..(دراسات فى الشعر العربى المعاصر)/ دكتور شوقى ضيف ص ٣٣ الى ص ٤٣ .

(٢) أنظر(الادب العربى المعاصر فى مصر)للدكتور شوقى ضيف ص ٩٤ الى ١٠٠.

(٣) أنظر(فى الادب الحديث د/ عمر الدسوقى) حـ ٢ ص ٣١٩ الى ص ٣٧١ .

(إن شعر إسماعيل صبرى امتداد لمدرسة القدماء ولا أستطيع أن أقول : انه امتداد لشعر البارودى فشتان مابينهما . ولعل الذى جنى على صبرى هو أنه ابتدأ حياته الشعرية مداحا ...)(١) ثم يعود ويذكر بأن الادب الفرنسى قد أثر فى شعره (وزاده امعانا فى رقته)(٢) ولكن ذلك لايؤهله كما نرى لان يكون من شعراء الوجدان . ويستطرد فى ذكر العديد من النماذج الشعرية لصبرى مؤكدا فى رده على كثير من الادباء بأن هذا الشاعر من شعراء الاتجاه التقليدى ، ولكنه يختتم حديثه عن صبرى قائلا : (وهو بهذا يمثل أهم خصائص المدرسة* التقليدية الحديثة)(٣) وكأن فى نفسه شيئا لم يصرح به من ناحية التجديد فى شعر صبرى .

وهذا باحث آخر يضع (إسماعيل صبرى) و (أحمد شوقى) وغيرهم فى جيل خلف جيل البارودى تحت عنوان (الادب بين المحافظة والتجديد)(٤) مؤكدا

---

(١) المصدر السابق ص ٣٢٦ .

(٢) المصدر السابق من ص ٣٣٤ الى ص ٣٧٠ .

(*) كثيرا مايطلق بعض الكتاب لفظة (مدرسة) على بعض المراحل الأدبية وهذه اللفظة تستلزم السير على نمط معين وأنظمة وقوانين محددة وهو مالم يتوفر فى شعراء هذه المرحلة لذلك رأينا أن نطلق عليهم (أدباء مرحلة) أو (إتجاه) أو (تيار) .

(٣) المصدر السابق ص ٣٧١ .

(٤) تطور الأدب الحديث فى مصر / دكتور أحمد هيكل ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، وما بعدها .

فى بداية حديثه عن بدء ظهور الأدب الجديد واحتكاكهم به ويذكر بأن الاتجاه المحافظ البيانى كان يغلب على أدبهم أكثر من أى شيء سواه .

ويثبت الدكتور / عبد القادر القط وجود الاتجاه الوجدانى عند هؤلاء الشعراء وأنهم يمثلون شيئا لايمكن أن نتجاهله من التجديد ، ويعدهم إرهاصا للحركة الرومانسية ويذكر (أن هذه المحاولات المختلفة للتجديد لم تستطع أن تغطى على النزعة التقليدية)[1] لذلك فهم امتداد للمرحلة التقليدية .

وبعد هذا العرض السريع لهذه الآراء حول بعض شعراء هذه الفترة يمكننا القول بوجود هذا الاتجاه (التقليدى المتطور) الذى كان من أبرز سماته غلبة الشعر التقليدى - وشغله حيزا كبيرا من نتاجهم الشعرى - على الشعر الجديد .

ولقد حقق هذا الإتجاه تقدما ملحوظا بالمقارنة مع الاتجاه التقليدى فزاد عليه بابداعات بعض شعرائه مثل نظم احمد شوقى فى الشعر المسرحى وكذلك الزهاوى فى الشعر المرسل . إضافة إلى التغيّر فى طريقة التعبير عن النفس ووصف الآلات والمستحدثات فى العصر الحديث ووحدة القصيدة خلاف ماكان فى التقليدية .

---

(١) أنظر الاتجاه الوجدانى للدكتور عبد القادر القط من ص ١٩ الى ص ١٠٣ .

٣ - الإتجـــاه التجديـــدى

رأينا كيف كان التجديد فى طور التمهيد والإعداد فى مرحلة الإتجـــاه التقليدى المتطور الذى تميز بغلبة الشعر التقليدى على الشعر الجديـــد ، وهنا نلاحظ أن تلك البدايات أخذت فى التوسع بعد أن زاد الاطلاع علـــى الاداب الغربية عن طريق البعثات أو الهجرة التى عكف فيها الادباء على دراســـة الآداب الغربية وترجمتها الى العربية . وقد أتاحت تلك الترجمة والنقـــول الفرصة لمن لم يطّلع عليها مباشرة لمعرفة تلك الآداب والتأثر بها . ومـــن هنا أصبح التجديد أكثر انتشارا من قبل وأخذ يشكل إتجاها متميزا أطلـــق عليه الإتجاه التجديدى - ولهذا الإتجاه سمات ورواد فى عالمنا العربى .

فقد أجمع كثير من الدارسين على أن رائد الاتجاه التجديدى هـــو (خليل مطران)[1] وذلك فى مرحلة التجديد الاولى من نوعها فى القرن العشرين بالعالم العربى .

---

(١) أنظر أعلام الجيل الاول من شعراء العربية فى القرن العشرين لأنيـــس المقدسي ص ١٢٩ ومابعدها ،

* أنظر جماعة أبولو وأثرها فى الشعر الحديث للدكتور / عبد العزيـــز الدسوقى ص ٩٥ ومابعدهـــا ،

* أنظر حركة النقد الحديث والمعاصر فى الشعر العربى للدكتور /ابراهيم الحاوى ص ٥٠ ،

* أنظر الشعر العربى المعاصر لأنور الجندى ص ٢٦١ ،

* أنظر الإتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر للدكتور / عبد القادر القط ص ١٠٧ .

وقد بدأ يكتب فى ملامح هذا الاتجاه الجديد مظهرا له بالمجلة المصرية سنة ١٩٠٠م [١] ثم أتبع ذلك بنشر (ديوانه سنة ١٩٠٨م مصدّرا بمقدمة تمثل الخطوط العريضة للمبادىء الاساسية لهذا الإتجاه ومحتويا على كثير من النماذج التى تعتبر تطبيقا ناجحا له)[٢] وهذا مايعلل ريادة مطران لهذا الاتجاه وتقدمه على كثير من معاصريه فى إظهار الحركة الرومانسية .

وتتابعت بعد ذلك مراحل التجديد فظهرت (مدرسة الديوان) على يد: عباس محمود العقاد ،وعبد الرحمن شكرى ، وابراهيم عبد القادر المازنى[٣] ، وثارت هذه الجماعة على جيل شوقى وحافظ ومن نسج على منوالهم بحجة أنهم لم يأخذوا بأسباب التجديد فى الشعر .

وظهرت أيضا (جماعة أبولو) التى رأسها : أحمد زكى أبو شادى،ومن أشهر شعرائها : على محمود طه ، وابراهيم ناجى ،وحسن كامل الصيرفى ، ومحمود حسن اسماعيل . وأنشأت مجلة تحمل اسمها عُهد برئاستها إلى (شوقى) فى الجلسة الأولى ثم (مطران) بعد ذلك ، واهتمت هذه الجماعة بالشعر التجديدى فى سائر الاقطار العربية وكثيرا ماكانت تهب المعارك الأدبية بين هذه الجماعة وجماعة الديوان،وكان لهذه الجماعة دور إيجابى فى تطور

---

(١) تطور الادب الحديث بمصر / د. أحمد هيكل ص ١٥٢ ، خليل مطران فى المجلة المصرية السنة الاولى حـ ٣ ص ٨٥ (يوليو ١٩٠٠م) .

(٢) تطور الادب الحديث بمصر للدكتور احمد هيكل ص ١٥٢ ، مقدمة ديوان خليل مطران .

(٣) أنظر : جماعة الديوان فى النقد للدكتور محمد مصايف ، تطور الادب الحديث بمصر للدكتور احمد هيكل ص ١٤٨ ومابعدها .

الشعر المعاصر (١) .

وبعد .... فهذه هى الخطوط العريضة لرواد مرحلة التجديد بمصر ، أما ماكان من أمر التجديد فى بقية الوطن العربى والمهاجر فقد كان يسير جنبا إلى جنب مع ماجد فى مصر :

ففى لبنان ظهرت (عصبة العشرة) التى كان من أهم دعائمها (الياس أبوشبكة) و (ميشال أبو شهلا) وهبّت هذه العصبة لمناصرة الأدب الجديد الذى بدأت بواكيره تظهر بمصر ثائرة على التقليد والمحاكاة، وقد لاقت هذه الجماعة تأييدا كبيرا فى لبنان وسوريا وغيرها من الاقطار إلى جانب بعض النقد من جراء حربها على القديم (٢) .

وكذلك كان ظهور حركة المهجر فى الشمال وفى الجنوب :

ففى الشمال كانت (الرابطة القلمية) التى ظهرت عام ١٩٢٠م فى نيويورك ورأسها (جبران خليل جبران) وضمت كثيرا من الأدباء العرب من أبناء لبنان وسوريا ،ومنهم ميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضى، ونسيب عريضة وندرة حداد، والياس عطا الله . وكان نتاج هذه الرابطة ينشر فى جريدة (السائح) التى كان يملكها أحد أدباء الرابطة وهو (عبد المسيح حداد)، وقد أخذ أدباء هذه المرحلة على عاتقهم فكرة إقالة الادب العربى من عثرته

---

(١) أنظر : مدخل الى دراسة المدارس الأدبية فى الشعر العربى المعاصر / الدكتور نسيب نشاوى ص ٢٢٥ ومابعدها .
أنظر : جماعة أبولو وأثرها فى الشعر الحديث للدكتور / عبد العزيز الدسوقى .

(٢) أنظر : تاريخ الشعر العربى الحديث لأحمد قبش ص ٣٥٩ ومابعدها .

وجموده ومحاولة الترفع به حتى يساير روح العصر متأثرين فى ذلك بـــالآداب الغربية (١) .

وفى الجنوب كانت (العصبة الأندلسية) التى تكونت سنة ١٩٢٣م عندما التقى (شكر الله الجر) صاحب مجلة (الأندلس الجديدة) فى (ريـــودى جانيرو) بميشال المعلوف فكان ميلاد (العصبة الاندلسية) ب (سان باولو) بالمهجر الجنوبى وأختير ميشال المعلوف رئيسا لها وأنشىء لها مجلة تحمـل اسم (مجلة العصبة) وانضوى تحت لوائها العديد من أدباء المهجر الجنوبـى كان أشهرهم : (الشاعر القروى رشيد سليم الخورى) وشفيق المعلوف،ونعمـة قازان،وإلياس فرحات،ونصر سمعان،وحبيب مسعود،وعقل الجر،وجورج صيـدح،إلـى جانب غيرهم من الأدباء (٢) .

وقد تأثر شعراء الشام بالأدب المهجرى وارتبطوا به ارتباطا وثيقـا، ويلاحظ على أدباء المهجر الجنوبى قربهم من الاتجاه التقليدى فى العالـم العربى من حيث الاهتمام بالألفاظ،والرصانة،والجزالة فى المعانى،وهذا لايعنـى أنهم لم يهتموا بالتجديد فى الشعر بل إنهم جددوا كما جدد أبناء المهجـر الشمالى (٣) .

---

(١) أنظر : شعراء الرابطة القلمية للدكتورة نادرة جميل سراج ، وبـــه ترجمة وافية لكثير من الادباء .
أنظر : أدب المهجر للدكتور عيسى الناعورى وقد ترجم لعبد المسيـــح حداد ص ٤٠٦ .

(٢) أنظر : (أدب المهجر للدكتور عيسى الناعورى)و(أدبنا وأدباؤنا فـــى المهاجر الأمريكية لجورج صيدح) وبهما ترجمة وافية لكثير من الأدبـــاء بالمهاجر .

(٣) أنظر : الشعر العربى المعاصر لأنور الجندى ص ٥١٢ .

وبعد .. فهذه هى أهم مراحل التجديد فى الأدب العربى المعاصر وهؤلاء هم بعض أدبائها وبينهم الرواد فى عرض سريع، فليس المقام هنا أن أتعمق فى حصر أدباء هذه المرحلة بل إننى أحاول أن أستعرض أهم ملامح هذا الاتجاه الجديد الذى راده (خليل مطران) وتبعه (جماعة الديوان) ومن ثم (جماعة أبولو) والأدب المهجرى بشطريه .

وهذه الملامح تتضح فى دعوة (خليل مطران) فى مقدمة ديوانه[١] : إلى وجوب أن يكون الشعر صورة معبرة عن حياة العصر الذى يعيش فيه، وأن يجدد الشاعر فى مضمون شعره، ويطّلع على الآداب الغربية ومن ثم يُطعم الشعر العربى بما يتناسب منها ، كما دعا إلى تحقيق الوحدة العضوية فى القصيدة، وطالب بعدم قصر الشعر على أدب المناسبات، وأن يتحرى الشاعر الدقة فى وصفه . كما عنى بتصوير العواطف الانسانية والوجدانية، وأدخل نوعا من التجديد يتمثل فى الإتجاه القصصى فى الشعر .

(أما من حيث الأغراض فهو يرى الشعر فنا منبها للتصوير والحس عن طريق الرمز وأن الشعر يفترق عن الرسم فى أن الرسم فن منبه للتصوير والحس عن طريق النظر وهما يفترقان عن الموسيقى فى أنها تنبه التصوير والحس عن طريق السمع)[٢].

ومن هذه المقارنة يتضح لنا مدى فهمه وادراكه الدقيق لحقيقة الشعر .

---

(١) أنظر : مقدمة ديوان الخليل - لخليل مطران جـ ١ ص ٨ ، ٩ . القاهرة، (٣ أجزاء - مطبعة دار الهلال - لجنة تكريم - خليل مطران) .

(٢) فى الادب الحديث / عمر الدسوقى جـ ٢ ص ٢٧١ .

* أما جماعة الديوان فقد كان شعراؤها يتقنون اللغة الانجليزية، ومن ثم فقد تأثروا بالرومانسية الغربية، وأخذوا يثورون على شعراء التقليد، ويصفونهم بالجمود الذى لا فائدة فيه ويطالبونهم بالصدق فى الشعور ازاء الشكل والمضمون، وصوغ المعانى بما يتناسب مع العصر الذى هم فيه، ونجدهم يطالبون بالوحدة العضوية والتجربة الذاتية والصدق الفنى فى القصيدة [١]. (وأكثر من ذلك لقد فكر أصحاب هذا المنزع الرومانسى فى الأوزان ورأوا أن يجددوا فيها فنونا من التجديد ، فأخذ شكرى يجدد فى قوافيه ، واستخدم الشعر المزدوج الذى تتغير القافية فى كل بيتين منه ، وحاول أن يستخدم ضربا جديدا من الشعر يعرف عند الغربيين باسم الشعر المرسل وفيه يتقيد الشاعر بالوزن ولكنه لا يتقيد بالقوافى ، فلكل بيت قافيته أو لكل بيت نهايته) [٢] .

ويطلب العقاد من الشعراء (أن يتغلغلوا فى أعماق الاشياء) التى ينْظِمون فيها حتى يخرجوا لنا مكنونها، ويطالبهم أيضا بـ (توليد المعانى والصور الذهنية ومايلابسها من خواطر تتيقظ فى النفس وهو يشير بذلك الى طريقة مدرسته فى بسط الافكار وتحليلها والتأمل فى الاشياء تأملا نافذا) [٣] .

---

(١) أنظر حركة النقد الحديث والمعاصر فى الشعر العربى للدكتور ابراهيم الحاوى ص ٥٥ ومابعدها .

(٢) الادب العربى المعاصر فى مصر للدكتور شوقى ضيف ص ٦١ .

(٣) المصدر السابق ص ٦٥ .

* أما جماعة أبولو فإنها فتحت الباب على مصراعيه للشعراء الشبان و (يلاحظ على تلك الجماعة " أنه " لم يكن لها هدف شعرى ولا مذهب أدبى معين ، بل هى جماعة كل شعر مصرى ، ويتضح هذا فى اختيار رئيسها وأعضائها ، ففيهم كثير من شعراء النهضة مثل شوقى وخليل مطران وأحمد محرم وغيرهم)[١] .

فهذه الجماعة تحمل نزعات متعددة ومذاهب أدبية مختلفة الثقافة،فمنهم من اطلع على الاداب الغربية مباشرة،ومنهم من حصل عليها مترجمة،ومنهم من تأثر بشيء من التيار التقليدى،ومنهم ثائر على القديم متأثر بالتجديد ومناصر له،ومنهم معتدل بين الفريقين ، لذلك فاننا لا نستطيع أن نحدد سمات هذا الاتجاه بشيء من الدقة كما هو الحال فى الاتجاهات الاخرى وذلك لافتقارها الى تحديد مذهب بعينه ، ولكن الشيء الملاحظ على أدباء هذه الجماعة وأثبته كثير من الأدباء هو نزعتهم الرومانسية[٢] واشتراكهم فيها .

ونستطيع أن نستخرج بعض سمات هذه الجماعة من شعر رائدها ومؤسسها وهو الدكتور / أحمد زكى أبو شادى فقد اشتهر بثقافته الواسعة التى مكنته من الإطلاع على الاداب الغربية و (أنواع الشعر هناك من قصصية وغنائية وتمثيلية ،وعلى مذاهبه من واقعية ورمانسية

---

(١) الشعر العربى المعاصر للدكتور شوقى ضيف ص ٧٠ .

(٢) الشعر العربى المعاصر للدكتور شوقى ضيف ص ٧٣ .

ورمزية ومن ثم مضى يتأثر فى شعره بكل هذه الانواع والمذاهب وان كنا نلاحظ غلبة المذهب الرومانسى عليه)[١] لذلك نجده يخوض فى إتجاهات مختلفة فى الشعر وهذه سمة من سمات جماعة أبولو .

ويمكن لنا بعد هذا أن نشير الى أهم ملامح هذه الجماعة التى تميزت بها وهى :

١ - تعدد الاتجاهات المذهبية فى الشعر وعدم الرضوخ لمذهب معين وإن كان الطابع الغالب عليهم هو الرومانسية الغربية .

٢ - تبنى فكرة الشعر الحر أو (المرسل) والنظم فيه .

٣ - الدعوة الى حرية الفن من كل قيد يمنعه الحركة أو الحياة،فيجدد الشاعر ماشاء فى أسلوبه وطريقته فى التفكير والخيال والعاطفة[٢].

٤ - الدعوة الى الوحدة العضوية للقصيدة أو الوحدة الفنية[٣] .

٥ - (تنتقل القصيدة عند مدرسة أبولو من التعبير بالألفاظ والجمل إلى التعبير بالصور الشعرية) [٤] .

٦ - (سادت فى شعرهم نزعة الحرمان والندم .. وغير ذلك من ألوان التشاؤم والقلق والحيرة)[٥] .

---

(١) الادب العربى المعاصر فى مصر للدكتور شوقى ضيف ص ١٤٨ .
(٢) حركة النقد الحديث والمعاصر فى الشعر العربى للدكتور ابراهيم الحاوى ص ٨٩ .
(٣) مدخل الى دراسة المدارس الادبية فى الشعر المعاصر للدكتور نسيب نشاوى ص ٢٢٧ .
(٤) المصدر السابق ص ٢٢٨ .
(٥) المصدر السابق ص ٢٢٩ .

أما أدب المهجر بشطريه الجنوبى والشمالى فقد تميز بعدة سمات كان لها أثر كبير فى الادب العربى الحديث لعل من أهمها :

١ - ثورتهم على التقليد الذى لازم الشعراء فى القرن الثامن عشر ومناداتهم بأدب جديد يساير روح العصر(١) .

٢ - الطابع الشخصى : فلكل أديب طابع وشخصية تميزه عن الآخر (على الرغم من وحدة المنبع والغاية)(٢) لديهم .

٣ - الحنين إلى الوطن لدى أغلب شعراء المهجر(٣) .

٤ - ظهور النزعة الإنسانية فى شعرهم ودعوتهم الى الحب المطلق لكل الوجود (٤) .

٥ - غلب على مهجريّ الشمال نزعة التأمل وبالغوا فيها(٥) .

٦ - رهافة احساسهم الشعرى واتجاههم للطبيعة وحبهم لها(٦) .

---

(١) أدب المهجر للدكتور عيسى الناعورى ص ٧٠ ومابعدها ، شعراء الرابطة القلمية للدكتورة / نادرة جميل سراج ص ١٠٩ ومابعدها .

(٢) أدب المهجر دكتور / عيسى الناعورى ص ٧٢ ومابعدها ، شعراء الرابطة القلمية لنادرة سراج ص ١٢٠ ومابعدها .

(٣) المصدر السابق ص ٧٩ ، ص ١٨٧ .

(٤) المصدر السابق ص ٩٣ ، ص ١٤٤ .

(٥) أدب المهجر دكتور / عيسى الناعورى ص ٨٨ ومابعدها .

(٦) المصدر السابق ص ٩٨ ، شعراء الرابطة القلمية للدكتورة نادرة سراج ص ١٥٧ .

٧ - التجديد فى الأوزان والموسيقى الشعرية وقد غلب ذلك على شعـــــراء المهجر الشمالى[١]. بينما يشتركون فى بساطة التعبير والرقـــــة الغنائية [٢] .

٨ - نظم بعض شعراء المهجر الشمالي فى الشعر المنثور[٣] .

ومن ذلك نجد أن الادب المهجرى استطاع أن يجدد فى الصياغـــــة والموضوعات .

وبعد .. ترى فى أى اتجاه نظم الاستاذ على الجندى وبمن تأثر ؟؟ .

---

(١) شعراء الرابطة القلمية للدكتورة نادرة سراج ص ٢٤٩ .
(٢) أدب المهجر للدكتور عيسى الناعورى ص ١٠٣ .
(٣) شعراء الرابطة القلمية للدكتورة نادرة سراج ص ٢٦٦ .

الباب الأول

حياة الجندي

١ـ نسبه ومولده .

٢ـ نشأته العلميه ووظائفه الرسميه .

٣ـ طباعه وسجاياه .

٤ـ آثاره :

أ ـ آثاره العلمية .

ب ـ جهوده وابحاثه ومحاضراته بمجمع اللغة العربية.

جـ ـ آثاره الأدبية .

٥ـ وفاته .

الباب الأول

التعريف بالشاعر

١- نسبه ومولده :

على الجندى بن السيد الجندى بن سليمان الجندى ، وكلمة الجندى هنا بكسر الجيم،وهى لقب تشريف تطلق على كل فرد منهم ، (وقد تحدر اليهم هذا اللقب عن الأب الثامن للشاعر وهو العارف بالله يوسف الجندى بن على الجندى)(١) وقد كان يوسف هذا من الحكام ثم اعتزل الحكم وانقطع للعباده. وام يوسف " ضحا العنانيه " من سيدات آل عنان واللقب فى الأصل لقب أبيه على الجندى وهو حفيد الأميرة "جمسن " إبنة الجناب العالى الامير " مصطفى أرنئود ابن الأمير حسن أرنئود " أمير الدقهلية وأمين فارسكور فى العهد العثمانى وبيدهم حجة قديمه تثبت نصيبهم فى وقف هذا الأمير بدمياط كما أن قرابتهم به تربطهم بمعظم أسر دمياط وفارسكور وغيرها كالجندى،وأرنئوط،والخفاجى وكسيبة،والمشهدى وغيرهم ، فإذا ارتقينا بعد هذا فى سلسلة النسب أخذا من وثائق الأسرة المخطوطة بالعربية والتركية والفارسية وجدنا أن " الجندى" اختفى وحل محله " الكندى " بالكاف ، ووجدنا خمسة وعشرين أبا يحملون هذه التسمية يتوجهم " مالك الكندى " المولود فى حضرموت سنة ٤٩٦ هـ .(٢)

---

(١) مقدمة ديوان أغاريد السحر ص ١١ للأستاذ محمد صالح سمك .

(٢) مقدمة ديوان أغاريد السحر ص ١٢ .

(ووالد على الجنـــــدى : السيد الجندى من صفوة أعيان (شندويل البلد) وسمحائها ومثقفيها ، أما جده لأبيه : سليمان الجندى فهو مـــــن الضباط القدامى فى عهد أمراء مصر سعيد واسماعيل وتوفيق) .(١)

وُلدَ الشاعر (بشندويل البلد) - من أعمال مركز (سوهاج) بمديرية جرجا - بمصر (٢) ،عام ١٩٠٠ م فى بيت كريم .(٣)

٢-نشأته العلمية ووظائفه الرسمية :

وعند بلوغه سن الخامسة التحق بكتاب القريه فحفظ القرآن الكريـــم فى سن مبكرة وتعلم بها مبادئ العلوم الضروريه (وقد كان مقررا أن يتعلـــم تعليما مدنيا فى مدرسة سوهاج الاميرية ولكنه كان فى طفولته يخاف الاشبـــاح ويهب من نومه ليلا صارخا متفزعا فقضت الشفقة ألاّ يعيش بعيدا عن كنف والديه فى هذه الحال وفى هذا السن) . (٤)

وبهذا يكون التعليم المدنى قد فاته،ولكن ذلك لم يؤثر كثيرا علـــى الفتى الذى كان شغوفا بالعلم منذ نعومة أظافره ، فأعدّ نفسه للتعليم الدينى وكان الطريق أمامه ممهدا فقد حفظ القران الكريم قبل ذلك،فى كتاب القرية .

وفى ذلك دافع قوى للفتى ، فواصل تعليمه الدينى على أشياخ(شندويل) فحفظ مجموع المتون والألفية،ودرسَ الفقه المالكى وعلوم العربيه والتوحيـــد والتفسير وغيرها ،فلم يبلغ سن المراهقة حتى أصاب الغايه من ذلك .(٥)

---

(١) انظر مقدمة ديوان أغاريد السحر ص ١٣ .
(٢) مقدمة ديوان أغاريد السحر ص ١٠ .
(٣) مفكرون وأدباء لأنور الجندى ص ١٧٠ .
(٤) مقدمة ديوان أغاريد السحر ص ١٠ .
(٥) مقدمة ديوان أغاريد السحر ص ١١ .

وبعد أن وصل إلى هذا القدر العظيم من التعليم والإدراك رغب أهلـــه فى زواجه وإكراهه على البقاء فى القريه وعقدوا له بالفعل ، ولكنه كان يضمر فى نفسه شيئا غير ذلك ، فهو محب للعلم ، فهرب الى (سوهاج) مغاضبا لهـم وهناك التحق بمدرسة (المعلمين الأولية) فقضى بها ثلاث سنوات وقبل ظهـــور نتيجة الامتحان الاخير-الذى كان به أوّل الطلبه الحاصلين على اجازتها التى تعرف بشهادة الكفاءة-سافر إلى القاهرة برضاء أهله وذلك من أجل مواصلة تعليمـه فالتحق بالأزهـر ونال منه شهادتى (الأولية والثانويه) النظاميتين ، وهنـا قرر أن يلتحق بدار العلوم لإكمال تعليمه ، وهذا مالم يكن يتوقعه منه اشياخه وأساتذته فى (القاهرة) أو (الصعيـد) فقد كانوا يتوقون أن يواصل تعليمـه فى الأزهـر،نظرا لمايمتاز به من سعة الاطلاع والذكاء الحاد والإقبال على العلم بنهم شديد ، وكان له ما أراد فالتحق بدار العلوم سنه ١٩٢٠م[١] وأمضى بهـا خمس سنوات تتلمذ فيها على يد كثير منعلماء وأدباء دار العلوم ومنهم الشاعر البدوى(محمد عبد المطلب)وكان له به صلة قوية [٢]، وكان فى سنيّ دراستـــه بدار العلوم مثالا للطالب الأديب المنشّ الشاعر،العالم الصالح المحتشم .وقـد تخرج فى كلية دار العلوم بالقاهره سنه ١٩٢٥م [٣]وإذ جاء ترتيبه بيـــن أوائل الطلبه فقد تم ترشيحه لبعثة علمية الى(إنجلترا) إذا هو اجتاز الامتحان الخاص فى اللغة الانجليزيه، وتقدم فعلا لذلك ولكن الحظ تخلى عنه هذه المـــرة فلم يوفق فى اجتيازه [٤] ، فاختارته الوزاره مدرسا (بالناصريه الابتدائية)

---

(١) مقدمة ديوان أغاريد السحر ص ١١ .

(٢) مجلة الأديب حـ ٦ ١٩٦٦ ص ٤٥ .

(٣) الاعلام للزركلى حـ ٤ ص ٢٩٣ .

(٤) مجلة مجمع اللغة العربيه حـ ٢٥ ١٩٦٩م ص ٢٣٦ .

وهى مدرسة خاصة لأبناء البيوتات (فكان اختيارا موفقا صادفه التوفيق والسداد : مرب ممتاز مرشح بفطرته لتربية الناشئه الممتازة)[١] ثم انتقل بعد ذلك إلى(دار العلوم)لتدريس النصوص الأدبيه وعلوم البلاغة وهذا هو مجاله الذى كان يتمناه ، يقول الأستاذ عباس حسن [٢] :

(وهنا تجلت مواهبه فى أقوى مظاهرها وأجمل مورها إذ لقي مجاله الرحب وميدانه الفسيح فأبدع ماشاء له الذوق الاسمى والتحصيل الأكمل أن يبدع وجدد فى فنون البلاغة وطرائقها ومسائلها ماشاء له الحذق البارع والرأى الأنضج واستيقظت خصيصته فى التأليف المجدد ، فألف فى فنونها عدة كتب كانت بحق ذخائر لغويه وادبيه وبلاغيه وأفاض على طلابه غدقا من روائع مختاراته وبدائع نظمه فكان لهم من هذا كله كنائز تعد بحق أنفس الذخائر البلاغيه وأغلى الكنوز الأدبية) .

وبقى يدرس فى دار العلوم وتدرج فى سلك التعليم وصار استاذا مساعدا بها واستمر كذلك حتى اختير وكيلا لها،ثم ولى عمادتها عام ١٩٥٠م .[٣]وتتلمذ على يده وتخرج عشرات من الشعراء والشاعرات [٤] . وظل كذلك حتى بلغ الستين عاما من عمره فغادر العمل الحكومى راضيا عمّاقدم للعلم فى سنى عمله مرضيا عنه من طلابه ورؤسائه ومرؤسيه ، ولقد اجتمعت القلوب على محبته والثناء على عهده ، فبالرغم من إنتهاء سنه القانونى موظفا بالحكومه

---

(١) مقدمة ديوان أغاريد السحر ص ٩ .

(٢) صديق الشاعر وزميله أثناء دراسته فى(دار العلوم)وتدريسه (بالناصريه) ثم فى دار العلوم ،أنظر مجلة مجمع اللغة العربيه حـ٢٥ ص ٢٣٦ .

(٣) الأعلام للزركلى حـ ٤ ص ٢٩٣ .

(٤) مجلة الاديب حـ٦ سنه ١٩٦٦ ص ٤٥ .

فآن كلية دار العلوم استبقته لمواصلة العمل بها وذلك لحاجتهم لمثل هـــذا الرجل (١) .

وفى سنة ١٩٦٩م انتخب عضوا بمجمع اللغة العربيه ،أى قبل وفاته بأربعة أعوام (٢). وهو ايضا من أعضاء لجنه الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنـــون والآداب والعلوم الاجتماعية (٣) ، الذى أحدث فى زمن الوحدة بين مصر وسوريـــا عام ١٩٥٨م وكان من أهم ميزاته أن يقيم مهرجانا شعرياً كل عام احياءً لســوق عكاظ القديمه ترد عليه وفود الشعراء من انحاء العالم العربى .

وشارك الاستاذ على الجندى بمهرجان الشعر الاول الذى أقيم بدمشـــق سنه ١٩٥٩م والقى به عده قصائد منها قصيدة: (إلى شباب العروبه) و (تحيه دمشـــق) (٤) .

وقد كان لهذه الرحله أثر كبير فى نفس الشاعر، كيف لا وهى الرحلـــة الاولى التى يسافر فيها خارج وطنه، وأثبت مادار فى هذا المهرجان بدقة فـــى كتابه (خمسه أيام فى دمشق الفيحاء) كما سنرى .

واختير كذلك عضوا بلجنة التعريف بالإسلام ، ومقررا للجنة القـــرآن والسنه بالمجلس الأعلى للشئون الإسلاميـــة .(٥)

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربيه حـ ٢٥ ص ٢٣٨

(٢) مجلة العرب حـ ٦ ص ٤٧٤ ١٣٩٣ هـ .

(٣) المستدرك على معجم المؤلفين ص ٤٨٩ .

(٤) مهرجان الشعر الأول ـ دمشق ـ المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيه ١٩٥٩م ص ٩١

(٥) مجلة مجمع اللغة العربيه حـ ٢٥ ص ٢٣٨ .

٣- طباعه وسجايـــــاه

على الجندى كما يصفه أحد اصدقائه متحدثا بإسهاب عن ملامحه الشخصيـــة التى اتسم بها ، شخص نحيف الجسم ، أتلع الجيـد ، واسع الجبهه ، أبيـض اللون ، مشربا حمره ، على حظ من الوضاءه والوسامة ،فى عينه اتســـــاع وفى أنفه جمال ، وعلى خده الأيمن شامه صغيره ، يتسع فمه قليلا فـــــوق أسنان دقيقه لامعة حسنة الرصف (١)

تلـك هى أهم صفاته الجسمية أمّا خلاله التى عرفت عنه واشتهر بها فمن أبرزها :

أنه مسلم متدين ، قابض على دينه ، مؤمن به إيمانا راسخا (٢) ، ويبـــدو أثر هذه الصفة جليا فى جوانب كثيره من حياته . فيبين عن عقيدتـــــة عندما يبتهل إلى الله فى مثل قصيدته (الرّوح الضّمأى) التـى يقـــول فيهـــا :(٣)

إلٰهى ،ذُنُوبِى نَاءَ ظَهْرِى بِحَمْلِهَا
وَأَصْبَحْتُ مَعْنُوداً بِهِنَّ مُقَيَّـــــدَا

الى أن يقول :

عَبَدْتُكَ حُبّاً ،مَاعَبَدْتُكَ خِيْفَـــةً
لِأَنَّكَ أَهْلٌ أَنْ تُحَبَّ وَتُعْبَـــــدَا
جَعَلْتُ تَرانِيْمِى إِلَيْكَ وَسِيْلَـــةً
وَنَفْسِىَ قُرْبَاناً ،وَقَلْبِىَ مَسْجِـــدَا

---

(١) مقدمه ديوان اغاريد السحر بقلم الاستاذ / محمد صالح سمك ص ٧

(٢) نفسه ص ١٠ .

(٣) ديوان ترانيم الليل (للجندى) ص ٢٨١ .

فَإِنْ أَنَا لَمْ أَنْهَضْ بِحَقِّكَ، ظَالِمًا
لِنَفْسِي ، فَحَسْبِيَ : أَنْ نَشَأْتُ مُوَحِّدَا
وَأَنِّي إِلَى الإِسْلَامِ أُنْمَى ، وَأَنَّنِي
تَعَلَّقْتُ قُرْبَى مِنْ صَفِيِّكَ (أَحْمَدَا)

كما نجده يشجع على حفظ القرآن الكريم) عندما يقول :(١)

يَا (حَافِظِي الذِّكْرِ) حَيَّا اللَّهُ طَلْعَتَكُمْ
وَصَانَ قَوْمًا عَلَى تَهْذِيبِكُمْ سَهِرُوا
إِنِّي لأَحْسَبُ (طه) بَيْنَ عِتْرَتِهِ
بِكُمْ عَلَى نَشْأَةِ (الْفِرْدَوْسِ) يَفْتَخِرُ(٢)

ويرى أنّه لاصلاح لحال المسلمين ، ولاسبيل لهم إلى النصر على اعدائهم ، واستعادة مجدهم إلاّ بالعودة إلى الدين وانتهاج سنن الكتاب العزيز فيقول :(٣)

عَجِبْتُ لِلْمُسْلِمِيْنَ الْيَوْمَ كَيْفَ عَنَوْا
لِلْحَادِثَاتِ ،وَذَلَّتْ مِنْهُمُ الْقَصَرُ(٤)

---

(١) ديوان اغاريد السحر (للجندى) ص ٤٦ .

(٢) نشأة الفردوس : المراد بهم ولدان الجنة .

(٣) أغاريد السحر ص ٨٩ ، ٩٠

(٤) القَصَر : بفتح القاف جمع قصره : اصول الاعناق .

تَعْدُو عَلَيْهِمْ ذِئَابٌ لَيْسَ يَنْقُصُهَا
مِنْ سَاكِنِ الْغَابِ إِلَّا النَّابُ وَالظُّفُرُ

وَبَيْنَ أَيْدِيهِمُ " الذِّكْرُ الحَكِيمُ " هُدًى
لَوْ أَنَّهُمْ نَصَرُوا أَحْكَامَهُ انْتَصَرُوا

نَسُوا " الكِتَابَ " فَأَنْسَاهُمْ نُفُوسَهُمُ
رَبُّ الكِتَابِ ، فَهُمْ قُلٌّ وَإِنْ كَثُرُوا

مَنْ حَارَبَ اللَّهَ لَمْ تَثْبُتْ لَهُ قَدَمٌ
عَلَى النِّضَالِ ، وَلَمْ يُكْتَبْ لَهُ الظَّفَرُ

عُودُوا إِلَى " السَّمْحَةِ البَيْضَاءِ " فَهْيَ لَكُمْ
حِصْنُ النَّجَاةِ إِذَا مَا نَابَتِ الغِيَرُ

ويشير إلى مكانة الاخلاق وأثرها ، منبها إلى أن النقص فى الأخلاق أشد من النقص فى الأرزاق عندما يقول :(١)

النَّقْصُ فِي الأَقْوَاتِ لَا يُزْرِي بِنَا
لَوْلَمْ يَكُنْ فِي خُلْقِنَا النُّقْصَانُ

كما أنه يحث على المحافظه على الاخلاق محذرا من أن مصيبة الإنسان فى أخلاقه أنكى وأمر من مصيبته بداءٍ فى جسمه فى مثل قوله (٢) :

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٢٧١ .

(٢) ديوان أغاريد السحر ص ٩٨ ، ٩٩

أَخْلاَقُنَا : دَاؤُنَا ، وأىُّ فَتَـــــــــى
أُصِيْبَ فِى خُلْقِه فَلَمْ يَهُـــــن ؟
مُصِيْبَةُ النَّاسِ فِى خَلاَئِقِهِـــــــــمْ
أَخَفُّ مِنْهَا مُصِيْبَةُ " الدَّرَن " (١)

والذين يعرفون الشاعر يشهدون له بكثير من الصفات ، فهو كما يصفه أحد الادباء (٢) شديد الحياء ، جم العطف ، كثير الرحمه ،رقيق الاحساس رهيف الشعور ، وهو لذلك شديد التوقى لكل مايخجله أو يخجل غيره فلاينطق الفحشاء والعوراء ، ونتجت عن رقة شعوره رقة معشره ورقة مجاملته ، فيعتذر لأقل هفوة ، ويشكر لأدنى صنيعه ، كما أنه يؤثر العزلة والإنطواء على نفسه والإقتصاد فى الإختلاط وزياراتهمقصورة على الصفوة المختارة من أصدقائه وهو صادق الود ، وفىّ بالعهد كتومللسر ، ومن وفائه أنه لايمر بخاطره ذكر صديق توفى حتى تدمع عيناه ، لذلك تعددت مراثيه وجاءت فخمة شجيه صادرة عن عاطفة جياشه وطبيعة حزينه ، وهو وقور رزين كريم ، ومتواضع كل التواضع كما أنه منظم فى حياته ودقيق فى مواعيده .

وهو متمسك بأمور دينه ، ويكره التهتك والتحرر الجامح وينفرمن المبادئ الهدامة .

وهو شجاع متزن ، يستمد بعض وقود شجاعته من عدم حرصه على الحياه وكثرة ذكره للموت الذى هو بيد الله .

---

(١) الدرن فى الاصل : القدر ،والمراد به هنا : مرض (السل فى عرف الاطباء) .

(٢) انظر مقدمة أغاريد السحر بقلم الاستاذ / محمد صالح سمك من ص ١٥ الى ص ٢٩ .

(وهو شديد الزهو بحسبه ،يعتقد أنه ربيب ثلاث سيادات قلّما اجتمعت لأحد : سيادة فى العرب وسيادة فى الترك وسيادة فى مصر ، ولكن هذه النزعه تختفى تحت ستار من تواضعه وسجاحته اذا جالس إخوانه من العلماء والادباء وتظهر جلية واضحه اذا خالط الكبراء والاعيان وتظهر جارفة إذا مسه ضيم وهوان (١) .

كما أنّه عذب الروح ، طلى الحديث ، شديد الذكاء واسع المعرفه حاضر البديهه كثير الحفظ ، قويم الرأى ،متفوق فى التحصيل العلمى ،متمسك بشعائر الدين حريص على حميد الخصال ، وهو جاد فى العمل متقن له متفان فيه ويشتهر بسماحه الطبع ولين العريكه (٢).

وبعد ... فهذه هى الصورة التى رسمها له بعض اصدقائه من الادباء وقد اطالوا فى الثناء على أخلاقه مستشهدين بوقائع تثبت ذلك ذكروها فى أحاديثهم ... وللحق أقول: انى قد سمعت الكثير عن أخلاق هذا الشاعر من أبنائه ومن كثير من تلاميذه فى دار العلوم ، كما أننى أجده يصور فى شعره كثيرا من تلك الأخلاق التى تظهر شخصيته فيها ، ومن ذلك تواضعه الذى نستمع إليه فى هذه الابيات التى يقولها بعد ان جاء ترتيبه الأول فى إحدى المسابقات الادبيه وإلى أى سبب يعزو ذلك السبق (٣) :

سُبِقْتُ بِحَظِّى ، لاَ بِالأَدَبْ
وَنِلْتُ عَلَى الضَّعْفِ أُوْلَى الرُّتَبْ

---

(١) أغاريد السحر بقلم محمد صالح سمك ص ٢٤ .

(٢) انظر مجلة مجمع اللغة العربيه ح ٢٥ رمضان ١٣٨٩ هـ كلمة الأستاذ عباس حسن فى استقبال الاستاذ على السيد الجندى ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦

(٣) ديوان أغاريد السحر ص ٢٧٤ .

وَجَـــاءَ بِيَ الشَّعْرُ رَأْسَ الرَّعِيْـــــــلِ
وَلَـوْ أَنْصَفَ الشَّعْرُ كُنْتُ الذَّنَـــبْ

فَجَلَّيْتُ غَيْرَ مُجَلٍّ كَمَـــــــــــــا
يَطِيْـرُ الدُّخَانُ أَمَامَ اللَّهَـــــبْ

وَكَمْ سَابِقٍ فِي مَجَالِ الرِّهَـــــــــانِ
وَأَوْلَى بِغَيْرِ يَدَيْهِ القَصَـــــبْ

(١)
ويتحدث عن سبب انطوائه وإيثاره للعزله (وهى صفه عرفت عنه) قائلا:

نَفَضْتُ يَدِيْ مِنْ كُلِّ خِلٍّ عَرَفْتُـــــــــهُ
وإِنْ شَاقَنِي خِلٌّ فَيَاحَبَّذَا الْكُتْـــبُ

سَأَحْيَا وَحِيْداً كَالطَّرِيْدِ ،وَرُبَّمَـــــــا
يُسَرُّ الفَتَى بِالبُعْدِ إِنْ سَاءَهُ القُرْبُ

أَرَدْتُ عَلَى رُغْمِي ـ الخِيَانَةَ أُسْتَـــــوَةً
بِصَحْبِي ! فَمَالَبَّى إِرَادَتِيَ القَلْـــبُ

وَعَاصَانِيَ الطَّبْعُ الْكَرِيْمُ ،وَمَنْ يَكُـــــنْ
لَهُ مَحْتِدِي يَأْبَى الدَّنَايَا .لَهُ الضَّرْبُ

أَلَابُؤْسَ لِلدُّنْيَا إِذَا كَانَ لَايُـــــــرَى
صَدِيْقَانِ فِي الدُّنْيَا يُظِلُّهُمَا الحُـــبُّ

---

(١) أغاريد السحر ص ٢٠٨ .

كما إننا نجده فى كثير من المواضع يدعو إلى مكارم الأخلاق وينفر من الخلال الذميمه ، ومن ذلك وطأته الشديده على البخلاء وشدة سخطه عليهم عند مايصور نقائصهم متمنيا لهم الآفات فى مثل قوله من قصيده (البخلاء[1]):

النَّاسُ فِى اللُّؤْمِ أَنْوَاعٌ ، وَشَرُّهُمُ
عِنْدِى البَخِيْلُ ، الأَسْحَقاً لِمَنْ بَخِلاَ

يَالَيْتَهُ حِيْنَ لاَتَنْدَى أَنَامِلُهُ
بِالنَّائِلِ النَّزْرِ يَنْدَى وَجْهُهُ خَجِلاَ

أُعْجُوبَةٌ فِى الوَرَى أَنَّ الْبَخِيْلَ عَلَى
فَقْدِ الرُّجُوْلَةِ يُدْعَى بَيْنَهُمْ رَجُلاَ

السُّلُّ وَالبُخْلُ : ذَا دَاءٌ يُطَبُّ لَهُ
وذَا عُضَالٌ ، وشَرُّ الدَّاءِ مَاقَتَلاَ

يَشْقَى البَخِيْلُ عَلَى الدُّنْيَا ،وَفِى يَدِهِ
أَسْبَابُ نِعْمَتِهِ لَوْ أَنَّهُ عَقَلاَ

وَيَجْرَعُ الصَّابَ مُخْتَاراً ،وَشَرْوَتُهُ
تَجْرِى يَنَابِيْعُهَا مِنْ تَحْتِهِ عَسَلاَ

لاَقَى العُقُوْبَةَ فِى الدُّنْيَا مُعَجَّلَةً
كَذَلِكَ الشَّرُّ يَأْتِى أَهْلَهُ عَجِلاَ

---

(١) آغاريد السحر ص ٢٤٣ ، ص ٢٤٤ .

٤- آثـــــاره

أشتهر الأستاذ على الجنـــدى بكثرة الاطّلاع وغزارة المحفوظ والـــذوق الذواق،ولذلك أطلق عليه بعض معاصريه كلمة (المخـــزن)[١] وصدق هـــــذه المقوله يلاحظ جليا للمتتبع لمؤلفاته العديده فى محيط اللغة والأدب نخـــص بالذكر منها

أ - آثـــاره العلميـــــة[٢]

١- أبو الوفاء محمود رمزى نظيم) الشاعر الوطنى الصوفـى [٣]

تناول المؤلف فى هذا الكتاب دراسة تحليلية للشاعر الوطنى (ابو الوفـــاء محمود رمزى نظيم) ولقد عاصر الأستاذ على الجندى هذا الشاعر الذى عاش فـــى أخطر الحقب السياسية التى مرت بها مصر ، وأسهم أبو الوفاء فيها مجاهـــدا بنفسه وقلمه ولسانه ، وناله من اجل ذلك سجن واضطهاد وعذاب ومحن قابلهـــا بصبر ورضاء وعزيمة صادقه .

وفى هذا البحث يترجم المؤلف حياة هذا الشاعر المجاهد (الـــذى لم ينصفه زمانه وكاد أن ينسى)[٤] ترجمة وافيه تتبع فيها حياته منذ ميـــلاده الى لحاقه بالرفيق الاعلى ، مفصلا جهاده بشعره وزجله فى شتى الميادين وبخاصه إبّان مناهضه الإحتلال الانجليزى قبل ثورة ١٩١٩م وبعدها .[٥]

---

(١) أثر دار العلوم فى الحياة الادبية بمصر د. محمد صادق الكاشف ص ٨٤٩

(٢) ويدخل تحت ذلك جميع مؤلفاته العلميه فى مختلف المجالات الدينيـــة والتاريخية واللغوية .

(٣) دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهره ١٩٦٨م ويقع الكتاب فى ١٧٥ صفحة .

(٤) ابو الوفاء محمود رمزى نظيم ص ٥ (٥) ابوالوفاء محمود رمزى نظيم ص ٦

ثم عمد الى شعره فحلله تحليلا دقيقا مستوحيا علم النفس ، وفنون النقد،حريصا فى دراسته على عقد الموازنات وايراد الشواهد والأمثلة مستطردا الى بحوث شائقه طريقه . وقسم الكتاب الى عشرين فصلا تناول فيها على الترتيب مايلى :

ميلاده ، بيئته ، نشأته ، اثر الدماء المنوعة فى تكوين هذا الشاعر المليم وتحدث عن جهاده بشعره فى المظاهرات ضد الانجليز ومالاقى من جراء ذلك من متاعب أدخلته السجن وجعلت عين السلطه العسكريه تراقبه عندما كان محررا بجريده (المحروسه)[١] وبعد ذلك تتبع المؤلف حياته بعد الحرب العالمية الاولى وعمله محررا بصحيفه (المنبر)[٢] اليومية ينشر فيها شعره ومقالاته وزجله،الى أن يصل الى ذروة جهاده بقلمه ولسانه اثناء ثورة (١٩١٩م) بقياده (سعد باشا زغلول) الذى لقّبه عن جدارة بـ (شاعر الثورة) [٣] .

ولم تقف خدمة أبى الوفاء لوطنه عند الشئون الداخليه ،بل جاوزتها الى خارج الوطن [٤] ثم يحلل المؤلف ملحمة (ابى الوفاء) الوطنيه التى نضمها على شكل أرجوزه رائعه تحوى ثلاثه وعشرين فصلا وتضم ثلاثمائه واربعين بيتا . وتعد من روائع الأراجيز فى تاريخ الادب العربى .[٥]

ثم يفرد المؤلف فصلا يذكر فيه كيفيه معرفته لأبى الوفاء وكيف أنه كان شاعرا صوفيا يتصف بالحرمان ويؤمن بالله عز وجل إيمانا عميقا ثم يتحدث عن شعر هذا الشاعر،وحصره فى جزئين كبيرين بلغ عدد أبيات الجزء الأول المطبوع من الرمزيات خمسمائه وثلاثه الاف بيت .[٦]

---

(١) أبو الوفاء محمود رمزى نظيم ص ١٨
(٢) نفسه ص ١٨
(٣) نفسه ص ١٨
(٤) نفسه ص ١٩
(٥) نفسه ص ١٩
(٦) نفسه ص ١٩

ويذكر أهم سمات شعره ويشير الى لفتات الشاعر الجميله ونكاته الظريفه ذات الصنعه البديعية المحببة .

ويستشهد الاستاذ على الجندى لفنونه الشعريه،ولم يكتف بذلك بل كان يعمد لبعض المختارات من شعره فيحللها ويعلق عليها . ثم يفرد فصلا فى " حب ابى الوفاء وغزله " ويتتبع ذلك من خلال ديوانه ويصل الى أن الشاعر قد وقع فى الحب ويستشهد على ذلك بشعره .(١)

ويتبع هذا الفصل بفصل ظريف اسماه (شفقة المحبين)(٢) تتبع فيه شفقه المحبين فى الشعر العربى الى أن يصل الى أبى الوفاء ومالاقى من عذاب ولوعة عبّر عنها أصدق تعبير عندما قال فى قصيده اقتطف منها هذه الابيات :(٣)

تَذْهَبُ الأَعْمَارُ مَا بَيْنَ ... ابْتِسَامٍ وَنُوَاحْ
وَظِلَالُ النَّاسِ تَفْنَى ... كُلَّمَا مَرَّ جَدِيْدْ
يَاحَبِيْبِى صَهَرَتْ قَلْبِى ... تَبَارِيْحُ نَوَاكْ
صَهَرَتْ قَلْبِى كَمَا يُصْهَرُ ... بِالنَّارِ الحَدِيْدْ

وفى الفصل التاسع عشر يتحدث عن عبقريه هذا الشاعر الفصيح التى لم تقف عند الشعر العربى بل جاوزته الى الشعر العامى أو (الشعر الشعبى) أو (الزجل) (٤) حتى لقب بـ (أمير الزجل) فى مؤتمر لبنان للزجل العربى عام ١٩٤٥م الذى انتخب فيه رئيسا للمؤتمر ويستشهد على زجله بعده ابيات ذكرها فى هذا الكتاب .

---

(١) انظر أبو الوفاء ص ١٣٢
(٢) انظر أبو الوفاء ص ١٤٥
(٣) انظر أبو الوفاء ص ١٥١
(٤) انظر أبو الوفاء ص ١٦٠

ولقد قام الأستاذ (عبد المنعم أبو بثينه) بجمع ازجاله فى ديـــــوان كامل .(١)

ويختتم المؤلف هذه الدراسه بفصل أسماه (فلسفه الاسماء) يثبت فيـــه مطابقه اسم (أبى الوفاء محمود رمزى نظيم) على مسماه .

٢- أَطوارُ الثَّقافة والفكرِ فى ظلالِ العروبةِ والاســـــلام :(٢)

وهذا الكتاب من الكتب الثقافيه الفكريه التى شارك فيها الاستاذ على الجندى غيره من المؤلفين فى سبيل اخراجه وهم :(محمد صالح سمك)وهو أستـــــاذ بالمعاهد العليا ،(ومحمد ابو الفضل ابراهيم) وهو رئيس القسم الأدبى بـــــدار الكتب .

ولقد بذل مؤلفو هذا الكتاب الضخم - الذى يقع فى سبعة مجلـــــدات ولم يقع تحت يدى سوى المطبوع منها وهو الأول والثانى - جهدا يشكرون عليـــه فى سبيل دراسة ثقافتنا العربيه فى ظلال ديننا السمح وبيان مامرت به مـــــن أطوار وعصور متعاقبه ،وبيان معالم كل عصر تاريخيا ،واجتماعيا ،وسياســـــيا. وكذلك تحدثوا فى هذا الكتاب عن العلوم والفنون،وما أحاط بها من بعـــــث او خمول،وتعرضوا فيها لذكر أعلام كل علم وفن،ومحاولة رسم ملامحهم وتفصيـــل اخبارهم . وكذلك قاموا بدراسة شامله للكتب النفيسه التى حوت ألوان المعارف وحفظت بين دفتيها ثمرات ونتائج القرائح وكان لها الأثر البعيد فى تاريـــخ الفكر الانسانى عامه والعربى بخاصه،وربط كل كتاب بفنه وإرجاعه إلى أصلـــــه.

---

(١) انظر أبو الوفاء ص ١٦٤ .

(٢) يقع الكتاب فى أكثر من جزئين . الجزء الأول تم طبعه بمطبعه السعاده سنه ١٩٥٩ م والثانى سنه ١٩٦٠ ويقع الجزء الاول فى (٥٤٩) صفحـــــه أما الثانى فهو فى (٥٦٥) صفحه .

وفصلوا الكلام على المذاهب المختلفه والأراء المتشعبه وعرضوا حجاج كل فريق ثم جنحوا الى مارأوه صوابا .(١)

ومنهجهم فى هذا الكتاب هو الاعتماد على أمهات الكتب الاصيله واستقراء المذاهب العلميه فى كل اطوارها المختلفه ، واستخلاص الرأى من النصوص والانتصار للثقافه العربيه من غير تعصب .

أما غايتهم من هذا الكتاب فكانت كما حددوها : (ان يكون مرآه صافيه لتاريخ الفكر العربى من عصر الجاهلية إلى عصرنا الحديث يرى فيه الناشئة والمتأدبون دراسة شاملة متصله الحلقات ، مترابطة الاجزاء وأن يكون موسوعة للثقافه الإسلاميه يبعث مفاخرها ، ويتحدث عن امجادها) .(٢)

وقد بدأ الجزء الأول من هذا الكتاب بالحديث عن معارف العرب فى الجاهليه وجهودهم العقليه بالتفصيل . وبعد الانتهاء من ذكر هذه المعارف أخذ المؤلفون بتقويم الثقافه العربيه الجاهلية وتتبع ذلك التقويم عند الباحثين مع الإستشهاد بأقوال العلماء والحكماء .

أما الموضوع الثانى الذى طرقه هؤلاء الباحثون فهو القران الكريم دستور الإسلام وأول كتاب للعرب .

وفيه يتطرق البحث إلى ذكر كيفيه نزول القران،والحكمه من نزوله مفرقا وأسماء السور المكى منها والمدنى ، ونزوله على سبعه أحرف،وقراءاته،ثم جمعه وتدوينه،والحديث عن لغته والفاظه وأسلوبه فى المناظره والمحاوره

---

(١) اطوار الثقافه ص ط المقدمه .

(٢) اطوار الثقافه ص ط المقدمه .

والتاريخ والقصه وتقرير الأحكام إلى أن يصل البحث إلى اعجاز القران الكريم، والموازنه بينه وبين كلام البشر ثم الحديث عن السجع فى القران ومذاهب البلاغيين فى السجع القرانى(كالباقلانى)وغيره .

ثم يتحدثون عن فواصل القران والنسخ فيه،وأثر القران فى حياة العرب الاجتماعيه والعقليه،واثره فى العلوم الاسلاميه والثقافيه العربيه والانسانيه،وتأثيره فى نفسيه العرب ولغتهم وأدبهم،وأثره فى رقى المجتمع الإنسانى .

ثم يتحدث الكتاب ايضا عن ترجمه القرآن،وذكر آراء المحرّمين والمجيزين للترجمه . والحكم فى هذه القضيه . ثم يعرض أراء المستشرقين فى القرآن الكريم .

أما الموضوع الثالث الذى تعرضوا له فى هذا الجزء من الكتاب فهو:فن الكتابه الخطيه العربيه وتأريخ نشأتها وأطوارها وآثارها وعرض نماذج لها . ثم حال الخط العربى بعد الإسلام . مع ذكر منزلة الكتابه وانتشارها بين شعوب العالم،والحديث عن مقومات الكتابه،وترتيب الحروف العربيه مع شكلها . ثم أخذ الكتاب يترجم لبعض الخطاطين (كابن مقله) و (ابن البواب) وغيرهم،وفى نهايه فن الكتابه يتحدث الكتاب عن أدواتها وحروفها فى التشبيه مستشهدا بعدة تشبيهات من العصرالجاهلى الى العصر الحديث فى النثر والشعر . ويذكر أدوات الكتابه وبيان فضلها عند الادباء .

وهذا عرض سريع لما حواه الجزء الاول من هذا الكتاب أمّا الجزء الثانى :

فقد اشتمل على العلوم الاسلاميه والدخيله،مع التأريخ لعلمائها والأعلام ودراسة مؤلفاتهم ومدوناتهم فى صدر الإسلام وبنى أميه والعصر

العباسى الأول .

ويبدأ هذا الجزء بذكر أطوار الثقافه والفكر فى صدر الإسلام وبنى اميه ،ويتحدث عن الحركه العلميه فى العصرين،ويفرد حديثا عن الحركه العلميه والتدوين فى عصر بنى اميه، ثم يتعرض لقضية اللحن وفساد الألسن ووضع النحو .

ويترجم الكتاب لرواد الفكر والعلوم فى القرن الأول الهجرى . ثم ينتقل البحث إلى ذكر أطوار الثقافه والفكر فى العصر العباسى الأول وبواعث النهضه العلميه فيه .

وبعد ذلك أخذ البحث يؤرخ للعلوم والفنون فى هذا العصر ويُعرِّف بأشهر رجاله وعلمائه ومؤلفاتهم . وبدأ بعلم التفسير،ثم علم الحديث فعلم الفقه والتشريع،وعلم اصول الفقه، ثم يتحدث عن علم الكلام ويترجم لكثير من أعلام كل علم .

وبعد ذلك ينتقل إلى علم اللغه وذكر من برز فيه من الأئمة العلماء ومؤلفاتهم،ويردف ذلك بترجمة مختصره لهم .وينتقل الى أعراب البوادى الذين نَقلَ عنهم علماء اللغة،وترجم لهم باختصار ، وقد بلغ عدد من ترجم لهم هنا واحدا وثلاثين اعرابيا اكثرهم شعراء . وبذلك ينتهى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

٣- قطـــــوف (١)

جاء هذا الكتاب نتيجه لسعه اطلاع هذا الأديب الأريب وغزارة محفوظـــه ودقة حسه وملاحظته، فبذلك كله استطاع أن يخرج هذه القطوف السهله الممتنعـــه. وفيها أخذ أديبنا العالم يتنقل بين الرياض والخمائل يقطف ويجمع ويدقـــق النظر ويعمل الحس فيما جنى من يانع الثمار .

يقول : (أكثرها قطفته من رياض المعارف الاسلاميه وأقلها من خمـائل الآداب العربيه والعجميه مما يتصل بالنوع الأول بنسب أو بسبب) .(٢)

ويضم الكتاب أكثر من خمسمائه وألف من القطوف الجامعة المنوعه وقـد قسم هذه القطوف الى احدى عشرة شجره وعنى بكل شجره على حده فآخذ ينسق بيـــن مايجمع فيها من تفسير لآيه قرانيه او شرح لحديث نبوى شريف أو حكمـــــة بليغه أو شعر رائع أو طرفه أدبيه نادره .

وقد عنى بشرحها والتعقيب عليها ووضع العناوين المناسبه لهـــــا والحق يقال إن هذه القطوف تجمع بين الفائدة والمتعه فى قراءتها وقد وضـــع قاطفها نصب عينيه أن تكون كتاب ثقافه عامه للمسلمين سهله المنال تستسيغها أذواق القراء على اختلاف ثقافاتهم وميولهم فكان له ما اراد .

وكأنى به فى هذه القطوف يصحب القارئ فى نزهه بين الرياض والخمائل يذيقه من هذه الثمره اليانعه ويسقيه من ذلك النهر الجارى ويقطف له ما أُراد من أطايب الورود والزهور ومما نشره بين ايدينا من هذه القطوف الدانيـــــه نتبين مدى اطلاعه الواسع وإلى أى حد عانى فى سبيل جمعها وقد يكون الإختيار أصعب منالا من التأليف فهو فى سبيل اخراج هذه القطوف اخذ ينقب عنها فى مئـــــات الكتب التى تزخر بأدب التراث .

---

(١) سلسله مقالات نشرها الاستاذ على الجندى فى مجله (منبر الاسلام) وهـــى مجله شهريه تصدر عن المجلس الاعلى للشئون الاسلاميه بوزاره الاوقاف المصريه ثم جمعها قبل وفاته فى كتاب نشر عام ١٣٩٠هـ ١٩٧١م ويقع الكتاب فى ٢١٢ صفحه.

(٢) قطوف لعلى الجندى ص٥ .

٤- رحلة الإمام الشافعى إلى الإمام مالك [١] :

وهذا الكتاب وصف دقيق لرحلة الإمام (الشافعى) إلى شيخه الإمام (مالك بن أنس) رضى الله عنهما - وما دار بينهما من حديث مفيد يفيض بالتعاليم الدينيه والخلق القويم والجد والكد فى الإخلاص للعلم والتأسى بالسلف الصالح. قرأها الأستاذ على الجندى عن روايةٍ (رواها جماعة من أعلام الاثبات - بسند متصل - عن الربيع بن سليمان تلميذ الإمام الشافى مشافهه عن الإمام نفسه -رضى الله عنه وأرضاه -) [٢] فلما فرغ من قراءتها، وأدرك مدى جدواها حلّت من نفسه أعلى محل، فرأى أن يشرك فى المتعة بها الكبير والصغير. وأعمل فيها القلم لصبها فى قالب عصرى لتسهيل وعرها وتذليل صعبها ،ولقد أثراها باستطراده السائغ وإضافه الحكمة البليغة والمثل السائر ، والشعر المأثور.[٣] وكان لذلك الاجتهاد أثر كبير فى زياده بيانها وتذليلها للقارئ .

ولقد صدّر الكتاب بتعريف دقيق للإمام الشافعى-رضى الله عنه-ذكر فيه نسبه، ومولده، ونشأته، ورحلاته فى سبيل تلقى العلم ، وتفصيل مذهبه وأردف هذا التعريف بأمثله من أقواله فى المناظره والعظه والافتاء فى بعض المسائل، واختتم هذا التصدير بذكر أقوال العلماء فيه .

---

(١) دار التحرير للطباعه ١٩٦٩ م ويقع الكتاب فى (١٠٢) صفحه .

(٢) رحلة الإمام الشافعى إلى الإمام مالك ص ٥

(٣) رحلة الإمام الشافى إلى الإمام مالك ص ٦

ثم بدأ بعد ذلك بتقسيم الكتاب إلى:ثلاثه فصول تصف الرحله وصفا دقيقا، فأفرد (الفصل الاول)للحديث عن بدء الرحله عندما فارق الشافعى(مكة المكرمة)وهو فى الرابعة عشرة من عمره [١] متوجها إلى المدينه،ويفصل القول فيما كان أثناء رحلته إلى أن وصل إلى الإمام مالك بن أنس - رضى الله عنهما - وما دار بينهما عند اللقاء .

وكيف حفظ الشافعى الموطأ عن ظهر قلب ، وبعد ثمانيه أشهر من الإقامة عند (مالك)تاقت نفسه للسفر إلى(أبى حنيفه،بالكوفه) ليزداد علما،ويصف الكتاب مادار بين الإمام الشافعى والإمام أبى حنيفه وجامع مذهبه (محمد بن الحسن)، [٢] وكذلك يصف مكوثه بالكوفه ضيفا على(محمد بن الحسن الشيبانى)- ثانى أقطاب الحنفيه -.وفى الفصل الثانى من الكتاب : تتوق نفس الامام الشافعى للسفرطلبا للعلم فيستأذن الامام محمد بن الحسن ويأذن له مكرها .[٣] ويستكمل رحلته مطوفا بآفاق العراق وفارس وبلاد الاعجمين ملاقيا لكثير من رجال العلم والمعرفه آخذا منهم ومعطٍ لهم،ويعود إلى العراق مره أخرى بعد أن بلغ من العمر واحدًا وعشرين عاما-فى خلافه هارون الرشيد- ويصف مادار بينه وبين الرشيد ورفضه لتولى قضاء المسلمين وكيف ألح عليه الرشيد بأن يتولى الصدقات فى " نجران " ويقبل ذلك حتى لايقف مرتين أمام إرادة الخليفه .[٤]

ويعاوده الحنين الى"المدينه المنوره" والإمام مالك مرة أخرى وهنا يسترسل فى الحديث عما دار أثناء سفره الذى استغرق مده طويله إلى أن وصل إلى«المدينه» ويصف بدقة ما دار من مناظره علميه بين الشافعى وأستاذه مالك

---

(١) رحلة الإمام الشافعى إلى الإمام مالك ص ٢٥

(٢) المصدر السابق ص ٤٨

(٣) المصدر السابق ص ٥٥

(٤) رحله الإمام الشافعى إلى الإمام مالك ص ٦١

فى طلقته العلميه على مرآى من الناس [١] .

وفى الفصل الثالث : يستهله ببكاء الإمام الشافى بين يدى أستاذه الإمام مالك - مخافه أن يكون أستاذه قد ابتاع الضلاله بالهدى أو باع دينه بدنياه؛ ذلك أنه تركه فى المرة الأولى فقيرا وعاد إليه من العراق وهو غنى - وكيف أجابه الإمام مالك على ذلك بما يطمئن به قبله .[٢] ويبين المؤلف الحكمه المستقاة من ذلك .

ويتابع وصف ما دار بينه وبين الإمام مالك فى بقيه هذا الفصل. وأخيرا يختم كتابه بذكر رحيل الإمام الشافعى إلى «مصر» . فكان أن ألقى فيها عصاه سنة ١٩٩ هـ أو سنه ٢٠٠ هـ وسكن مدينه «الفسطاط» - أول عاصمه إسلاميه لمصر - واتخذها دار هجرته .[٣] وعكف على الدرس والتدريس فى جامعها (جامع عمرو) وأملى فيه مذهبه الجديد . حتى وافاه الأجل المحتوم سنه ٢٠٤ هـ - رضى الله عنه - .

---

(١) رحله الإمام الشافعى إلى الإمام مالك ص ٧٤ .

(٢) نفسه

(٣) نفسه

٥ - سيف الله خالد بن الوليـــــد [١]

لقد تفرعت ميادين البحث التى طرقها الأستاذ "على الجندى" وها نحـــن نراه فى هذا الكتاب يتجه إلى التأريخ :

يقول فى مقدمة هذا الكتاب : (كنت منذ الطفولة أحس إحساسا قويـــا بميلى إلى قراءة تاريخ الحروب والإلمام بسير أبطال الوقائع وفرسان المعـامـع قديما وحديثا)[٢] وأثناء الحرب العالمية الأولى استطاع أن يستقص أخبارها من الصحف المحلية متتبعا كل ماتحويه من أنباء وتعليقات عسكرية وبذلك أصبـــح لديه مايمكن أن يسمى (بالثقافة العسكرية) ومسايرة لهذا الميل الحربـــى كلف أديبنا بقراءة تاريخ خالد بن الوليد - رضى الله عنه - ذلك البطـــل العربى الصحابى الجليل ، وتجلت له ميزاته وصفاته ،وفنه العجيب فى تعبئـــه الجنود وتدبير الخطط وحسن القياده وانتزاع النصر وقهر الأعداء حتى صح فيـــه قولهم : إنه القائد الذى لم يهزم قط .

وتبين له على هدي ماقرأ عن ابطال الحروب الحديثه - أنه بالرغـــم من اختلاف الزمان والمكان وتباين وسائل القتال وتطور الخطط العسكريـــــه فإن هناك تراثا مشتركا ،وصفات رئيسه ،تربط بين دهاقين الحرب وعباقرة النزال[٣] ولقد قسم المؤلف كتابه إلى عشرين فصلا تناول فيها على الترتيب:ذكر نسبـــه ومكانته فى قريش ومواقفه قبل إسلامه ،وكيفية إسلامه،ثم مواقفه البطوليه بعـــد إسلامه، ودوره فى حروب الرِّده، ويتحدث عن فتح العراق وماتلاه من احداث كفتـــح "الحيره"،وفتح "الانبار" و"دومة الجندل"، ثم يذكر مسير خالد الى الشام ، وفتـــح دمشق وباقى أجزاء الشام،ثم ينتقل بعد ذلك إلى حديث عن وقائع حصلت بيـــن

---

(١) مكتبه الانجلو المصريه ٨ يونيه ١٩٦٨م ويقع الكتاب فى (١٧١) صفحه .

(٢) مقدمه سيف الله خالد ص ٢

(٣) مقدمه سيف الله خالد ص ٢

القواد فى الحرب العالمية الأولى مع ذكر من برك فيها منهم ، ويوازن بين "خالد بن الوليد" رضى الله عنه - وبين (هند نبورج) القائد الالمانى وفى الفصل الثانى عشر يتابع الموازنة ولكن بين المعارك فهو هنا يوازن بين موقعتى(اليرموك) وقائدها المحنك(خالد)ومعركة (تاننبرج) وقائدها المرشال (هند نبورج) بطل الحرب العالميه الأولى الذى هزم الروس ، ثم ينتقل الى مقارنة بين(خالد)واللواء (لودندورف) وهو من كبار القاده الألمان فى عهد (نابليون) وهو واضع خطه اختراق (البلجيك) لسحق فرنسا والفصل فى الحرب بسرعه . (١)

ويتابع مقارنته بين خالد و (ماكنزن) أحد القاده الالمان فى الحرب العالميه الكبرى الذى لقب بـ (مفرج الازمات الألمانيه) (٢)

وينتقل بعد ذلك إلى المقارنه بين خالد بن الوليد ونابليون وذلك لكثرة ماذخرت به نفساهما من النواحى العبقرية،وينتهى به المطاف فى موازنته المنصفه إلى أن البطل العربى المسلم يفوق هؤلاء القادة جميعا وأنه حوى ماتفرق من محاسنهم جميعا .

ولقد عقب المؤلف بعد ذلك بعدة فصول فصّل فيها عبقرية ابن الوليد الحربيه تفصيلا شافيا معتمدا على الشواهد المنتزعه من الوقائع التى خاضها الفارس المغوار . ويفرد فصلا يعرض فيه ماكان بين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وخالد بن الوليد (رضى الله عنه) من خلاف فى ظاهر الأمر وأتى بالأدلة التى لايرتقى إليها الشك (أن الصحابيين الجليلين المتشابكى النسب كانا متحابين متصافيين وأن ماشجر بينهما كان نوعا من الإجتهاد واختلاف النظر الذى يحدث عادة بين العقول العبقريه الكبيره وأنه لم يترك - وماكان

---

(١) مقدمه سيف الله خالد ص ١٠٣

(٢) خالد سيف الله ص ١٠٨

وماكان له أن يترك - حقدا أو إحنه أو بغضاً فى مثل هذه النفوس التى صفاها الإسلام من حمية الجاهلية وكُدرة الوثنيه)[1]

ويختم المؤلف بحثه بذكر وفاة سيف الله المسلول فى خلافة الفاروق عمر-رضى الله عنهما-.

٦- نفح الأزهار فى مولد المختار .[2]

وفى هذا الكتاب الذى يبلغ ثلاثين فصلا يجيب الأديب الشاعر عن تساؤلات حول مولد الرسول - صلى الله عليه وسلم ونشأته مفصلا آراء الأئمة والعلماء فى الاحتفال بمولده عليه السلام ، فى صورة رائعة من صور البلاغة والبيان، مدعما ذلك بالأدلة والأسانيد .

ويمتاز هذا الكتاب بدقة الإستقصاء وعمق البحث بالإضافه إلى الأسلوب الرائع فى فن الكتابة نثرا وشعرا .

ومن أهم المواضيع التى تطرق إليها الباحث فى هذا البحث : نسب الرسول-صلى الله عليه وسلم-والحكمه من كونه عربيا، ثم يتحدث عن "مكة المكرمه" - مولده عليه السلام - و"المدينة المنوره" - مهاجره عليه السلام - ويلقى الضوء على أسمائه-صلى الله عليه وسلم-وكثرتها وأشهرها. ثم يتحدث عن بشائر الكتب السماويه بنبوته وتبشير أهل الكتاب به وتبشير قدماء

---

(١) خالد سيف الله ص ١١٥ .

(٢) مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقيه ١٤٠٦هـ، ويقع الكتاب فى (١٧٤) صفحه وطبع بمناسبة الاحتفال بالمؤتمر العالمى الرابع للسيره والسنة النبوية الشريفة (المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلاميه) فى الأزهر سنه ١٤٠٦هـ برئاسة فضيلة الشيخ (جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر) .

العرب به ، وينتقل إلى الحديث عن الإرهاصات النبويه .[1] وينتقل بعد ذلك إلى ذكر صفته البدنيه عليه السلام ومن ثم تاريخ مولده ، ويسرد بعد ذلك آراء الأئمة فى الاحتفال بمولد محمد-صلى الله عليه وسلم-ويبين فى أسلوب أدبى بليغ أنه-صلى الله عليه وسلم-رسول الإنسانيه الأعظم وأنه هو الرسول العاقب الخاتم .

وينهى البحث بإيراد قصيدة (فلق الصباح) وهى من نظمه وقد بلغ عدد أبياتها (٩٤ بيتا)يقول فى مطلعها [2]:

مَاذَا يَقُوْلُ الشِّعْرُ فِى عَلْيَائِهِ .: مَنْ خَاطَبَ الرَّحْمَن فَوْقَ سَمَائِهِ
النَّاسُ فِى الدُّنْيَا بِبَعْثَتِهِ اهْتَدُوا .: وَالنَّاسُ يَوْمَ الْبَعْثِ تَحْتَ لِوَائِهِ

---

(١) الإرهاص فى اللغة الاثبات يقال أرهص الرجل الشئ: اذا أثبته وأسسه وهو مجاز ومنه : إرهاص النبوه .

(٢) نفح الأزهار ص ١٦٩ .

٧ - قرّة العيـــن فى رمضان والعيديـن .[1]

وقد وُفّق المؤلف فى هذا السفر بالجمع بين أطراف شائقة من اللغـــة والدين والتاريخ والأدب والشعر والحكمة والقصص والفكاهه وما إليها بمايتعلق بشهر رمضان وعيدي الفطر والأضحى .

فكان هذا الكتاب الجامع لكثير من أشتات المعارف ،ويقع فـــــى جزئين . ضم الأول منها أربعة وثلاثين فصلا تحدث فيها عن:الصيام والأشهرالقمرية ، ورمضان وفضله،وترائى الهلال،وليلة القدر وفضلها وزمنها والبرّ فى رمضـــان وأدب الصوم،وخلوف فم الصائم،وصلاة التراويح،وفضل السواك فى رمضان،والإعتكاف والوصال فى الصوم،والإفطار ، وحلواء رمضان ، وإفطار الرسول صلى اللّـــه عليه وسلم ، والسحور ، وكيف أن رمضان علاج للأمراض،ثم يختم هذا الجزء بحديث عن أشهى اطباق رمضان فى(مصـــر) .

أما الجزء الثانى فقد أورد فيه اثنين وثلاثين فصلا تحدث فيهـــــا عن : رمضان فى الأدب،وتهانى رمضان ،ومواعظه وأدعيته ورسائله الإخوانيـــــه، وتحدث عن رمضان مع الشعراء ، ثم ينتقل إلى فصل أسماه (فكاهات الصيام) ثم وداع رمضان،وبعد ذلك يصف هلال رمضان وهلال شوال .

وينتقل إلى العيدين فيبدأ بعيد الفطر وزكاة الفطر ثم عيد الأضحى ويتحدث عن الأضاحى وعن اشياء مشتركه بين العيدين .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى ذكر العيد الحزين عند بعض الشعراء قدامـــى ومحدثين.وينتقل إلى الحديث عن رمضان والعيدين فى العهد الفاطمى إلـــى أن ينهى الكتاب بحديث عن عيد الأضحى أو عيد النحر فى العهد الفاطمى .

---

(١) مطابع الأهرام التجاريه ١٩٦٩م ويقع الكتاب فى جزئين يضم الاول (٢٩٩) صفحه والثانى (٢٤٧) صفحه .

٨ - طرائف القصص .(١)

كان لسعة إطلاعه وغزارة علمه وحرصه الشديد على الإفادة فى كل لون من ألوان المعارف ماجعله يخرج لنا هذا الكتاب الذى يتضمن الواناً من القصص،بعضها ممّا وضعه المؤلف وبعضها ممّا أخذه من بطون الأسفار وهذّبه وصاغه بعبارات وأساليب جديده مع الحفاظ على معانيه واغراضه .

وقد تضمنت هذه القصص مقاصد ساميه وأهدافا نبيله تهذب الأخلاق وتثقف العقول وتجلو العبر والعظات وتشحذ العزائم .

وهو فى هذه القصص يقدم لنا المُثل التى تُحتذى ويغنينا عن تجاربنا بتجارب سوانا،وفوق هذا وذاك يروّح بها الهم عن النفوس ويدفع عنها الملالة والرتابه مقتديا بقوله تعالى : (وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ)* .

وفى هذا الكتاب عشرون قصة مختلفه فى شتى المجالات .

٩- غرر القصص .(٢)

تُعد هذه القصص توءمةً لسابقتها-(طرائف القصص)-صورةً ومضمونا وغايه . وقد شجعه على وضعها وتخيُّرها إقبال القراء وثناؤهم على المجموعة السابقه،وطلبهم منه المزيد كما يقول فى المقدمه.ويشتمل هذا الكتاب على ثلاث وثلاثين قصه،بعضها من وضعه والأخرى من القَصَصِ المتخيَّر المأثور، وقد أنحى عليها بالتهذيب والصقل مع الحفاظ الدقيق على المضمون،ملائمةً

---

(١) المطبعه الفنيه الحديثه عام ١٩٧٠م ويقع الكتاب فى (٢٥٥) صفحه.

(٢) المطبعه الفنيه الحديثه عام ١٩٧٢م ويقع الكتاب فى(١٦٠) صفحه.

* هود (١٢٠) .

لروح العصر ومساوقةً للذوق .

١٠- سجع الحمام فى حكم الإمـــام :[١]

وهو من الكتب التى اشترك فيها مع غيره فى التأليف[٢] ويعد الكتاب مكملا لما جاء من قبله فى حكم الإمام علي-رضى اللّٰه عنه-وأمثاله وخطبه ورسائله. بل ويشير مؤلفو الكتاب فى المقدمه إلى أنه : (بقى كثير من كلامه -عليه السلام- متفرقا فى كثير من كتب الأدب والتاريخ ؛لايقل روعة ونفاسة وصدقا وبلاغة ، عمّا ورد فى هذه الكتب ؛ على أن كثيرًا ممّا جاء فيها يعوزه الضبط والشرح ،ويشيع فيه التحريف والإبهام،فرأينا أن نجمع شتات هذه الحكم فى عقد يضم منها ما تفرق) [٣]

ويبدأ الكتاب بنبذه موجزه عن حياة الإمام (على)رضى اللّٰه عنه حتى وفاته ثم يَردُ ذكر الحكم والامثال على التوالى،وقد بلغ عددها (١٨٣٣) مما بين حكمة ومثل.ولقد رُتبت ترتيبًا معجميا ووضح لها شروحا تفسر الغريب وتبين المعانى،مع إيراد أقوال الشعراء الذين وقعت لهم هذه الحكم فأودعوها قوافيهم ،ولقد ذيلت كل حكمه بمرجعها، ووضح لها من الرُّموز مايلائمها، ثم ذيل الكتاب بمعجم لغوي للكلمات التى وردت مشروحة فى الحواشى .

---

(١) مكتبة الأنجلو المصريه ١٩٦٧م ويقع الكتاب فى(٥٠٦ صفحه).

(٢) وهم الاستاذ /(محمد أبوالفضل إبراهيم ،ومحمد يوسف المرجوب).

(٣) سجع الحمام ص٦

١١- الشذا المؤنس فى الورد والنرجس : (١)

وهو من الكتب الأدبيه العلميه العامه التى أثرى بها المؤلف المكتبة العربيه. وبتتبع محتويات هذا المؤلّف نلمس تأثير المؤلّف فى سير هذا البحث، فلقد أتاح له إطلاعه الواسع ومحفوظه الغزير - الذى كان يشتهر به - ودقة حسه وحبه للجمال أن يلحظ تأثير كل فصل من فصول السنة على الأدباء والعلماء والطبيعه، وأثبت (أن أثر الربيع فى الأدب أوسع وأضخم وأعمق وأوضح وأفتن لأسباب كثيره. ففصل الربيع يبدأ بحلول الشمس فى برج (الحمل) وهو اشرف البروج عند العرب وأدلها على الحركة والحداثه والجاذبيه ،فيشبّ الزمان بعد الهرم ويعتدل بعد الإنحراف و ينطلق بعد الجمود ويتراءى صبياً فتياً متهللاً بسّاما .) (٢)

(وهكذا تنداح دائرة الأدب والشعر أمام الأدباء والشعراء ويمدهم هذا الفصل الخصيب بثروة فائقة من الجمال ... أجل إن احتفاء الأدباء والشعراء بالربيع وغناءهم له خلق بإزائه ربيعاً آخر أوسع مدى وأجمل زينة وافتن حلياً وأجل وشياً ... فكأنه لم يكف الربيع الغنى السخى أن يخلقنا خلقا جديدا ويمنحنا القوة المبدعه ويفجر فى أعماقنا الينابيع الثره، حتى يضع أمامنا النماذج والأمثله، لنحتذيها حيناً ونتسامى عليها حيناً آخر (٣) !)

ومن اسم الكتاب نجد المؤلف قد التقط من آثار الربيع تحفتين هما : الورد والنرجس وجعلهما أساسًا مهمًا لهذا المؤلّف العلمى الادبى.

وبدأ بالحديث عن الورد فعرّفه وتتبع أقوال العرب القدامى فيه، ثم انتقل إلى خواص الورد وأسمائه وألوانه، ثم يلتقط صورا فنية رائعة من الأدب العربى قديمه وحديثه تصف الورد إبّان وقبل وبعد تفتحه على مختلف الصور.

---

(١) مكتبة الانجلو المصريه ١٩٦١م ١٣٨١هـ ويقع الكتاب فى (٢٦٤) صفحه.
(٢) الشذا المؤنس ص٥.
(٣) الشذا المؤنس ص٩.

وتعرض لماء الورد وزمنه، وصلة ذلك بالخلفاء والرؤساء والأدباء والنسّاك، وأبان عمّا بين ورد الرياض وورد الخدود من شبه قريب ومشاكلة وثيقه تنبه لها الشعراء منذ القدم فجعلتهم يجمعون بينهما فى التشبيهات والإستعارات. ثم عقد بعد ذلك حديثا عن التحايا بالورود ، وأتبعه بطرائف الورد الكثيره، وثلث مختتما حديثه عن الورد بما أسماه (مراثى الورد).

أما التحفه الثانيه وهى النرجس فقد صنع بها مثل ماصنع مع الورد: فعرف النرجس فى اللغة، وتحدث عن خواصه وتوليده، وأنواعه، وتشبيهه بالعيون او تشبيه العيون به، أو تشبيهه بالثغور- وهو قليل- وفى كل تشبيه من هذه التشبيهات يسترسل فى ذكر الأمثله من الأدب العربى قديمه وحديثه. ثم ينتقل بعد ذلك إلى ذكر منزلة النرجس عند الاندلسيين والمشارقة، ويتحدث عن تحايا النرجس ويختتم حديثه عن النرجس منفصلا بذكر طرائفه .

وهو فى كل ذلك يضرب الأمثلة والشواهد معتمدا على شعر أكثر من خمسين شاعراً عربيا وأندلسيا فى مختلف العصور الأدبيه .

ومستعينا بما ذكر فى كتب الأدوية والطب والنبات على لسان (الدينورى) و (إبن سينا) و (القيصونى) و(ديسقوريدوس) و(ابن هندو) بالإضافه إلى كم هائل من أمهات الكتب والمعاجم العربيه .

وبعد أن تحدث عن الورد والنرجس كل على حده إختتم بحثه بباب أسماه: بين الورد والنرجس ، وأخذ يتتبع مفاضله الشعراء بينهما، وكيف أن ابن الرومى قد أيقظ الفتنة النائمة بين الأزهار بهجائه للورد الذى إنعقد إجماع أهل الترف والذوق على حبه ،وفتح باب الشغب بين الشعراء على مصراعيه فانقسموا إزاءه إلى ثلاثة أقسام : قسم هجا الورد وأحب النرجس.وقسم فعل العكس وثالث معتدل بينهما .

ولم يقتصر باب الشغب بين الأزهار على الشعراء فقط بل تعداهم إلى الكتاب فخاضوا المعركة التى ايقظها (ابن الرومى).

ويواصل المؤلف بحثه فى المفاضلة بين الأزهار إلى أن يصل إلى موضوع أسماه: (الورد يفوز فى المنافرة على الأزهار) ويقيم البراهين من الشعر والنثر على ذلك ، ويذكر مقامة السيوطى (الوردية) ثم يختتم كتابه بتساؤلٍ ترك الإجابة فيه للشعراء قائلاً : هل يجتمع الورد والنرجس؟

١٢- الجن بين الحقائق والأساطير (١)

وهو من الكتب الطريفه الممتعه التى تجمع بين الجدّ والتسليه ويدور الحديث فيه عن عالم الجن الذى جاء ذكره فى الكتب السماوية، وأحاديث الأنبياء والمرسين وأتباعهم، وتكلمت عنه الديانات البشريه على اختلاف نزعاتها ومعتنقيها .

ولقد إهتم المؤلف بهذا الموضوع، فجمع له ما استطاع أن يجمع من متن اللغة، وعنصر الأدب، وتفسير القرآن الكريم، وشروح الحديث، والشعر، والقصص والنوادر المستطرفه. وأعمل فى ذلك كله رأي المجتهد المنتقد الدراس الفاحص مميزاً الصحيح من العليل والممكن من المحال، جانحا للإنصاف فيما يعدفه من خلاف .

وجاء الكتاب فى جزئين: ضم الأول منها خمسة عشر فصلاً، تحدث فيها عن : الأرواح العلويه والسفليه وآراء الفلاسفه فى ذلك، ثم بَدْءُ خلق الجن، وآراء العلماء فى عنصر الجن، ثم تعرَّضَ لمراتب الجن ووجودها فى الكتب السماوية وآراء العلماء والفلاسفه فى ذلك. وينتقل إلى رؤية الجن واختلاف العلماء فى رؤيتها مع عرض أدلة كل منهم . ويفرد فصلا فى ضروبٍ من رؤية الناس للجن . ثم يتحدث عن الشياطين والعفاريت والغول والسعالى والهامه تباعا، فيعرفها ويذكر أخباراً طريفة عنها .

ثم يعرف الصدى (٢) ويفرق بينه وبين الهامه (٣) ويختتم هذا الجزء

---

(١) مكتبه الأنجلو المصريه ١٩٦٩م ويقع الكتاب فى جزئين ضم الأول (١٧٠ صفر) والثانى (١٧٦) صفحه .

(٢) جاء فى القاموس أن الصدى : طائر يخرج من رأس المقتول إذا بلىَ - كما يزعم أهل الجاهليه بالإضافة إلى معان أخرى.

(٣) يقول الإمام الحفيد فى الدر النضيد ص ٦٣: الهامة فى إعتقاد أهل الجاهليه: دودة تخرج من رأس القتيل، وتدور حول قبره .

بحديث عن الهامة والصاروخ[1] ويستشهد بعدة حوادث عن الأشباح قديما وحديثا.

ويجئ الجزء الثانى فى ثلاثة عشر فصلا تناول فيها : قبائل الجن مدعمة بأقوال العلماء والمفسرين، والخوافى المعروفه المسماة بصفاتها كالخابل والهاجس والرّئى وغيرها، ويتحدث عن هطايا الجن وماشيتهم . ويفرد فصلا عن قتل الحيات وتخوف الأعراب من قتلها زعمًا منهم أن الجن تتصور فى صورها ثم يذكر تصور الجن فى صور السباع والحيوان والأناس، ويتحدث عن معنى حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى النهى عن الصلاه فى معاطن الإبل .

ثم يتحدث عن الطاعون وكيف أنهم زعموا أنه من رماح الجن، ويذكر بعد ذلك عدة صور طريفه عن تشكل الجن ثم يصل إلى وصف بعض الشعراء والأدباء لوجوه الشياطين وصور الجن .

ثم يتحدث عن استهواء الشياطين للآدميين، وتعليل ماتتخيله الأعراب من عزيف الجن وتغول الغيلان .

ويتحدث عن عبادة الجن متناولا بعض القبائل العربية التى عبدتها وكيف أنهم كانوا يستعيذون بالجن إذا نزلوا فى الصحارى وغيرها كما ورد فى القرآن الكريم. وفى الفصل الثانى عشر يتحدث عن مواطن الجن بالتفصيل والنهى عن الصلاة فيها. ثم يختتم كتابه بحديثٍ تناول فيه إمكانيه التزاوج بين الإنس والجن.

---

(١) عرف الأستاذ على الجندى الصاروخ ص ١٥٢ بأنه يخرج ليحكى حال القتيل عند قتله ويصور مأساته .

١٣- مناهل الصَّفـــاء للنفوس الظماء .[١]

وهذا الكتاب عبارة عن كلمات متنوعة فى موضوعات مختلفه لها منزلتها وأهميتها فى المجتمع،ويسودها الوعظ الرقيق السمح وهى ذات أسلوب سهـــــل محبب للنفوس .

وأغراضها ممّا يقرؤه الناس جميعا على إختلاف أجناسهم وأديانهـــــم ومذاهبهم وأذواقهم حتى تكثر الفائدة ويعم النفع . وبهاعدّة قصص ومواقـــف حصلت مع المؤلف نفسه بالإضافة إلى ما أخذه من كتب التراث .

١٤- البلاغه الغنيـــة .[١]

لقد إرتشف الأستاذ (على الجندى) أفاويق البلاغه واستدرَّ أخلافها شابـــا ويافعا،وهانحن أولاء نراه يقدم فى هذا الكتاب فصولا من الوان البلاغه التـــى شغلت أذهان علماء البيان وجماعة الأدباء والشعراء فى الماضى ولم يزل لأكثرها شأنه فى الحاضر .

وتناول فى كتابه هذا ثمانية فصول هى : الإلتزام ،التطريز ،التفويف التغاير ، التوشيع ، الإطّراد ، التوءم ، التكرار .

وكان المؤلف-رحمه اللّه-فى كل فصل من هذه الفصول يُعرِّفُ الفن الـــــذى يتحدث عنه تعريفاً وافياً عند اللغويين والبلاغيين،ويورد له الأمثله الحسنـــــه والمعيبه،ويشير إلى مواطن الحسن فيها كما يشير إلى مواطن القبح أيضا .

---

(١) مكتبة الجامعة الأزهريه عام ١٩٧٣م ويقع الكتاب فى (١٤٤ صفحه .)

(٢) مكتبة الأنجلو المصريه ط الثانيه سنه ١٩٦٦م ويقع الكتاب فى (٢٥٨) صفحه .

ويعرض آراء النقاد والبلاغيين فى كل فنٍ من هذه الفنون،كما يعرض كثيراً من النماذج للقدماء والمحدثين ناقداً ومدققا وموازنا ، مستعيناً فى دراستها بعلم النفس وفلسفة الجمال وروح الأدب ، مستهدياً بصناعة الشعر وماتوفره لصاحبها من ذوق موسيقى وحاسة فنيه [1] وبذلك جاءت فصول هذا الكتاب غنية كما يقول عنها : (وهى إلى ذلك تتسم بالثراء والترف والنعمة فهى ليست ككل كلام إستحق اسم البلاغه بما حوى من شيات الجمال المتعارف لدى البلغاء ولايكفى فيها أن تكون حلوة الألفاظ بارعة الأساليب جميله الأخيلة صادقه الأداء . بل لاتقنع بما يقنع بها غيرها من ذلك التحسين والتنميق والتحبير الذى يوفره لها مايسمى بالمحسن البديعى ،ولكن لابد لها وراء ذلك من ثروة فى الأنغام وغنىً فى الألحان ودسومة فى الفواصل والقوافى إلى حد التخمه حتى يصير الكلام كله غناء أو شبيهاً بالغناء ومن هنا جاءت تسميتها ((بالبلاغة الغنية)) لأنها غنية حقا وصدقاً بل لعلّها مفرطة الغنى مسرفة الثراء) [2] .

ولقد بذل المؤلف جهدا يشكر عليه فى سبيل إخراج هذه الفصول الطريفة فى كتاب بلاغي نقدي أدبى .

---

(١) البلاغة الغنيه ص ٤ .

(٢) البلاغة الغنيه ص ٣ .

١٥-فـــن التشبيـــــــه [١]

جاءت هذه الدراسة الواعية من الأستاذ/على الجندى (لفن التشبيه) فى ثلاثه أجزاء،تناوله فيها من جميع النواحى تناولا دقيقا شاملاً بعد قراءة طويلة مستوعبة،جمع من خلالها كماً هائلا من النصوص المختاره والأمثلـــة الحيه،من نثر البلغاء وشعر الفحول من مختلف مظانها العلمية والأدبيـــــه، فتألّف من مجموعها سفر ضخم فى علم البلاغة وتشعب أساليب البيان فى فـــــن التشبيه .

ويقول المؤلف عن هذا العمل فى مقدمة كتابه : (وكان من همـــــى ألاّ أقبل رأياً بدون نظر وبحث،وأن أدرس المذاهب المختلفه وأنخلها،وأميـــز عليلها من صحيحها،وغثها من سمينها ، دون تأثر بهوى أو عصبية ، وأن أجعل من بينها للدراسات الحديثه مكاناً ملحوظا : من تحليل أدبى ونقد قويـــــم، وموازنة عادله،مستعينا على ذلك بما لايصح للدارس جهله من مباحث علـــــم النفس وفلسفة الفن والجمال .)[٢]

وهذا عرض سريع لما دار فى تلك الدراسة لفن التشبيه ابدؤه بالجزء الأول :

وقد قسّمه المؤلف إلى إثنين وعشرين فصلاً تناول فيها مايلى : حـــد البيان فى اللغة والإصطلاح ، معنى الفصاحة والبلاغة والفرق بينهما،الـــدلالات وأقسامها،(حد التشبيه فى اللغة والإصطلاح) ،التشبيه عند القدماء ،التشبيه من الخصائص الطبيعيه [٣]، منزلة التشبيه من البلاغه ، فائده التشبيـــــه،

---

(١) مطبعة نهضة مصر ط ١ سنه ١٩٥٢ م.ويقع الجزء الأول فى (٣٣٦) صفحه، والثانى فى (٣١٢)صفحه، أما الثالث فقد طبعته مكتبة الأنجلو المصريه ويقع فى (٣٦٣) صفحه .

(٢) فن التشبيه للأستاذ على الجندى جـ١ ص ٣ .

(٣) فن التشبيه جـ ١ ص ٤٣.وفيه يعرض تشبيهات للعوام ونماذج لها،وكيف يلتقى العامة والخاصة فى بعض التشبيهات البلغيه،ومقياس ذلك فـــى الجاهليه .

تقسيم التشبيه ، أركان التشبيه ، التلميح والتهكم ، وجه الشبه ،أقسام وجه الشبه ، مراعاة جهة التشبيه ، التشبيه المجمل والمفصل ، أدوات التشبيه، الغرض من التشبيه ،بيان إمكان المشبه ،تحسين المشبه أو تقبيحه ، الإستطراف ،التشبيه المقلوب ، ويختم الجزء الأول بفصل أسماه :

قيمة التشبيه المقلوب وتطـــــــــوره .

أما الجزء الثانى من فن التشبيه فقد وضعه فى عشرين فصلاً مرتبة كما يلـــى :

التشابه [1] وماتفيده صيغة التشبيه ، تشبيه التمثيل وبيان صيغته،فضل التمثيل وتأثيره ، التشبيه الحسى وتعريفه ، المركب الحسى ،الهيئات والحركـــات فى المركب الحسى ، تشبيه المحسوس بالمعقول ، مذاهب البلغاء فى تشبيـــه المحسوس بالمعقول ، التشبيه الرمزى ، التشبيه المتعدد ، نشأة التشبيـــه المتعدد ، القريب المبتذل والبعيد الغريب ، قيمة التشبيه البعيـــــد، رفع الإبتذال عن التشبيه ، إنتزاع التشبيه ، شعراء التشبيه ، الأشياء التى راجت فى التشبيه ، التجديد فى التشبيه ، التشبيه المؤكد والإستعاره ،بلاغة التشبيه وقوته .

أما الجزء الثالث والأخير من كتاب(فن التشبيه) فقد جاء فى اثنـــى عشر فصلاً تناول فيها:محسنات التشبيه ، موقع الألفاظ حسناً و قبحًا فى التشبيه، إقتران التشبيه بالحلى البلاغيه ، التشبيهات المبتكرة ،التشبيهات القبيحة، أثر البيئة فى التشبيه ، جمال الجسد فى التشبيه، الخطأ فى التشبيه، أخطـــاء الشعراء فى التشبيه، أدوات الكتابه وحروف الهجاء فى التشبيه وتشبيـــــه

---

(١) التشبيه صيغته تقتضى ترجيح أحد المتساويين على الآخر ويعدل عنه إلى التشابه من غير تفضيلٍ لأحدهما على الآخر فى وجه الشبه كقول الصاحب بن عباد : ==

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَاقَتِ الْخَمْـرُ ... فَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلاَقَدَحٌ ... وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلاَخَمْـرُ

أعضاء الجسم بهما ، التشبيهات العُقمْ ، وأخيراً تشبيه السخرية والتهكم . لاغرو أن كانت دراسة فنية جامعة شامله .

١٦- فن الاسجـــــاع :(١)

يتناول الأستاذ (على الجندى) أستاذ علوم البلاغة العربيه (بدار العلوم) فى هذه الدراسه فناً من فنون البديع هو (السجع).

وهو فن لايجهل خطره فقد شغل مكاناً متميزا فى الآداب العربيه، وسيطر على أساليب البيان حقبة من الدهر .

وكان منهجه فى ذلك واضحا،فإطّلاعه الواسع وإستيعابه لمطالعاتـــــه هيئا له أن يجمع مادة علمية غزيرة فى هذا الفن ، ثم أخذ ينخل تلك المادة ويضم بعضها إلى بعض،مدعماً ذلك برأيه الصريح دون حمل عصبية لمذهب علـى مذهب،ثم رتب تلك المادة فى فصول منوعة ذات سموط تدل على الغاية منهـــا، متخيراً لها طرائف الأمثلة من شتى العصور،منتفعاً بما كتبه العلماء والادباء المعاصرون فى علم النفس وفلسفة البلاغه وفنون الموسيقى،مدعماً ذلك بتجربته فى ميدان الشعر .

ويقع الكتاب فى جزئين : يقع الجزء الأول فى اثنى عشر فصلا تحـــدث فيها بالترتيب عن : السجع حلية فطرية لدى الجميع ، السجع والشعر والرجز، السجع واشتقاقه ، السجع فى العصر الجاهلى ، السجع فى العصر الإسلامـــــى : أ - عهد النبوّة والخلفاء الراشدين ب - عهد بنى أميه ، السجع فى العصـــر

(١) طبعة دار الفكر العربى فى جزئين الأول يضم (٢٤٠) صفحه،والثانـــى (٢١٥) صفحه .

العباسى الأول ،والعصر العباسى الثانى ، السجع فى العصر المملوكى ، والعصر العثمانى وعصر النهضه الحديثه ، وبعد هذا العرض الدقيق الشامل للسجع فى مختلف العصور تحدث فى الفصلين الأخيرين عن : أركان السجع وبنائه وتقسيمه ومزاياه .

ويجئ الجزء الثانى من(فن الأسجاع)فى اثنى عشر فصلا ، تحدث فى البدايه عن إضطراب العلماء فى تقسيم السجع،ثم تناول أسرة السجع وتشعبه إلى عدة أنواع كالترصيع والمتوازى والمتطرف ،وأفرد الفصل الثالث للموازنه والمماثلة ، ثم يتحدث عن المشطر ، ويعرف الترصيع ويأتى بتقسيماته ، ثم يذكر تعريف التسميط وأنواعه مع الشواهد ، ويفرد فصلا للمزدوج فيعرفه ويمثل له ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى منزلة السجع بين علماء البلاغة ، ويذكر فى الفصل التاسع شروط الحسن فى الأسجاع،ثم يأتى بعرض شامل لآراء العلماء حول السجع فى القرآن الكريم،وفى الفصلين الأخيرين من هذا الجزء يتحدث عن فواصل القرآن الكريم وجمالها المعنوى .

١٧- فن الجنـــاس (١)

وتأتى هذه الدراسة لهذا الفن البديعي إستكمالا لما كان قد بدأه المؤلف فى (فن الاسجاع) .

وقد سار على نفس المنهج العلمى السابق فى (فن الأسجاع) معتمدا على سعة إطلاعه، وقدرته على النقد والموازنه والإستنباط، بالإضافة إلى موهبته الشعرية ورهافة ذوقه الأدبى .

ولم يقف المؤلف عند هذا الحد بل نراه يشير فى مقدمة كتابه إلى إضافات جديدة فى هذه الدراسه قائلا : (وقد رأيت أن أضيف إلى الجنـــاس فصولا إعتاد جمهور العلماء أن يباعدوا بينها وبينه، لأن النظرة السليمـــة هدتنى إلى وجوب ضمها إليه لما يجمعها من قرابة قريبة جعلتها جزءا منه فى نظر بعض البلغاء المحققين، أو كالجزء فى نظر الآخرين، كما إقتضتنى سنة التطور أن أنشئ فصولا جديدة لم يعرض لها الأقدمون فى هذا الفن ، وهى فصول لهـــا منزلتها فى مثل هذه الأبحاث بخاصة). (٢)

وقد قسم الكتاب إلى أربعة وعشرين فصلا درس فيها :
تسمية الجناس واشتقاقه ثم أصالته ، الجناس بين الطبع والصنعة ، أقســـام الجناس ، ألوانه ، ثم أفرد فصلا عن أشياء اختلفت فيها وجهة النظر، وتحـــدث عن الجناس والتوريه ، الجناس والمطابقه ، الجناس والترديد، والجناس والتعطف، الجناس والمشاكله ، الجناس ورد العدر على العجز، ثم ينهى كتابه بفصـــل أسماه : ظاهرة الجناس فى الشعر الحديث .

---

(١) مطبعة الإعتماد بمصر سنه ١٩٥٤ م. ويقع الكتاب فى (٢٥٦) صفحه .
(٢) مقدمة (فن الجناس) .

١٨- خمسة أيام فى دمشق الفيحاء [١]

يصف الأستاذ/على الجندى فى هذا الكتاب المهرجان الشعرى الذى أقيم بدمشق من ١٦ الى ٢٠ من شهر أيار (مايو) سنه ١٩٥٩ م وكان مندوبا فيه عن لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعيه مع بعض الشعراء والأدباء .

يقول فى مقدمة الكتاب : (وقد رأيت وفاءً بحق الشعر، وتسجيلا لحدث أدبى تاريخى خطير ، أن أصف هذه الرحلة وصفا مسهبا ، وأن أدون خواطرى عنها فى دقه وأمانة وصدق وصراحه مستطردا فى أثناء ذلك إلى ذكر مايحسن ذكره ، متناولا بالدراسة والتحليل مالا يصح إغفاله إتحافا للقارئ وحفاوة بالموضوع وتقصيا للفائده وزيادة فى البيان ، وأوردت بعد ذلك ما أوحت به هذه الرحلة الفريدة وملابساتها من شعر لي ولغيرى .) [٢]

ويبدأ الكتاب بنبذه عن مهرجان الشعر والمنهج الذى سيكون عليه فى هذه الرحله،ويصف الرحلة من أول لحظاتها فى المطار،ثم فى الطائره، ويتعرض لبعض ماحصل بين الشعراء أثناء الرحلة بين السماء والأرض ، ثم يقارن بين القاهره ودمشق،ويتعرض فى المقارنة للحالة الأدبيه ويركز عليها ، ثم يصف مقامهم فى حى (المهاجرين) [٣] بدمشق ، ويتعرض لمايدور بينهم من نوادر ومساجلات شعريه .

ويبدأ المهرجان فينتقل الجميع إليه،ثم يوالى وصفه لما يدور بالمهرجان بدقه، وينتقل إلى ذكر ماحدث اثناء رحلتهم إلى جنوب سوريا،

---

(١) مطبعة الرسالة - (القاهره) سنه ١٩٥٩م ويقع الكتاب فى (٢٧٢) صفحة.

(٢) مقدمة الكتاب ص ١ .

(٣) أحد أحياء دمشق،أنظر الكتاب ص ٤٩ .

ويتعرض فى الكتاب لترجمة لبعض الشخصيات الهامة التى لاقاها أثناء تواجده فى سوريا مركزاً على الشاعرة / الدكتوره طلعت الرفاعى/ودورها فى إنقاذه من الموت فى ليلة ممطره .

ويثبت فى الكتاب بعض كلمات الصحف عن هذا المهرجان ، وحديث بعض الشعراء إلى جريدة (الأيام) .

ويصل فى نهاية وصف هذه الرحلة إلى ذكر ماحصل معهم اثناء العودة -فى الطائرة - إلى مصر ، وما أورده الشعراء فى ذلك .

وفى القسم الثانى من الكتاب وهو (قسم الشعر) يثبت المؤلف الأشعار التى قيلت فى المهرجان بالإضافة إلى قصائده التى شارك بها، وبعض القصائد التى قالها أثناء وجوده بسوريا .

١٩- الشعراء وإنشاد الشعر[١]:

وهذا الكتاب من سلسلة الأبحاث الأدبية المتميزة فى نتاج الأستاذ/ على الجندى التى أثرى بها المكتبة الأدبيه .

وبالرغم من صغر حجمه وقلة صحائفه فإنه جاء جديداً فى مضمونه، ويزيد فى أهميته أنه صادر عن أستاذ شاعرمختص درس الإنشاد فناً وعلما وطبقه صناعة وعملاً .

ويزعم المؤلف فى مقدمة كتابه بأنه جديد طريف لم يسبق إليه .[٢] وقد جهد-رحمه الله-فى جمع مادته العلميه ، يقول فى ذلك : (لقيت فى تحريرها وتحبيرها عنتا ورهقا ! فهي ليست ممّا عقدت لها الأبواب وحفلت بها الأسفار حتى يتناولها من يريدها دانية الثمار مذلّلة القطوف . ولكنها لُمع وشذرات عزيزة المنال مغمورة فى ثنايا غيرها يسقط عليها المؤلف مصادفة فى أثناء قراءته كتب الادب والتاريخ)[٣]

وقد قسم الكتاب إلى سبعة عشر فصلا رتبها كما يلى : الإنشاد، الشعر ينشد ولايقرأ ، إنشاد الشاعر شعره ، تهيؤ الشاعر للإنشاد ،عادة الشعراء فى الإنشاد ، الشعراء المجيدون للإنشاد ، شعراء لاينشدون،وعذوبة النغمه ، وحسن الهيئة والشاره ، إختيار البحور المناسبه ، إختيار القوافى، تجنب حروف الروى الكريهه ، التصريع فى قصائد الانشاد ، حسن المطالع والمقاطع ، تجنب الزحافات الرديئة ، إختيار الألفاظ الشعريه ، إنشاد الشعر من غير قائله .

---

(١) مطابع دار المعارف بمصر سنه ١٩٦٩م ويقع الكتاب فى (١٦٨) صفحه .

(٢) مقدمة الكتاب ص ٧

(٣) مقدمة الكتاب ص ٧

والمتتبـــــع لهذه الفصول يلاحظ تميزها عن بعض وإتصال أسبابها وترابطها تر ابطا وثيقا. واجتهد المؤلف فى جعل فصوله دراسات منهجية موضوعية شافيـــــه قوّم فيها الشعراء إنشاداً من العصر الجاهلى حتى العصر الحديث مدعمًا ذلـــك بالنصوص والأمثال والشواهد، واستطاع أن يرسم صوراً صادقة أمينة لشعراء الإنشاد قدامى ومحدثين رجالاً ونساءً ، مع تقييم كل منهم تقييما صحيحا فى ظل النقـــد الحصيف والموازنة العادله، مبرزاً قيمة الإنشاد لا للشعراء فحسب بل للأدبـــاء والخطباء أيضا .

وفى ثنايا الفصول تَبرُز لمسات المؤلف الشاعر فلايتوانى عن استنـباط نظريات وإبراز نواحٍ جماليه عظيمة الفائده ولاسيما للشعراء تزيد من ثقافتهم وتنأى بهم عن الخطأ فى الأداء وتهديهم إلى الطريقة التى بها يستهـــــوون مسامع الناس .

وفى الفصول الأخيرة من الكتاب يتجلى علم المؤلف ويبرز فى تمكنـــه من علمى العروض والقافيه، فيتناول الأوزان ومحاسنها وعيوبها ويدلى برأيـــه فى ميزة كل بحر من البحور العروضية، ويبين قيمة البلاغة الصوتية وأثرهـــا العميق فى تجويد الإنشاد وخلابة الالقاء، مستشهدا لذلك كله من الشعر العربـــى قديمه وحديثه .

ب - جهوده وأبحاثه ومحاضراته فى مجمع اللغة العربيه :

أختير الأستاذ (على الجندى) عضوا بمجمع اللغة العربيه خلفا للمرحوم الأستاذ : (على عبدالرزاق) فى يوم الإثنين ١٨ من شوال سنة ١٣٨٨ هـ الموافق ٦ يناير ١٩٦٩م[١] وقرر مجلس المجمع فى دورته السادسة والثلاثين عام ١٩٧٠ ضمه إلى لجنتى الأصول وألفاظ الحضاره .[٢]

وبقى فى المجمع إلى أن وافاه الأجل المحتوم بعد أربع سنوات من إنضمامه إليه . كان قد وصل فيها إلى مرحلة جيدة من النضج الفكرى والعلمى، ولقد أبلى الأستاذ على الجندى بلاءً حسنا فى مجمع اللغه فى هذه الفترة الوجيزه، واستطاع أن يثبت من خلال أبحاثه ومحاضراته التى قدمها للمجمع ونشرت فى مجلة المجمع - ومشاركته الفعاله فى دورات المجمع ومؤتمراته بأنه أهل للعضوية به وبأنه مثال للعالم اللغوى الشاعر .

وبإحصاء سريع لأهم البحوث التى نشرت فى مجلة المجمع نلحظ عدم إنقطاعه عن الكتابة بها ومثابرته على إثرائها بكل ماهو مفيد .

ومن تلك الأبحاث مايلى :

(العصا فى اللغة والأدب) و (مسمار الظلعة فى اللغة والأدب) و (بكاء الشباب) و (هجاء الزوجات) و (كَرَمُ أُبوَّتِنا) و (الشعر والشاعر).[٣]

---

(١) مجله مجمع اللغة العربيه حـ ٢٥ ص ٢٧٢ والمقصود بالأستاذ/ على عبد الرزاق : وزير الأوقاف المصريه وصاحب كتاب (الاسلام وأصول الحكم) و (أمانى عبدالرزاق فى علم البيان وتاريخه) .

(٢) مجلة مجمع اللغة العربيه (ج ٢٤) (ص ٣٤٤)

(٣) مجلة مجمع اللغة العربيه مرتبة حسب ورود الأبحاث من الجزء (٢٦ سنه ١٣٩٠ هـ) إلى الجزء (٣١-سنة ١٣٩٣هـ) هذا بالإضافه إلى كلمته الضافية فى الرد على الاستاذ/ عباس حسن عند استقباله فى الجزء ٢٥ سنه ١٣٨٩ هـ .

ومن محاضراته التى ألقاها فى مؤتمر المجمع :

(١)
(الأدب الذى نريده) :

وفيها يتناول الأستاذ على الجندى مفهوم الأدب من العصر الجاهلى إلى عصر النهضه الحديثه. وكيف أنه بدأ بدعوة إلى محاسن الأخلاق ومعالى الأمور وحث على التمسك بالصفات النبيله والخلال الساميه وجمع الناس على ذلك وزجرهم عن الرذائل،كما كانوا يدعون إلى المآدب باسم القرى والكرم والضيافه، فكان لهم بذلك أدب حسي وآخر معنوى نشأمعهم نقياً بالفطره .

ويتابع الحديث عن منزلة الأدب فى الجاهليه وكيف أنه قام للعرب مقام الشرائع السماويه والقوانين الوضعية فنشئوا بذلك على الأنفة والإباء والنجده والجود والوفاء بالعهد ورعاية الجار إلى غير ذلك من الشمائل الإنسانيه التى تغنّى بها الشعراء،ويضرب لذلك أمثلة من شعر (حاتم الطائى) و(الشمخي الفزارى) ومعن إبن أوسى و(عمرو بن كلثوم) وعلقمة بن عبده بن النعمان) وغيرهم .

ولم يهمل الباحث أثناء حديثه عن الأدب فى العصر الجاهلى دور الهجاء والتلاحى بل القى بعض الضوء عليه .

وينتقل إلى تأثير الأدب فى العصر الإسلامى،وتعاون الصالح منه مع القرآن الكريم والسنّة المطهرة فى بناء المجتمع المسلم ، وكيف أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يستمع إلى خطب الوفود ويصغي إلى الشعر ويستنشده ويثيب عليه بل ويجعله أداة من أدوات الجهاد،فنراه ينصب لشاعره (حسان) منبرا بمسجده ويقول له (قل وروح الحق معك) (أجب عنى . اللهم أيده بروح القدس) ويُعْجب بشعر الخنساء والنابغة الجعدى .

---

(١) القيت فى مؤتمر المجمع (الجلسة العاشرة) صباح الأحد ٢٤ من ذى القعده سنه ١٣٨٩ هـ الموافق أول فبراير ١٩٧٠م .

واقتدى به أصحابه والخلفاء من بعده فى تكريم الشعر ، ويضرب الباحث لذلك عدة أمثلة فى عهد (عمر بن الخطاب ومعاويه)[١] وغيرهم من الخلفاء .

ويخلص الباحث من ذلك كله إلى بيان أن الأدب القوي السوي المهذب الذى يسير على النهج الإسلامي القويم يمكن أن يؤلف بين الأمم والمجتمعات ويوصلها إلى أشرف المقاصد وأسمى الغايات وأنبل الأغراض، ويقول عن ذلك الأدب : " إننا نريد أدباً ينفذ بنا إلى ما وراء المظاهر المحسوسة، ويدمجنا فى أمنا الطبيعة النقيه ، ويقفنا على العناصر الخالده فى الكون. أدباً يملأ أنفسنا بأنوار العباده ... أدبا يدفعنا إلى الطموح الحكيم، ويحدونا إلى الخلق والإبداع المستمر ، ويسمونا فوق شرّة المادة وكلب الأطماع ، ونزوة الشر ، ومراوة العدوان)."[٢]

ويسترسل الباحث فى وضع معايير دقيقه لذلك الأدب المثالي الذى تصبو إليه النفوس قائلا : (نريد أدباً يبصرنا بالمثل العليا ... ويجلو صدأ أذهاننا وكدر عقولنا ... أدبا يغنينا بمفاخر أسلافنا وشرف ماضينا وعظمة تراثنا وكرم أبوّتنا ،وجمال لغتنا ، وجلال ديننا ويصور وثبتنا الحاضره ونهضتنا العتيده فى كل عناصر الحياه ، وانتصارنا على دسائس الإستعمار الخبيثه ، ووسائله الدنيئه ، ويحطم السدود المصطنعه والحواجز المستعمله التى أقامها هو وأشياعه بين أبناء الضاد من قحطان وعدنان ... نريد أدبا يحمل لنا الطبيعة فوق جمالها ويزين لنا الدنيا فوق زينتها ويصوّر لنا المستقبل الباسم الزاهى المرقش بتهاويل الألوان .... لتقوى إرادة الحياة

---

(١) البحث ص ٥

(٢) البحث ص ٧

فينا ونتقلب على فواجعها ومآسيها ونلائم بين عقولنا وبين تقلباتها ومتناقضاتها .(١)

ويخلص في نهاية بحثه إلى أن الشعراء والكتاب والقصاص والخطباء ومن إليهم من أرباب الفنون يستطيعون بألسنتهم وأقلامهم أن يخلقوا لنا مجتمعا يقوم على دعائم وطيدة من الحكمة والفضيلة والأذواق السليمة والخلق العظيم والفن الرفيع لو خافوا الله - تعالى - وعرفوا أقدار نفوسهم وأدوا زكاة عقولهم .

---

(١) البحث ص ٨

- ومن سلسلة البحوث والمقالات خارج مجمع اللغة العربية مايلى :

(بين القمر الطبيعى والصناعى) [1]

وقد نبه المؤلف رحمه الله - فى بداية هذا البحث العلمي - الذى يدل على سعة إطلاعه واجتهاده فى الجمع بين علم الفلك والأدب واللغه والتفسير - إلى عظمة الخالق عز وجل فى هذا الكون، وكيف أن القرآن الكريم لم يغادر صغيرة أو كبيرة إلا وأحصاها، وماهذه الإكتشافات العلمية إلا إثبات لكلامه عز وجل .

وينبه أيضا إلى عجز الإنسان عن تفسير كثير من هذه الظواهر الكونية لحكمة ارادها الخالق : (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) [2].

ثم يتحدث عن آية عظيمة من آيات الخالق المبدع وهى : السماء التى فتنت لب الإنسان وشغلت خاطره وبخاصة الشعراء الذين راحو يسبحون فيها بتخيلتهم المجنحه ويتأملون مابها من أجرام كثيرة .

ويتناول المجموعة الشمسية وأسماءها، ومواصلة الكشف العلمى فى عددها ، وكيف أن الشمس هى مركز الدائره والأرض كوكب سيار يدور حول الشمس. ثم يقارن بين علم الفلك القديم والحديث الذى توصل إلى ذلك بفضل التقدم العلمى الذى يعتمد على البحث والمراقب والمراصد.

وبعد هذا التمهيد يتحدث عن القمر الطبيعى ، فيعرفه عند اللغويين ويذكر أسماءه عند الشعراء، ويستشهد على ذلك بشعر (الأعشى) و (الحريرى)

---

(١) محاضره ألقيت فى الجمعية الجغرافية المصريه يوم الثلاثاء ١٨ ابريل سنة ١٩٥٨م مطبعة جامعة القاهره ١٩٥٨م، وتقع فى (٣٢ صفحه)

(٢) الإسراء آيه رقم (٨٥).

وغيرهـــم .

ثم يتحدث عن أجمل الليالى وعن منزلة القمر عند الخالق والمخلوق. ويتعرض لظاهرة خسوف القمر وكسوف الشمس وما دار من وصف لهما على السنـــة الشعراء .

ويوجز القول فى ظاهرة جويه حدثت فى (واشنطن) لفتت أنظـــار كثير من علماء الفلك تتلخص فى إقتراب كوكب الزهره من القمر وكان الأقدمون يسمون ذلك بـ (قران الكواكب) ويذكر ماقاله الشعراء فى هذه الظاهره .

ثم يتناول وصف الشعراء للقمر والثريا وتشبيه وجه المحبوب بهمـــا، وكذلك تشبيه كرام الرجال بأنهم أقمار فى علو المكانة وسعود الجدّ وهدايـــة الضُّلال، وحسن المحيا وبهاء الطلعة، وكذلك تناول ماشاع بين الشعراء من تشبيه العروبين بالقمرين .

ويتحدث بعد ذلك عن القمر الصناعى وماعسى أن يقوله الأدب والشعر فيه ؟ ويعنى بذلك القمر الصناعى الأول الذى أطلقه الروس فى الرابع مـــن اكتوبر سنة ١٩٥٧ م . ويذكر كثيرا من النماذج الأدبيه التى تصور لهفـــة الإنسان إلى اكتشاف هذه الأجرام منذ القدم كقول (المعرى) : (١)

يَالَيْتَ شِعْرِى وَهَلْ لَيْتَ بِنَافِعَـــةٍ ∴ مَاذَا وَرَاءَكَ أَوْمَا أَنْتَ يَافَلَـــكُ

ثم يستشهد بكثير مما قاله شعراء العصر الحديث عن تلك الأمنيـــة التى تحققت . وكيف إنقسم العلماء إزاء الأقمار الصناعية إلى قسميـــن : قسم يرى أنها رسل سلام وخير، والآخر يرى أنها رسل دمار وشر ، ويورد ماقالـــه الشعراء فى ذلك .

---

(١) البحث ص ٢٥

(فـي سيـــاسة النســـاء) .[1]

وهو في هذا البحث يتناول مكانة المرأة في المجتمع وصفاتهـــا ومزاياها التي حقت لها منذ فجر الخليقه ، كيف لاوهي شطر الإنسان وزينـــة الدنيا وإلف الرجل وسكنه وعضده وربة البيت وريحانته وحاضنة الأطفال وأم الرجال .

لذلك عدت النساء من النعم العظيمة على بني الإنسان وامتن اللـــه عليهم بها وجعلها من آياته الدالة على بديع صنعه في ملكه، قال تعالـــى: (وَمِـــنْ آيَـاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوْا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُـمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَـــةً)[2] .

ثم يتحدث عن أثر المرأة الصالحة في سعادة الأفراد والشعـــوب، ويفصل القول فيما خص الله به المرأة من جمال وهيبة ووقار جعلت الرجـــل يناضل من أجل الحفاظ عليها .

ويلقي الضوء على دور المرأة في تربية النشئ تربية صالحة تكفـــل الصلاح للمجتمع وللشعوب . وينتقل بعد ذلك إلى السعادة الزوجيه ويفصـــل القول فيها ويضرب الأمثلة الكثيرة من أخبار النساء الصالحات اللائـــى جعلن من أكواخ أزواجهن قصوراً ومن شقائهم سعادة وفقرهم غنى ونعيمـــا، وكُنّ لازواجهن معيناً على هذه الدنيا المليئة بالحوادث والبلاء (كزينب إبنـــة جرير وزوجها شريح)[2] و (نائله الكلبيه وزوجها عثمان رضى الله عنـــه)[3]

---

(١) مطبعة السعاده سنة ١٩٢٩ م وتقع في (٢٤ صفحه) .

(٢) أنظر البحث ص ١٥ .

(٣) انظر البحث ص ١٨ .

و(رابعة بنت إسماعيل وزوجها أحمد بن أبى الجوزى)[١] و(أسماء بنت أبى بكر وزوجها الزبير)[٢]

ثم يختتم البحث بذكر شئ من أخبار النساء السيئات ، فبضدها تتميز الأشياء .

(أدب الربيع بين الورد و النرجس)[٣]

وفى هذه المحاضره يتحدث الأستاذ/على الجندى عن فعل الربيع وأثره فى الطبيعة،ثم تأثير ذلك على الأدب ، ويتتبع ماقاله الشعراء فيه كقول الطائى :[٤]

مَا الدَّهْرُ إلاَّ الرَّبِيْعُ المُسْتَنِيْرُ إذَا جَاءَ الرَّبِيْعُ أتَاكَ النَّوْرُ وَالنُّوْرُ
فَالأَرْضُ يَاقُوْتَةٌ وَالجَوُّ لُؤْلُؤَةٌ والنَّبْتُ فَيْرُوْزَجٌ والمَاءُ بِلَّوْرُ

ويفرد جزءاً من محاضرته عن الورد،فيعرفه بإسهاب ويذكر اقوال بعض العلماء والحكماء فيه ، ثم يستشهد بوصف الشعراء لألوان الورد وصفاته وأنواعه،ويتحدث عن زمن الورد وصلة ذلك بالخلفاء والأدباء ، ويظهر الشبه القريب بين ورد الرياض وورد الخدود وتَنَاوُل الشعراء لذلك فى تشبيهاتهم واستعاراتهم . وكذلك فعل مع النرجس : فذكر تعريفه وخواصه،وتوليده، وأنواعه، وماقيل عنه فى كتب الأدوية والطب على لسان"(جالينوس) و(أبقراط)

---

(١) أنظر البحث ص ٢٠ .

(٢) أنظر البحث ص ٢١ .

(٣) سلسة المحاضرات العامة لجامعة القاهره.و ألقيت عام ١٩٦٠/١٩٦١م مطبعة جامعة القاهره ١٩٦٢م وتقع فى (٤٠ صفحه) ثم طبعت فى كتاب سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م بعنوان(الشذا الموّنس فى الورد والنرجس)

(٤) انظر البحث ص ٩٥ .

و(الدينورى) و(إبن البيطار) [١]

ثم يذكر صلته بالعيون ويأتى بصور كثيرة لتشبيهاته على لسان الشعراء فى شتى العصور . ثم يعقد المحاضر فصلاً بين الورد والنرجس ركز فيه على مافعله (إبن الرومى) حينما أحب النرجس وكال له المديح بلا حساب فى كثير من قصائده، وأحال بكل نقيصة على الورد . وهو بذلك يفتح باب الشغب على مصراعيه للشعراء، فينقسمون بعد ذلك بين محب للورد كاره للنرجس ومعتدل وكاره للورد محب للنرجس .

ولعلّ السر فى هجاء إبن الرومى للورد أنه كان مريضا بالحساسية [٢] ويعد هذا الفصل من الفصول الطريفه فى هذا البحث . ففيه يتتبع الباحث أحوال الشعراء مع الورد والنرجس إلى العصر الحديث . ثم يتتبع أقوال الشعراء فى التحايا بالورد والنرجس .

ويختتم بحثه بفصل أسماه : هل يجتمع الورد والنرجس ،وفيه يأتى بموقف الشعر العربى من ذلك مستشهدا بالأمثله الشعريه .

---

(١) انظر البحث ص ١٠٥ .

(٢) انظر البحث ص ١١٦.

ج - آثـــاره الأدبيـــة

١- حديقة الإنشـــاء (١)

ألفه بالإشتراك مع زميله الأستاذ / حسن علوان، أثناء تدريسه بمدرسة (الناصريه الأميريه) مقتديا فى ذلك (بالهاشمى) فى كتابه (جواهر الأدب) ، والاستاذين / على السباعى ومصطفى السقا فى كتابهما (انشاء المقـــالات) وبالشيخ (عبد الفتاح خليفه) فى كتابه (ثمار الإنشاء) .

وكلها تمد الطلاب بالأساليب المختارة فى الموضوعات المختلفه، والكتاب فى ثلاثه أجزاء : يشمل الأول أوصافا لمدركات حسيه موجودة فى البيئه المصريه، وقد روعى فى وضعه التنسق والترتيب، وأعمار التلاميذ .

وخص الثانى للخواطر النفسيه والمناظرات والمفاخرات . أمـــا الثالث : فقد جاء فى الموضوعات العامه: فكريه، واجتماعيه، واقتصاديه، وصحيه، وعمرانيه، فضلاً عن الخطب والرسائل .

ولقد أثنى كثير من رجال التربية والتعليم والأدب على هذه الكتـــب حتى اننا نجد الشاعر : أحمد شوقى قد امتدحها قائلا :

مَازِلْتُ أَنْزِلُ بِالْخَمَائِلِ وَالرُّبَـــا ... حَتَّى دَخَلْتُ (حَدِيْقَةَ الإِنْشَـــاءِ)
فَسَلَوْتُ بِالْفِرْدَوْسِ كُلَّ أَنِيقَـــةٍ ... أُنُفٍ، وَكُلَّ مَجُوْدَةٍ غَنَّـــاءِ
الْعِلْمُ فِى ظِلِّ الْبَيَانِ حِيَالَهَـــا ... مِثْلُ الأَزَاهِرِ فِى ظِلَالِ المَـــاءِ
بُوْرِكْتُمَا مِنْ صَاحِبَيْنِ تَعَاوَنَـــا ... إِنَّ التَّعَاوُنَ أُسُّ كُلِّ بِنَـــاءِ

---

(١) دار الطباعه الأهليه بالقاهره ط ٢ سنه ١٣٤٨هـ، ويقع الجزء الاول فى (١٩٠ صفحه) والثانى فى (١٩٥) صفحه وكذلك الثالث .

٢ - دواوينه الشعريه

له أربعة دواوين شعريه مطبوعة وهي :

١- ديوان أغاريد السَّحَر (١)

ويعد هذا الديوان باكورة نتاجه الشعري ، ويحوي (٢٦٠٠ بيت) مقسمة على أربعة أبواب - نلمح من خلالها صورة نفسه وصورة عصره - وفي هذا الديوان كثير من القصائد الوطنية التي تغنى بها الشاعر، كما أن به مجموعة كبيرة من قصائد الغزل التي يصور فيها الشاعر قصة حبه . ومجموعة أخرى من القصائد الدينية والتاريخيه وقد نال هذا الديوان جائزة المجمع اللغوي الأولى سنه ١٩٤٨ م .

٢- ديوان الحان الأصيل: (٢)

وهو الباقة الشعرية الثانيه التي قدم الشاعر من خلالها ٤٥٠٠ بيت شعري مقسمة على خمسة أبواب هي: (المناجيات) وهي مجموعة قصائد المدح التي تغنى بها الشاعر، (ودموع الوفاء) وهي القصائد التي قالها في الرثاء، و(عواطف إخوانيه) وهي القصائد التي يصور بها مشاعر الأخوّة والصداقة تصويرا نلمح من خلاله الروح المصريه، و(التحيات) وفيها يتغنى بالمشاعر الوطنيه والإسلامية من خلال تصوير الأمجاد والمفاخر، و(صور حيه) وفيها مجموعة من القصائد الغزلية التي نظمها بعد قصة حبه التي ذكرها في الديوان السابق. ويعد هذا الديوان أضخم نتاج يقدمه الشاعر من ناحية الكم .

(١) الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧ طبع نهضة مصر بالفجاله .

(٢) الطبعة الأولى سنة ١٩٥٠ مطبعه الإعتماد - دار الفكر العربي .

٣- ديوان ترانيم الليـــــل(١)

وهى ثالثه باقه شعريه يقدم الشاعر من خلالها (٣٥٠٠ بيت شعرى) مقسمة على ستة أبواب هى :

الأول : (تحت راية الوطن) وفيه مجموعة من القصائد الوطنيه المختلفه .

الثانى : (فى ظلال العروبه) وفيه يتغنى بأمجاد الأمة العربيه .

الثالث : (صور من الحياة) وفيه يرصد بعض الحوادث التى شاهـــدها ويعور إنطباعه عن ذلك .

الرابع : (زفرات) وفيه يبدى الشاعر تذمره من الحياة لأجل بعـــض المنغصات التى أحسها .

الخامس : (ذكريات الصبا) وفيه يعبر الشاعر عن كثير من عـــــواطف الحب ومشاعره الدفينه ببعض القصائد التى يذكر فيهـــــا حبه القديم .

السادس : (خواطر وأفكار) وهى مجموعة قصائد قائمة على التأمـــــل والنظر العميق فى أسرار هذا الكون .

٤- ديوان فى ظلال القمـــر :(٢)

وهو آخر انتاج للشاعروقد جمع مادته وسماه بإسمه قبل وفاته ، وطبعه أبناؤه بعد ذلك،ويقع الديوان فى ٢٥٠٠ بيت موزعة على خمسة أبواب جعل الأول منها (فى ظلال الوطن) والثانى فى (العواطف الإخوانيه)،والثالث (دمـــوع الوفاء)،والرابع (بين أفنان الجمال)،أما الأخير فهو بعنوان (خواطـــر وأفكار) .

ويمتاز هذا الديوان بقصائد الرثاء التى تطول فيها نغمة الحـــزن عند الشاعر .

---

(١) الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤ دار المعارف بمصر.

(٢) الطبعة الأولى سنه ١٩٧٧ مطبعة المدنى القاهره .

٥ - وفاتـــــــه :

بعد حياة عريضة فى مجال الأدب والبحث والدراسات الاسلاميه بدأت فى دار العلوم فى العشرينات من هذا القرن وانتهت فى مجمع اللغة العربيـــة، والمجلس الأعلى للفنون والآداب والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وبعد تاريـــخ طويل فى دراسات الجامعات وأبحاث الأدب واللغة إستأثرت رحمة الله تعالـــى بالشاعر اللغوى العالم الأستاذ/على الجندى فى ٢ يونيو ١٩٧٣ م ١٣٩٣هـ، [1] وهو فى الثالثة والسبعين من عمره - رحمه الله -.

---

(١) مجلة الأديب اللبنانيه حـ ٧ ص ٥٦، ولقد إختلف فى تحديد يوم وفاتـــه فذكر الاستاذ/حمد الجاسر فى مجلة العرب الجزء ٦ ص ٤٧٤ أنه توفـــى فى ٢ يونيو ١٩٧٣ كما جاء فى مجله مجمع اللغة العربيه حـ ٣٢ ص ١٩٧ أنه توفى فى ٤/٦/يونيو ١٩٧٣م .

الباب الثانى

شعره

الفصل الأول : مقومات شعره.

الفصل الثاني : فنونه الشعرية.

الفصـــــل الأول

مقومـــــات شعـــــره

لاشك أن لكل أديب مقومات و مظاهر تأثير تسهم بدور كبير فى تكويـن شخصيته الادبية ، ودليلنا على ذلك مأخوذ من الواقع ، ذلك أن الانسان يجـد نفسه منجذبا الى رواسب ثقافية واجتماعية مرت بطور من أطوار حياتـــه ، وصحيح أن درجة الإنجذاب متفاوتة ، ولكنها تساعد على تكوين ملكته وتغذيـة مواهبه الفطرية ، والشعر من أكثر الاجناس الأدبية تأثرا بهذه المقومـات ، وشاعرنا (الجِندى) كغيره من الشعراء فى ذلك ، اذ كانت هنالك عدة عوامل أسهمت فى صقل مواهبه وتكوين شاعريته من أهمها :

١ - الموهبة الفطرية :

وهى منحة إلهية يغرسها الله فى الإنسان ، وتنشأ مع الطفل منـــذ ولادته ثم تنمو مع مر الايام بعوامل أخرى كالثقافة وغيرها ، فإذا أتيـــح لهذه الموهبة من العوامل ماينميها أزهرت وأثمرت مثلها فى ذلك مثـــل البذرة التى تؤتى ثمرتها إذا صادفت رعاية ، ومحال أن تكون ثمرة بـــلا بـذرة .

ولعلى لا أذهب بعيدا إذا قلت : ان الموهبة من أهم المقومات التـــى تكون شخصية الشاعر ، بل هى أهمها على الاطلاق ، فالشاعر والموهبة شيـــء واحد ،وبدونها لايكون شاعرا،ويجب على الشاعر أن يتعهد الموهبة الفطريـــة التى حباه الله بها وان لايهملها حتى لايصيبها الخمول .

فالشاعر البليغ هو ذلك الذى تعهد موهبته بالرعاية ، وأمدهـــا بالمفيد من الثقافة ، وصقلها بروائع الفنون الادبية ، فإذا قدم لها ذلك

فإنه سيجنى ثمرتها التى ستكتب الخلود والتميز لفنه .

وشاعرنا (الجندى) من الشعراء الموهوبين الذين نظموا الشعر فى سن مبكرة لاتتجاوز الثانية عشرة وهو تلميذ فى كتاب القرية ، شأن الملهمين ، ونمّا تلك الموهبة اعتمادا على سليقته وأذنه ، وقد بدأ النظم بتشطير بعض الابيات المشهورة وتخميسها ، وتطريز أسماء إخوانه ومدح أساتذته من المعلمين والمشايخ[١] ، وأخذ ينمى هذه الموهبة منذ أن كان طالبا فى كتاب القرية فيقرأ فى دواوين الشعر التى تقع فى يده ، وقد جاء على لسان صديقه الأستاذ/محمد صالح سمك : (أن أول ديوان وقف عليه — وهو فى سن مبكرة — ديوان ابن الفارض ، ولكنه لم يستسغه لعدم فهمه له ، ثم قرأ ديوان ابن أبى ربيعة وحسان ابن ثابت)[٢] ، ومن ذلك نجد أن شاعرنا قد اهتم بموهبته منذ إحساسه بها ، وأتاح لها بذلك أن تنمو سليمة . وظل الجندى دائبا على تنمية موهبته بالقراءة والاطلاع ونظم الشعر على النحو الذى سنجده فى ثقافته المنوعة وثقافته الخاصة .

٢ — ثقافته (المنوعة) :

للثقافة العامة أثر واضح فى ازدهار الأدب ، وهى أحد المقومات التى استطاع بها شاعرنا الإبداع ، حتى أصبحت تدل على شخصيته المتميزة

---

(١) أنظر مقدمة اغاريد السحر ص ٣٠ .
(٢) مقدمة اغاريد السحر ص ٣٠ .

بكثرة القراءة والإطلاع والفهم والقدرة على الإستيعاب والعرض واستخلاص النتائج ، ويشهد له بذلك كثير من أدباء عصره إضافة إلى نتاجه الوافر في ميدان العلم والأدب .

ولشدة ميله الى الاطلاع والقراءة كان يغترف من شتى بحور المعرفة ، ويشترك بأبحاثه ومؤلفاته التي يبنيها على ماوعته ذاكرته منها في كثير من الميادين الأدبية والعلمية ، حتى أنه أطلق عليه لقب (المخزن) لوفرة مخزونه الأدبي والعلمي . يتحدث عنه أحد الادباء قائلا[1]: (ومن الإنصاف أن نقول : انه - قبل أن يكون أديبا - عالم ضليع بكل مالا يسع المثقف جهله ، لذلك أطلق عليه بعض إخوانه كلمة (المخزن) وذلك لأنه يقرأ كل شيء ويهضم كل شيء ، حتى السياسة العامة لم ينس نصيبه منها ، فيحيط بمشكلات العالم الإقليمية والإقتصادية والحربية ، وحين تسمعه يتكلم في هذا يخيل إليك أنك أمام دبلوماسي من الطراز الأول ، [وكل كتاب يقرؤه يضع له فهرسا منظما ولديه ثروة من هذه الفهارس الدقيقة[2]]... ويمتاز بوفرة المحصول اللغوي وكثرة الرواية وقد ساعده على ذلك توفره على القراءة وما رزقه من قوة الحافظة والذاكرة ، فلا يكاد يذكر أمامه شيء حتى يورد له الشواهد من الشعر أو النثر) .

---

(١) مقدمة ديوان أغاريد السحر ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) مفكرون وأدباء من خلال آثارهم - لأنور الجندي ص ١٦٧ ، مجلة الأديب اللبنانية ح ٦ يونيو ١٩٦٦م ص ٤٥ . مقال بعنوان (ترانيم الليل) .

وما هذا بمستغرب على شخص شغف بالعلم منذ نعومة أظافره عندما حفظ القرآن الكريم ومجموع المتون والألفية واطلع على الفقه المالكي وعلوم العربية . والتوحيد والتفسير فى سن مبكرة - كما ألمعنا الى ذلك سابقا - ، لهذا نجد الجندى يعوّل أكثر ما يعول فى ثقافته على نتاج العربية .

ويصف الأستاذ (أنور الجندى) اطلاع شاعرنا وثقافته قائلا[1]: (هو شاعر عاطفى رقيق الحس أبلغ الرقة ، وهو كاتب وباحث له مطالعات وفهم لقضايا الفكر العربى الحديث وشئون العالم الإسلامى والأمة العربية فى مجال الفكر والثقافة والحضارة ، وقد كان فى مطالع حياته شاعرا وكاتبا وخطيبا ، وأمانته للشعر والإسلام لا حد لها ، فهو يخلط بينهما فى عراقة الإيمان بأمتنا وفكرنا وتراثنا على مستوى الاصالة والجزالة وعلى مستوى الإستعلاء عن الدنايا .) .

ومن ذلك نجد ان من شأن الثقافة أن تلون نتاج الشاعر بألوانها الخاصة الدالة عليها ، ولقد ألقت ثقافته بظلالها على شعره إذ كثيرا مانجده يوظف علمه وفكره فى تلك التجارب التى استقاها من ثقافته ، فمثلا نجده يعود لتجارب سابقة تثبت أن اللب الداخلى الذى يكمن تحت باطن الارض مادة سائلة ملتهبة عندما يخاطب القمر قائلا : [2]

---

(١) مفكرون وأدباء من خلال آثارهم - لانور الجندى ص ١٦٧ ، مجلة الأديب اللبنانية ح ٦ يونيو ١٩٦٦م ص ٤٥ . مقال بعنوان (ترانيم الليل) .

(٢) بين القمر الطبيعى والقمر الصناعى لعلى الجندى ص ٢٨ .

يَاهِلَالَ السَّمَاءِ مَاحَاجَةُ الأَرْ ضِ إِلَى النُّوْرِ وَهْىَ شُعْلَةُ نَارِ

ويتحدث فى موضع آخر عن حقيقة تكوين القمر التى توصل اليها العلماء بعد غزوهم لهذا الكوكب الجميل الذى ألهب خيال الشعراء منذ القدم ، ويبدى تخوفه من أن الشعراء سيفقدون أعظم مصدر من مصادر الإلهام الجمالى الذى بهرهم بسحره من قديم الزمان قائلا (١) :

أَبْقُوا عَلَى سِحْرِ القَمَرْ لا تَهْتِكُوا عَنْهُ السُّتُرْ
هُوَ قِطْعَةٌ مِنْ أَرْضِنَا لاَ مَاءَ فِيْهِ ، وَلاَشَجَرْ
يَغْنَى الخَيَالُ بِبُعْدِهِ وَبِقُرْبِهِ يَقْذَى البَصَرْ
والحُسْنُ ـ وَاأَسَفَاهُ ـ قُبْحٌ فِيْهِ ، دَاعَبَ مَنْ شَعَرْ
إِنَّا نُشَبِّبُ بِالخَرَا بِ ، وَبِالتُّرَابِ ، وبِالحَجَرْ
بَعضُ الحَقَائِقِ مُرَّةٌ مَنْ ذَاقَهَا حَمِدَ الصَّبِرْ (٢)
إِسْكُنْ إِلى خُدَعِ المُنَى وَلْيَكْفِ عَنْ خُبْرٍ خَبَرْ (٣)
وارْفَضَ الظَّوَاهِرَ ، فَالْبَوَا طِنُ قَدْ تَسوءُ ، وَقَدْ تَسُرّ

وبذلك نستدل على أن الثقافة مقوم أساسى لدى شاعرنا ، وقد تلون بها نتاجه كما سنرى .

أما الثقافة بمعناها الخاص والتى أقصد بها ثقافته الادبية فإنها تتجلى لدى شاعرنا بصلته الوثيقة بأهم رافد من روافدها وهو :

---

(١) ديوان ترانيم الليل لعلى الجندى ص ٣١٦ ، ٣١٧ .
(٢) الصبر ككتف ولايسكن إلا فى ضرورة الشعر : وهو عصارة شجر مر .
(٣) الخبر : بضم فسكون : الإختبار والتجربة .

٢ - أدب التراث :

وهو أحد المقومات الهامة التى كان لها أكبر الأثر فى نضج شاعريته ، والذين يعرفون الشاعر يشهدون أنه كثير القراءة فى كتب الأدب القديمة ، واسع الرواية من شعر الفحول فى شتى العصور الأدبية الزاهرة . يتحدث أحد الأدباء عن كثرة روايته وقوة حفظه منذ نشأته قائلا[1] : (كان يحفظ زمن الطلب مقامات الحريرى * والمعلقات السبع ، والأدب الصغير - لابن المقفع - ودواوين المتنبى والبهاء زهير وحافظ ابراهيم إلى غير ذلك من مختارات النثر والشعر منذ العصر الجاهلى إلى العصر الحديث) .

ويستشهد لقوة حافظته وذاكرته بقوله : (وحينما دخل لجنة الشفهى فى الامتحان النهائى سنة ١٩٢٥ م وكانت مؤلفة من الأستاذين العوامرى بك وعلى الجارم بك ، تلقاه الاستاذ الجارم مداعبا بقوله : أنت جندى أعزل يا أستاذ ، فقال على الفور إلا من سلاح العلم والأدب ثم أردف :

لَئِنْ جُرِّدْتُ مِنْ حَمْلِ السِّلَاحِ فَلِى عَزْمُ أَحَدَّ مِنَ الصَّفَاحِ

فطرب لذلك الشاعر الكبير ، ثم سأله العوامرى بك عن محفوظاته فأخبره بها فكأنه شك فى ذلك فقال له : عند الامتحان يكرم المرء أو يهان ! وقد امتحناه فأكرماه ، كما أقرا له بالحق فى مسألة لغوية ناقشاه فيها ،وأثنيا عليه ، وأعطياه أكبر درجة فى هذا الامتحان[2]).

---

(١) مقدمة أغاريد السحر للاستاذ : محمد صالح سمك ص ٤٠ ، ٤١ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

ويصفه آخر بسعة إطلاعه على الشعر القديم والحديث وقوة حفظه وإستيعابه على نحو مدهش بقوله : (ولعله بقية هذا الجيل العجيب الذى عرف بأنك لاتكاد تطوف بأمر أو موضوع أو حادث حتى تجده قد ألقى اليك من الشعر العربى مايصور مشاعر الإنسان إزاء كل موقف ، كأنما لم يغادرشعر الضاد منه شيئ ، وكأنه كتاب الإنسانية الكبير)(١) ومن هذا نجد أن الجندى شديد الإتصال بأدب التراث ، وهذه الصلة أكسبته ثروة لغوية هائلة إنعكست على فنه الشعرى ولقد ساعد ذلك على صقل موهبته وتقويمها على النحو الذى نراه الان ، ومادام حديثنا متصلا بأدب التراث فلابد من الاجابة عن مدى تأثره بتلك القراءة فى دواوين الشعراء السابقين ؟

وهنا أجيب بأنه على الرغم من سعة إطلاع الشاعر وقراءاته فى أدب التراث - التى لمستها فى مؤلفاته إضافة إلى شهادة الادباء السابق ذكرهم له-إلا أن الذين تبدو لنا آثارهم جلية فى فنه ليسوا كثيرا ، وهذا شيئ معقول ، فالإنسان لايتأثر بكل مايقرأ ، أو بكل من يروى عنهم ، ولكنه يتأثر بأوفرهم نصيبا من إعجابه ، وأكثرهم مجاوبة له وأحبهم إليه وأشبههم به ، وكل من يمكن أن يكون لهم فيه تأثير ، ثم أنه لايتأثر بهؤلاء على درجة واحدة ، بل على درجات متفاوتات . وقد الفع الى ذلك الاستاذ (على النجدي ناصف) عندما تناول شيئا من شعر الجندى فى ديوانه (أغاريد الساحر) بقوله :(٢)

وعندى أن أشد الشعراء إتصالا بالاستاذ على الجندى وأظهرهم عملا فى نفسه وفنه : البهاء زهير ، وشوقى ، والمتنبى ، والبحترى ، وأبو تمام ، فلكل منهم فى فنه سمة بادية تدل عليه ، وتذكر به .

---

(١) الاستاذ أنور الجندى فى كتابه مفكرون وأدباء من خلال آثارهم ط الاولى ص ١٦٥ .

(٢) صحيفة دار العلوم مقال للاستاذ (على النجدى ناصف) ص ٥٠ - ٥١ العدد الاول سنة ١٩٤٧م .

فنذكر (البهاء زهير) كثيرا فى رقة لفظه ، وخفة موسيقاه وعذوبة روحه وحلاوة منطقه ، وظهور خصائص البيئة المصرية فيه عندما نقرأ مثل قوله من قصيدة " دلال الحسان "(١) :

قَالُوا : حَبِيْبُكَ قَاسٍ فَقُلْتُ : صَفْوُ الزُّلَال
وهَجْرُه لَكَ مُرٌّ فَقُلْتُ : لَكِنْ حَلَالِى
وَفِيْهِ زَهْوٌ وَتِيْهٌ فَقلتُ : لَسْتُ أُبَالِى
وَعَدْتَ،والوَعْدُ دَيْنٌ عَلَى كَرِيْمِ الخِلَالِ
إِنْ كَانَ وعْدُكَ حَقًّا فَفِيْمَ فَرْطُ الدَّلَالِ ؟!
يَاحُلْوُ رِفْقًا بِقَلْبِى يَاحُلْوُ رِفْقًا بِحَالِى

كما أننا نذكر شوقى فى شعر الأخلاق ، عندما نقرأ للجندى مثل قصيدته " أزمة الاخلاق "(٢)، و " مصاصو الدماء " (٣) .

ونذكره أو نراه فى ختام قصيدتيه : " ذكرى المولد "(٤) ، و " نهج البردة "(٥) ، عندما نقرأ لشاعرنا هذه الابيات التى يختم بها قصيدة " فلق الصباح " (٦) :

---

(١) ديوان أغاريد السحر لعلى الجندى ص ٣١٩ .
(٢) نفسه ، ص ٢٧١ .
(٣) نفسه ، ص ٢٦٧ .
(٤) الشوقيات لاحمد شوقى حـ ١ ص ٧١ ، ٧٢ .
(٥) نفسه ، حـ ١ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .
(٦) نفح الأزهار فى مولد المختار لعلى الجندى ص ١٧٢ .

يَاخَيْرَ مَبْعُوثٍ لِأَفْضَلِ أُمَّـــــةٍ
عَطْفًا عَلَى الإِسْلَامِ فِي آرْزَائِـــــهِ

أَنْتَ الغِيَاثُ إِذَا الخُطُوبُ تَدَاعَبَتْ
وافْتَنَّتِ الأَحْدَاثُ فِـي إِيْذَائِـــهِ

هَـذِي شُعُوْبُـكَ تحتَ ظِـلِّ هِلَالِهَـــا
غُرَبَـــــاءُ آضْيَافٌ عَلَى غُرَبَائِهِ

مُتَخَاذِلُونَ فَكُـلُّ شَعْـــبٍ سَـــادِرٌ
فِـــي لَهْـــوِهِ ، مُغْضٍ عَلَى آقْذَائِهِ

فَقَدَ البُطُولَةَ - وَهْيَ آنْفَسُ إِرْثِهِ -
فَرِجَالُـهُ فِـي الرَّوْعِ دُوْنَ نِسَائِـــهِ

فَاشْفَعْ بِجَاهِكَ عِنْدَ رَبِّكَ إِنَّـــهُ
آعْطَـاكَ مَا آرْضَاكَ مِنْ نَعْمَائِـــهِ

صَلَّى عَلَيْكَ اللّٰهُ مَاشَكَرَ الحَيَـا
رَوْضٌ وغَنَّـى الـوُرقُ فِـي آفْيَائِـــهِ

كما أننا نذكر أبا تمام بهذه القوافى المتمكنة ، التى نراها جهرة ، أو نلمحها مطوية فى مطالع الأبيات أو فى أثنائها ، فنمضى اليها مع علمنا بها ، لأن الطريق إليها ممهدة ، ونبلغها بغير محاولة ولا إعمال رأى دونما إنكار لها ، وهو مايسمى فى البديع بالتوشيح والإرصاد ومثال ذلك قول الجندى من قصيدة (أبو الاشبال) [1] :

---

(١) ديوان أغاريد السحر لعلى الجندى ، ص ١١٨ ، ١١٩ .

سَاسَـــةٌ وُرِّثُـوا طِبَـــاعَ الأَفَاعِـــى
مَلْمَسًا نَاعِمًا ، وَنَابًـا حَدِيْـــدَا

كَبَّلُـوا النِّيلَ بِالقُيُـوْدِ فَثَارَ النِّـ
ـيْلُ فِي وَجْهِهِمْ يَفُـضُّ القُيُـوْدَا

وَأَبَـوْا غَيْرَ أَنْ نَكُـونَ عَبِيْـــــدًا
فَأَبَى اللّٰـهُ أَنْ نَكُـونَ عَبِيْـــدَا

ونذكر (المتنبى) عندما نمر من شعر الجندى بهذه الحكم والأمثـــال المنبثة فى شعره - على توال حينا ، وافتراق حينا آخر - كقوله مـــــن قصيدة " تحيّـة الثورة العربية)[1]:

يَاقَوْم بَعْـضَ وَعِيْدِكُـــمْ! فَمَتَـــى
هَـابَ الْغَضَنْفَـرُ صَوْلَـــةَ الهِـــرِّ

عَسْفُ الزَّمَـانِ يَزِيْدُنَا كَرَمـــًا
كَالْمِسْكِ نَفَّاحًـا عَلَـى الْجَمْـــرِ

عُذْ بِالسِّـلَاحِ ! فَإِنَّهَـــا دُوَلٌ
هِـــىَ بِالسِّـلَاحِ وَفَضْلِـــهِ تَـــدْرِي

سَفَـهٌ رَجَـاءُ العَـــدْلِ فِي زَمَـنٍ
حُنِيَـتْ أَضَالِعُـــهُ عَلَـــى الغَـدْرِ

---

(١) أغاريد السحر للجندى ص ٧٢ ، ٧٣ .

حُرِّيـــةُ الأَقْـــوَامِ جَوْهَـــــرَةٌ
مَرْهُونَـــةٌ بِالأَنفُسِ الحُمْـــرِ(١)

والحَـقُّ لَيْسَ يَفُوزُ طَالِبُـــــهُ
يَوْمًـا بِغَيْـرِ البِيْـضِ وَالسُّمْـرِ

مَنْ رَامَ دَرْءَ الضُّرِّ مُكْتَفِيـــــًا
بِالقَولِ ، فَلْيَصْبِرْ عَلَى الضُّـــرِّ

الـــوُرْقُ لَـوْ طَالَـــتْ بَرَاثِنُهَا
مَـا أَفْزَعَتْهَـــا غَـارَةُ الصَّقْـــر

والظَّبْـيُ لَوْ أَنْيَابُـهُ بَـــرَزَتْ
لَسَطَـا بِلَيْـثِ الغَابَـةِ العِفْرِ(٢)

وأخيرا نلمح البحترى بديباجته المشرقة تتراءى لنا فى كثير مـــن شعر الجندى .

. ومن ذلك نجد أن اتصاله بأدب التراث قد أسهم بدور كبير فيما أصدر من شعر ظهر فيه أثر تلك القراءات ، كما نلاحظ أن ذلك قد أسهم أيضا فـــى مجيىء شعره من قبيل الشعر التقليدى الذى يلتـزم فيـه بعمـود الشعـــر ، وهذا لايعنـى رفضه للشعـر الحديث بـل اننـا نجده كمـــا يقـــول : " نحـــن مـــن أنصـار التجديـد النـافـع المثمـر ، ونقولهـــا مدويـــة

(١) الانفس الحمر : الدماء سميت بذلك لأن النفس قوامها بالدم .
(٢) الاسد العفر : بكسر العين : الشديد .

للشعراء : جددوا فى الشعر ماشئتم ، ولكن فى نطاق النواميس الطبيعية للتجديد ، فإنا لانخلق من العدم - كما يقول النقاد المحدثون الغربيون - ومايصدر عن العدم قد يسليتا ساعة من الزمن ، ولكنه يفتقر إلى المادة إفتقارا مسرفا ، ولهذا يرتد الى العدم ، إننا نضع لبنات فوق لبنات أسلافنا وهكذا دواليك ، إنه منذ طفولة الشعر ، والشعراء يجددون ويدعون إلى التجديد ، ولكن تجديدهم لا يجتث الأصول المتينة ، ولايهدم الأسس الراسخة ، ولا يأتى على البنيان المتطاول من القواعد) (١) .

ويعود الشاعر مرة أخرى فيبث رأيه فى مسألة القديم والجديد فى الشعر التى احتدم النقاش فيها بين رافض ومؤيد ، قائلا (٢) :

نَظَمْتَ الجَدِيْدَ إِزَاءَ القَدِيْمِ
وَيَحْوِى اللّوَاءَيْنِ مَنْ يُكْمِلُ

وغَيْرُكَ زَارٍ عَلَى السَّالِفِيْنَ
جَرِئٌ عَلَى الهَدْمِ مُسْتَبْسِلُ (٣)

كَعَشْواءَ خَابِطَةٍ فِى الظَّلَامِ
إِذَا مَاعَلَتْ أَسْرَعَتْ تُسْفِلُ

أَعَارَتْهُ أَبْيَاتَهَا العَنْكَبُوتُ
فَرِقْعَةُ أَشْعَارِهِ هَلْهَلُ

---

(١) أنظر خمسة أيام فى دمشق الفيحاء ؛ لعلى الجندى ص ٢٠٤ .
(٢) أنظر ديوان فى ظلال القمر لعلى الجندى ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ .
(٣) زار : عائب .

وَكُلُّ جَدِيْدٍ لَـــهُ بِالقَدِيْـــمِ
وَشَائِجَ تُرعَـى وَلاَ تُهْمَـــــلُ

وَأَغْبَى بَنِي عَصْرِهِ شَاعِـــــرًا
بِإِرْثِ الأُبُـــوَّةِ يَسْتَبْـــــدِلُ(١)

بل إن الشاعر يصرح بأنه لايسلِّم أبدا بقديم وجديد فى الشعر فهـــذا تقسيم باطل - كما يقول - ويدعو إلى قياس الشعر بالجمال فيقول مكمـــلا الأبيات السابقة :

وَلَيْسَ هُنَـــاكَ قَدِيْـــمٌ وَلاَ
جَدِيْـدٌ كَمَـا وَهِـمَ الدَّلْـــدلُ

وَلَكِـنَّهُ الشِّعْرُ مِنْـهُ الخَصِيْـبُ
وَمِنْـــهُ جَدِيْـبُ الثَّـرَى المُمْحِـلُ

وَفِيْهِ القَبِيْحُ وَفِيْـهِ المَلِيْحُ
بِبُـرْدِ نَضَارَتِـــهِ يَرْفُـــــلُ

وإكمالا لما سبق فإننا نشير الى موقف شاعرنا من الشعر(الحر)ذلـــك الموقف الرافض الذى يحذر فيه من خطر هذه النزعة الزائفة عندما يقـــول :

---

(١) شاعرا : كذا بالأصل ولعلها شاعرٌ خبر المبتدأ ومن الممكن أن تكـــون مبتدأ على الرغم من أنه نكرة لأن النكرة هنا موصوفة .

(يجب أن نكون على حذرٍ دائم من الدعوات الهدامة المدمرة التى تريد أن تقطع صلتنا الوثيقة بماضينا الحافل بالمآثر ، وتأتى على مفاخر ستة عشر قرنا من القواعد ، بإسم التجديد الزائف المنكر الذى يجعل من - المقالة- دردشة جوفاء ، ومن القصص إباحية صارخة ، ومن الفن تهريجا وبهرجا ، ومن الشعر رقعا مهلهلة ممزقة ، ومن النقد هدما وإنتقاصا ، هذه الدعوة الصريحة إلى نبذ القوافى والأوزان ، وطرحهما فى الطريق ، والسير فى ركاب مايسمونه الشعر المتحرر ، وماهو بمتحرر ولكنه مثقل بالأغلال والقيود ، ويالليتها من الذهب ، ولكنها من الحديد الصدىء السهك)[1] .

وبعد .. هكذا إتصل الجندى بأدب التراث ، وعاش فيه طوال حياته وتعمق فيه إلى حد كبير ، ومن ثم تأثر .

---

(١) خمسة أيام فى دمشق الفيحاء ص ٢٠١ ، ٢٠٣ .

الفصل الثانى

فنونه الشعرية

ذكرنا فى الباب الأول عند استعراض مؤلفاته الأدبية أن له أربعة دواوين شعرية [١] مرتبة حسب صدورها كما يلى : ديوان " أغاريد السحر "، و " ألحان الاصيل "، و " ترانيم الليل " وقد طبعها قبل أن يلتحق بركب الخالدين . وبعد وفاته بخمس سنوات أخرج أبناؤه ديوانه الرابع " فى ظلال القمر " ، وهذا هو النتاج الشعرى الذى خلّفه (الجندى) فضلا عمّا ضاع منه كما يقول [٢] ، لأنه لم يعن بتقييده وخاصة شعر (الغزل)و(الوطنيات)، كما نجده يشير إلى ذلك عند إستعراض قصائده فى الدواوين بمثل قوله: إن هذه المقطعات أجزاء من قصائد مفقودة .

وبهذا يكون المنهج الفنى قد إكتمل له ، ومن ذلك يتضح لنا أنه من الشعراء المكثرين ، وقد تجاوز نتاجه الشعرى (ثلاثة عشر ألف بيت) جال بها فى فنون الشعر المختلفة ، فلم يدع بابا من أبواب الشعر إلاّ طرقه ، ولا دربا من دروبه إلاّ سلكه ، - عدا الهجاء فقد عف لسانه عنه - وطرق باب الغزل ، والرثاء،والمديح ، والفخر ، والوطنيات ، وبكاء الشباب ، وله مساجلات ممتعة ، كما أن شعره لم يخل من الحكم والأمثال ، وسنرى ذلك من خلال عرضنا للفنون الشعرية التى إتسع لها شعره وهى :

---

(١) أنظر الباب الأول ، من ص ٨٠ إلى ص ٨١

(٢) أنظر مقدمة ديوان أغاريد السحر ص ٣٤ ، ٣٥ .

١ - النسيب

وهو : (ذكر الشاعر خلق النساء وأخلاقهن ، وتصرف أحوال الهوى به معهن) [١] وأما الغزل فهو " إلف النساء والتخلق بما يوافقهن " من شمائل حلوة ، وكلام مستعذب [٢] .

ولقد فرّق " قدامة " بينهما فى كتابه " نقد الشعر " وذهب إلى أن النسيب يجمع بين المتعة الناتجة من التهالك فى الصبابة والرقة وبين الألم الناتج من الإفراط فى الوجد واللوعة . بينما يقتصر الحديث فى الغزل على ذكر مشاعر البهجة والإستمتاع [٣] .

وفى هذا الفن الرقيق يبرز الشاعر رهافة أحاسيسه من خلال الحديث عن جمال المرأة وغرامه بها ، ويتنوع القول فى هذا الفن بتنوع الشعراء ، فمنهم من يتحدث عن مفاتن المرأة الجسدية،ومنهم من يعف فيصف المرأة وما يتعلق بها متشبثا بأخلاقها وخفة روحها ، ومنهم من يتناول وصف الألام التى يحس بها العاشق المهجور فيشكو الحرقة التى تعتمل فى قلبه ، ومنهم من يجمع بين وصف محبوبته ووصف نفسه وماقد يحدث بينهما من وصل أو صد وهجر[٤].

---

(١) نقد الشعر(لأبى الفرج قدامة بن جعفر)، ص ١٢٣ .

(٢) (العمدة فى صناعة الشعر ونقده لإبن رشيق القيروانى) ص ٣٣٤ ، (نقد الشعر لقدامة إبن جعفر)ص ١٢٣ .

(٣) أنظر ماقاله فى ذلك (قدامة ابن جعفر فى كتابه نقد الشعر) ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٤) أنظر الأسلوب لأحمد الشايب ص ٨٣ .

ومهما يكن من أمر فإن لشاعرنا قصائد كثيرة فى هذا الفن ، يتحدث فيها عن تجربته التى خاضها مع المرأة فى فورة الشباب ، ويروى فيها وقائع وقعت له ، ويصور فيها عواطف جاشت بها نفسه واهتزت لها مشاعره ولعلنا من خلال استعراض أشعاره الوجدانية نستطيع أن نحدد إطار شخصيته الغزلية .

منهجه فى الغزل :

وأول مايطالعنا فى ذلك ديوانه " أغاريد السحر " الذى يتميز بمجموعة من القصائد الغزلية التى يحكى فيها قصة حبه فى شبابه ويعرض فيها همومَ قلبٍ غَزِل ، وخَطرات نفسٍ شاعرة فى بعض ماعناها من أمرٍ ، وأمضّها من ألمٍ ، وأثارها من شكوى ، وبعثها من رجاء ، وردها من يأس ، وأدرج تلك القصائد تحت مسمى " نفح الغوالى - غزل القلب فى ظل الصبا " ويصدر الشاعر ملحمة حبه بوصف يقول فيه :

" هى مأساة قلب غرير ، ليافع غرير ، زين له " كيوبيد "[1] أن يلعب بالنار ، فاحترق بالنار ، نعم هى مأساة دامية ، تساق عبرة للناشئة [2] الذين يستهويهم الهوى الجامح ، فيلقى بهم فى مهاوى البؤس واليأس معا .

كانت تحبه أضعاف حبه لها ، ولكنها كانت تتدلل عليه لتفجر ينابيع قلبه ، فتسمع تغريده مرة ، وأنينه أخرى ، وكان لها من حسبها الحسيب ،

---

(١) يرمز إلى أسطورة " كيوبيد " إلٰه الحب عند الرومان، وسهامه الإغريقية .

(٢) فى المحاح : والناشيء الحدث الذى قد جاوز حد الصغر والجارية ناشيء والجمع النشأ مثل(طالب وطلب) ومن ذلك يتبين أن ناشئة ليست مؤنث ناشيء فناشئة الليل أول ساعاته .

وبيئتها العالية ، وثقافتها الممتازة ، وجمالها المزهو المترفع ، ما يعصمها من نزوات الغرام ، فمحصت نفسه ، وهذبت غرائزه ، وصفت عواطفه ، وتركته روحا ملكيا ساميا فى جسم بشرى ، فأصبح ينظر اليها بعين " إبن الفارض " (١) بعد أن كان ينظر إليها بعين " أمرىء القيس " .

كانت تدخره لشيئ ، وكان همها أن تخلق منه شيئا ، ولعلها خلقت منه شيئا بالفعل ، ولكنها لم تقدّر العاقبة ، فكانت خاتمة المطاف خيبة مرة ، وصدمة قاسية ، طاحت بما يختزنه فى نفسه من ذخيرة وحيوية ، وبما يتوهج فى قلبه من أحلام وآمال فلم يعد ير الحياة بما فيها ومن فيها غير غثاء وهباء ، لقد انطوى على نفسه منذ أمد طويل فى عزلةٍ صارمة لاينفذ إليها شعاع من نور ، حتى بات لغزا لايفهمه الناس ولايفهمه هو ، فإن خطفت أمام عينيه بارقة أمل ، هتفت به أشلاء قلبه من خلال الظلام الدامس : أن قف مكانك ، إن الخسارة لن تعوّض ، وإن مامضى لن يعود . "(٢)

ويضيف بأنه قد عاش فى ظلال هذا الحب الصادق ستة عشر شهرا عاش فى ظلها الرطب الظليل كما تعيش البلابل فى أحضان الأغصان الخضر مرحة طليقة ، فنظم ملحمة شعرية من ذوب مهجته ، يزيد فى ألمه أن أروع فصولها قد فقد ، لأنه كان يتغنى لها ولنفسه فلم يعن بنشر شيئ من ذلك (٣) .

---

(١) إبن الفارض : هو عمر بن أبى الحسن (ولد سنة ١١٨١هـ وتوفى سنة ١٢٣٤هـ) وسمى إبن الفارض لان أباه كان يشغل منصب الفارض ، الذى يثبّت فروض النساء على الرجال بين أيدى الحكام ، وهو من شعراء الصوفية المسلمين ، يلقب بسلطان العاشقين وله ديوان شعر بإسمه .

(٢) ديوان أغاريد السحر ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٧٩ .

هكذا يلخص الشاعر قصة حبه وغرامه الذى يشبه إلى حد كبير مضمون الغزل العذرى فى عفته ونهايته القاسية التى آل إليها .

ولقد أحسن الشاعر صنعا بهذا البوح الوجدانى الذى استطاع من خلاله أن يرسم خطا عريضا يحدد به إطار شخصيته الغزلية .

ومن خلال تلك المقدمة التى صدّر " الجندى " بها باب " النسيب " نستشف مايلى :

(١) خاض الشاعر تجربة حب واقعية مع المرأة ، وكان الغرام فيها متبادلاً من الطرفين .

(٢) عشق الشاعر امرأة واحدة ولم يصرح بإسمها واكتفى بذكر بعض صفاتها .

(٣) يشير الشاعر فى هذه المقدمة - التى تثير فى نفسه كثيرا من عواطف الحب ومشاعره الدفينة - إلى عفة حبه ونقائه وطهارته .

(٤) أسى الشاعر ولوعته وبؤسه عن النهاية التى آل اليها حبه واضحة تماما فى هذا النص .

وإذا ما انتقلنا إلى شعر النسيب فى هذا الديوان فإننا نجده مقتصرا على الحديث عن تلك المحبوبة التى هام بها شاعرنا دون سواها ، وتطالعنا (إحدى وثلاثون قصيدة) ومقطوعة مرتبة ترتيبا زمنيا ، تصف حال شاعرنا من أول لقاء بليلاه الى آخر لقاء بها .

وأول مقطوعة للشاعر بعنوان " أول سهام كيوبيد " وفيها يتحدث عن الظروف التى تم فيها لقاؤه الأول بمحبوبته - مصادفة - فى أحد الأماكن

العامة ، فيعجب بجمالها الفائق ، ويختلس النظر إليها حينا بعد حين فتطرق حياء وعلى ثغرها ابتسامة وترسل إليه سهام لحظها فتتمكن من قلبه فيغضى هيبة (١) ، ولسان حاله يلهج بقول المتنبى: (٢)

وَمَاهِى إِلاَّ لَحظَةٌ بَعْدَ لَحْظَةٍ إِذَا نَزَلَتْ فِى قَلْبِهِ رَحَلَ الْعَقْلُ

وعن تلك النظرات وتأثيرها يخاطبها مُتسائلا :(٣)

هَذِه النَّظْرَةُ تُنْبِى مِنْكِ عَنْ سِرٍّ دَفِيْن
هُوَ - فِى ظَنِّىَ - حُبٌّ صَدَّقَ اللَّهُ ظُنُوْنِى

بَرَّحَ الوَجْدُ فَبُوحِى بِالْهَوَى لِى ، وَأَبِيْنِى
كَيْفَ تَحْلُولِى حَيَاةٌ بَيْنَ شَكٍّ ، وَيَقِيْن
كَمْ تُدَارِيْنَ ، وَأَعْيَا بِمُدَارَاةِ شُجُوْنِى
كُلَّمَا أَغْضَيْتِ أَذْكَى لَحْظُكِ السَّاجِى حَنِيْنِى (٤)
أَحَسِبْتِ الحُبَّ يَخْفَى تَحْتَ أَهْدَابِ الجُفُوْنِ

ويتفاعل الشاعر مع سحر النظرات وأثرها فى إلهاب قلوب العشاق من قبله فيستحثها على زيادة تلك النظرات قائلا : (٥)

---

(١) ديوان أغاريد السحر لعلى الجندى ص ٢٨٠ .
(٢) ديوان أبى الطيب المتنبى حـ ٣ ص ١٨١ .
(٣) ديوان أغاريد السحر لعلى الجندى ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .
(٤) الساجى : الساكن الفاتر .
(٥) المرجع السابق ص ٢٨١ .

أَرْسِلِـــي النَّظْـرَةَ نَجْـوَى تُلْهِـمُ السِّحْـــرَ فُنُوْنِـــي
أَرسِلِيهَا إِفَهْيَ سَلْـــــوَى وَعَـــزَاءٌ لِلحَزِيْـــنِ
أَرْسِلِيْهَا إِفَهْيَ عَطْـــفٌ نَالَه العُشَّـاقُ دُوْنِـــي

ويطمئنها بعد ذلك إلى نفسه ، فهو لايطمع فى أكثر من التلذذ بنظراتها :

أَرْسِلِيْهَـــا واطْمَئِنِّـــي لَاتُرَاعِـــي مِنْ جُنُوْنِـــي
رُبَّمَـــا يَقْنَـعُ مِثْلِـــي بِتَحِيَّـــاتِ العُيُـــوْنِ

ونجد لشاعرنا أبياتا أخرى يثبت فيها أن محبوبته كانت تعرفه وهو لايعرفها فطلبته إلى المسرة ، فسكبت فى أذنه كلاما ألذ من جنى النحل ، فلما سألها : من تكون ؟ قالت : وهل يخفى القمر ؟ ثم سلّمت مودعة ، واعدة أن تتكلم فى وقت آخر لتسمع ماقاله فيها "(١) ويتلذذ الشاعر بسماع صوتها ويصف ذلك الحديث الهامس قائلا : (٢)

يَاحَدِيْثًـــا فِى " المِسَرَّه " لَقَّنَ القَلْـــبَ المَسَـرَّهْ
مِنْ حَبِيْبٍ لَوْ أَرَانِـــي وَجْهَهُ ، مَاكَانَ ضَـــرَّهْ؟
يُؤْثِـرُ الحُبَّ سَمَاعًـــا أَيَـرَى الحُبَّ مَعَـــرَّه
واصَلَ " الأُذْنَ " وَمَاجَـــا دَ عَلَى " العَيْنِ " بِنَظْـرَه

وتبدأ معاناة الشاعر من لوعة الحب والحرمان ويتشوق إلى رؤية محبوبته فيقول : (٣)

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٢٨٢ .
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .
(٣) المرجع السابق ص ٢٨٣ .

أَيُّهَـا الخَاطِـبُ وُدِّى لَايَكُـنْ قَلْبُـكَ صَخْـرَه
بَلَـغَ العِشْـقُ مَـدَاهُ فَامْنَـحِ العَاشِـقَ زَوْرَه
أَىَّ ثَـأْرٍ لَـكَ عِنْـدِى يَقْتَضِى مَوْتِـىَ حَسْـرَه

ويطمئنها ثانية مشيرا الى انتسابه فى حبه إلى العذريين عندما يقول (١) :

أَتَخَافُ الغَـدْرَ مِنِّـى أَنَـا مَنْ تَأْمَنُ غَـدْرَه
شَاعِرُ الأَخْـلَاقِ يَأْبَـىٰ كُـلَّ مَا تَأْبَاهُ " عُذْرَه (٢) "

ويستمر حديث " المسرّة بينهما " ويطلب منها اللقاء ، فتعده وتمنيه ، ويزداد شوقه إلى لقائها ، ولكنها تضن عليه بذلك فيعاتبها قائلا : (٣)

تَرَفَّـقْ بِقَلْبِـىَ يَاهَاجِـرِى أَمَـا لِصُدُودِكَ مِـنْ آخِـرِ ؟
سَـلِ النَّجْمَ عَنْ لَوْعَتِى فِى الدُّجَى يُخَبِّرْكَ عَنْ لَيْلِـىَ السَّاهِـرِ
وَلَيْسَ العِتَابُ عَلَى مُهْجَتِـى وَلَكِـنْ عَلَى لَحْظِكِ السَّاحِـرِ
أَمَـا عَطْفَةً مِنْكِ تُشْفِى الضَّنَـى وَتُبْـرِدُ حَـرَّ الجَوَى السَّاعِـرِ

وتستجيب إلى مطلبه وتبشره باللقاء فيفرح لذلك بشدة ويطلب إليها أن تنقل إليه تلك البشرى رويدا رويدا حتى لايموت من شدة الفرح أو يفقد

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨٣ .
(٢) عذرة : إشارة إلى(بنى عذرة) إحدى قبائل قضاعة التى كانت تنزل فى وادى القرى شمالى الحجاز ، وهى قبيلة معروفة بالحب البرئ .
(٣) ديوان أغاريد السحر ص ٢٨٦ .

عقله ، ويعبر عن ذلك بقوله : (١)

آخْبِرِيْنِي شَيْئًا فَشَيْئًا فَبُشْرَى م الوَصْلِ فَوْقَ احْتِمَالِ قَلْبِي العَمِيْدِ (٢)
لاَتُفِيْضِي السُّرُورَ فَيْضاً عَلَى نَفْسِي م فَتُضْنِي مِنْ وَقْعِهِ ،آوْ تُـــودِي (٣)
مَنْ يَكُنْ ظَامِئًا فَآجْدَى مِنَ العَبِّ م عَلَيْهِ رَشْفُ الزُّلاَلِ البَـــارِدِ (٤)
لَيْسَ سَهْلاً آنْ يَفْجَآ الوَصْلُ مَنْهُـو مّ إِلَى الوَصْلِ بَعْدَ طُولِ الصُّدُودِ
مَنْ يَكُنْ قَلْبُهُ جَلِيْداً عَلَى الوَصْلِ م فَقَلْبِي عَلَيْهِ غَيْـرُ جَلِيْـــدِ
كِدْتُ مِنْ فَرْحَتِي أُجَنُّ! وَوَيْـــلاَ هُ إِذَا مَاجُنِنْتُ فِي يَوْمِ عِيْـــدِي

وبعد حديث (المسرة) الواعد بلقاء بينهما ، يستعد الشاعر لذلك اللقـــاء المرتقب،ويتساءل فى حيرة : ما أنا صانع عند لقائى بها ؟ ويشعرنا بغرابـــة الموقف عليه ، فهى المرة الأولى التى سيقابل فيها محبوبته وتكون ماثلـــة أمامه يحدثها وتحدثه دونما حاجة إلى " المِسَرَّة " وينظر إليها وتنظر إليـــه عن قرب أيضا فى هذا اللقاء الذى يتلهف له وينتظره على أحر من الجمـــر ، ويوجه سؤاله إليها فى هذه الأبيات قائلا : (٥)

خَبِرِيْنِي بِاللّٰهِ مَايَصْنَعُ العَـــا شِقُ فِي مَوْقِفِ الهَوَى المَشْهُـودِ ؟
وأُرْجِعِي لِيَ عَقْلِي يَكُنْ لِي ظَهِيْـرًا وَنَصِيْرًا عَلَى اللِّقَاءِ العَتِيْـدِ (٦)

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٢٨٧ .
(٢) العميد : الذى هده المرض .
(٣) تودى : تهلك .
(٤) العَبّ : شرب الماء من غير مص كشرب الحمام .
(٥) ديوان أغاريد السحر ص ٢٨٨ .
(٦) العتيد : الحاضر المهيأ .

أَنَا فِي حَيْرَةٍ أَأُلْقِي سَلَامِي مِنْ قَرِيْبٍ " يَانُعْمُ " أَمْ مِنْ بَعِيْدِ؟
أَمْ أُحَيِّيكِ مِنْ نَسِيْبِي بِنَظْمٍ يَنْشُرُ الوَرْدَ فَوْقَ وَرْدِ الخُدُودِ
أَمْ أُغَنِّيكِ مِنْ عُصَارَةِ قَلْبِي أُغْنِيَاتٍ تُذِيبُ قَلْبَ الحَدِيْدِ

وكما قال شوقى : (١)

نَظْرَةٌ فَابْتِسَامَةٌ فَسَلَامٌ فَكَلَامٌ فَمَوْعِدٌ فَلِقَاءُ

يتم اللقاء الأول بينهما بعد أن تهيأت له الأسباب التى عبر عنها شوقى فى البيت السابق ، وها هو شاعرنا بعد أن أصيب بسهام لحظها يقع فى حبها ويتجاذب الحديث معها فى (المِسَرَّة) ويتلهف شوقا إلى رؤيتها ويطلب منها موعدا فتعده وتمنيه إلى ان يتم اللقاء بينهما ، بعد طول إنتظار منه ، ومن شدة لهفته فى يوم اللقاء يقف متشككا فى أمره غير مصدق لما يحصل وكأنه فى حلم ، كيف لا وقد ظن أنه لن يراها !! ويقول فى ذلك : (٢)

أَحَبِيْبِي قَدْ تَجَلَّى لِيَ أَمْ طَيْفُ حَبِيْبِي
أَنَا - واللَّهِ - مِنَ اللَّهْفَةِ م فِي شَكٍّ مُرِيْبِ
لَمْ يَكُنْ فِي الظَّنِّ أَنِّي أَجْتَلِيْهِ مِنْ قَرِيْبِ

ويحاول الشاعر أن يقطع الشك باليقين فى ذلك ، فينهج نهجا لم نألفه منه عندما سمح بتسرب بعض الأبيات فى هذه القصيدة وهى تصور نزعة مادية تشوب حبه العذرى عندما قال : (٣)

---

(١) الشوقيات لأحمد شوقى حـ ٢ ص ١١١ ط ١ .
(٢) أغاريد السحر ص ٢٨٩ .
(٣) أغاريد السحر ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

كَيْفَ أَرْتَابُ وَكَفِّي مِنْهُ فِي الْكَفِّ الْخَضِيْبِ
وَذِرَاعِي بَيْنَ غُصْنٍ يَتَثَنَّى وَكَثِيْبِ
وَفَمِي يَجْنِي جَنَى الشَّهْدِ م مِنَ الثَّغْرِ الشَّنِيْبِ (١)

وبعد هذا الوصف المادى يرحب الشاعر بمحبوبته شاكرا لها وفاءها بالوعد فى هذا اللقاء الذى سيخفف عنه كثيرا من تباريح الهوى ، ويمزج ترحيبه وشكره لها بشيئ من العتاب قائلا :(٢)

مَرْحَبًا بِالسِّحْرِ وَالْفِتْنَةِ م وَالصُّنْعِ العَجِيْبِ
مَنْ تُرَى أَوْصَاكَ بِالعَطْفِ م عَلَى العَانِي الكَئِيْبِ
مَنْ تُرَى أَوْصَاكَ أَنْ تَرْحَمَ م سُهْدِي وَنَحِيْبِي
مَنْ تُرَى أَوْصَاكَ أَنْ تُطْفِيءَ م بِاللُّقْيَا لَهِيْبِي
مَنْ تُرَى أَوْصَاكَ أَنْ تَسْمَعَ م آهَاتِ نَسِيْبِي

إلى أن يقول :

آنَ أَنْ يَهْدَأَ قَلْبٌ كَانَ مَوْصُولَ الوَجِيْبِ
وَيَذُوْقَ الغُمْضَ جَفْنٌ فِي الدُّجَى هَامِي الْغُرُوبِ
بَسَمَ الإِقْبَالُ عَنْ صُبْحٍ م المُنَى بَعْدَ القُطُوْبِ
وَأَسَا جُرْحِي - عَلَى الْيَأْ سِ مِنَ الْبُرْءِ - طَبِيْبِي

---

(١) الثغر الشنيب والأشنب : البارد العذب الرقيق الصافى .

(٢) ديوان أغاريد السحر ص ٢٩١ .

وتتوالى اللقاءات والأحاديث بينهما وتتنوع ، فتارة يتناقشان فى اسمها الذى لم يكن محددا ، بل كانت لها أسماء كثيرة مثل : ليلى ، إحسان ، سعدى ، سعاد ، وداد ، زينب ، نعم ، رجاء ، كثيرا ما يستهل بها قصائده مشيرا إلى أن(كل إسم منها يشير إلى معنى خاص فيها ، ويثير معنى خاصا فيه) (١) ويتحدث عن إخفائه لحقيقة تلك المحبوبة فى سياق حديثه عن تلك الأسماء خشية أن يذيع بسر من يهواه ، ويبدو أن محبوبته تنتمى إلى بيئة محافظة ، ويقول فى ذلك " وما استطاع مخلوق - ولن يستطيع - أن يعرف عنها أكثر من أنها فتاة مثالية لم تلد النساء مثلها ، تتسمى بجملة أسماء ، أكبر الظن أن اسمها الحقيقى ليس من بينها (٢) :

وإنّى لَأَلْقَى اللّهَ فِى الْحَشْرِ لَمْ أَبُحْ
بِسِرِّكِ والمُسْتَخْبِرُونَ كَثِيرُ

ومهما يكن من أمر فهى أسماء شعرية لمسمى واحد إستأثر بشعره وقلبه، يقول فى تعدد تلك الأسماء : (٣)

هِىَ "لَيْلَى" حِينًا ، وَحِيْنًا "سُعَادُ" و " رَجَاءُ " آنًا ،وآنًا " وِدَادُ"
تَسْتَجِدُّ الأَسْمَاءَ ، وَهْىَ رُمُوزٌ لِمَعَانٍ مِنْ حُسْنِهَا تُسْتَفَادُ

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٢٩٣ .
(٢) أنظر كتاب " خمسة أيام فى دمشق الفيحاء - لعلى الجندى ص ١١٢ .
(٣) ديوان أغاريد السحر ص ٢٩٣ .

ويقـول :[١]

كُلُّ أَسْمَائِهَا خَفِيْفٌ عَلَـــى الأَ ذَانِ ، عَذْبٌ تَهفُو لَهُ الأَكْبَـــادُ
فَلْتُسَمَّى ! أَوْ فَلْتُكَنَّى بِمَاشَـــا ءَ لَهَا الحُسْنُ،فَالمُسَمَّى المُـرَادُ
يَاجَمَالاً ، أَسْمَاؤُهُ عَدَدُ النَّجْـمِ م وأَسْمَاءُ غَيْـــرِهِ آحـــــادُ

ويقول فى أحد أسمائها " سعدى " [٢] :

لَا تَلُومِي!أَنْتِ " سُعْدَى " ظَبْيَـةٌ هَلْ يُلَامُ المَرْءُ فِى حُبِّ الظِّبَاءْ؟
لَا تَلُومِي!أَنْتِ عِنْدِي دُمْيَـــةٌ نَازَعَتْ " فِينُوسَ " [٣] أَثْوَابَ البَهَاءْ

ويقول عن " وداد " وهو أكثر الأسماء دورانا على لسانه : [٤]

" وِدَادُ " بَيْـنَ الأَسَامِـــى بِمُهْجَتِـــى أَفْدِيْـــهِ
كَأَنَّمَـــا هُـــوَ لَحْـــنٌ فَكُـلُّ أُذْنٍ تَعِيْـــهِ
الفَنُّ يَصْبُـــو إِلَيْـــهِ وَالشِّعْرُ مِنْ عَاشِقِيْـــهِ

وهذا المعنى قريب جدا من قول " مجنون ليلى " : [٥]

أُحِبُّ مِنَ الأَسْمَاءِ مَاوَافَقَ اسْمَهَا وَشَابَهَهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَـــا

ويخاطبها بهذا الإسم قائلا :[٦]

لَيْسَ لِى طَاقَةٌ بِهَجْرِ " وِدَادِى " فَبِحَقِّ الوِدَادِ لَاتَهْجُرِيْنِـــى

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٢٩٤ .
(٢) " " " ص ٢٩٥ .
(٣) فينوس : آلهة الجمال عند اليونان .
(٤) ديوان اغاريد السحر ص ٢٩٧ .
(٥) ديوان مجنون ليلى ص ٢٩٩ .
(٦) ديوان أغاريد السحر ص ٢٣٤ .

ويقـول : (١)

يَا " وِدَادِى " لَكِ الوِدَادُ المُصَفَّى مِنْ أَمِيْنٍ عَلَيْهِ غَيْرُ ظَنِيْـــنِ

ويقول : (٢)

كَيْفَ يَحْلُو لِـــيَ المُقَامُ بَعِيْـــدًا عَنْ " وِدَادٍ " وَحُسْنُهَا يَدْعُوْنِى

ويطلق عليها إسم " إحسان " فى قوله : (٣)

فَتَنَتْنَا بِحُسْنِهَا " إِحْسَـــانُ " رُبَّ حُسْنٍ يَحَارُ فِيْهِ الجَنَـــانُ

وينطلق الغزل على لسان (الجندى) فيُبِيْنُ عن رهافة حسه عندمـــا يتحدث عن محبوبته ومفاتنها ، ولقد إفتتن شاعرنا بجمال العيون وسحرهـــا وهذا أمر طبيعى فقد احتلت العيون مكانة عظيمة فىنفوس الشعراء منذ القـدم إلى يومنا هذا ، وتفننوا فى تصوير جمالها المؤثر فى العشاق ومن ذلـــك قول " جرير " (٤) :

إِنَّ العُيونَ الَّتِى فِى طَرْفِهَا مَـــرَضٌ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلَانَـــا
يَصْرَعْنَ ذَا اللُّـبِّ حَتَّى لَاصِرَاعَ بِـــهِ وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللّٰهِ أَرْكَانَـــا

وحول هذا المعنى فى سحر العيون وأثرها فى قلوب العشاق يقول شاعرنا :(٥)

" لِنُعْمَ "مُحَيَّاً أَبْدَعَ الحُسْنُ صُنْعَـــهُ
يُضِيْـــءُ - عَلَى الظَّلْمَـــاءِ كَالْقَمَرِ التَّمِّ

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٣٣٦ .
(٢) " " " ص ٣٣٧ .
(٣) " " " ص ٣٠٣ .
(٤) شرح ديوان جرير جمع وشرح محمد إسماعيل الصاوى (ص ٥٩٥) طبعة دار الحياة بيروت.
(٥) ديوان أغاريد السحر ص ٣٠٠ .

وَطَـرْفٌ كَحِيـلٌ لَايُعِيـنُ عَلَى تُقًـــى
وَلَكِنَّـهُ يَدْعُو البَرِيءَ إِلَى الإِثْـــمِ

رَمَتْنِى فَأَصْمَتْنِى وَمِثْـلُ جُفُوْنِهـــا
إِذَا مَارَمَتْ عَنْ قَوْسِ حَاجِبِهَا تُصْمِـــى

دَعَانِى لِحَتْفِى حُبُّهـــا فَأَجَبْتُـــهُ
وَمَاكُنْـتُ مُخْتَـارًا وَلَكِـنْ عَلَى رُغْمِـى

إِذَا آوْمَضَتْ بُجْلَ العُيُـوْنِ لِحَائِـــنٍ
تَدَاعَـى لَهَـا فِـى نَفْسِـهِ رَاجِحُ الحِلْمِ

ويقول فى سحر عينيها : (١)

جَحَـدْتُ السِّحْرَ إِلاَّ مَـــا جَلَتْـهُ عَلَـى عَيْنَاهَـا
وَعفْـتُ الخَمْرَ إِلاَّ مَـــا تُرَقْرِقُـهُ ثَنَايَاهَـــا

ويصف الشاعر محاسن محبوبته فيشبهها تارة بالبدر فى إشراقه فيقول :(٢)

يَاشَقِيْـقَ البَـدْرِ فِى الإِشْرَاقِ م وَالحُسْـنِ المَهِيْـــبْ
وَمِثَالاً لِجَمَـالِ الغِيْـــدِ م فِى الوَادِى الخَصِيْـــب

ويشبهها بالظبى تارة فيقول :(٣)

قَالُوا : حَكَى الظَّبْىَ جِيْـدًا فَقُلْـتُ : بَلْ يَحْكِيْـــهِ
إِذَا وَصَفْنَـا جَمِيْـــلاً فَإِنَّنَا نَعْنِيْـــهِ

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٣٤٠ .
(٢) " " " ص ٢٩١ .
(٣) " " " ص ٢٩٧ .

ويشبه قوامها بالغصن فى إستقامته قائلا :

مَاذَكَرْنَا بِـأَنَّ الخَمَائِـلَ إِلاَّ غَضَّ مِنْهُ قَوَامُهَا الفَيْنَـانُ
أَيْنَ غُصْنُ الرِّيَاضِ مِنْ غُصْنِهَـا مَ الأُمْلُودِ يَهْتَزُّ فَوْقَهُ الرَّمَـانُ

ولم تقف عاطفة الجندى عند هذا الحد فى وصف محاسن محبوبته ، بل إنها تجلت أيضا فى ألوان أخرى تتمثل فى الشوق والحنين عند هجر الحبيب وصده وتتمثل أيضا فى الشكوى والعتاب عند التمنع والغدر ، وفى مناجاة الطّيف فى اليقظة والمنام ، وفى دموع الوداع يوم الفراق ، ورسائلها إليه ووفائه لها ، ومن مجموع هذه التوترات الوجدانية تتأتى لذة الحب لشاعرنا فينشأ فى ظلها رقيق الإحساس مرهف المشاعر يتعشق الجمال ويهفو قلبه إليه .

وعن شوقه وحنينه إلى محبوبته التى هام بها وآلمه بعدها وعذّبه صدها يقول : (١)

تَرَفَّقْ بِقَلْبِـيَ يَاهَاجِـرِى
أَمَا لِصُـدُوْدِكَ مِـنْ آخِـرِ ؟
سَلِ النَّجْمَ عَنْ لَوْعَتِـى فِى الدُّجَـى
يُخَبِّرْكَ عَنْ لَيْلِـيَ السَّاهِـرِ
أَمَا عَطْفَةٌ مِنْـكَ تَشْفِى الضَّنَـى
وتُبْرِدُ حَـرَّ الجَـوَى السَّاعِـرِ
قَبِيْحٌ بِحُسْنِـكَ هَـذَا الصُّـدُودُ
وَقَـدْ خُلِـقَ الحُسْـنُ لِلشَّاعِـرِ

---

(١) أغاريد السحر ص ٢٨٦ .

ويقول بعد أن لجّت فى هجره :(١)

أَرِحْ فُـــؤَادَ المُعَنَّـــى يَامُنْيَتِـــى بِالْوِصَـــالِ
أَشْقَى المُحِبِّيْنَ حُـــبٌّ مُعَـــذَّبُ الآمَـــالِ

ولعل الصد والهجران نوع من دلال الحسان ، يحرقن به قلوب الرجال ، فهو لهن كالشوك للورد ، كلما وُخِزَ به الجَانِى تَهَالَكَ عليه وكَلِفَ به ، يقول أبو تمام (٢) :

أَحْبَابَهُ لِمْ تَفْعَلُونَ بِقَلْبِهِ مَالَيْسَ يَفْعَلُهُ بِهِ أَعْدَاؤُه

ويقول شاعرنا :(٣)

تَفْتَنُّ فِي تَعْذِيْبِ عَاشِقِهَـــا بِدَلَالِ نَظرِ الحُسْنِ فَتَّـــانِ
القَوْلُ مِنْهَا قَوْلُ ذِى مِقَـــةٍ وَالفِعْلُ فِعْلُ الحَاقِدِ الشَّانِى
تَجْنِى عَلَى قَلْبٍ بِهَا كَلِـــفٍ يَاقَلْبُ ، كَيْفَ كَلِفْتَ بِالجَانِى

وبين الصد والهجران وإخلاف الوعود يستعذب شاعرنا العذاب ويتلـــذذ به قائلا :(٤)

قَالُـوا : حَبِيْبُكَ قَـــاسٍ فَقُلْتُ : صَفْـــوُ الـــزُّلَالِ
وَهَجْرُهُ لَـــكَ مُـــرٌّ فَقُلْتُ : لَكِـــنْ حَلَالِـــى

---

(١) آغاريد السحر ص ٣١٨ .
(٢) ديوان أبى تمام حـ ٤ ص ١٤٨ . بشرح الخطيب التبريزى / تحقيـــق محمد عبد عزام / دار المعارف بمصر ١٩٦٥م .
(٣) آغاريد السحر ص ٣١٦ .
(٤) " " ص ٣١٩ .

وَفِيـــهِ زَهْـــوٌ وَتِيـْـــهٌ فَقُلْـتُ : لَسْـــتُ أُبَالِـــى
وَعَـدْتَ ، وَالوَعْـــدُ دَيْـــنٌ عَلَـى كَرِيْـــمِ الْخِـــلَالِ
إِنْ كَانَ وَعْـــدُكَ حَقـــًا فَفِيْـمَ فَـــرْطُ الـــدَّلَالِ
يَاحُلْوُ رِفْقـــًا بِقَلْبِـــى يَاحُلْـوُ رِفْقـــًا بِحَالِـــى

ويصف الشاعر شوقه المبرح إلى رؤيتها ذات يوم قائلا [1] :

" السَّبْتُ " عِيْدٌ لِأَنَّى فِيْهِ أَلْقَاكِ لَاتَحْرِمِى العَيْنَ يَوْمَ السَّبْتِ مَرْآكِ
مَاـبِالْكَثِيْرِ عَلَى ذِى لَوْعَةٍ وَضَنًى يَوْمٌ بِهِ يَجْتَلِى ضَاحِى مُحَيَّاكِ
إِنِّى سَعَيْتُ أُصَيْلَ السَّبْتِ مُبْتَدِرًا إِلَى لِقَائِكِ أَسْتَهْدِى بِرَيَّاكِ

إلى أن يقول :

لَا تَعْذُلِيْنِى فِى حُبٍّ لَبِسْتُ بِهِ ثَوْبَ الفَنَى،فَرَسُوْلُ الحُبِّ عَيْنَاكِ
صُدِّى كَمَا شِئْتِ أَوْتِيْهِى عَلَىَّ كَمَا شَاءَ الجَمَالُ،فَإِنِّى لَسْتُ أَسْلَاكِ

وطبيعى جدا بعد هذا الصد والهجران أن يئن الشاعر ويشكو ويتعتب مما حل به ، فكثيرا ماتضوع فى غزلياته رائحة العتاب المر والشكوى التى يحاول عن طريقها أن يجد متنفسا تتصاعد منه تباريح الشوق والحرمان ، ولقد أراد الشاعر من عتابه المحافظة على حياة المودة بينهما .

ولنستمع إليه وهو يشكو إليها تباريح الهوى فتعده وتمنيه ويُصدِّق ذلك قائلا :[2]

---

(١) أغاريد السحر ص ٢٠٧ .
(٢) " " ص ٢٠٩ .

شَكَوْتُ إِلَيْهَا لَوْعَتِي وَتَحَرُّقِي ... وَفَرْطَ عَذَابِي فِي الهَوَى وَتَأَرُّقِي
فَقَالَتْ : تَصَبَّرْ إِنْ تَكُنْ غَيرَ صَابِرٍ ... ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ تَمُرُّ ، وَنَلْتَقِي
فَصَدَّقْتُ مَاقَالَتْ تَعَلُّلَ عَاشِقٍ ... يَرَى المَوْتَ رَأْيَ العَيْنِ إِنْ لَمْ يُصَدِّقِ

ونحس بالألم يموج فى ثنايا أبياته عندما يشكو ويتعتب إليها بعد أن أخلفت هذا الموعد فيعود دامع العين مقروح الفؤاد قائلا :(١)

بِاللَّهِ مَا أَلْهَاكِ عَنْ شَانِي ... فَتَرَكْتِنِي نَهْبًا لِأَشْجَانِي
فِي لَيْلَةٍ أَفْنَيْتُهَا أَرَقًا ... أَرْعَى النُّجُومَ بِهَا وَتَرْعَانِي

أُذْرِي الدُّمُوعَ! أَقُولُ : وَاكِفُهَا ... يَشْفِي الجَوَى! فَتَشُبُّ نِيرَانِي
قَلِقَ الحَشَا أَطْوِي عَلَى كَبِدٍ ... حَرَّى أُضَالِعَ مُغْرَمٍ عَانِي

وَعْدٌ ظَفِرْتُ بِهِ عَلَى ظَمَأٍ ... لِلْوَصْلِ مِنْ مُغْرًى بِهِجْرَانِ
لَوْ أَنْجَزَتْ " لَيْلَايَ " مَاوَعَدَتْ ... لَمْ تَكْتَحِلْ بِالسُّهْدِ أَجْفَانِي

إلى أن يقول :

حَتَّامَ أُصْفِي الحُبَّ عَابِثَةً ... فِي الحُبِّ ! لَاتَرْثِي لِأَحْزَانِي
شَوْقٌ وَهَجْرٌ رَاحَ بَيْنَهُمَا ... قَلْبِي تَحَرُّ عَلَيْهِ نَارَانِ
بَرَدَتْ جَوَانِحُهَا! وَبِي حُرَقٌ ... خَلْفَ الضُّلُوعِ صَهَرْنَ وَجْدَانِي

ويعاتبها فى موضع آخر على تمنُّعها وعدم إنجازها لموعد كان بينهما ، ويبث إليها شكواه من ذلك ، واصفا ماحل به وهو ينتظرها وقد مضت ساعات

---

(١) أغاريد السحر ص ٢١٥ .

طوال ولم تتكلم قائلا[١] - بعد أن قضى بقية ليله ساهدا يتقلب على الجمر -:

وَعَـــدَتْ بِالكَلَامِ " لَيْلَـى " وَلَوْجَـا
دَتْ ، لَكَانَ الكَلَامُ بُـرْءَ الكِـلَام
لَيْتَ شِعْـرِى مَاعَاقَهَـا عَنْـــهُ حَتَّـى
تَرَكَتْنِـى فَرِيْسَـةَ الأَوْهَـــــامِ
شَارِدَ اللُّبِّ! فَـــوْقَ رَأْسِـىَ يُمْنَـــا
ىَ وَيُسْـرَاىَ فَـوقَ قَلْبِى الدَّامِـــى
أَتَنَزَّى مِـنَ الْجَوَى تَحْـــتَ لَيْـــلٍ
نَابِغِـيٍّ فَقَـدْتُ فِيْـهِ مَنَامِـى (٢)
" الثَّوَانِى " بِـــهِ تَمُـــرُّ شُهُـــورًا
وتَمُـــرُّ السَّاعَـــاتُ كَالأَعْـــوَامِ
وَيَطُولُ اللَّيْلُ القَصِيْـرُ عَلَـــى مَـــنْ
أَعْلَقَتْهُ حَبَائِـــــــلُ الآرَامِ
مُرْهَـفَ السَّمْعِ "لِلمَسَرَّةِ" أَشْكُـــو
بَرْحَ وَجْدِى لَهَا ، وفَرْطَ هَيَامِـــى
وأُنَاجِى أَسْلَاكَهَـــا بِدُمُـــــوعٍ
:مِنْ فُرَادَى مُنْهَلَّـــةٍ وتُـــؤَامِ
وَهْـىَ صَمَّـاءُ! لَا تَجِيْبِـــىَ يَعْنِيْهَـــا (م)
وَلَا حُرْقَتِـــى ، ولَا آلامِـــــى
مَاعَلَيْهَا لَوْ أَنَّهَا حَمَلَتْ عَنِّـــــى (م)
عِتَابًا إِلَـــى رَشِيْـــقِ القَـــوَامِ

---

(١) أغاريد السحر ص ٣١٢ ، ٣١٣ .
(٢) ليل نابغى : طويـــل

وللوشاة والرقباء دور فى عشقه وهيامه ، يحمون بينه وبينها بالوشاية والنميمة فيزيد ذلك من هجرها له وبعدها عنه ، فيتألم الشاعر من ذلك ويبث المزيد من تباريح الجوى وآلام الصبابة قائلا :(١)

سَعَى بَيْنَنَا الوَاشِى فَأَضْمَرَتِ القِلَى
وَكَمْ مِنْ هَوًى أَوْدَى " بِقِيْلَ وَقَالِ "

وَلَمْ أَقْتَرِفْ ذَنْبًا ، وَلَا لِى جَرِيْرَةٌ
سِوَى أَنَّنِى أَزْهَى بِهَا وَأُغَالِى

وَقَدْ كَانَ يُضْنِى القَلْبَ هَجْرُ دَلَالِهَا
فَكَيْفَ بِهِ إِنْ كَانَ هَجْرَ مَلَالِ ؟

ويشكو الشاعر عاتبا على أولئك الوشاة والعذال الذين زادوه ألما على ألمه وهمّه فيقول :(٢)

أَصَحْبِى أَنْتُمُ ؟! كَيْفَ هُنْتُ عَلَى صَحْبِى ؟
وَكَيْفَ تَوَلَّوا دُوْنَ غَيْرِهِمُ حَرْبِى

وَكَيْفَ اغْتَدَوْا إِلْبًا عَلَىَّ مَعَ الهَوَى
وَبَعْضُ الَّذِى أَلْقَاهُ لَوْ أَنْصَفُوْا حَسْبِى

جَنَوْا لِىَ هَمًّا فَوْقَ هَمٍّ يَئُوْدُنِى
فَوَاعَجَبًا لِلحُبِّ خَطْبًا عَلَى خَطْبِ

---

(١) أغادير السحر ص ٣٢٣ .
(٢) " " ص ٣٢٧ .

أَأَشْكُوْ ؟ لِمَنْ أَشْكُوْ ؟ وَلَوْ قَدْ شَكَوْتُهُمْ
إِلَى اللّٰهِ أَخْشَى أَنْ يُعَاقِبَهُمْ رَبِّـــى
وَأَعْتِبُ لَابَلْ سَوْفَ أُغْضِى عَلَى القَـــذَى
وَكَيْفَ ؟ وَقَدْ جَلَّ المَقَامُ عَلَى العَتْـــبِ

ويجد الشاعر متنفسا آخر يخفف عنه بعض مابه من وجد وشوق لمحبوبته التى تبالغ كثيرا فى الصد والقطيعة ، يتمثل فى مناجاة طيف خيالها فى المنام ، والأحلام فى مثل هذا السبيل نوع من التعويض عن المتعة الحسية ، تهيئة الطبيعة للترفيه والتنفيس عن النفس المرهقة ، ومناجاة الطيف فى المنام معروفة منذ القدم فى الشعر العربى ويتحدث عن ذلك " مجنون ليلى " قائلا : (١)

وَإِنِّى لأَسْتَغْشِى وَمَابِىَ نَعْسَـــةٌ لَعَلَّ لِقَاهَا فِى المَنَامِ يَكُـــونُ
تُخَبِّرُنِى الأَحْلَامُ أَنِّـــى أَرَاكُـــمُ فَيَا لَيْتَ أَحْلَامَ المَنَامِ يَقِيْـــنُ

ويقول البهاء زهير فى مناجاة الطيف وطلبه : (٢)

إِذَا كُنْتُ يَقْظَانًا أَرَاكُمْ وَأَنْتُـــمْ مُقِيْمُونَ فِى قَلْبِى وَطَرْفِى وَمَسْمَعِـــى
فَمَالِىَ حَتَّى أَطْلُبُ النَّوْمَ فِى الهَوَى أَقُولُ : لَعَلَّ الطَّيْفَ يَطْرُقُ مَضْجَعِـــى

ويتحدث شاعرنا عن طيف الحبيب حينما يطرقه فى المنام ، فيسعد بالوصال الذى ما يلبث أن يزول حينما يهب من نومه وإذا به صفر اليديـــن ،

---

(١) ديوان مجنون ليلى ص ٢٦٥ .
(٢) ديوان البهاء زهير ص ١٩٦ .

ويعاوده الأسى من جديد فيقول :(١)

أَلَمَّتْ بِهِ " لَيْلَى " وَقَدْ رَنَّقَ الكَرَى
بِعَيْنَيْهِ وَهْناً بَعْدَ سُهْدِ لَيَالِي
فَيَالَيْتَ شِعْرِي ! مَادَهَاهَا فَأَسْرَعَتْ
إِلَيَّ ، وَكَانَتْ لَاتُجِيبُ سُؤَالِي
عَجِبْتُ لَهَا تُهْدِي - عَلَى النَّوْمِ - وَصْلَهَا
وَلَوْ وَصَلَتْ يَقْظَى لَزَالَ خَبَالِي
أَأَقْنَعُ مِنْ " لَيْلَى " بِطَيْفِ خَيَالِهَا
وَهَلْ يَقْنَعُ المُضْنَى بِطَيْفِ خَيَالِ؟
عَلَى أَنَّهُ رَوَّى غَلِيلَ جَوَانِحِي
وَرَوَّحَ أَحْشَائِي ، وَأَنْعَمَ بَالِي
وَكَيْفَ اهْتَدَى - واللَّيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ -
إِلَى طَلَلٍ رَثِّ المَعَالِمِ بَالِي
وَمَاهِيَ إِلَّا غَفْوَةٌ قُلْتُ بَعْدَهَا
لِنَفْسِي : عَزَاءً قَدْ خُدِعْتِ بِآلِ (٢)

ولو كنت أدرى أنه الطيف صنته
بجفنى إذاً لم أسمح له بزيال

ويدور الحوار بينه وبين طيف الحبيب ، ويحمله رسالة إلى محبوبته يصف فيها مايعانى من تباريح الشوق ، وألم الفراق ، وما آل إليه جسده تبعا لذلك ، علّها تسمع من هذا الرسول فتشفق عليه وترفق به فيكون الوصال بعد الصد ، فى قوله :(٣)

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .
(٢) الآل : السراب .
(٣) أغاريد السحر ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

فَيَاطَيْفَ " لَيْلَى " قُلْ لِلَيْلَـــى : تَدَارَكِـــنْ
حُشَاشَةَ صَـبٍّ آذنَتْ بِـــــزَوَالِ
وَصِفْ مَا أُلَاقِـــى مِنْ لَوَاعِـــجِ حُبِّهَـــــا
فَإِنَّكَ أَدْرَى العَالَمِيْـــنَ بِحَالِـى
وَحَـــدِّثْ وَلَاتَحْـــرَجْ عَنِ الشَّـــوْقِ وَاقِـــدًا
بِقَلْبِـى ، وَعَنْ سُهْدِى ، وَفَرْطِ هُزَالِى
بِرَبِّـكَ قُلْ يَا " لَيْلُ " إِنِّـــى وَجَدْتُـــهُ
ـ كَمَا قَالَ عَنْهُ الشِّعْرُ ـ عُوْدَ خِلَال
فَرِفْقًـا بِهِ ! لَا أَنْـتِ وَاصِلَـــةٌ لَـــــهُ !
وَلَا قَلْبُهُ يَا " لَيْلُ " عَنْكِ بِسَالِـى

وبلغ من حبه لها وتعلقه بها إستعذاب هذا الصد والتمنع الـــذى يلهب وجدانه ويلهمه هذا البوح الشعرى الرقيق يقول :(١)

أَنَـا أَهْـوَاكِ لَا أُرِيْـدُ جَـزَاءً غَيْرَ أَنْ تَسْمَعِـى شَجِـىَّ لُحُوْنِـى
أَنَا أَهْـوَاكِ لَسْتُ أَبْغِىْ سَـوَالاً غَيْرَ هَذَا الجَوَى يُغَذِّى فُنُوْنِـى
أَنَـا أَهْـوَاكِ إِنْ عَدَلْتِ وَإِنْ جُـرْ تِ فَجُوْرِى مَاشِئْتِ كَىْ تُلْهِمِيْنِـى
أَنَـا أَهْوَاكِ إِنْ بَخِلْتِ وَإِنْ جُـدْتِ (م) فَلَا تَأْبَهِىْ لِدَمْعِـى الهَتُـوْنِ

وتستمر قصة حب شاعرنا لمحبوبته التى كانت تبادله الغرام ، وإلـى جانب ذلك تبالغ فى الصد والتمنع وقد يكون مرد ذلك الى بيئتها المحافظـة ويبدو أنها تنتمى الى " الصعيد " وقد ألمح الشاعر إلى ذلك فى تقديمـــه

---

(١) ديوان أغاريد السحر لعلى الجندى ص ٣٣٦، ٣٣٧ .

لقصيدة (الحلاوة إلى الحلاوة) وكانت تحب لونا من الحلوى الصعيدية قوامها الشهد ، فأرسل اليها هدية منها مصحوبة بهذه الأبيات [١] :

هَدِيَّةُ صَبٍّ بَرَتْهُ نَوَاكِ ... مُعَنىً مُنَى نَفْسِهِ أَنْ يَرَاكِ
فَجَاءَتْكِ تَحْمِلُ (بِنْتَ الشَّهَادِ) ... سَلَامًا وَتَلْثُمُ عَنْ فِيْهِ فَاكِ
لِحُسْنِكِ حُسْنُ ذَوَاتِ الحِجَالِ ... فِدَاءٌ وَهُنَّ جَمِيْعًا فِدَاكِ

وتتوالى - بعد ذلك - اللقاءات والأحاديث بينهما ، وتنشغل عن مقابلته ذات يوم فتعتذر بمرض أبيها ، فيواسيها ويواسى نفسه بهذه الزفرات قائلا: [٢]

إِنْ يَكُنْ مُضْنًى فَإِنِّي ... مُدْنَفُ مُضْنَى الفُؤَادِ
أَوْ يَقُلْ " آهٍ " فَآهُ ... قَدْ نَفَتْ عَنِّي رُقَادِي
يَا حَبِيْبًا " لِحَبِيْبٍ " ... وَصْلُهُ كُلّ مُرَادِي
عُدْ كَمَا كُنْتَ مُعَافًى ... كَيْ أُعَافَى مِنْ سُهَادِي

وإذا كان الصد والتمنع أليما على النفس فساعة الرحيل أمر وأقسى ، وفى مواقف الوداع تصعّد الزفرات وتُستبق العبرات - لاسيما بين المحبين - وقد عبر عن ذلك المتنبى قائلا : [٣]

---

(١) أغاريد السحر ص ٣٠٥ .

(٢) " " ص ٣٠٢ .

(٣) ديوان ابى الطيب المتنبى حـ ١ ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

وَجَـلَا الوَدَاعُ مِنَ الحَبِيْبِ مَحَاسنًا
حُسْنُ العَـزَاءِ ، وَقَدْ جُلِيْنَ قَبِيْـحُ
فَيَـدٌ مُسَلِّمَـةٌ وطَـرْفٌ شَاخِـصٌ
وحَشَـىً يَذُوْبُ وَمَدمَـعٌ مَسفُـوحُ

وها هو "الجندى" يودع محبوبته - بعد أن عرض لها سفر مفاجىء بالقطار - مصورا خفقات قلبه وخطرات نفسه فى قوله :(١)

يَا "قِطَارَ الهَوَى" عَلَيْكَ مِنَ اللّٰـهِ (م)
سَـلَامٌ ؟ وَلَاعَـدَاكَ الأَمَـانُ
سِرْ وَئِيْـدًا لَاتُزْعِـجِ القَمَـرَ البَـدْ
رَ فِـدَاهُ الأَرْوَاحُ والأَبْـدَانُ
دُرَّةٌ فِيْـكَ لَـوْ شَرَاهَـا بِمَـا ضَـمَّ (م)
"عُمَانُ" لَقَـرَّ عَينًـا "عُمَـانُ"
أَوْ مَـأَتْ بِالـوَدَاعِ فَانْتَفَضَ القَلْـبُ (م)
وَجَـادَتْ بِدَمْعِهَـا الأَجْفَـانُ

وَلَـوَتْ بِالسَّـلَامِ عُنَّـابَ كَفَّيهِـنَّا (م)
وَهَـلْ يُقْنِعُ المَشُوْقَ البَنَـانُ ؟

ولقد أراد شاعرنا لصاحبته ان تكون له دون شريك وبلغ من حبه لها أن كان يغار عليها من كل شيء .. يقول :(٢)

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٣٠٤ .
(٢) " " " ص ٣٢٦ .

أَخَافُ عَلَيْهَا كُلَّ عَيْنٍ ، فَإِنْ رَنَتْ
لَهَا أَعْيُنٌ عَانَيْتُ وَخْزَ نِصَالِ

حتى أنه يغار عليها ممن لايعقل قائلا :[1]

" أَبَحْرَ الرُّومِ " أَنْتَ اليَوْمَ خَصْمِي
فَمَالَكَ فِي " وِدَادِي " مِنْ نَصِيبِ
وَدِينِي الحُبُّ ، لَكِنْ لَسْتُ أَهْوَى
- عَلَى الأَيَّامِ - مَنْ يَهْوَى حَبِيبِي
كِلَانَا مُغْرَمٌ بِالغِيدِ صَبٌّ
وَلَكِنِّي أَعِفُّ ، وَلَا تَعِفُّ
لَكَ الآلَافُ مِنْ بِيضٍ وَسُمْرٍ
وَلِي أَلْفٌ عَلَيْهِ الحُبُّ وَقْفُ
* * *
أَنَا الغَيْرَانُ مِنْكَ وَمِثْلُ " لَيْلَى"
عَلَيْهَا مَنْ يَهِيمُ بِهَا غَيُورُ
أَتُوسِعُهَا اعْتِنَاقًا والتِزَامًا
وَتَجْشِيمًا وَقَلْبِي لَايَثُورُ ؟

وتنتهى قصة هذا الغرام نهايةمأساوية مؤلمة عندما تخبره محبوبته بأنها خطبت بالأمس- كما يقول فى مقدمة قصيدته (فجيعة العاشق) - فيصدم لهذا الخبر ، ولكنه (يتكلف الهشاشة ويبالغ فى تهنئتها ويتمنى السعادة للخطيبين ويسترسل فى كلام كهذيان المحموم) [2] ويكون ذلك آخر العهد

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ .
(٢) " " " ص ٣٤٨ .

بحبه وإن لم يكن آخر العهد بآلامه .

إنه يضحى أمام هذه المأساة بحبه وعاطفته مقابل نداء الواجب ملتقيا بذلك مع الاتجاه الكلاسيكى الذى يدعو لسيادة العقل أمام العاطفة وتغليبه عليها ، وينصح شاعرنا ليلاه بأن تنسى ماكان بينهما من حب ويطالبها بالإخلاص لزوجها متمنيا لها السعادة فى حياتها الجديدة ، يقول[1] فى زواجها من قصيدة طويلة تجمع بين الهناء والعزاء :

" لَيْلَايَ " يُسْعِدُ قَلْبِى أَنِّى أَرَاكِ سَعِيْدَه
فَاسْلِى الهَوَى ، وَتَمَلَّئِى صَفْوَ الحَيَاةِ الجَدِيْدَه

* * *

اليَوْمَ هَجْرُكِ يَنْدَى عَلَى الحَشَا ، فَاهْجُرِيْنِى
يَأْبَى إِبَائِى إِلاَّ أَنْ تُخْلِصِى " لِلْقَرِيْنِ "

* * *

لَا تَذْكُرِيْنِىَ وَانْسَىْ تَحَرُّقِى وَسُهَادِى
فَسَوْفَ أَنْسَاكِ حَتَّى لَاتَخْطُرِى بِفُؤَادِى

* * *

لَا أَكْتُمُ الحَقَّ إِنِّى مَاعِشْتُ لَنْ أَنْسَاكِ
لَكِنْ سَأَحْمِلُ قَلْبِىْ عَلَى الرِّضَا بِنَوَاكِ

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

ويبالغ " الجندى " كثيرا فى تصوير مثاليته عندما يعلن حبه لخطيب " ليلاه " ويحضرنى فى هذا المقام حملة " مجنون ليلى العامرية " الشعواء على زوجها "ورد" وهو فى ذلك قريب من طبيعة البشر ، ولكن "الجندى " يعلل لذلك بأن فؤاده يهوى أى شيء تهواه محبوبته ، ووفاءا لحبها صرح بحبه لخطيب " ليلاه " قائلا : (١)

لَسْتُ الوَفِيَّ " لِلَيْلَى " وَلَسْتُ " قَيْسَ " هَوَاهَا
إِنْ سَاءَنِي أَنَّ " لَيْلَى " مُنَايَ ، نَالَتْ مُنَاهَا

* * *

وَأَيْنَ مِنِّي " قَيْسٌ " وَهْوَ الخَصِيْمُ " لِوِرْدِ "
وَ " وَرْدٌ لَيْلَى " "لِلَيْلَى " مَنَحْتُهُ صَفْوَ وُدِّي

* * *

نَعَمْ فُؤَادِي يَهْوَى مِنْ أَجْلِ " لَيْلَى "الخَطِيْبَا"
وَكَيْفَ يُبْغِضُ قَلْبِي شَخْصًا إِلَيْهَا حَبِيْبَا

ولكن شاعرنا بعد هذه التضحية - التى أحس معها بالألم - يختم هذه الملحمة بصرخة حزينة يائسة قائلا (٢) :

إِدْفِنُونِي حَيًّا - وَهَلْ أَنَا حَيٌّ؟ وَأَرِيْحُوا مُضْنَى الجَوَى مِنْ جَوَاهُ
لَسْتُ آسَى عَلَى صِبَايَ ، وَقَدْ شَا بَ فُؤَادِي فِي عُنْفُوَانِ صِبَاهُ

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٣٥٠ .
(٢) " " " ص ٣٥٥ ومابعدها الى ص ٣٦٢ .

إِدْفِنُونِي حَيًّا فَقَدْ جَفَّ يَنْبُو ... عِي،وَمَاتَ الهَوَى وَخَابَ الرَّجَاءُ
لَا أُرِيْدُ الحَيَاةَ لَيْسَتْ حَيَاتِي ... - بَعْدَ فَقْدِ الحَبِيْبِ - إِلَّا هَبَاءُ

* * *

وبعد .. هذا هو حب " الجندى " الخاص ، أثبته الشاعر فى هذا الديوان وخصه به ، وفيه يصرح بتعلقه بفتاة معينة سماها بعدة أسماء ، لكنه ذكر بأن الإسم الحقيقى ليس منها وبالغ فى كتمانه منتهجا أسلوب التعمية بالأسماء .

ويثبت فيه إشراق الحب فى قلبيهما معا ، وهيام كل منهما بصاحبه شوقا من أول لقاء الى آخر لقاء بينهما ، وعلى ضوء ماتقدم نستطيع أن نقرر أنه كان صادقا فى حبه ، على الرغم من محاولة الأستاذ " محمد صالح سمك"(١) التشكيك فى واقعية هذا الحب ، وليس ذلك عندى بشيء ، فشعره الغزلى فى هذا الديوان ينطق بأنه لم يخرج من قلب سليم من الهوى ، فهو قد تعرض لوقائع الحب الذى يحمل بين طياته مضمون غزل عذرى ، يتمثل فى عشقه لهذه المرأة دون سواها وحرصه الشديد على العفة فى تصوير تجربة الحب والبعد عن الوصف الحسى غالبا ، وقد يصف أحيانا - كما تقدم (٢)- ولكن

---

(١) مقدمة ديوان أغاريد السحر ص ٣٧ .

(٢) أنظر ص ١٠٨ من البحث وأستطيع القول هنا بأن وصفه الحسى فيها لم يتعد هذه الابيات اضافة إلى البيتين السابقين ، يقول من قصيدة " عبث الغيد ص ٢٨٥ " : وَهْوَ إِنْ مَاسَ خَشِيتُ الْمَتْـ ... ـنَ يَصْرَعُ خَصْرَهْ
ويقول : فى " وديعة القطار " ص ٣٠٢ :
خَطَرَتْ كَالغَزَالِ فَاهْتَزَّ أَعْلَا ... هَا وَمَاجَتْ مِنْ تَحْتِهَا الكُثْبَانُ

وصفه لايطول ومرد ذلك الوصف أن الشاعر فى كثير من الأحيان يستطيع حفظه وروايته ويعصى ذوقه وطبعه وهو فى ذلك لايعبر عن شخصه ولكن عن سواه . وهو فى ذلك ينزع فى قوس كثير من الشعراء العذريين الذين لم تخل أشعارهم من الوصف المادى ونجد ذلك عند زعيم المدرسة العذرية " جميل " حيث يقول (١)فى بثينة :

سَبَتْنِى بِعَيْنَىْ جُؤْذَرٍ وَسْطَ رَبْرَبٍ
وَصَدْرٍ كَفَاشُورِ الرُّخَامِ وَجِيْدِ

ويقول (٢) فى موضع آخر :

خَلِيْلَىَّ عُوجَا اليَوْمَ حَتَّى تُسَلِّمَا
عَلَى عَذْبَةِ الأَنْيَابِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ

ويقول : " عروة بن حزام " فى " عفراء " :

كَأَنَّ وِشَاحَيْهَا - إِذَا مَا ارْتَدَتْهُمَا
وَقَامَتْ - عَنَانًا مُهْرَةً تَلِسَانِ

ومن ناحية أخرى نلاحظ ذلك التدفق العاطفى الحزين من شاعرنا عند الشكوى ومواقف الهجر والتوديع والعتاب والحديث عن الجنون والموت بعد

---

(١) ديوان جميل ص ٦٦ .
(٢) ديوان جميل ص ١٠٢ .

تجربته الممتلئة بالألم، وتعذيب النفس من جراء الحب ، وهذا كله من سمات الغزل الصادق والحب الحقيقى الذى يحاول فيه الشاعر أن يتغلب على شهوته ويسيطر عليها ويبتعد بها عن الفحش والإبتذال .

وفى نهاية هذا الحب يشير الشاعر إلى أنه ظل وفيا لها شعرا وحبا (١) وقد أشار إلى هذا الوفاء - خارج هذا الديوان - فى أكثر من موضع ، فنجده يدور حوله عندما يتغزل فى سواها ، فتثور عواطفه ومشاعره الدفينة لتلك الذكريات التى يحاول مجددا كظمها فى قلبه ، ولنستمع إلى ذلك فى خطابه (لبائعة الكازوزة الحسناء) حيث يقول :(٢)

دَعِيْنِي فَمَالِيَ وَالهَوَى ؟ - قُتِلَ الهَوَى -
أَلَمْ يَكْفِ مَاحُمِّلْتُ فِى زَمَنٍ غَبَرْ
فَلاَ تَنْكَئِي قَرْحًا بِقَلْبٍ دَمَلْتُهُ
عَلَى لَوْعَةٍ حَرَّى وَوَجْدٍ قَدِ اسْتَتَرْ
سَقَى الغَيْثُ عَهْدًا! كَمْ دَعَانِى بِهِ الهَوَى
فَلَبَّيْتُ! لاَ أُعْنَى بِمَنْ لاَمَ أَوْ عَذَرْ
كَأَنَّ فُؤَادِى يُسْعَرُ الجَمْرُ فَوْقَهُ
إِذَا عَادَتِ الذِّكْرَى! وَيُوْخَزُ بِالإِبَرْ

ويظل شاعرنا وفيا لهذا الحب عندما تعاوده ذكريات الأيام التى خلت وكأنى به فى ذلك يحاول أن يجد سبيلا لبلوغه والوصول إليه عندما يصعد

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٣٥٥ .

(٢) ديوان الحان الاصيل ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

زفراته قائلا :[1]

وَهَلْ هُوَ يَذْكُرُ أَنِّي لَهُ
- وإِنْ بَعُدَتْ دَارُهُ - أَذْكُرُ
وَأَنِّي بِدِيْنِ الهَوَى مُؤْمِنٌ
إِذَا كَفَرَ النَّاسُ لاَ أَكْفُرُ
وَأَنِّي - بَعْدَ السِّنِيْنِ الطِّوَالِ -
أُحَاوِلُ سَلْوَى فَلاَ أَقْدِرُ
وَإِنْ قُلْتَ : مَاتَ الهَوَى ، عَادَنِي
مِنَ الشَّوْقِ عِيْدٌ بِهِ يُنْشَرُ[2]

ويثبت حنينه لحبه الأول بعد تنقله بقلبه - العاشق - من موطن لآخر معترفا بذلك فى هذا البوح الشعرى[3] :

لَئِنْ كَانَ حُبِّيْهِ نِدَاءَ طَبِيْعَتِي
لَقَدْ كَانَ حُبِّي فِي سِوَاهُ تَكَلُّفَا
إِذَا مَا صَرَفْتُ الحُبَّ عَنْكِ ، هَفَا بِهِ
إِلَيْكِ فُؤَادٌ لَمْ يَجِدْ عَنْكِ مَصْرِفَا

---

(١) ترانيم الليل ص ١٨٨ .

(٢) العيد : ما اعتادك من هم أو مرض أو حزن ونحوه .

(٣) ترانيم الليل ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

الحب فى نظر الشاعر :

والحب فى نظر شاعرنا مقسم إلى أربعة أقسام - كما يقول - (حب غرام ، وحب إعجاب ، وحب شفقة ، وحب شكر)[١] .

وحديثنا السابق كان عن النوع الأول وهو حب الغرام الذى ذهب ولم يبق منه سوى الذكريات لدى الشاعر .

أما الألوان الثلاثة الأخيرة من الحب التى ذكرها الشاعر وهى حب الإعجاب والشفقة والشكر فإنها تأتى فى المرتبة الثانية بعد حب الغرام الذى يقول عنه الشاعر أنه قد انتهى معللا لذلك بأن الانسان لايعشق إلا مرة واحدة [٢] ، ويدلل الشاعر لهذه الألوان الثلاثة بما قاله فى الشاعرة السورية الدكتورة / طلعت الرفاعى[٣] ، التى يتحدث عنها قائلا :

(أنا معجب بهذه الشاعرة المرموقة ، ذات المواهب العالية ، والعواطف الخصبة ، والذكاء اللماح ، والأخلاق النبيلة السامية ، الشاعرة

---

(١) أنظر خمسة ايام فى دمشق الفيحاء لعلى الجندى ص ١٠٩ .
(٢) " " " " " " " ص ١١٨ .
(٣) شاعرة سورية ولدت فى دمشق وتعلمت فيها ، ودرست الحقوق فى جامعة باريس وحصلت على الدكتوراه فى الحقوق والعلوم الاقتصادية والسياسية ، واشتركت فى العديد من المؤتمرات العربية والدولية وفى مهرجانات الشعر العربية فى دمشق والقاهرة وبغدادوغيرها ، والتقى بها الشاعر لأول مرة فى دمشق أثناء انعقاد المهرجان الشعرى الأول سنة ١٩٥٩م .
أنظر فى ذلك كتاب خمسة أيام فى دمشق الفيحاء لعلى الجندى ، (مصادر الادب النسائى فى العالم العربى الحديث للدكتور: جوزيف زيدان ص ١١٣ . ط الاولى ، ١٩٨٦م جدة .

التى تجمع بين نقيضين لايجتمعان إلا لأبناء وبنات عبقر ، فن الإحصاء ، وفن الشعر ، وأنا مشفق على هذه الريحانة النضرة شفقة تسبب لى الأرق والقلق وأتمنى أن تعمر عشا سعيدا هادئا ، يليق بمزاجها الرقيق وقلبها الشفيق[١])

ثم إنه يعلل لما قاله فيها من مدح وغزل مؤثر - يعرب عن قلب قرحته الصبابة، وكبد ندبها الوجد - بأنه لايمكن مدح فتاة شابة جميلة دون ذكر محاسنها التى هى قبل كل شيء مصدر سحرها وفتنتها ، ومهما بلغت الأنثى من الرقي العلمى والأدبى ، فلن تنسى أنها أنثى ، تأثيرها الأول فى الرجل مرده إلى جمالها الحسي ويدّعى بأن غزله فيها ماهو إلا وسيلة متعمدة لتجليه محاسنها الحسية [٢].

وهو بهذه التقسيمات الجديدة للحب يحاول التفريق بين حب الغرام القديم - الذى لم تندمل جروحه بعد - وبين هذا الحب الجديد الذى يطلق عليه حب اعجاب وشفقة وشكر ، متجاهلا بأن هذه الامور يمكن تحققها فى أى شيء من الأشياء العادية ، ولكن حينما يتصل الأمر بفتاة حسناء ذات مواهب تزيد فى فتنتها من شاعر لا يستطيع أن يستغنى عن عاطفة الحب فان هذه الضروب من الحب - على فرض التسليم - تستحيل شيئا واحدا لايقبل التجزئة هو الحب بمعناه الحقيقى . ويبدو لى أن حب الشاعر لهذه الفتاة كان من طرف واحد فقط لذلك نجده يتحرج عن الإفصاح عنه باطلاق هذه المسميات بعد أن رأى أن لا أمل له فى هذا الحب الذى تنقصه سمة التكافؤ وهو الذى وخطه الشيب ومثله يحتكم الى العقل فى هذه الأمور ولكنه مع هذا لم يستطع أن يحجب ما يتخالج فى عقله الباطنى .

---

(١) خمسة أيام فى دمشق الفيحاء ص ١١٨ .
(٢) " " " " " ص ١٢٣ .

ولنستمع إليه فى هذه الأبيات من قصيدة بعنوان (الى ورقاء جِلَّق) - بلغ عدد أبياتها مائة وتسعة أبيات - يهديها إلى (طلعت الرفاعى) ويبدأها بالثناء على مدينة (دمشق) لأنها أنجبت مثل هذه الفتاة الحسناء، ويثنى بالنسيب الذى يبث من خلاله لواعجه ، مما لايدع مجالا للشك بأنه كلف بهذه الفتاة مغرم بها ، فيشكو ويتعتب من صدودها قائلا [1] :

شَكَرْنَا " لِفَيْحَاءِ الجِنَانِ " صَنِيْعَهَا
وَبَعْدَ ثَنَائِى إِنَّنِى أَتَعَتَّبُ
سَأَشْكُو إِلَيْهَا مَاجَنَى - غَيْرَ عَامِدٍ -
عَلَىَّ بِهَا ظَبْيٌ أَغَنُّ مُرَبَّبُ
رَقِيْقٌ مُحَيَّاهُ . بِزَنْبَقِ " دُمَّرٍ "
مُحلَّى . بِوَرْدِ " الغُوْطَتَيْنِ " مُنَقَّبُ
رَمَى حَاسِرًا بَادِى المَقَاتِلِ دَارِعٌ
دُرُوعَ الصِّبَا شَاكِى السِّلَاحِ مُدَرَّبُ
إِذَا جَحَدَتْ عَيْنَاهُ مَاسَالَ مِنْ دَمِى
" فَمِعْطَفُهُ " قَانٍ بِهِ ، مُتَخَضِّبُ
يَصُدُّ حَيَاءً أَوْ يَصُدُّ مَخِيلَةً
وَتَفْتِيْرُ جَفْنَيْهِ لَنَا يَتَحَبَّبُ
شَهِىٌّ لَدَيْنَا وَعْدُهُ وَهْوَ كَاذِبٌ
وَمُجْدِ عَلَيْنَا بَرْقُهُ وَهْوَ خُلَّبُ

---

(١) خمسة أيام فى دمشق الفيحاء ، ص ٢٣٥ .

وَيَحْلُو تَجَنِّيْهِ لَنَا ، وَهْوَ مُسْقِمُ
وَيَفْتِنُنَا إِدْلَالُهُ وَهْوَ مُنْصِبُ (١)
حَبِيْبٌ إِلَيْنَا كُلُّ شَيءٍ يُحِبُّهُ
- وإِنْ سَاءَ - حَتَّى هَجْرُهُ وَالتَّجَنُّبُ

ويبدو أن فى قلب الشاعر جروحا من حبه القديم - لم تندمل بعد - نكئت بهذا الحب الجديد ، وتتبادر إلى ذهنه هذه تلك الذكريات - السابقة - ويختلط بعضها ببعض ، وتسرى حرارة العاطفة الجديدة إلى العاطفة القديمة فيلتهبا معا فى قوله :(٢)

هَوَى طَارِفٌ أَحْيَا تَلِيْدًا مِنَ الهَوَى
فَشَبَّ لَظَى قَلْبِى عَلَيْهِمَا يُقَلَّبُ
غُلِبْتُ عَلَى أَمْرِى بِبُلْبُلِ أَيْكَةٍ
يُغَنِّى فَيَحْتَازُ العُقُوْلَ وَيَسْلُبُ

وفى قصيدته الثانية " إلى صاحبة المعطف الأحمر "(٣) يتغزل الشاعر بهذه الفتاة التى يقول عنها : بأنها أنقذته من الموت الأحمر ، بمعطفها الأحمر ، ويذكر قصة هذا " المعطف " الذى أنقذه من الهلاك وحماه من شدة الأمطار فى تلك النزهة قائلا :(٤)

---

(١) منصب : متعب من النصب .
(٢) خمسة ايام فى دمشق الفيحاء لعلى الجندى ص ٢٣٧ .
(٣) هذه القصيدة أثبتها الشاعر فى كتابه (خمسة أيام فى دمشق الفيحاء) كاملة ، ثم نشرت فى ديوانه (فى ظلال القمر) بعد وفاته ناقصة .
(٤) ديوان فى ظلال القمر " لعلى الجندى " ص ٣٧٤ ، خمسة أيام فى دمشق الفيحاء ص ٢٢٩ .

قَدْ حَمَانِي مِنَ المَطَرْ وَوَقَانِي مِنَ الخَطَرْ
مِعْطَفٌ أَحْمَرُ نَضِرْ لِمَهَاةٍ مِنَ الخَضَرْ

ويقول (١) :

كَانَ دِرْعِي مِنَ الخَطَرْ وَمِجَنِّي مِنَ الضَّرَرْ
حِيْنَمَا صَوْبُهَا انْهَمَرْ حِيْنَمَا رَعْدُهَا زَأَرْ
حِيْنَمَا بَرْقُهَا زَفَرْ وَالرَّدَى الحَتْمُ مُنْتَظَرْ

ويتحدث الشاعر عن جمال صاحبة المعطف ووجده وهيامه بها فيقول :(٢)

يَاجَمِيْلاً عَلَى الكِبَرْ رُدَّ لِي رَوْنَقَ الصِّغَرْ
يَا صَبَاحًا إِذَا سَفَرْ وَقَطَاةً إِذَا خَطَرْ
يَاغَزَالاً إِذَا نَفَرْ وَحَمَامًا إِذَا هَدَرْ
يَاجَحِيْمًا إِذَا هَجَرْ وَنَعِيْمًا إِذَا حَضَرْ

* * *

أَمَرَ الْقَلْبَ فَأْتَمَرْ وَنَهَى الصَّبْرَ فَانْحَسَرْ
وَدَهَى الْجَفْنَ بِالسَّهَرْ وَدَعَا الوَجْدَ فَاسْتَعَرْ

---

(١) ديوان فى ظلال القمر ، لعلى الجندى ص ٣٧٧ .
(٢) " " " " " ص ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

نَكِدُ وَصْلُهُ عَسَرْ دَمُ أَحْبَابِهِ هَدَرْ
مَا قِرَاهُ لِمَنْ جَسَرْ غَيْرَ مَا يِسْرِقُ النَّظَرْ

ومن ذلك نخلص إلى أن الشاعر قد أحب هذه الفتاة (حب غرام) ودليلنا على ذلك ماقاله فيها من غزل يحمل كثيرا من اللوعة والشكوى التى تعتلج بقلبه ، على الرغم من محاولته بتلك التقسيمات حجب مايتخالج بنفسه لهذه الفتاة ، ولست أدرى لم يحاول الشاعر ذلك ؟ إذ ليس من العار على شاعر مثله أن يحب ولاسيما إن كان حبه - كما نعهد - حبا صافيا نقيا ، بل إننى أرى أن فى تلك التقسيمات دليلا على لوعة الشاعر وصدق ماذهبنا إليه ، وها هو الشاعر يحاول الإنسحاب من حبه لـ (طلعت) بعد أن إحتكم إلى عقله ، فرأى - بالإضافة إلى كون الحب من طرفه هو - أن هذا الحب غير متكافىء من ناحية السن ، وغير مناسب من حيث وقار الأستاذية التى يحرص عليها ، ويساعدنا على ذلك قوله : (١)

وَقَالُوا صَبَا أَوْ قَدْ تَصَابَى ، وَفَوْدُهُ
يَصِيْحُ بِهِ بَازٍ مِنَ الصُّبْحِ أَشْهَبُ
فَأَيْنَ وَقَارُ (فَاطِمِيُّ) يَزِيْنُهُ
وَأَيْنَ تَقَالِيْدُ مِنَ الصَّخْرِ أَصْلَبُ
عَلَى رِسْلِكُمْ إِنِّى عَلَى العَهْدِ لَمْ أَحُلْ
وَمَا مَالَ بِى عَنْ جَانِبِ الحَقِّ مَأْرَبُ
سِوَى أَنَّ قَلْبًا شَاعِرِيًا حَمَلْتُهُ
يُرَاوِحُهُ رَوْحُ الجَمَالِ فَيَطْرَبُ

---

(١) خمسة أيام فى دمشق الفيحاء ص ٢٢٦ .

لِـــيَ اللّـــهُ مِنْهُ كَمْ نَصَحْتُ وَكَمْ أَبَـــى
عَلَيَّ ، وَكَمْ يَجْنِـى وَبِالذَّنْبِ أُعْصَـــبُ
فَمَنْ يَشْتَرِيْهِ ؟ مَنْ يُبَدِّلُنِـــى بِـــهِ
صَفَاةً فَلَا أَشْقَـــى وَلَا أَتَعَـــــذَّبُ
فَظُنُّوا جَمِيْلًا بِى وَخَيْـــرًا فَإِنَّنِـــى
مُؤَدِّبُ أَجْيَـالٍ ، وَإِنِّـــى مُـــؤَدَّبُ
وَأُسْتَـاذُ أُسْتَاذِيْـــنَ ، كُـلٌّ بِأُفْقِـــهِ
عَلَى اللَّيْـلِ نَجْمٌ بَاهِـرُ الضَّوْءِ يَثْقُبُ

مذهب الشاعر فى الجمال والحب والغزل :

عشق (الجندى) الجمال فى شتى صوره ، وتغنى به غناء عفا مهذبـــا ، لايجرح الفضيلة ولا يدعو الى التحلل ، والحب والغزل عنده من شيم النفـــوس الكريمة يرقق الحاشية ويهذب الطباع .

ويتفلسف الجندى فى نظرته للحب والجمال ، فبعد أن قسم الحب إلـــى (حب غرام ، وحب اعجاب ، وحب شفقة ، وحب شكر) - كما تقدم[1] - نجـده يقسم الجمال الى أربعة أقسام : (جمال يفعم النفس صوفية وروحانيـــة ، وجمال يوحى بالعطف والرحمة والشفقة ، وجمال يثير الإعجاب ، وجمال يغـرس فى القلب الشهوة وهو أنزلها مرتبة)[2] ، ويخص النوع الأول بالحديـــث مشترطا له عدة معايير :

(١) أنظر ص ١٣١ وما بعدها من البحث.
(٢) خمسة أيام فى دمشق الفيحاء ص ١٣٣ .

فمن ناحية الجمال : يفضل أن يرتفع إلى درجة غير عادية يسبغ على صاحبه وقارا وروعة ويكسبه هيبة ورواء ويذكر بخالقه ويجعل النظرة إليه رشيدة سديدة بريئة .

ومن ناحية الجميل : يرى بأن يكون على قدر عظيم من الأخلاق الرفيعة والتوقر ، والتصون ، والثقافة ، فذلك مما يرفعه ويعلى قدره فى عين محبه ويرى (أن ذلك يحصنه من إمتداد عين المحب اليه ، وطموح نفسه ، وشره طبعه ، ويحسم طمعه فيه ، ويجعله يقنع منه بالكلمة والبسمة والجلسة بل يقنع منه بأن يشعره بأنه راض عنه ، وأن يعتقد أنه متوله فيه ، ولا عليه بعد ذلك أن يهجره أو يعد عنه أو يفتن فى إيلامه)[1] .

أما من ناحية المحب : فيرى أن الناس يتفاوتون فى ذلك بحسب اختلافهم فى التربية والمزاج ، والطبع ، والتدين ، والبيئة ، والقدرة على قمع النفس والتحكم فى الاهواء . فمنهم الشهوانى الذى ينجرف خلف غريزته دون وازع من دين أو ضمير أو شرف . ومنهم المعدّل الأخلاط ، المهذب المزاج ، الذى يملك زمام نفسه ويصرفها كما يشاء فيقودها ولا تقوده ، ويوفى بها على الغاية من الورع والإستعصام .[2] .

ويذهب الشاعر ، الى أن هذه المعايير - وهى روعة الجمال وروحانيته وتحصن الجميل بالثقافة والخلق العاليين - إذا التقت مع أدب المحب وكماله وشرف نفسه كونت شيئا نادرا جدا هو (الحب العذرى) الذى يصدر عن تنزيه

---

(١) خمسة ايام فى دمشق الفيحاء ص ١٣٤ .
(٢) " " " " " ص ١٣٤ .

الحبيب عما يحط من شأنه ويجعله كسائر الناس ، ويسمو به إلى مستوى الحب الذى يحمله له المحب ويؤثره به .

ويؤدى إلى حمل النفس على اليأس والحرمان من الحبيب والرضاء بذلك والتلذذ به .(١)

وكل هذه التقسيمات دلائل واضحة على دقة الشاعر ورهافة حسه عندما يتناول ذلك فى شعره ـ وهو المهم عندنا ـ ونجده مولعا بكل جمال تقع عليه عينه ويملك عليه لبه ، يعشق الجمال ويتغنى به فى احتشام ورقة قائلا :(٢)

أَنَا الهَزَارُ الَّذِى مَلَاحِنُهُ ... تَسْبِيْحُهُ ، وَالجَمَالُ أَيْكَتُهُ
لَا يَعْرِفُ الفُحْشَ فِى تَغَزُّلِهِ ... وَلَا تَرِيْبُ الحِسَانَ خَلْوَتُهُ
" رِضْوَانُ " مُوحٍ لَهُ وجَنَّتُهُ ... وَغَيْرُهُ " عَبْقَرٌ " وَجِنَّتُهُ

ويشترط العفة فى الحب قائلا : (٣)

وَمِنْ شَرَفِ الحُبِّ : أَنَّ المُحِبَّ ... يَعِفُّ اخْتِيَاراً ، وَلَا يَأْثَمُ
وَلَا يَتَعَدَّى حُدُودَ المُبَاحِ ... إِذَا غَيْرُهُ شَاقَهُ المَحْرَمُ
وَلَيْسَ يُصِيْخُ لِدَاعِى الخَنَى ... سِوَى عَاشِقٍ ، قَلْبُهُ مُظْلِمُ
وَيَسْقُطُ فِى الحُبِّ فَسْلُ الرِّجَالِ ... وَيَسْتَعْصِمُ البَطَلُ المُعْلَمُ

---

(١) أنظرخمسة أيام فى دمشق الفيحاء ص ١٣٤ ، حديثنا عنه فى بداية النسيب ص١٠١ ، ص١٠٢ .
(٢) ديوان ترانيم الليل لعلى الجندى ص ٢٢٩ .
(٣) ترانيم الليل لعلى الجندى ص ٣١٢، الفسل : كنسل : الرذل الذى لامروءة له ـ المعلم : الذى أعلم نفسه فى الحرب بعلامة حتى يعرف بشجاعته .

ويفتتن شاعرنا بالجمال ويتفاعل معه فى شتى صوره ، ويجد فيه مصدرا لايحائه الشعرى فى قوله [١] :

وَإِنِّى لَمَفْتُونٌ بِكُلِّ خَرِيدَةٍ
وَإِنْ كُنْتُ لاَ أَرْضَى اقْتِرَافَ الْمَآثِمِ
يُؤَرِّقُنِى فِى اللَّيْلِ إِيْمَاضُ بَارِقٍ
وَيُطْرِبُنِى فِى الدَّوْحِ شَدْوُ الحَمَائِمِ
وَلَوْلاَ الهَوَى لَمْ يَصْفُ عَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ
لِمَا رَاقَ مِنْ دُرِّ القَرِيضِ بِنَاظِمِ

ويلتقط الشاعر بآلته التصويرية ألوانا من الجمال الذى ملأبصره وملك عليه فؤاده ، فينقله إلينا متغزلا بوسائله المجسدة فى أى جميلة ، مثبتا عشقه للجمال فى جميع مظاهره ، فيتغنى بالسمر الملاح قائلا :[٢]

السُّمْرُ أَرْشَقُ عِنْدِى وَهُنَّ بِالحُبِّ أَجْدَرْ
لَمْ أُبْصِرِ السُّمْرَ إِلاَّ هَتَفْتُ : (اللّٰهُ أَكْبَرْ)

ويقول فى إحداهن [٣] :

لِسُمْرَتِكِ الشَّعْرُ غَنَّى اللُّحُونَ
وَصَاغَ لَهَا الحِلْيَةَ النَّادِرَهْ

---

(١) ديوان فى ظلال القمر ص ٢٨٥ .
(٢) ديوان ألحان الاصيل ص ٣١٥ .
(٣) نفسه ص ٣١٦ .

وَقَالَ : هِيَ المِسْكُ فِي لَوْنِهِ الأَحَمِّ وَفِي رِيْحِهِ العَاطِرَهْ
وَإِنْ لَمْ يَنَلْ مِنْكِ غَيْرَ الصُّدُودِ وَإِنْ عَادَ بِالصَّفْقَةِ الخَاسِرَهْ

ويتغنى بالبيض والشقر والسمر فى عشقه للجمال دون تقيد بلون من ألوان الحسن قائلا : (١)

الغِيْدُ زَهْرٌ أَنِيْقٌ تَعَدَّدَتْ رَيَّاهُ
لِكُلِّ نَوْعٍ جَمَالٌ يَسْبِي النُّهَى مَرْآهُ
شُقْرٌ وَبِيْضٌ وَسُمْرٌ دُمَّى جَلاَهَا الإِلٰهُ
فِي أَيِّ شَكْلٍ وَلَوْنٍ تَعْنُو لَهُنَّ الجِبَاهُ

بل إنه يتغنى بفتاة حالكة السواد فتنه جمالها فى قصيدة بعنوان (السوداء الفاتنة) قائلا : (٢)

وَسْوَدَاءُ كَالْفَحْمِ ! لَكِنَّهَا هِيَ المِسْكُ فِي الطِّيْبِ وَالغَالِيَهْ
وَكَاللَّيْلِ تَخْطُرُ فِي حُلَّةٍ مِنَ النُّورِ أَذْيَالُهَا ضَافِيَهْ
مَحَاسِنُهَا قُرَّةٌ لِلعُيُونِ وَسُلْوَانَةُ الأَنْفُسِ العَانِيَهْ

وماكادت تسمع القصيدة السالفة إحدى البيض الحسان حتى احتدمت غيرة وثارت على الشاعر ورمته بسوء الذوق وفساد المزاج فيرد عليها بقوله : (٣)

---

(١) الحان الاصيل ص ٣١٥ .
(٢) " " ص ٣٢٠ .
(٣) " " ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

عَدِيْرِيَ مِـــنْ (نُعْمَ) بَاتَتْ عَلَى نَسِيْبِي (بِمُرْجَانَةٍ) زَارِيَـــةْ
وَضَاقَتْ بِشِعْـــرِي وَأَبْيَاتِـــــهِ وَأَنْكَرَتِ البَحْرَ وَالقَافِيَـــــةْ
وَرَاحَتْ تُؤَلِّبُ بِيْضَ الحِجَـــالِ وَتُشْعِلُهَـــا ثَوْرَةً عَاتِيَـــــةْ
وَتُذْكِي عَلَيَّ سَعِيْـــرَ الحُـــــرُوبِ كَأَنِّيَ مِنَ " الفِئَةِ البَاغِيَـــةْ "

إلى أن يقول :

سَأَنْظِمُ " لِلسُّودِ " دُرَّ النَّسِيْـــبِ وَأَزْهَارَهُ الغَضَّـــةَ النَّادِيَـــةْ
شَوَارِدَ تُشْجَـــى بِهِنَّ الدُّمَـــــى مِنَ البِيْضِ فِي المُدْنِ وَالبَادِيَـــةْ
وَأُصْبِحُ "لِلسُّمْرِ" دَاعِي الدُّعَـــاةِ وَمَاكُنْتُ مِنْ قَبْلِهَـــا دَاعِيَـــــةْ

ويتابع الشاعر تجواله بين أفنان الجمال فينقل إلينا منه فـــــى قصيدته " بائعة الكازوزة [1] الحسناء" صورة حية تنبىء عن رهافة أحاسيسه وتذوقه لمظاهر الجمال فى شتى صوره ، وقدرته على التعبير عن إعجابـــــه بهذا الجمال المتمثل فى هذه البائعة الحسناء التى مر بها عرضا على شاطىء النيل فى إحدى الليالى المقمرة فدعته إلى شرب (الكازوزة) فى رقـــة وبشاشة وحيـــاء ، وتأبى رقة الشاعر إلا أن يرد عليها قائلا : [2]

وَمَخْضُوْبَةُ الأَظْرَافِ ، فَيْنَانَةُ الشَّعْرِ
عَلَى الشَّطِ تَخْطُو فِي دَلَالٍ وَفِي خَفَـــرْ
يَمِيْسُ بِهَا سُكْرُ الشَّبَـــابِ فَتَنْثَنِي
كَغُصْنٍ زَهَتْـهُ الرِّيْحُ أَوْ شَادِنٍ خَطَـــرَ

---

(١) نوع من أنواع المشروبات الغازيّة .
(٢) الحان الاصيل ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

مَرَرْتُ بِهَا كَالطَّيْفِ أَسْتَرِقُ الخُطَـا
أُحَاذِرُ أَنْ أَصْبُو وَهَلْ يَنْفَعُ الحَـذَر
فَمَا رَاعَ سَمْعِيَ غَيْرُ صَوْتٍ مُنَغَّـم
يُخَالُ ـ لِفَرْطِ اللَّيْنِ ـ تَرْنِيمَةَ الوَتَرِ
تَقُولُ ـ وَبَدْرُ التَّمِّ فِي الأُفْقِ مُشْرِقٌ
يُفَضِّضُ تِبْرَ النِّيلِ ـ هَلْ يَشْرَبُ القَمَر؟
هَلُمَّ إِلَى رَاحٍ طَهُورٍ تُدِيرُهَـا
عَلَيْكَ رَدَاحٌ زَانَ أَلْحَاظَهَا الحَـوَر
تَأَلَّفَتِ اللَّذَّاتُ : مَاءٌ وَخُضْـرَةٌ
وَوَجْهٌ كَصُبْـحٍ تَحْتَ جُنْحٍ مِنَ الطُّـرَر
وَهَذَا النَّسِيمُ الرَّطْبُ يَنْفَحُ بِالشَّذَا
فَيَفْعَلُ بِالأَلْبَابِ مَايَفْعَلُ السَّكَـر

ويُغلِّبُ الشاعر جمال الروح على جمال الجسد ويقدمه عليه ، فإذا ما خلى الحسن من الجمال الروحى فإنه يستحيل إلى زخرفة مزيفة قبيحة ، ويعتبر الجمال الحقيقى فى رقة النفس وصفاء القلب وشفافية الإحساس والأخلاق الرفيعة فى قوله : (١)

فَبَصَّرْتِنِي بِالرُّشْدِ حَتَّى رَأَيْتُنِـي
أَعُدُّ جَمَالَ الرُّوحِ أَبْهَى وَأَلْطَفَـا
وَإِنَّ الجَمِيلَ الحَقَّ مَنْ شَفَّ حِسُّـهُ
وَمَنْ نَفْسُهُ رَقَّتْ ، وَمَنْ قَلْبُـهُ صَفَـا

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص ٢٧٥ .

وَأَنَّ جَمَالَ الجِسْمِ إِنْ لَمْ تُحَلِّهِ
خَلَائِقُ غُرٌّ كَانَ قُبْحًا مُزَخْرَفَا
فَإِنْ رَاقَ حُسْنٌ لِلْعُيونِ عَدَدْتُهُ
- إِذَا خَاصَمَتْهُ الرُّوحُ - حُسناً مُزَيَّفَا

ومن منطلق الغيرة على الجمال يدعو الشاعر إلى التصون والتحلى بالأخلاق الرفيعة التى تسمو به وتحصنه من الاعين والأنفس المراض ويحمل حملة شعواء على كل مامن شأنه تعريض هذا الجمال إلى الابتذال الذى يسقطه فى مهاوى الردى ، ويذم المجون والتكشف الفاضح فى إظهار الملاحة لكونه سببا فى جراءة السُّقَاط والمجان على صاحبته قائلا : (١)

صُوْنِي المَلَاحَةَ يَامليحَةُ صَوْنَ حُلْيكِ فِى العِيَابْ
وَلْتَدْفَعِى عَنْ حَوْزَتَيْهَا كُلُّ ذِى ظُفْرٍ وَنَابْ
وَالحُسْنُ يَعْلُوْ قَدْرُهُ إِنْ بَانَ مَمْنُوعَ الجَنَابْ
فَإِذَا تَبَذَّلَ كَانَ شَهْدًا فَوقَهُ حَامَ الذُّبَابْ

ويوجه النصح لفاتنة أظهرت مايجب ستره من محاسنها فى قصيدته (الحسن العارى) مظهرا غيرته على الجمال قائلا: (٢)

قُلْتُ : يَاحَسْنَاءُ هَذَا الْـ حُسْنُ بِالسَّتْرِ قَمِينْ
بَاتَ نَهْبًا مُسْتَبَاحًا لِعُيُونِ النَّاظِرِينْ

---

(١) فى ظلال القمر ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .
(٢) ترانيم الليل ص ١٧٥ .

كَـانَ قَبْـلَ اليَـوْم فِـى حِصْـ ـنٍ مِنَ الصَّـوْنِ حَصِيْـنْ
وَغَـدَا مُبْتَـذَلُ العِـزَّ ـةِ ، لِلذُّلِّ قَرِيْـنْ
كَيْـفَ هَـانَ الحُسْنُ ؟ وَالحُسْـنُ عَزِيْزٌ لَايَهُـونْ
رَتَعَـتْ فِيْـهِ عُيُـونٌ وَرَعَـتْ فِيْـهِ عُيُـونْ
نَهِمَـاتٌ تُعْـرِبُ الشَّهْـوَةُ مِنْهَـا وَتُبِيْـن
كَعُيُـونِ الوَحْـشِ إِنْ لاَ حَ لَهَـا صَيْـدٌ ثَمِيْـن

بل إننا نجده يتعهد هذا الجمال بما يصونه ويحفظه من الشوائب التى تدنسه وتقضى عليه ومن ذلك نصحه فى قصيدة (المدخنات الحسان) وبيانه لمضرة ذلك وتأثيره على جمالهن فيقول :(١)

قُـلْ لِلغَـوَانِـى عَنْ نَصِيْـحٍ م ضَاقَ ذَرْعًـا بِالغَوَانِى!
قَولاً لِوَجْهِ الحُسْنِ أَمْـلاَهُ م الوِدَادُ عَلَى لِسَانِـى
تِلْكَ الثُّغُـورُ الزَّارِيَـا ت عَلَى نَدِيِّ الأُقْحُوانِـى
خُلِقَتْ لِتُنْشِقَنَـا أَرِيْـجَ م المِسْكِ لاَرِيْحَ (الدُّخَـانِ)
تِلْكَ الشِّفَـاهُ الحَائِمَـا تُ عَلَى سُلاَفَتِهَا الأَمَانِـى
عَيِثَ الدُّخَانُ بِحُسْنِهَـا وَالحُسْنُ أَوْلَى بِالصِّيَـانِ
دُونَ " اللُّفَافَة " هُجْنَـةً فِى ثَغْـرِ مَخْضُوبِ البَنَـانِ

---

(١) الحان الاصيل ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

ويغالى الشاعر كثيرا عندما يتحدث عن الجمال على طريقة الصوفية وكان من الأولى له أن يتجنب مثل ذلك .

ونحس بهذا الغلو الذى تورط فيه الشاعر فى مثل قوله :[١]

إِلَهِيَ أَنْتَ الحُبُّ فَاضَ قَدَاسَةً
فَكُلُّ مُحِبٍّ مِنْ سَنَاهُ تَزَوَّدَا
وَأَنْتَ جَمَالٌ ، كُلُّ قَيْسٍ صَبَابَةٍ
رَأَى قَبَسًا مِنْهُ بِلَيْلَى تَوقَّدَا
فَطَابَتْ لِأَهْلِ (الذَّوْقِ) مِنْهُ إِرْتِشَافَةٌ
فَخَرُّوا عَلَى أَذْقَانِهِمْ لَكَ سُجَّدَا[٢]
وآنَسَ أَهْلُ الشِّعْرِ مِنْهُ شُعَاعَةً
فَهَذَا بَكَى شَجْوًا ، وَذَلِكَ غَرَّدَا

ونتلمس هذا الجانب لدى الشاعر فى نظرته للجمال البشرى على أنه رمز لجمال خالقه المبدع - جل وعلا - ، يذكر به ، ويستنطق الأفواه بالحمد والتسبيح والشكر لمصدر هذا الحب والجمال ، فيقول :[٣]

إِنَّمَا هَذِهِ المَلَاحَاتُ رَمْزٌ
لِلْجَمَالِ الَّذِى تَنَاهَى كَمَالَا

---

(١) ترانيم الليل ص ٢٣١ .
(٢) أهل الذوق : يذكر الشاعر بأنه يقصد بهم أهل التصوف .
(٣) ديوان ترانيم الليل ص ٢٥٨ .

فَتَخَشَّعْ إِنْ لَاحَ حُسْنٌ وَسَبِّحْ
وَارْفَعِ الحَمْدَ لِلإِلٰهِ ابْتِهَالاَ
إِنَّمَا اللّٰهُ فِى الحَقِيْقَةِ حُبٌّ
وَجَمَالٌ فَلَا تَقُولُوا : تَعَالَى
مُبْدِعٌ تَنْطِقُ الدَّلَائِلُ عَنْهُ
فِى وُجُوْهٍ تَخَالَفَتْ أَشْكَالاَ

ويقول تحت عنوان (صورة تذكر بخالقها) : (١)

لَيْتَ شِعْرِى ! مَا رَابَنِى مِنْ جَمَالٍ
هُوَ لِلّٰهِ حُجَّةٌ بَيْضَاءُ
رُبَّ حُسْنٍ هَدَى إِلَى خَالِقِ الحُسْنِ (٣)
حَيَارَى لَمْ يَهْدِهِمْ أَنْبِيَاءُ
وَدُعَاءٌ بِاسْمِ المَلَاحَةِ يُزْجَى
تَتَلَقَّاهُ بِالْقَبُولِ السَّمَاءُ
ذَكِّرِينَا يَا " جُمْلُ " بِاللّٰهِ ! فَاللّٰهُ (٣)
جَمَالٌ هَامَتْ بِهِ الأَصْفِيَاءُ

ويخاطب محبوبته متصوفا متعففا بقوله : (٢)

جَمَالُكِ يُغْرِينِى بِأَنْ أَتَعَفَّفَا
وَحُسْنُكِ يَدْعُونِى لِأَنْ أَتَصَوَّفَا

---

(١) ديوان الحان الاصيل ص ٣٠٠ .
(٢) ترانيم الليل ص ٢٧٤ .

وَحُبُّكِ رَهْبَانِيَّةٌ وَتَبَتُّلٌ
وَنُسْكٌ ، كَسَانِي مِنْ سَنَا الْحَقِّ مِطْرَفَا (١)

أَرَاكِ فَتَعْرُوْنِي لِرُؤْيَاكِ خَشْيَةٌ
كَأَنِّيَ أَتْلُو فِي مُحَيَّاكِ مُصْحَفَا

وَأَلْمَحُ وَجْهَ اللّٰهِ فِي لُطْفِ صُنْعِهِ
وَإِبْدَاعِهِ فِيمَا تَجَلَّى أَوِ إِخْتَفَى

ومن ذلك نستطيع القول أن(الجندى) يغالى كثيرا عندما يعتبر التغزل بالجسد فى أى جميلة وسيلة ـ لا غاية ـ منها ينفذ إلى ماهو أدق وأعظم من تلك المحبة التى تتصل بالأجسام إتصالا عارضا ، إنه يتمثل جمال الخالق فى جمال صنعه وإبداعه ، فيقول (٢) :

إِنْ ذَكَرْتُ الغَزَالَ فَاعْلَمْ بِأَنِّي
لَسْتُ فِيمَا ذَكَرْتُ أَعْنِي الغَزَالاَ

هُوَ " لَيْلَى " ـ إِذَا نَسَبْتُ ـ " ولُبْنَى)
(وَسُلَيْمَى) ضَرَبْتُهَا أَمْثَالاَ

لَيْسَ فِي القَلْبِ مَوْضِعٌ لِسِوَاهُ
ضَاقَ قَلْبِي عَنِ الشَّرِيْكِ مَجَالاَ

فَلْيَدَعْنِي عُذَّالُ حُبِّي وَشَأْنِي
لَسْتُ مِمَّنْ يُوَافِقُ العُذَّالاَ

---

(١) المطرف : كمنبر ومكرم : كساء من خز مربع ذو أعلام .

(٢) ترانيم الليل ص ٢٥٨ .

قَدْ حَمِدْنَا وَسِيْلَةً بَلَّغَتْنَا
مَا أَرَدْنَا ، كَمَا حَمِدْنَا المَآلاَ
سِيْرَةُ (الوَاصِلِيْنَ) سِرْتُ عَلَيْهَا
غَيْرَ بَاغٍ ، وَمَا عَدَوْتُ المِثَالاَ
الوُجُوْهُ المِلاَحُ أَبْصِرُ فِيْهَا
وَجْهَ رَبِّي - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - !

وبعد .. فهذه هى أهم ملامح الغزل عند (على الجندى) وهذا هو مفهومه لهذا الفن الذى أغزر القول فيه ، واستطاع أن يعبر فيه عن خلجات نفسه الشاعرة ، وأن يرسم فيه صورة معبرة عن طبيعته وطبيعة الحياة التى عاشها ، محددا بذلك إطار شخصيته الغزلية التى تبرز الينا من صدى علاقاته مع من أحب ، ومن خلال نظرته للحب والجمال التى نحس معها ونحن نقرأ لهذا الشاعر اننا أمام شاعر مرهف الحس ، له ذوقه الخاص فى تناول هذا الفن ، يتغنى بالجمال ويعشقه أنى كان وكيف كان ، يلتزم الصدق فى حبه - على الرغم مما ذكرنا فى تقسيماته للحب - ويعتبره من شيم النفوس الكريمة التى تهذبت طباعها وصفا وجداشها به .

ويغلب على غزل الشاعر التعفف والحرص على الفضيلة والدعوة إلى الإحتشام والسمو بالحب والجمال بعيدا عن الرذيلة ، سالكا فى ذلك مسلك الشعراء (العذريين) ، معبرا عن أخلاقه التى عرف بها وبيئته التى وجد فيها .

٢ - الرثـــــاء

وهو فن يصور به الشاعر الموت ومدى الفجيعة به بلغة يغلب عليهـــا الحزن[١] ، ويتسم شعر الرثاء بالصدق غالبا لانه يعبر عن وجدان قائلـــه مجردا عن الرغبة والرهبة فوارا بالعاطفة الصادقة مؤثرا فى نفوس السامعين .

ويتنوع القصد من غرض الرثاء بين الشعراء فمنهم من يقصد إلهـــاب العواطف وتحريك الأشجان واستنزاف الدموع بتجسيد الكارثة وتفخيم آثارهـــا . ومنهم من يقصد بذكر فضائل المرثى وإبراز صفاته ومآثره تخليد ذكراه والحث على الإقتداء بتلك المحاسن . ومنهم من يقصد العزاء لنفسه أو غيره ممن حل بهم الرزء بذكر فلسفة الحياة والموت وموقف الانسان منها [٢] .

وقد يجتمع كل ذلك عند الشاعر فى قصيدة واحدة متنوعة المقاصـــد . ومراثى الجندى فى دواوينه كثيرة تبلغ إحدى وأربعين قصيدة متنوعة يســـرف بعضها فى الطول بشكل واضح، ويأتى بعضها على شكل مقطعات قصيرة، وكان له فـــى هذا الـــفن ميدان رحب يطلق لنفسه العنان فيه فيبث أشجانه ويحكى أحزانـــه ويبكى بمرارة على أولئك الأصدقاء والخلان الذين حل بهم قضاء الله - عـــز وجل - وكانوا فى حياته ملء السمع والبصر .

---

(١) أنظر كتاب (الأسلوب) لأحمد الشايب ص ٨٥ ط ٧ - ١٣٩٦ هـ مكتبـــة النهضة المصرية .

(٢) أنظر شعر الرثاء العربى واستنهاض العزائم للدكتور عبد الرشيـــد عبد العزيز سالم ص ٦ ، ٧ - ط ١ ١٩٨٢ وكالة المطبوعات - الكويت - ، الأسلوب لأحمد الشايب ص ٨٦ .

ولقد بكى شاعرنا كثيرا من أعلام عصره المتميزين إلى جانب أصدقائه من الأدباء والعلماء وغيرهم . ويُعَدُّ ذلك جزءا من رسالته فى ميدان الشعر[١]. ووفاء منه لأولئك الراحلين،لذلك نجده يدرج قصائده فى الرثاء تحت مسمى (دموع الوفاء) وعن صدق عاطفته ومشاركته الوجدانية فى ذلك يقول[٢] :

كَمْ مِذْيَلٍ بِالأَسَى أَدمعَهُ ... وَهْوَ مُثْرٍ مِنْ مَعَانِى الكِبْرِيَاءْ
وَأَجَلَّ الدَّمْعِ مَا اسْتَنْبَطَهُ ... مِنْكَ دَاعِى الحُبِّ أَوْ دَاعِى الوَفَاءْ

وعندما يرثى (الجندى) يُنبىء عن صدق عاطفته ومشاركته الوجدانية بوضوح تام نلمسه فى كثير من مراثيه .

ولنستمع إليه منشدا فى صديقه الشاعر (محمد الأسمر)[٣] احدى قصائده الطويلة فى الرثاء - والتى تجاوزت المائة بيت - بعنوان (شاعر الازهر) قائلا فى مطلعها :[٤]

خَبِيئَةُ مَوْتٍ لَنَا تَخْتِلُ ... وَحَتْمُ قَضَاءٍ بِنَا يَنْزِلُ
وَمَسْنُونَةٌ مِنْ سِهَامِ الحُتُوفِ ... يُحَادِرُهَا الأَبْيَضُ المِقْصَلُ
تُصِيبُ الكَلَى أَوْ تَشُكُّ الفُؤَادَ ... وَكُلٌّ رَمِيٌّ لَهَا مَقْتَلُ
إِذَا انْبَعَثَتْ فَالرَّدَى حَاضِرٌ ... وَلَوْ قَامَ مِنْ دُوْنِهِ المَعْقِلُ
سَوَاءٌ عَلَيْهَا الكَمِيُّ المُشِيْحُ ... لَدَى الرَّوْعِ وَالحَاسِرُ الأَعْزَلُ

---

(١) أنظر مقدمة ديوان ألحان الاصيل للشاعر ص ٩ .
(٢) ديوان الحان الاصيل لعلى الجندى ص ١٣٣ . (مذيل : مهين) .
(٣) أحد أصدقاء الأستاذعلى الجندى لازمه كثيرا. ويعد من كبار الشعراء فى عصره وله ديوان شعر باسمه ديوان(الاسمر) ولد سنة ١٩٠٠ وتوفى سنة ١٩٥٦م.
(٤) ديوان (فى ظلال القمر)للأستاذ على الجندى ص ١٧٧، ١٧٨ إلى ص ١٨٥ .

إلى أن يقول :

يَغُرُّ الفَتَى أَنَّهُ سَالِمٌ وَللدَّهْرِ فِي عُمْرِهِ مِعْوَلُ
وَتَفْرَحُ بِالنَّسْلِ إِنْ طَرَّقَتْ عَقِيمٌ ، وَلِلمَوْتِ مَا تَنْسِلُ
فَعِشْ مُؤْمِنًا يَعْمَلُ الصَّالِحَاتِ فَأَنْتَ رَهِينٌ بِمَا تَعْمَلُ

فالشاعر هنا لايبدأ بالحديث عن صديقه فى مطلع القصيدة وحياته ومآثره والبكاء عليه بل يبدأ القصيدة بالحديث عن الموت كقوة غالبة على هذه الحياة،سنها الله - عز وجل - منذ بدء الخليقة ولامفر من الموت فكل حى مصيره إلى الزوال مهما تحصن أو تخفى .

وكأن الموت إنذار للجميع يجب أن يتعظوا منه بالمسارعة إلى زيادة العمل الصالح والإيمان الصادق بالله فهو الذى يبقى مخلدا لذكر صاحبه فى الدنيا والآخرة .

ومن المعانى التى تضمنتها هذه الابيات نلحظ جانبا مهما فى هذا الشاعر يتمثل فى إيمانه القوى بالله - عز وجل - وتأثره بكتابه وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ويتجلى ذلك فى البيت الأخير مما سبق .

وبعدَ هذه المشاركة العامة فى الحد ث ، التى نستشفها أيضا من قوله (لِمَا تَخْتُلُ) و (بِنَا تَنْزِلُ) لايرتضى الشاعر بتلك الصلة العامة التى تُدخل غيره معه فى بث أشجانه ولا تميزه عنهم،ينتقل إلى المشاركة الخاصة التى تظهر مدى فجيعته بصديقه وبما يربطهما من إخاء وزمالة قائلا :(١)

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

أَخِي وَصَدِيْقِيَ شَطَّ المَزَارُ ... وَبَاتَ الثَّرَى بَيْنَنَا يَفْصِلُ
أَتَانِيَ نَعْيُكَ رَأْدَ الضُّحَى ... فَخُيِّلَ لِي شَمْسُهُ تَطْفُلُ
وَكَادَتْ تَشِيْطُ لَهُ مُهْجَتِي ... وَكَادَ جَنَانِي بِهِ يُخْبَلُ
أَتَذْكُرُ مَجْلِسَنَا قَبْلَهَا ... نَجِدٌ وَآوِنَةً نَهْزِلُ
فَهَلْ صَحَّ فِي الظَّنِ أَنَّ الشَّبَاكَ ... تُمَدُّ لِصَيْدِكَ والأَحْبُلُ
وَهَلْ دَارَ فِي الوَهْمِ أَنَّ الفِرَاقَ ... وَشِيْكٌ وَأَنَّ المَدَى مُقْبِلُ
وَهَلْ جَالَ فِي البَالِ أَنَّ الصَّحِيْحَ ... إِلَى القَبْرِ فِي بُرْهَةٍ يُنْقَلُ
أَفِي لَمْحَةٍ تَأْفُلُ النَيِّرَاتُ ... وَيَنْخَسِفُ القَمَرُ الأَكْمَلُ

وهنا يتجلى إحساسه المرهف وشعوره الرقيق تجاه صديقه الراحل فتجيش عاطفته وتسود الدنيا أمام ناظريه ـ في وضح النهار ـ فيبكيه بمهجةٍ حرقى أذابها الأسى واللوعة وكواها الألم واعتصرها الحزن .

ويصل بعد ذلك إلى مرحلة متقدمة من الحزن والأسى كادت أن تفقده صوابه ولكنه مايلبث أن يكبح جماح نفسه الصامتة عند هذه القمة المليئة بالحزن . فيعود هامسا في حزن بتذكر ماكان بالأمس بينهما من جد وهزل وهويتمتعان بصحة جيدة ولم يدر بخلد أحدهما أن الفراق سيكون وشيكا فيسائل نفسه عن ذلك ويرفع بصره إلى السماء فيجد الجواب الشافي ماثلا أمام ناظريه : هاهي النجوم المنيرة تأفل وهاهو القمر المكتمل يخسف . فتهدأ سريرته قليلا .

ويشارك في دفن صديقه ويناجيه بعدما نفض يده من تراب قبره قائلا:(١)

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

نَشَدْتُكَ بِالمَوْتِ مَاطَعْمُهُ ... أَشَهْدٌ - كَمَا قِيلَ - أَمْ حَنْظَلُ
وَهَلْ يَذْكُرُ المَرءُ أَحْبَابَهُ ... وَرَاءَ المَقَابِرِ أَمْ يَذْهَلُ
وَهَلْ أَنْتُمُ تَسْمَعُوْنَ الَّذِى ... نَقُوْلُ وَتَدْرُونَ مَانَفْعَلُ
وَهَلْ تَحْتَفُونَ بِزُوَارِكُمْ ... وَيُطْرِبُكُمْ أَنَّهُمْ أَقْبَلُوا
وَهَلْ تُؤْثِرُونَ إِلَيْنَا الرُّجُوعَ ... أَمِ الدَّارُ أَنْتُمْ بِهَا أَفْضَلُ ؟
وَكَيفَ الوُجُوْهُ المِلَاحُ الصِّبَاحُ ... هِيَ البَدْرُ ، أَمْ أَنَّهَا أَجْمَلُ

الى أن يقول :

سَأَعْلَمُ فِي الغَدِ مَاكُنْتُ عَنْهُ ... - حَفِيًّا - نَزِيلَ الثَّرَى أَسْأَلُ (١)

وفى هذا الجزء من القصيدة يحاول الشاعر أن يطمئنَ على صديقه من وراء التراب - متمنيا على الله أن يجزيه جزاء الصالحين لما عُهد عنه من صفات المؤمنين - مستعينا بما ترسب فى نفسه المؤمنة بالله عز وجل - وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - فيسأله : ما الموت ؟ وما وراء الموت ؟ وهى أسئلة تلازم ذاكرَ هادمِ اللذات ، وقد أجاب عنها المصطفى - صلى الله عليه وسلم - .

ويعود شاعرنا متفائلا بالخير لصديقه فيسأله عن كل شيئ فى الحور العين ، وكأنى به فى هذه الأبيات يحاول مشاركته حتى فى القبر ، وهاهو فى البيت الأخير يجيب عن سبب أسئلته لصديقه الراحل بأنه أيضا سيكون نزيل الثرى ويخيل إليّ بذلك أن (الجندى) يرثى نفسه فى رثاء صاحبه .

---

(١) الحفى : المبالغ فى السؤال .

وينتقل بعد ذلك إلى تأبين صديقه فيقف على قبره معددا لصفاته ومآثره الحسنة ويسجلها إبقاءا وتخليدا لذكراه وليعلم القوم مدى الخسارة فى فقيدهم - كما جرت العادة عند شعراء العرب الأوائل يقفون على قبور الموتى ويبكونهم ويعددون فضائلهم ومناقبهم من شجاعة وكرم وفصاحة ... ألخ قائلا :(١)

شَقِيْقَ القَرِيْضِ شَقِيْقَ الوِدَادِ إِخَاءً عَلَى الدَّهْرِ لاَ يَنْصَلُ
شَهِدْتُ لَقَدْ كُنْتَ جَمَّ الوَفَاءِ وَكُنْتَ آخَا الحِلْمِ لاَيَجْهَلُ
وَكُنْتَ المُؤَمَّلَ فِى النَّازِلاَ تِ نَدِىَّ الأَنَامِلِ لاَ يَبْخَلُ
وكنتَ اللَّطِيْفَ الظَّرِيفَ الضَّحُوكَ وَصَدْرُكَ مِنْ هَمِّهِ مِرْجَلُ

ولم يكتف الشاعر فى هذه الابيات بسرد محاسن صديقه بل إنه يقدم فى البيت الأول - إضافة إلى ماسبق من أبيات - مايشير إلى عمق الصلة والأخوة بينهما ، فقد تلازما فى الشعر فترة من الزمن،إضافة إلى مايربطهما من صداقة حميمة ستبقى إلى الأبد رغم الفراق،وفى هذه الملازمة بينهما ما يثبت معرفة الشاعر التامة لصديقه عن كثب،فهو عندما يقول فى البيت الثانى (شهدت) يعلن فى الملأ تحقق تلك المحاسن فى صديقه وأنه لم يخلعها عليه رياءا .

وبعد ذلك يتناول تلك الخلال التى لمسها فى صديقه ويصفه بالوفاء والحلم والكرم والشجاعة والظرف والبشاشة والفصاحة والرجاحة فى العقل .. إلى أن يقول :(٢)

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ .
(٢) ديوان فى ظلال القمر لعلى الجندى ص ١٨١ .

قَضَى اللّٰهُ وَهُوَ حَكِيْمُ الْقَضَاءِ بِأَنْ لَاتَكُونَ لَهُ أَشْبُلُ
فَعَاشَ وَلَا نَجْلَ يُغْرَى بِهِ وَأَبْنَاءُ عَبْقَرَ لَاتَنْجُلُ
فَكَانَ لِإِخْوَانِهِ .. وُدَّهُ وَقَلْبٌ خَلِيٌّ بِهِمْ يَشْغَلُ

مسجلا بذلك أن الشاعر لم يخلف بعده أحدا من الأبناء فقد كان عقيما وتلك إرادة الله - عز وجل - فاهتم بحب الاصدقاء والتودد اليهم ، وذلك استطراد من (الجندى) ويتجه الشاعر فى نهاية هذا الجزء من القصيدة إلى الحكمة والموعظة فيبين أن الموت رغم كراهة الإنسان له فيه جلاء للهموم وراحة من المتاعب التى قد تلاحق الإنسان فى الدنيا،بل إنه يكون رحمة من الله - جلّت قدرته - لمن أصيب بداء عضال لا بُرأ منه ولا راحة سوى الموت قائلا : (١)

هُوَ الْمَوْتُ يُنْسِى الْفَتَى بُؤْسَهُ وَتَسْلُو بِهِ شَجْوَهَا الْمُتَكَلُ
كَرِهْنَاهُ وَهْوَ جَلَاءُ الْهُمُومِ كَمَا حَاذَرَ الصَّارِمَ الصَّيْقَلُ
يُؤَلِّفُ مَاشَاءَ فِى رَمْسِنَا وَيَأْسُو الْجِرَاحَ الَّتِى تُعْضِلُ

ويجلو الشاعر فن صديقه ويثنى عليه ويتمثل ذلك الفن وقد لبست قوافيه ثوب الحداد القاتم تنوح على صاحبها فى ألم وحرقة فيقول (٢) :

وَمَا أَنْسَ لَاأَنْسَ هَذَا النَّسِيْبَ كَأَنَّ الْحَمَامَ بِهِ يَهْدِلُ
يُمَثِّلُ لِلْعَيْنِ " قَيْسَ الْغَرَامِ" وَ " لَيْلَاهُ " تَمْنَعُ أَوْ تَبْذُلُ

---

(١) ديوان فى ظلال القمر لعلى الجندى ص ١٨٢ .
(٢) ديوان فى ظلال القمر لعلى الجندى ص ١٨٣ .

وَتِلْكَ مَرَاثِيْكَ فِي طَيِّهَا كُلُومٌ بِقَلْبِكَ لَا تَنْدَمِلُ
ثَنَاءُ الدُّهُورِ وَمِنْوُ النُّشُوْرِ يَكَادُ بِهَا مَنْ مَضَى يَقْفُلُ
قَوَافِيْكَ تَحْتَ مُسُوْحِ الحِدَادِ رَوَاهِبُ أَدْمُعُهَا تَهْمِلُ
حَمَائِمُ سَاجَلْنَ وُرْقَ الحَمَامِ فَتِلْكَ تَنُوْحُ وَذِي تُعْوِلُ

وفى البيتين الأخيرين مما سبق يبلغ الشاعر الذروة فى تصوير الحزن والألم فيلبس القوافى ثوب السواد ، بل إنه يصور شعر صديقه الرقيق فى يوم وداعه وهو يشدو بالبكاء والعويل لا بالعذوبة والغناء من هول الفجيعة .

ويتابع الشاعر تقصيه لموجة الحزن العارمة فينظر فى وجوه القوم وقد حفوا بالنعش من كل جانب وقد اصفرّت وجوههم واهتزت أجسامهم من شدة ما يحملون معهم من آلام وهموم فى مصابهم الجلل وفقيدهم العزيز الذى ودّوا لو يفتدونه بأنفسهم وهيهات أن يبلغوا مأربهم فى مساومة مفرِّق الجماعات . فيقول :(١)

وَأَبْنَاءُ (دِمْيَاطَ) خَلْفَ الرِّكَابِ يَنُوءُ بِآلَامِهِمْ " يَذْبُلُ "(٢)
يَحُفُّونَ نَعْشَكَ صُفْرَ الوُجُوهِ تَكَادُ بِهِمْ تَزْلَقُ الأَرْجُلُ
لَقَدْ فَقَدُوا عَبْقَرِيَّ القَرِيْضِ وَفَضْلُ العَبَاقِرِ لَا يُجْهَلُ
" جَرِيْرَ " القَوا فِي"عَتَاهِيَّهَا " " فَرَزْدَقُهَا " فَحْلُهَا "الأَخْطَلُ "
يَجُوْدُوْنَ بِالأَنْفُسِ الزَّاكِيَاتِ فِدًى لَكَ لَوْ أَنَّهُ يُقْبَلُ

---

(١) ديوان فى ظلال القمر لعلى الجندى ص ١٨٣ .
(٢) دمياط : موطن الشاعر الفقيد وفيها عشيرته .

ويحاول الشاعر بعد ذلك أن يتخفف قليلا من الحزن الشديد الذى يلازمه ولكن ذلك لم يتأت له فما يلبث الشاعر أن يهدأ حتى تثور عاطفته فيتوجه إلى صديقه بعتاب رقيق يزيد من إلهاب مشاعر السامعين على فقيدهم، ويقول له كيف ترحل عن قومك وهم يخوضون حربا ضروسا ضد المستعمرين من " الإنجليز والفرنسيين والصهاينة " فهل تتخلى عنهم وأنت ممن يشار إليه بالبنان فى النزال يوم الوغى بالسيف واللسان ؟ فيقول مخاطبا صديقه (١) :

رَحَلْتَ وَشَعْبُكَ عَنْ حَوْضِهِ ... يَذُوْدُ الأَعَادِى وَيَسْتَقْتِلُ
فَكَيْفَ تَحَامَيْتَ خَوْضَ الوَغَى ... وَأَنْتَ بِهَا الضَّيْغَمُ المُشْبِلُ
تَفُوْتُ بِقَوْلِكَ صَوْلَ الكُمَاةِ ... وَأَنْكَى مِنَ الصَّارِمِ المِقْوَلُ

فأنا لا ألومك ياصديقى فشأنك رفيع ولكن الموت يخرس الألسنة، ويلتمس له العذر فى ذلك مرسلا هذه الحكمة المشوبة بالحزن :

بَلَى . عَقَلَ المَوْتُ مِنْكَ اللِّسَانَ ... وَكُلُّ لِسَانٍ بِهِ يُعْقَلُ

وتغطّى نشوة النصر ـ فى المعارك التى خاضها الجيش المصرى الباسل فى بورسعيد ضد قوى الإحتلال الغاشمة ـ فيضع الشاعر أحزانه جانبا ويشرك صديقه فى فرحة النصر ودحر العدو المغتصب ويبشره بما صنع إخوته المقاتلون بعد رحيله قائلا : (٢)

---

(١) ديوان ظلال القمر لعلى الجندى ص ١٨٤ .
(٢) المصدر السابق ص ١٨٤ .

فَبُشْرَاكَ مِصْرُ عَلَا نَجْمُهَا وَدَانَ لِحُجَّتِهَا المُبْطِلُ
أَتَوْا " بُورَسَعِيْدَ" فَكَانَتْ لَهُمْ جَهَنَّمَ تَحْطِمُ مَاحَصَّلُوا

إلى أن يقول :

قَضَى اللّٰهُ بِالنَّصْرِ لِلمُقْسِطِيْنَ وَلِلْقَاسِطِيْنَ بِأَنْ يُخْذَلُوا

وتفور عاطفة الشاعر فى نهاية هذه المرثية ويهدر إحساسه بعنف ويعبر عن مايعتمل بنفسه من عواطف يستشعر فيها ألم الفقد بمرارة ، ويقول له ـ فى أسَىً مسرف ـ ياصديقى أنا عندما أرثى فكأنما أُقتطع هذه المراثى من قلبى الملتهب الذى يلقى بشواظ حزنه وألمه على كل مَنْ حَوْلَه " كما لَفَحَ المَارِجُ المُشْعَلُ) وتسير هذه المراثى الملتهبة المحرقة بين قلوب الخليين والثكالى فيتأثرون بها ويتصاغرون أحزانهم،لأنهم يجدون فيها حزنا وألما يطغىٰ على أحزانهم وآلامهم،فيجد فيها قلب الخلى شجوا كما أنها تعزى الثكالى فى مصابهم.ويقول الشاعر فى ذلك(١)

رَثَاكَ الصَّدِيْقُ الصَّدُوْقُ الَّذِى عَنِ العَهْدِ لِلصَّحْبِ لَايَغْفُلُ
يَقُدُّ المَرَاثِىَ مِنْ قَلْبِهِ كَمَا لَفَحَ المَارِجُ المُشْعَلُ
سَوَائِرُ تَشْجُوْ فُؤَادَ الخَلِىِّ وَتُزْجِى العَزَاءَ لِمَنْ يَثْكِلُ

ويتمنى (الجندى) بعد ذلك أن يكون هو المرثى لأنه يحس بثقل الحزن والألم على نفسه،ويشفق على قلبه المحترق بفقد صديقه ولو حصل ذلك ـ أى أن يكون مرثيا لا راثيا ـ لأراح قلبه من ألم الحرقة ، ولكن هيهات أن تتغير

---

(١) المعدر السابق ص١٨٤ .

مجريات الأمور فالردى لايمهل وما عليك يا (جندى) الا أن تتجرع مرارة الصبر على الحزن والأسى والألم الذى يلهب عواطفك وأحاسيسك من جراء فقدك لهؤلاء الأحبة فتكون وفيا صادقا فى الإحساس عندما تخلد ذكراهم قائلا(١) :

فَلَيْتَكَ كُنْتَ لَهُ رَاثِيًا ... وَيَالَيْتَ أَنَّ الرَّدَى يُمْهِلُ
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَخٌ ذَاهِبٌ ... عَلَى فَقْدِهِ الصَّبْرُ لَايَجْمُلُ
يُعَالِي القَرِيْضُ عَلَيْهِ النَّوَاحَ ... وَيُسْعِدُهُ دَمْعِيَ المُسْبَلُ
وَفَاءً شَجِيْتُ بِهِ بَلْ شَقِيْتُ ... وَحَمَّلَنِي فَوْقَ مَا أَحْمِلُ
عَلَيْكَ مِنَ اللّٰهِ رِضْوَانُهُ ... وَجَادَتْكَ غَادِيَةٌ شَمْأَلُ
سَتَحْيَا بِذِكْرِكَ فِي الخَالِدِيْنَ ... وَمَنْ نَالَ مَانِلْتَ لَايَخْمُلُ

وبعد هذا العرض لهذه القصيدة التى أسرف فيها (الجندى) فجاءت طويلة - كما رأينا - أستطيع القول .أن عاطفة الشاعر وخلجات نفسه لم تغب عن النص، وظل بوحه النفسى واضحا فى جميع المقاطع والأجزاء، يشتد تارة فيبلغ قمة الحزن ويتهادى أخرى فيكون طبيعيا .

ولقد كان من وكد شاعرنا الوفاء لأصدقائه بمدحهم أحياء ورثائهم أمواتا. ورُمِيَ مرةً بالتقصير فى رثاء صديقه الشاعر (محمد الهراوى) وقد ذهب لزيارته بعد وفاته بيوم - ولم يكن يعلم بذلك - وعندما علم بالنبأ أصيب بصدمة عنيفة أذهلته فلم يستطع رثاء صديقه آنذاك وجمُدَت عيناه بالدموع لشدة وقع النبأ على نفسه، ولازمه ذلك الحزن الصامت أياما وزاد من ألمه

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

رميه بالتقصير فى واجب صديقه الراحل وبعد أن إنكسرت عنه موجة الحزن قال راثيا :(١)

جَهِلَ العَاذِلُوْنَ فِيْكَ مُصَابِي ... فَأَطَالُوْا مَلَامَتِي وَعِتَابِي
وَأَذَاعُوْا : أَنِّيْ بَخِلْتُ بِدَمْعِي ... وَقَرِيْضِي عَلَى أَبَرِّ الصِّحَابِ
وَعَزَائِيَ : عِلْمِي بِأَنَّكَ تَدْرِي ... مَا أَعَانِي مِنْ حُرْقَةٍ وَاكْتِئَابِ
رُبَّ بَاكٍ يُذْرِي دُمُوعَ التَّمَاسِيْحِ م ... مِنَ المُوْجِعَاتِ خَالِي الوِطَابِ(٢)
وَجَلِيْدٍ يَفْتَرُّ عَنْ سِنِّ جَذْلَا ... نَ طَوَى كَشْحَهُ عَلَى الأَوْصَابِ
وَخَلِيِّ الفُؤَادِ مِنْ لَاعِجِ الحُبِّ م ... يُرَى صَابِيًا ، وَلَيْسَ بِصَابِي

أَعْذَرُ النَّاسِ مَنْ دَهَتْهُ الرَّزَايَا ... وَنَهَتْ دَمْعَهُ عَنِ التِّسْكَابِ
فَهَنِيْئًا لَهُمْ بَكَوْا فَاسْتَرَاحُوْا ... وَكَتَمْتُ الجَوَى ، فَطَالَ عَذَابِي

ففى هذه الأبيات يدافع الشاعر عن نفسه الرقيقة التى سلكت مسلكا جديدا - على أولئك الذين يعذلونه - فى الحزن على صديقه عندما غال الحزن بيانه وغشى على مشاعره فلم يقو على نظم الرثاء أو سكب الدموع وكأن الرفاق لايعلمون أن من الحزن مايحمى صاحبه الكلام . فكم من نائح يذرف الدموع الكاذبة وهو خال من الأحزان لغرض فى نفسه قد يتحقق،وكم من صادق فى مشاعره يحمل أحزانه بين جنبيه فى صمت ولا يظهر عليه الحزن فيرمى بالخيانة (٢) .

---

(١) الحان الاصيل لعلى الجندى ص ١٦٢ ، ١٦٣ .
(٢) الاوطاب جمع وطب بالسكون : بقاء اللبن .
(٣) ويحضرنى هنا قصة ذلك الرجل الصالح الذى صادف موت ابنه موعد دعوة سابقة تلقاها من جاره فلبى نداء جاره وعاد بعد ذلك ودفن ابنه . وكتم جواه فى نفسه حتى لايفسد على غيره تلك الامسية .

وعزاء الشاعر هنا يقينه من علم صديقه بما يحمل من ألم وحرقة عليه .

ويبين الشاعر فى نهاية هذا المقطع أن للنفس البشرية انفعالات متفاوتة إزاء المصائب والأهوال فمنها مايفرج عن همه وحزنه بالبكاء وسكب الدموع، فتخف حدة الألم وتستريح النفس ويتلاشى بعد ذلك الحزن ويكون ذلك دواءا شافيا . ومنها مايكتم الاحزان والآلام ويكبتها فلا تظهر للعيان فيطول العذاب وفى ذلك داء وحرقة . فيا : (١)

أَيُّهَا اللَّائِمُوْنَ ، عَدُّوْا عَنِ اللَّوْ مِ إِ وُقِيْتُمْ - عَلَى الإِسَاءَةِ - مَابِى
لَوْ بِكُمْ مَابِنَا ، وَبَانَ عَلَيْكُمْ لَلَبِسْتُمْ بِهِ سَوَادَ " الغُرَابِ "

ويعود الشاعر ليثبت وفاءه لصديقه المرثى مجددا ما اقتطعه على نفسه من عهد ازاء أصدقائه قائلا : (٢) .

لَا وَرَبِّى لَمْ أَنْقُضِ العَهْدَ يَوْمًا لَا ، وَلَا بِتُّ نَاسِيًا أَحْبَابِى
أَنَا أَكْسُوْهُمُ المَدَائِحَ أَحْيَا ءً وَأَرْوِى صَدَاهُمُ فِى التُّرَابِ
وَأَصُوْغُ الرِّثَاءَ فِيْهِمْ رَيَاحِيْنَ م تَمُجُّ الشَّذَا عَلَى الأَحْقَابِ

وبعد ذلك يذكر الشاعر خلال مرثيه وسجاياه ويتذكر بعض مادار بينهما من لهو وجد أيام الشباب، وتجيش عاطفته ويهدر إحساسه بذكرى صديقه الراحل ويتذكر هول الفجيعة على نفسه فيقول - وكأن سائلا يسأله ما الذى أخرس لسانك عن الرثاء ؟ وما الذى نهى دمعك عن التسكاب ؟ هلا أطلعتنا على

---

(١) ديوان الحان الاصيل ص ١٦٣ .
(٢) ديوان الحان الاصيل لعلى الجندى ص ١٦٣ .

ذلك الحزن الصامت وما حل بك ؟ - مجيبا على ذلك [١] :

يَالِذِكْرَى هَاجَتْ بَلَابِلَ صَدْرِى ... وَأَعَارَتْ قَلْبِى جَنَاحَىْ " عُقَابِ "
قَلِقٌ تَحْتِىَ الوِسَادُ كَأَنِّى ... أَتَنَزَّى عَلَى رُءُوسِ الحِرَابِ
بَيْنَ لَيْلَيْنِ : مِنْ دُجَىً وَهُمُومٍ ... نَاهِضَاتٍ إِلَىَّ مِنْ كُلِّ بَابِ
مَثَّلاَ لِىَ الخِضَمَّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ ... تَحْتَ مَوْجٍ مُجَلَّلٍ بِسَحَابِ
كُلَّمَا طَارَ فِى السَّمَاءِ شِهَابٌ ... طَارَ قَلْبِىَ وَشْبًا وَرَاءَ الشِّهَابِ
أَوْ ذَكَا البَرْقُ فِى الدَّجَنَّةِ نَارًا ... شَبَّ نَارَ الأَحْزَانِ مِلْءَ إِهَابِى
يُسْعِدُ الذِّكْرُ أَهْلَهُ وَأُلَقَّى ... ذِكْرَيَاتِى محطَّمَ الأَعْصَابِ

وفى هذه الأبيات يخرج الشاعر عن صمته الرهيب إزاء صديقه الراحل ويطلعنا على أحاسيسه التى ألحّ اللائمون على معرفتها،فيحكى حرقة قلبه المكلوم المفجوع على أعز أصدقائه،ويجسد لهم تلك الحرقة الصامتة التى تهتز لها مشاعره ويكاد قلبه يطير من شدة الحزن - لا من شدة الفرح - بجناحى عقاب أسود[٢] ، وعندما يتذكر الشاعر تلك الأحاسيس التى لازمته يشعرنا من خلال آهاته أنه جريح حتى الموت يتقلب على وساد إستشعر حزن صاحبه فقلق وتوتر هو أيضا وتحول إلى رؤوس حراب مسننة تتراقص تحته من كل جانب فى ظلمة ليلين:ليل بهيم،وليل مليىء بالهموم والأحزان ، ويطول الليل الحزين بشاعرنا ويشارف على الهلاك عندما يتخيل نفسه فى ظلمة هذين الليلين

---

(١) ديوان الحان الاصيل لعلى الجندى ص ١٦٥ .

(٢) (والعقاب طائر جارح ضخم يقتنص ولا يأكل الجيف وهو شبيه فى حجمه بالصقر ومن أشهر العقبان انتشارا بمصر العقاب الاسود) أنظر الموسوعة العربية الميسرة ط ٢ ١٩٧٢م دار الشعب ص ١٢٢٠ .

وقد ركب بحرا عظيما تتلاطم فيه الأمواج التى تغطيها السحب فتحتجب الرؤية عنه تماما ولايقوى على الإبصار ويلمح الشهب وهى تتساقط من السماء فيتشبث بها ويطير قلبه وثبا وراءها،ولكن مايلبث أن يعود إليه بحزنه وألمه ، ويشاهد البرق مشعلا النار فى ظلمة ذلك الليل البهيم فتزيد نار أحزانه اشتعالا فتلتهب عاطفته وتتوهج مشاعره ، إنها صورة دقيقة لتدفق العاطفة وعمق الإحساس بالألم .

ويختم الشاعر هذه القصيدة بالدعاء لصديقه الراحل - والعزاء لذويه وأصحابه قائلا :(١)

رَوَّضَ الغَيْثُ قَبْرَ مَنْ كَانَ رَوْضًا ... حَالِيًا بِالعُلُوْمِ وَالآدَابِ
بَانَ عَنَّا ! فَبَانَ كُلُّ جَمِيْلٍ ... فَعَزَاءً لِلآلِ وَالأَصْحَابِ

وتتوالى الأحزان على الشاعر بفقد أصدقائه وزملائه الذين تخطّفهم الموت من حوله فيجزع لذلك قائلا :(٢)

أَفِى كُلِّ يَوْمٍ أَخٌ ذَاهِبٌ ... عَلَى فَقْدِهِ الصَّبْرُ لَايَجْمُلُ

ويأسى لموت صديقه الأستاذ (حسن علوان) ويبكيه بحرارة ويقول مرتجلا هذه الأبيات عندما علم بوفاته :(٣)

---

(١) ديوان ألحان الاصيل ص ١٦٥ .
(٢) ديلوان فى ظلال القمر ص ١٨٤ .
(٣) ديوان فى ظلال القمر ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ :(حسن علوان)من أبناء دار العلوم وهو زميل للشاعر .

شَقِيْقِي فِي القَرِيْضِ وَفِي الوِدَادِ رَحَلْتَ وَلَمْ تُزَوِّدْنِي بِزَادِ
أَمَا كُنَّا تَعَاهَدْنَا : بِأَنَّا نَعِيْشُ مَعًا ، وَنَقْضِيْ فِي مَعَادِ
فَكَيْفَ تَرَكْتَنِي فَرْدًا مُعَنًّى قَرِيْحَ الجَفْنِ ، مَسْلُوبَ الرُّقَادِ
فَإِنْ تَذْهَبْ فَذِكْرُكَ مِلْءُ نَفْسِي وَإِنْ تَبْعُدْ فَإِنَّكَ فِي الفُؤَادِ
سَأَبْكِي مَا حَيِيْتُ عَلَى صَدِيْقٍ فَقَدْتُ بِهِ النَّصِيْرَ عَلَى العَوَادِي

ويرتجل الجندى هذه الأبيات عقب وفاة الأستاذ الشاعر (على الجارم بك) فيقول :(١)

آ (جَارِمُ) أَبْكِيْكَ إِلاَّ بِالدُّمُوْعِ وَلَكِنْ بِذَوْبِ الفُؤَادِ الحَزِيْنُ
فَقَدْنَا بِفَقْدِكَ بِشْرَ الوُجُوْهِ وَرَاحَ النُّفُوْسِ ، وَنُوْرَ العُيُوْنْ
وَظَرْفَ اللِّسَانِ وَسِحْرَ البَيَانِ وَلُبَّ العُلُوْمِ وَسِرَّ الفُنُوْن
وَنَثْرًا كَزَهْرِ الرِّيَاضِ النَّدِيِّ وَشِعْرًا كَدُرِّ النُّحُوْرِ الثَّمِيْن

بَكَتْ رُزْأَهَا فِيْكَ " أُمُّ اللُّغَاتِ " وَنَاحَ عَلَيْكَ (الكِتَابُ المُبِيْن)
لَقَدْ كُنْتَ تَبْعَثُ فِيْنَا السُّرُوْرَ فَمَالَكَ أَصْبَحْتَ تُذْكِي الشُّجُوْن ؟

"أَجَارِمُ" بَعْدَكَ غَاضَ البَيَانُ فَمَاذَا عَسَى يَنْظِمُ القَائِلُوْن ؟
إِذَا لَمْ أَجُدْ فِيْكَ صَوْغَ الرِّثَاءِ فَحَسْبُكَ مِنِّيَ مَاءُ الشُّئُوْن

وفى هذه المقطوعة القصيرة ـ المرتجلة ـ وسابقتها ـ فى رثاء حسن علوان ـ يتضح لنا تأصل فن الرثاء لدى (على الجندى) وقدرته على

---

(١) ديوان الحان الاصيل ص ١٩١ .

البوح بمشاعره عندما يرثى ولعل ذلك راجع إلى صدق مشاعره اتجاه أولئك الأصدقاء .

ففى الأولى يطيل البكاء على صديقه ويأسى ويتألم لذكراه ويلمح إلى ماكان بينهما من ود وإخاء ، ويستهل الثانية بالبكاء الداخلى النابع من القلب لامن العين ويوضح مدى الخسارة بفقد هذا الصديق بذكر بعض مآثره وخلاله .

وتتزايد أحزان الشاعر المرهف الحس وهو يرى الأصدقاء من حوله يتناقصون يوما بعد يوم فيتألم لذلك قائلا :(١)

لَيْتَ شِعرِيْ مَا لِلْمَنَايَا عَلَى سَرْ ... حِى لَهُنَّ غَارَةَ السَّرْحَانِ
الرُّدَالَ الخُشَاشَ مِنْهَا بِمَنْجَا ... ةٍ وَأَخْيَارُنَا جَنَاهَا الدَّانِى
وَيْحَ نَفْسِى يَزِيْدُ هَمِّى عَلَى الدَّهْرِ ... وَبِشْرِىَ فِى ذِمَّةِ النُّقْصَانِ
كُلَّ يَوْمٍ لِمُقْلَتِى عَبْرَةٌ حَرَّى ... عَلَى رَاحِلٍ أَغَرَّ هَجَانِ
وَسَّدُوهُ الثَّرَى وَقَدْ كَانَ مِنَّا ... فِى سَوَاءِ القُلُوبِ وَالأَعْيُنَانِ
طَاحَ فِقْدَانُهُ بِرُوْحِى وَرَيْحَا ... نِى وَبِيْضِ المُنَى وَخُضْرِ المَجَانِى
ذَهَبَ الجِيْلُ كُلَّهُ غَيْرَ أَفْرَا ... دٍ قَلِيْلٍ مَرْهُوْنَةٍ لِأَوَانِ
أَنَا مِنْ بَعْدِهِمْ أَعِيْشُ غَرِيْبًا ... مُسْتَكِيْنًا فَرِيْسَةَ الأَحْزَانِ

ويبكى الشاعر بمرارة فى قصيدة من أطول ماقاله فى الرثاء على

---

(١) ديوان فى ظلال القمر ص ٢١٩ .

الشاعر الشاب (هاشم الرفاعى)[1] - الذى قتل فى ريعان شبابه - وفيها يبرز الجندى وفاءه لإبنه الطالب الذى يفخر به ، ويأس لفقده فى مطلع القصيدة بلهفة الحزين وحرقة الملتاع قائلا :[2]

لَهْفَ نَفْسِى عَلَى الصِّبَا المَنْضُوْرِ ... لَفَّهُ الغَدْرُ فِى ظَلَامِ القُبُوْرِ
لَهْفَ نَفْسِى عَلَى القَرِيْضِ المُصَفَّى ... صَوَّحَتْ زَهْرَهُ عَوَادِى الشُّرُوْرِ
لَهْفَ نَفْسِى عَلَى النُّبُوْغِ المُسَجَّى ... بِرِدَاءٍ مِنَ البِلَى وَالدُّثُوْرِ
لَهْفَ نَفْسِى عَلَى النَّجِيْبِ المُرَجَّى ... رَاحَ نَهْبًا لِلْخِنْجَرِ المَطْرُوْرِ
لَهْفَ نَفْسِى عَلَى الشَّهِيْدِ المُدَمَّى ... بِيَدَىْ آثِمٍ سَلِيْبِ الضَّمِيْرِ

ويستطرد الشاعر بعد ذلك بذكر خلال مرثيه وفضائله مبينا مدى الخسارة التى حلت به وبالعرب أيضا لفقد هذا الشاعر الشاب الملهم الذى امتدت إليه يد الغدر فمنعته من مواصلة المسير ، ويطيل التفجع عليه فيقول :[3]

فَجَعَتْنَا عِصَابَةُ الكُفْرِ وَالإِلْحَادِ ... وَالغَىِّ وَالخَنَا وَالفُجُوْرِ
بِالمُجَلِّى السَّامِى عَلَى كُلِّ قِرْنٍ ... فِى مَجَالِ المَنْظُوْمِ وَالمَنْثُوْرِ

إلى أن يقول :

سَالِبِ الدُّرِّ مِنْ ثَنَايَا العَذَارَى ... سَارِقِ السِّحْرِ مِنْ عُيُوْنِ الحُوْرِ
نَافِثِ الشَّهْدِ فِى نِظَامِ القَوَافِى ... سَاكِبِ الخَمْرِ فِى سُمُوْطِ البُحُوْرِ

---

(١) شاعر ملهم قُتل غيلة فى ريعان شبابه وكان أحد طلاب (دار العلوم) وله ديوان شعر بإسمه .
(٢) ديوان فى ظلال القمر ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .
(٣) ديوان فى ظلال القمر ص ٢٢٥ .

قَاتِلِيْهِ دُهِيْتُمُ بِالدَّوَاهِـــى وَمُنِيْتُمْ بِكُلِّ خَطْبٍ مُبِيْـــرِ
قَدْ خَتَلْتُمْ فَتَىً كَرِيْمَ السَّجَايَا لَمْ يَكُنْ خَاتِلاً وَلاَ بِغَـــدُوْرِ
فَحَرَمْتُمْ بَنِى العُرُوْبَةِ صَوْتـــاً يَسْتَثِيْرُ الحَمَاسَ يَوْمَ النَّفِيْرِ

ويستمر الشاعر بعد ذلك فى وصف مرثيه وإجلاء صفاته فيطيل الحديث فى ذلك متعمدا إلهاب العواطف مبينا صدق مشاعره فى هذا المرثى الذى هو أهل لهذا الرثاء والثناء الطويل قائلا :(١)

لاَتَقُوْلُوْا : أُسْتَاذُهُ كَانَ مَفْتُو نَاً بِفَتَاه فَشَابَ حَقّاً بِزُوْرِ
شَهِدَ اللّٰهُ مَاغَلَوْتُ وَإِنِّى رَاجِحُ الوَزْنِ صَائِبُ التَّقْدِيْرِ
لَسْتُ مَنْ يُرْسِلُ الرِّثَاءَ جُزَافاً أَوْ يَكِيْلُ الثَّنَاءَ كَيْلَ البُدُوْرِ
إِنَّ لِلشِّعْرِ حُرْمَةَ الوَحْيِ عِنْدِىْ وَهْوَ مَجْلَى هُدًى وَمَشْرِقُ نُوْرِ

وينتقل الشاعرُ بعد ذلك مصورًا وقع المصاب على أم الفقيد فهاهى تجلس على قبر إبنها منهارة القوى تندبه بفؤاد يتقطع ألما وحسرة لهول ما رزأت به ويطل الشاعر عليها وهى على تلك الحالة تنادى إبنها فيزداد ألما على ألمه ويقول فى ذلك :(٢)

مَنْ لِأُمٍ أَخْنَتْ عَلَيْهَا اللَّيَالِى بِمُصَابٍ يَهُدُّ رُكْنَ " شَبِيْرِ "
فَاتَ قَدْرَ العَزَاءِ فَالصَّبْرُ وَالسُّلْوَانُ فِيْهِ ضَرْبٌ مِنَ المَحْظُوْرِ

---

(١) ديوان فى ظلال القمر ص ٢٢٧ .
(٢) ديوان فى ظلال القمر ص ٢٢٩ .

ضَامَهَا الدَّهْرُ فِى الكَرِيمِ عَلَيْهَا وَعَلَيْنَا ، والشَّاعِرِ النِّحْرِيرِ
حَاسِرٌ فَوْقَ قَبْرِهِ تَنْثُرُ القَلْبَ وَتَرْنُوْ لَهُ بِطَرْفٍ حَسِيْرِ
وَتُنَادِيْهِ - وَهْوَ غَيْرُ مُجِيْبٍ - يَا غَلِيْلِىْ لِزَائِرٍ وَمَزُوْرِ
رُزِئَتْ أَوْسَطَ البَنِيْنِ وَوُسْطَى عِقْدُهَا مِنْ لآلِئٍ وَشُذُوْرِ

ويعزيها بعد أن تهدأ من ثورة الحزن والإنفعال قائلا :(١)

فَسَلَامٌ لَهَا وَرَوْحٌ وَرَيْحَا نٌ عَلَى قَلْبِهَا الشَّجِى المَفْطُوْرِ
وَعَزَاءٌ لِأَهْلِهِ إِنَّهُمْ فِيْهِ أُصِيْبُوْا بِقَاصِمَاتِ الظُّهُوْرِ

ويغمر الحزن نفس الشاعر وهو يتذكر الفقيد فتتأجج النار بين جوانحه أسى ولوعة فيقول :(٢)

مَنْ مُجِيْرِىْ مِنْ ذِكْرَيَاتٍ نَوَازٍ فِى غُدُوٍّ تَنْتَابُنِى وَبُكُوْرِ
سَارِيَاتٍ بِمَا يُمِضُّ وَيُضْنِى ضَارِبَاتٍ عَلَى العَزَاءِ بِسُوْرِ
كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ تَنَاهَى لَظَاهَا لَفَحَتْ أَضْلُعِى بِوَقْدِ الجَرُوْرِ

ويلتفت بعد ذلك إلى الفقيد فيظهر وفاءه وحزنه عليه ويخبره بفداحة المصاب بموته وثقل الحياة وكدرها من بعده ، ويلتمس العذر لنفسه فى إظهار حزنه وتوجعه من هول المصاب فيناجيه قائلا (٣) :

---

(١) ديوان فى ظلال القمر ص ٢٣٠ .
(٢) ديوان فى ظلال القمر ص ٢٣٠ .
(٣) ديوان فى ظلال القمر ص ٢٣٠ .

وَلَـــدِى هَاشِـــمٌ وَمَاكُنْـــــتَ إِلاَّ وَلَـدِىْ فِى وَفَـائِـكَ المَأْثُـوْرِ

إلى أن يقول :

ثَقُلَتْ بَعْدَكَ الحَيَاةُ عَلَى نَفْسِـــى وَشِيْبَتْ مَـوَارِدِى بِـالْكُـــدُوْرِ
رُبَّ رُزْءٍ لَايُحْمَدُ الصَّبْـرُ فِيْـــهِ وَعَلَيْـهِ يُـلَامُ كُـلُّ صَبُـــوْرِ

ويصور الشاعر حالته النفسية المليئة بالحزن واللوعة والعذاب على فراق هذا الإبن ، فينوح عليه ويرثيه بالدمع الهتون وبحرقة النفـــس ونشيج القلب وعنائه ، وينتحب قائلا [١] :

غَاضَ نَبْعِـى وَنَدَّ عَنِّـى شَيْطَـــا نِى وَأَخْنَى الأَسَى عَلَـى تَفْكِيْـرِى
كَيْفَ أَرْثِيْهِ بِالْفُـؤَادِ المُعَنَّـى كَيْفَ أَرْثِيْهِ بِالحِجَا المُسْتَطِيْـرِ
كَيْفَ أَرْثِى وَمُقْلَتِى فِى غَدِيْـــرٍ مِنْ دُمُوْعِى ، وَمُهْجَتِى فِى هَجِيْـرِ
فَخُذُوْهُ - كَمَا اقْتَرَحْتُمْ - فُنُوْنًا مِنْ نَحِيْبِى وَلَوْعَتِى وَزَفِيْـــرِى
مِنْ سُهَادِى مِنْ تِرْحَتِى مِنْ شَقَائِـى مِنْ بَلَائِىَ مِنْ قَلْبِىَ المَصْهُـــوْرِ
مَارِثَاءُ الأَبْنَاءِ إِلاَّ عَـــــذَابٌ لِلأَبِ الْوَالِـهِ الرَّقِيْقِ الشُّعُوْرِ

ثم يتجه الشاعر فى نهاية هذه القصيدة إلى الحكمة والموعظة ويبيـــن أن الحياة الدنيا - وإن طال أمدها - مصيرها إلى الزوال (لِكُلِّ أَجَـــلٍ كِتَابٌ) [٢] . - والبقاء فيها ضرب من المحال،ويضرب الأمثلة فى ذلك قائلا: [٣]

---

(١) ديوان فى ظلال القمر ص ٢٣١ .
(٢) سورة الرعد آية ٣٨ .
(٣) فى ظلال القمر ص ٢٣٢ .

كُلُّ حَـيٍّ - وَإِنْ تَرَاخَى مَـدَاهُ - رَهْـنُ يَوْمٍ مِنَ الزَّمَانِ عَسِيْـرِ
أَيْنَ لُقْمَانُ قَدْ طَوَى الدَّهْرُ لُقْمَا نَ وَأَلْوَى مِنْ قَبْلِهِ بِالنُّسُوْرِ (١)
وَرَدَ الحَـوْضَ قَبْلَنَا أَبَوَانَـــا وَبِكَفِّ الرَّدَى "جَوَازُ المُرُوْرِ" (٢)

وفى رثائه لصديقه الشاعر الوطنى (على الغاياتى) يظهر الشاعـــر توجعه من فقد الأصدقاء الذين تخطفهم الموت من حوله ويطيل عليهم البكـــاء برثاء أثر على قلبه فأتعبه وأضعفه .

ويناجى صديقه بمهجة تتقد من شدة الأسى قائلا :(٣)

" عَلِيٌّ " هَلْ سَامِـعٌ " عَلِيـًّا " وَقَـدْ وَهَـى قَلْبُـهُ الجَلِيْـدُ

إلى أن يقول :

رَثَيْـتُ وَالدَّمْـعُ فِى جُفُوْنِـــى وَمُهْجَتِى لِلْأَسَـى وَقُـــوْدُ
وَكُلُّ ذِى خَاطِرٍ مُـــــؤَاتٍ عَلَى نَـوَى صَحْبِـهِ بَلِيْـــدُ

وهكذا يستمر الشاعر فى رثاء رفقاء دربه وإخوته من الشعراء برثـــاء مفجع موجع كله أسى وحرقة تطول فيه نغمة الحزن ويسترسل فيه (الجنـــدى)

---

(١) لقمان : هو لقمان بن عاد من المعمرين وله قصة ترويها الأساطير .
(٢) أبوانا : آدم وحواء - عليهما السلام- جواز المرور : هو مـــا يثبت به المسافر هويته عند التنقل من بلد إلى آخر . وما يتعـــارف عليه الآن ب " جواز السفر " .
(٣) ديوان فى ظلال القمر ص ٢١٠ ، ٢١١ .

بذكر عواطفه نحوهم ، ويستطرد فى إسترجاع ذكراهم بالتغنى بمحاسنهم وطيب معشرهم وبكاء أيامهم السابقة فهو لايملك حيالهم بعد نزول القضاء إلا ذلك . ويرثى الشاعر نفسه فى رثاء زملائه الشعراء ولا يطيق الحياة بدونهم . وقد رثى الجندى الشعراء كلهم ووصفهم بالشجاعة والوفاء وبأنهم شهداء - وإن لم يموتوا فى ساحة الحرب - يدافعون عن أمتهم بما يقولون من شعر .

ويقول فى ذلك (١) :

كِرَامٌ يَمُوْتُوْنَ مَوْتَ الكِرَامِ ... إِذَا نَزَلَ " الحَتْمُ " لَمْ يَحْفِلُوْا
يَطِيْبُ التُّرَابُ بِأَنْفَاسِهِمْ ... وَيَخْضَرُّ فَوْقَهُمُ الجَنْدَلُ
خَلاَئِفُ لِلرُّسْلِ فِى وَحْيِهِمْ ... وَتِبْيَانُهُمْ بَيْنَهُمْ يُفْصَلُ(٢)
هُمُ الأَوْفِيَاءُ بِمَا عَاهَدُوْا ... إِذَا قَابَلُوْا اللّٰهَ لَمْ يَخْجَلُوْا
هُمُ الشُّهَدَاءُ وَلَمْ يُقْتَلُوْا ... بِحَوْمَةِ حَرْبٍ ،وَلَمْ يَقْتُلُوْا
بَلَى ، هُمْ مَسَاعِيْرُ نِيْرَانِهَا ... وَفُرْسَانُ غَارَاتِهَا البُسَّلُ(٣)
دِمَاءُ الفَرَائِسِ أَحْبَارُهُمْ ... وَأَقْلاَمُهُمْ دُوْنَهَا الأَنْصُلُ(٤)
إِلَى " الخُلْدِ " تَصْعَدُ أَرْوَاحُهُمْ ... وَفِى رَاحِهِمْ يَزْهَرُ المِشْعَلُ

ولم يقتصر رثاء (الجندى) على اصدقائه الشعراء فقط بل إنه رثى بعض الكتاب الذين تربطه بهم صلة الصداقة . وقد حمل شعره الينا رثاءه للشيخ (عبد

---

(١) ديوان (ترانيم الليل) ص ٣٠٢ .
(٢) يفصل مبنى للمجهول : يبين .
(٣) المساعير : الذين يسعرونها ، كناية عن البطولة : جمع مسعر - كمنبر - مسعار .
(٤) الاحبار : جمع حبر ، وهو المداد . الانصل جمع نصل ، وهو السيف .

العزيز جاويش) رئيس تحرير اللواء والعلم[١] ، والأستاذ (جبريل باشا تقلا)[٢] صاحب جريدة الأهرام ، والأستاذ (سليم مكاريوس) أحد أصحاب جريدة المقطم ، [٣] والأديب الأستاذ (كامل الكيلانى) [٤] ، وغير هؤلاء من الكتاب والأدباء .

ويبرز الشاعر فى رثائهم أحزانه وآلامه ويجعل الفجيعة فيهم ليست وقفا عليه بل تتعداه إلى الوطن الكبير ، وذلك لما كان من إسهامهم الجاد فى سبيل رقى الأمة والنهوض بها ، فقد عاشوا مجاهدين بأقلامهم وتصدوا للعدو ورفعوا من مكانة الأدب والعلم .

ويبدو ذلك واضحا فى رثائه للاستاذ " جبريل تقلا " - مؤسس جريدة الأهرام - عندما قال :[٥]

الحُزْنُ حَلَّ عَلَيْكَ وَهْوَ حَرَامُ ... فَالْعَيْنُ دَمْعٌ ! وَالفُؤَادُ ضِرَامُ
تِلْكَ الفَجِيْعَةُ - وَالفَجَائِعُ جَمَّةٌ - ... صَعِقَتْ لَهَا مِصْرٌ ! وَمَادَ «الشَّامُ»
رُزْءٌ يَجِلُّ عَنِ العَزَاءِ ! فَمَا عَلَى ... مَنْ بَاتَ مَسْلُوبَ العَزَاءِ مَلَامُ
خَطْبٌ أَذَاعَ بِهِ "الأَثِيْرُ" عَلَى الدُّجَى ... فَتَفَزَّعَ الأَيْقَاظُ والنُّوَّامُ

---

(١) أنظر فى ذلك ماقاله فى ديوان (فى ظلال القمر) ص ٢٠٣ .
(٢) توفى فى يوليو سنة ١٩٤٣م أنظر فى ذلك ماقاله الجندى فى ديوان الحان الاصيل ص ١٧٩ ، ١٨٠ .
(٣) أنظر ماقاله الشاعر فى ديوان (الحان الاصيل) ص ١٤٩ ، ١٥٠ .
(٤) أنظر ماقاله فى ترانيم الليل ص ٢١٢ - ٢٢٠ .
(٥) ديوان الحان الأصيل ص ١٧٩ .

وَأَتَى الصَّبَاحُ مُفَصِّلاً أَنْبَاءَهُ فَإِذَا الصَّبَاحُ الْمُسْتَنِيرُ ظَلَامُ
لَمَّا نُعِيْتَ إِلَى " نِزَارَ "وَ"يَعْرُبٍ " قَعَدُوْا مِنَ الحَدَثِ المُلِمِ وَقَامُوْا
يَبْكُوْنَ فِى "جِبْرِيْلَ" أَرْوَعَ مَاجِدًا كَفَّاهُ فِى مَحْلِ السِّنِيْنِ غَمَامُ
يَبْكُوْنَ فِى"جِبْرِيْلَ" رَبَّ صَحِيْفَةٍ بَيْضَاءَ لَمْ تَعْلَقْ بِهَا الآثَامُ
يَبْكُوْنَ فِيْهِ مُدَافِعًا عَنْ حَوْضِهِمْ فِى بُرْدِهِ مَاضِى الغِرَارِ حُسَامُ

هكذا رثى (الجندى) رفقاء دربه من الأدباء ـ شعراء وكتاب ـ جمعته بهم إضافة إلى صلة الصداقة صلة الزمالة فى المهنة ، ولا غرابة بعد هذه الرابطة القوية أن يطيل الشاعر فى رثائهم ببكاء مؤثر فى النفس يشبه إلى حد كبير بكاء الأخوة ونواح الأبناء والأهل ، وقد ألزم الشاعر نفسه بذلك الوفاء الذى يقدمه لمن يرثى عن طريق الشعر فيبث من خلاله بعض مايعترى نفسه من حزن وحرقة وألم عليهم ويعبر عن ذلك بقوله (١) :

مَامَلُوْمٌ مَنْ بَاتَ يَنْدُبُ شَجْوًا وَيُبَكِّى دَمًا عَلَى أَحْبَابِهْ
أَنَا ذَاكَ الوَفِىُّ! هَلْ تُنْكِرَانِى ؟ وَوَفَاءُ الإِنْسَانِ وَسْمُ نِصَابِهْ
مَا طَوَى المَوْتُ صَاحِبًا لِىَ إِلاَّ أَنْبَتَ العُشْبَ مَدْمَعِى فِى تُرَابِهْ

ويتابع الشاعر وفاءه للأصدقاء ، وكان لزملائه فى مهنة التدريس ـ التى وهب حياته لها ـ نصيبا من رثائه الذى يظهر فيه إلى جانب حزنه وبكائه عشقه للعلم وللعلماء ولهذه المهنة الشاقة التى لايقدم عليها من أراد نعيم الدنيا وزخرفها فهى أمانة تثقل الأعناق ولاينهض بها إلا من صبر

---

(١) ديوان الحان الاصيل لعلى الجندى ص ١٥٥ .

على تحمل مشقتها مخلصا فى علمه وعمله محتسبا فى ذلك الأجر والثواب من الله (عز وجل) ويتحدث الشاعر عن هذا المعنى فى قصيدته (شهداء المعلمين) التى قالها معزيا بعد أن تخطف الموت بعض زملائه المدرسين واصفا إياهم بالشهداء إن هم أتوا على هذه الخصال الحميدة ، راثيا لعملهم المرهق مع ضيق الرزق الذى ضيق فسحة الحياة عليهم ، وجعلهم عرضة الهم وهدف الشقاء(١) :

مَا غَالَهُ المَوْتُ ،بَلْ أَوْدَى بِهِ العَمَلُ ... كَيْفَ الحَيَاةُ وَلَاسَلْوَى وَلَا أَمَلُ ؟
قَالُوْا : هُوَ الأَجَلُ المَحْتُومُ!قُلْتُ لَهُمْ ... : لَوْلَمْ تَخُنْهُ المُنَى مَاخَانَهُ الأَجَلُ
يَأْسٌ وَبُؤْسٌ يَضِيْعُ العُمْرُ بَيْنَهُمَا ... كِلَاهُمَا شَرُّ مَايُمْنَى بِهِ رَجُلُ
أَغْرَتْ بِهِ المَوْتَ أَعْبَاءٌ تَحَمَّلَهَا ... لَايَشْتَكِى ، بَعْضُهَا يَعْيَا بِهِ الجَبَلُ
أَمَانَةٌ تُثْقِلُ الأَعْنَاقَ! مَابُعِثَتْ ... إِلَّا لَهَا أَنْبِيَاءُ اللّٰهِ وَالرُّسُلُ
قَالُوا بِهَا إِنْهَضْ وَسِرْ فَوْقَ العَتَادِ،وَلَا ... تَمْشِ الهُوَيْنَى،وَلَاتَفْتُرْ لَكَ الهَبَلُ(٢)
هُوَ الشَّهِيْدُ!وَإِنْ لَمْ تَرْوَ مِنْ دَمِهِ ... بِيْضُ السُّيُوْفِ وَلَا الخَطِّيَّةُ الذُّبُلُ(٣)

سَاعٍ إِلَى دَرْسِهِ ـ وَالضُّرُّ يُثْقِلُهُ ـ ... كَمَا مَشَى يَتَكَفَّا الشَّارِبُ الثَّمِلُ(٤)
تَكَادُ تَعْرِفُهُ مِنْ فَرْطِ صُفْرَتِهِ ... كَأَنَّ مِنْ وَجْنَتَيْهِ يَطْلُعُ الأُصُلُ
مَاجَازَ سِنَّ الصِّبَا ،وَالْوَجْهُ مُكْتَهِلٌ ... وَالرَّأْسُ مُشْتَمِلٌ بِالشَّيْبِ مُشْتَعِلُ
والنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ كُلٌّ لَهُ شُغُلٌ ... عَنْ هَمِّهِ! وَلَهُ مِنْ هَمِّهِ شُغُلُ
فِى كُلِّ يَوْمٍ لَنَا صَرْعَى نُشَيِّعُهُمْ ... إِلَى القُبُوْرِ،وَفِى أَكْبَادِنَا شُعَلُ

---

(١) ديوان أغاريد السحر لعلى الجندى من ص ٢٣٩ الى ص ٢٤٢ .
(٢) الهبل : الثكل .
(٣) الخطية الذبل : الرماح .
(٤) يتكفا : يتمايل من التعب .

قَدْ عَاجَلَتْهُمْ مَنَايَاهُمْ فَمَا فَزِعُوْا ... إِلَى طَبِيْبٍ ،وَلَا أَوْصَوْا بِمَنْ نَجَلُوْا (١)
لَهْفِي عَلَيْهِمْ ضَحَايَا لَايُحَسُّ بِهَا ... فِيْمَنْ أَقَامُوْا مِنَ الأَحْيَاءِ أَوْ رَحَلُوْا
أَنْضَاءُ حَرْبٍ مَفَاصِيْلٌ وَلَيْسَ لَهُمْ ... عَلَى بَلَائِهِمُ غُنْمٌ وَلَا نَفَلُ (٢)
الصَّابِرِيْنَ عَلَى الضَّرَّاءِ مَانَبَشُوْا ... يَوْمًا بِشَكْوَى وَلَا مَنُّوْا وَلَا بَخِلُوْا
وَالقَانِعِيْنَ مِنَ الدُّنْيَا بِقُوْتِهِمُو ... وَغَيْرُهُمْ بِغِنَاهُ يُضْرَبُ المَثَلُ
وَالسَّاهِرِيْنَ عَلَى الأَوْرَاقِ مَاعَرَفَتْ ... طَعْمَ الكَرَى فِي الدُّجَى السَّاجِي لَهُمْ مُقَلُ
إِنْ أَحْسَنُوْا لَمْ يُجَازَوْ بِالَّذِي صَنَعُوْا ... وَإِنْ أَسَاءُوْا فَذَنْبٌ لَيْسَ يُحْتَمَلُ
صَبْرًا عَلَى نُوَبِ الأَيَّامِ عَلَّ لَكُمْ ... آوَاخِرًا عِنْدَهَا تُنْسَى بِهَا الأُوَلُ
الدَّهْرُ أَنْعُمُهُ ظِلٌّ وَأَبْؤُسُهُ ... وَالظِلُّ يَسْجُوْ قَلِيْلاً ثُمَّ يَنْتَقِلُ (٣)

وكثيرا ما يبدأ (الجندى) عند رثائه لزملائه المدرسين بنشر فضائلهم مشوبة بحزنه ولوعته عليهم كما فى مرثيه الأستاذ " أحمد بك زناتى " التى بدأها قائلا : (٤)

لَاشَيْءَ يُحْزِنُ بَعْدَ ذَا ، وَيُكَدِّرُ ... وَقَعَ الَّذِى كُنَّا نَخَافُ وَنَحْذَرُ
مَاتَ الحَكِيْمُ المُسْتَضَاءُ بِرَأْيِهِ ... حَامِى الحَقِيْقَةَ ، وَالمُرَبِّى الأَكْبَرُ
مَاتَ الأَبِيُّ الأَرْبَحِيُّ الأَرْوَعُ ... السَّمْحُ التَّقِيُّ اللَّوْذَعِيُّ الأَشْهَرُ
أَرَأَيْتَ كَيْفَ تَحَجَّبَتْ شَمْسُ الضُّحَى ... وَتَغَيَّبَ القَمَرُ المُنِيْرُ الأَزْهَرُ

---

(١) نجلوا : ولدوا .
(٢) النفل : الغنيمة .
(٣) أبؤس : جمع بؤس ، يسجو : يسكن .
(٤) أحمد بك زناتى : صديق الشاعر وزميله فى كلية دار العلوم وقبل وفاته كان وكيلا للكلية أنظر ديوان فى ظلال القمر من ص ١٩٦ إلى ص ٢٠٠ .

ويتدرج الشاعر بعد ذلك بالحزن والأسى فى هذا المصاب ويرى أن بكاء هذا العالم ليس خاصا بالأصدقاء والأهل فحسب بل يتعداهم إلى المؤسسة العلمية التى عمل بها الراحل فها هو الحزن مخيما على (كلية دار العلوم) أساتذة وتلاميذ ، وتمتد الفجيعة لتشمل (وزارة المعارف) بمن فيها فتشارك فى بكاء هذا العالم الذى لاينسى.يقول الشاعر فى ذلك :(١)

قُمْ لِلمَعَارِفِ عَزِّهَا فَمُصَابُهَا جَلَلٌ بِجَانِبِهِ المَصَائِبُ تَصْغُرُ
دَرَّتْ بِهِ العَيْنُ الجَمُودُ،وَقَدْ غَدَتْ أَقْسَى القُلُوْبِ لِوَقْعِهِ تَتَفَطَّرُ
وَسَطَتْ عَلَى دَارِ العُلُوْمِ غَيَاهِبٌ فِى جُنْحِهَا آمَالُهَا تَتَعَثَّرُ
فَقَدَتْ عَلِيْمًا سَارَ فِيْهَا سِيْرَةً عُمَرِيَّةً تُرْوَى لَهُ وَتُسَطَّرُ

وتتسع دائرة الحزن عندما تبكى الأمة كلها هذا العالم مستشعرة مدى الخسارة بفقده . ويصف الشاعر تلك الفجيعة بقوله :(٢)

يَامَوْتُ ، طِبْ نَفْساً ظَفِرْتَ بِمَاجِدٍ رَقَّتْ شَمَائِلُهُ ،وَرَاقَ العُنْصُرُ (٣)
رَجُلٌ فَجَعْتَ بِهِ البِلَادَ وَأَهْلَهَا وَلَأَنْتَ أَدْرَىٰ بِالرِّجَالِ وَأَخْبَرُ

ولقد كان للعلماء منزلة كبيرة فى نفس (الجندى) ، ويدل على ذلك كثرة المراثى التى قالها فى تأبينهم،مبينا فيها أفضالهم على العلم مفاخرا بأعمالهم وأقوالهم ، مازجا هذا الحب بوفاء يصدره عن عاطفة جياشة وطبيعة

---

(١) المصدر السابق من ص ١٩٧ .
(٢) المصدر السابق ص ١٩٨ .
(٣) العنصر : الأصل .

حزينة . ولاتكاد تخلو له مرثيه من الحِكَم والأمثال البارعة التى ينتزعها من ومضات فكره مذكرا بها وملتمسا فيها العزاء لنفسه ولغيره .

وتعد مراثيه فى العلماء من أقوى المراثى وأشجاها ، وأجود ما تفيض به نفسه فى هذا الفن .

ولنستمع إليه وهو ينظم ودموعه تتقاطر على الأستاذ الشيخ " محمد بخيت المطيعى " (١) احدى تلك المراثى التى ينتحب فيها قائلا :(٢)

لَاتَلُومُوهُ إِذَا وَالَى البُكَاءْ ... غَلَبَ الوَجْدُ عَلَى حُسْنِ العَزَاءْ
أَدْمُعُ العَيْنِ - وَقَدْ جَدَّ الأَسَى - ... تَبْعَثُ الرُّوْحَ وَتَشْفِى البُرَحَاءْ(٣)
قَذِيَتْ عَيْنُ إِمْرِىءٍ لَاتَفْتَدِى ... قَلْبَهُ المَحْرُورَ مِنْ لَذْعِ الصَّلَاءْ(٤)
فَذَرِ الآمَاقَ تُذْرِىْ مَاءَهَا ... إِنَّهُ خَيْرُ مُعِيْنٍ فِى البَلَاءْ
لَيْسَ عَابًا أَنْ تُرَى مُنْتَحِبًا ... قَدْ بَكَى قَبْلَكَ ،"خَيْرُ الأَنْبِيَاءْ"(٥)
هَذِهِ الأَدْمُعُ نَسْتَشْفِى بِهَا ... مِنْ جَوَى الأَحْزَانِ وَالأَحْزَانُ دَاءْ
رُبَّمَا كَانَتْ شِفَاءً عَبْرَةٌ ... لَأَخِى البَثِّ ! إِذَا عَزَّ الشِّفَاءْ(٦)

---

(١) توفى المفتى الأكبر الشيخ " محمد بخيت المطيعى " سنة ١٩٣٦م وكان من علماء (الأزهر) ومشايخها ، والمطيعى : نسبة الى قرية (المطيعة) من أعمال مديرية اسيوط بجمهورية مصر العربية .
(٢) ديوان الحان الاصيل لعلى الجندى ص ١٤٤ .
(٣) جد الأسى : إشتد ، والروح باسكان الواو : الراحة ،والبرحاء : شدة الأذى .
(٤) الصلاء : صلاء النار .
(٥) إشارة الى بكاء الرسول الكريم يوم موت ابنه ابراهيم عليه السلام .
(٦) البث فى الأصل شدة الحزن ، والمرض الشديد .

ويذكّر الشاعر بالموت الذى هو قوة غالبة على هذه الحياة ، وينبه الغافلين الذين ألهتهم الحياة الدنيا بنعيمها وزخرفها إلى ذلك اليوم الذى يفصلهم عنها ، ويستطرد بعد ذلك فيسوق الحكم والعبر عن الحياة والموت مستشهدا بأمثلة حفظها التاريخ مثبتا أنه لامناص من الموت فيقول :(١)

أَيُّهَا الغَافِلُ عَنْ مَصْرَعِهِ ... يَرْمَحُ الذَّيْلَ وَيَمْشِي الخُيَلَاءْ(٢)
رَاتِعًا فِي الخَفْضِ يُغْرِيْهِ الصِّبَا ... بِجَنَى الإِثْمِ وَيَزْهُوْهُ الفَنَاءْ(٣)
تَقْرَعُ الكَأْسَ دِهَاقًا سِنَّهُ ... بَيْنَ هَمَّيْهِ : الغَوَانِي وَالغِنَاءْ(٤)
كُنْ كَمَا تَهْوَى ! وَنَلْ مَا تَشْتَهِي ... وَتَمَلَّ العَيْشَ وَافْعَلْ مَا تَشَاءْ
لَكَ يَوْمٌ سَوْفَ يُنْسِيْكَ بِهِ ... " هَاذِمُ اللَّذَاتِ" أَوْقَاتَ الصَّفَاءْ(٥)
لَمْ يُحَصِّنْ مِنْهُ "عَمْرًا" دَهْيُهُ ... لَا ، وَلَا أَحْرَزَ " قَارُوْنَ" الثَّرَاءْ
قَدْ غَزَا "كِسْرَى" وَأَرْدَى "قَيْصَرًا" ... وَرَمَى "خَاقَانَ" بِالدَّاءِ العَيَاءْ(٦)
وَأَتَى فِرْعَوْنَ فِي البَحْرِ ! فَمَا ... دَرَأَتْ أَجْنَادُهُ غُولَ الفَنَاءْ
وَ "ابْنُ سِيْنَا" حِيْنَ وَافَاهُ ضَحَا ... فَإِذَا "حِكْمَتُهُ" طَارَتْ هَبَاءْ
لَا يُبَالِي - نَازِعًا فِي قَوْسِهِ - ... سَرَّ إِذْ يُصْمِي الرَّمَايَا أَمْ أَسَاءْ

وينتقل بعد عدة أبيات مما سبق إلى الإشادة بهذا العالم وعلمه الذى سيبقى مخلدا لذكره قائلا :

---

(١) ديوان الحان الاصيل ص ١٤٥ .
(٢) يرمح ذيله : يرفسه ، كناية عن المخيلة والعجب .
(٣) الخفض : الرفه ، والفتاء : الشباب .
(٤) دهاقا : مملوءة .
(٥) هاذم اللذات : قاطعها ، وهو الموت .
(٦) خاقان : لقب ملوك الترك ، والعياء : العضال .

تَهْرَمُ الدُّنْيَا وَيَبْقَى ذِكْـــرُهُ كَأَرِيْجِ المِسْكِ أَوْ نَفْحِ الكِبَاءْ(١)
خَالِدٌ فِي عِلْمِهِ فِي فَضْلِـــــهِ فِي بَنِيْهِ الأَكْرَمِيْـنَ السُّمَحَـــاءْ
فِي تَصَانِيْفَ لَهُ ، مِنْ حُسْنِهَـــا فَاعِلَاتٌ بِالنُّهَى فِعْلَ الطِّلَاءْ (٢)
كُلُّ سِفْرٍ سَافِرٌ عَنْ رَوْضَـــــةٍ هِيَ لِلْأَلْبَابِ رِيٌّ وَغِـــــذَاءْ

ويصف الشاعر الفجيعة التى حلت بمصر بعد رحيل هذا العالم المتميز ، الذى تضاهى منزلته منزلة (أبى يوسف) صاحب (أبى حنيفة النعمـــان) وأكبر تلاميذه وقاضى القضاة ، فيقف (الأزهر) فى مأتم أحد علمائـــه وأساتذته باكيا بدموع مشوبة بالدماء فى حزن ولوعة على الفقيد ، ويتضـــح ذلك فى قول الشاعر :(٣)

رُزِئَتْ مِصْـرُ " أَبَا يُوْسُفَهَـا " فَعَلَى التَّشْرِيْعِ بِامِصْرُ العَفَـاءْ(٤)
وَقَفَ (الأَزْهَرُ) فِي مَأْتَمِـــهِ يَسْكُبُ الدَّمْعَ مَشُوْبًا بِالدِّمَـــاءْ
فَقَدَ الأَبْلَجَ مِنْ طِرْزِ التُّقَـــى وَالأَغَرَّ السَّمْحَ مِنْ شَرْطِ الْعَلَاءْ(٥)
كُلَّمَا كَفْكَفَ مِـــنْ عَبْرَتِـــهِ لَاعَهُ الحُـزْنُ فَغَالَى فِي البُكَاءْ

---

(١) الكباء بالكسر : العود .
(٢) الطلاء : الخمر .
(٣) ديوان الحان الاصيل ص ١٤٧ .
(٤) العفاء : الدروس والهلاك وذهاب الأثر .
(٥) الطرز بالكسر والطراز : الهيئة .

وعلى عادة الشاعر فى إنهاء المراثى يختم هذه القصيدة بالدعاء لمرثيه بالخير مؤكدا أن هذا الرثاء نابع من القلب فيقول :(١)

" شَيْخُ أَشْيَاخِى " سَقَتْ غَادِيَةٌ ... قَبْرَكَ الطُّهْرَ مِنَ المُزْنِ الرَّوَاءْ
مَارَثَيْنَاكَ بِشِعْرٍ . إِنَّمَا ... فَلَذَاتُ القَلْبِ نَدْعُوْهَا الرِّثَاءْ

ويعبر الشاعر فى إحدى قصائده - فى رثاء الأستاذ (لبيب بك الكردانى)(٢) التى نظمها وهو يعانى من مرض ألم به - عن شدة الحزن التى أنسته مرضه ، لأنه وجد فى هذا الحزن دواءا شافيا مما ألم به ، فالمصاب العظيم ينسى ما دونه ، ويسترسل فى ذكر عواطفه الحزينة نحو هذا الصديق قائلا :(٣)

حَاشَا أَصُوْغُ رِثَاءَهُ بِلِسَانِى ... وَأَنَا الَّذِى أَنْزَلْتُهُ بِجَنَانِى
هَتَفَ النَّعِىُّ قَضَى "اللَّبِيْبُ" فُجَاءَةً ... فَهَتَفْتُ : يَالَيْتَ النَّعِىَّ نَعَانِى
نَبَأٌ أَتَانِىَ فِى المَسَاءِ ،فَكَانَ لِىْ ... مِنْهُ ، وِمِنْ حَلَكِ الدُّجَى لَيْلاَنِ
أَهْدَى إِلَى قَلْبِى جَنَاحَ "حَمَامَةٍ" ... وَأَطَارَ "بَازَ" النَّوْمِ عَنْ أَجْفَانِى
وَكَسَا لآلِىءَ أَدْمُعِى وَجُمَانَهَا ... لَوْنَ العَقِيْقِ ، وَصِبْغَةَ العِقْبَانِ
مَرَضٌ عَلَى مَرَضٍ أَذَابَ حُشَاشَتِى ... هَلْ لِى بِحَمْلِ العِلَّتَيْنِ يَدَانِ ؟

---

(١) ديوان الحان الاصيل ص ١٤٨ .
(٢) ديوان الحان الاصيل ص ١٥٩ أحد رجال التعليم بمصر وكان صديقا للشاعر وقد لقى المنية فجأة وهو يتأهب للذهاب إلى وزارة المعارف .
(٣) ديوان الحان الأصيل ص ١٥٩ .

لَا ، قَدْ نَسِيْتُ بِمَنْ أُصِبْتُ مُصِيْبَتِي وَلَطَالَمَا اسْتَشْفَيْتُ بِالْأَحْزَانِ
وَمِنَ الأَسَى آسٍ يُمِدُّكَ بِالأَسَى وَيُعَالِجُ الأَشْجَانَ بِالْأَشْجَانِ (١)

وإلى جانب رثاء الأصدقاء والزملاء من الادباء والعلماء يسجل الشاعر بعض المراثى فى الزعماء والقادة البارزين من أبناء وطنه المصرى وأمته الإسلامية ، وفيها يعبر عن صدق مشاعره وأحاسيسه لفقدهم ، فيبكيهم بحرارة ، ويستدر الدموع من المآقى فى رثائه لهم ، مُذكِّراً بمآثرهم وأمجادهم التى جاهدوا من أجلها ، وخلفوها لأمتهم مثالا يحتذى من بعدهم .

ومن ذلك هذه الأبيات التى قالها فى رثاء الزعيم الوطنى" سعدزغلول"(٢) وفيها يبكيه بحرقة وألم ويستنزف الدموع ويحرك الاشجان بتجسيد هذه الكارثة :(٣)

بَكَى مَابَكَى لَمْ تُغْنِ عَنْهُ مَدامِعُهْ! وَيَاوَيْلَهُ مِمَّا تُجِنُّ أَضَالِعُهْ
مُعَنًّى إِذَا مَدَّ الظَّلَامُ رُوَاقَهُ تَأَوَّبَهُ هَمٌّ مِنَ النَّوْمِ مَانِعُهْ (٤)
أَجَدَّكَ ،هَذَا الدَّهْرُ صَرَّحَ شَرُّهُ وَشَدَّتْ مُغِيْرَاتٍ عَلَيْنَا كَتَائِبُهْ (٥)

---

(١) الأسى : بالضم والكسر الصبر جمع أسوة . الآسى : الطبيب .
(٢) " سعد زغلول " توفى فى ٢٣ أغسطس عام ١٩٢٧م وهو زعيم سياسى مصرى كبير .
(٣) ديوان الحان الأصيل ص ١٣٨ .
(٤) الرواق بالكسر : ستر يمد دون السقف ،تأويه : طرقه ليلا .
(٥) اجدك : بفتح الجيم وكسرها ،تنصب على المصدريه والمعنى : مالك اجدا منك .

وَمَاكُنْتُ أَرْجُوْ إِنْ قَضَى "سَعْدُ" قَوْمَهُ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا أَنْ تَرُوْعَ رَوَائِعُهْ
هَوَى الكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ يَانِيْلُ فَابْكِهِ فَقَدْ كَانَ فِى وَادِيْكَ تَبْهَى مَطَالِعُهْ
وَأَدْرِىْ الدُّمُوْعَ الحُمْرَ يَامِصْرُ! إِنَّهُ دَنَتْ فِى سَبِيْلِ الذَّوْدِ عَنْكِ مَصَارِعُهْ

وفى موضع آخر يرى الشاعر أن الفجيعة فى هذا الماجد قد تجاوزت حدود الوطن الضيق إلى العالم العربى بأسره فيقول :(١)

فَمَا مِصْرُ تَبْكِيْهِ بَلِ الشَّرْقُ كُلُّهُ وَلَا الشِّعْرُ يَرْثِيْهِ بَلِ الْمَجْدُ وَالْفَخْرُ

وعندما نقرأ القصيدة التى قالها الشاعر فى رثاء الدكتور (أحمد ماهر)(٢) بعنوان " مصرع البطولة "(٣) نحس باللوعة والحسرة تفيض من وجدانه، ونشعر بحرقته النابعة من القلب ، وقد فقد الصبر فى هذا المصاب، فأخذ يبكيه بالدم والدمع ويستدر المآقى حزنا على هذا الزعيم الذى امتدت يد الغدر إليه فيقول :(٤)

يَقُوْلُوْنَ لِىْ كَفْكِفْ مَدَامِعَكَ الحَرَّى فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنِّى بِتَسْكَابِهَا أَحْرَى
قَضَى " أَحْمَدٌ "! لَا مَتَّعَ اللّٰهُ مُقْلَةً بِإِنْسَانِهَا لَمْ تُمْسِ مِنْ بَعْدِهِ عَبْرَى
فَلَا تَسْأَلُوْنِى الصَّبْرَ إِنِّى فَقَدْتُهُ وَأَبْرَحُ مَايَعْرُوْ الفَتَى فَقْدُهُ الصَّبْرَا(٥)

---

(١) ديوان الحان الاصيل ص ١٣٨ .
(٢) أحد رؤساء وزراء مصر السابقين ، ورئيس الحزب السعدى أحد أحزاب ماقبل الثورة ، أغتيل فى دار البرلمان المصرى فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٥م وكان يتولى آنذاك رئاسة مجلس الوزراء .
(٣) ديوان الحان الاصيل من ص ١٨٥ إلى ص ١٩٠ .
(٤) ديوان الحان الاصيل ص ١٨٥ .
(٥) أبرح : أشد .

حَلَفْتُ : لَقَدْ أَدْمَى فُؤَادِى مُصَابُـــهُ وَسَطَّرَ فِى أَحْنَاءِ أَضْلَاعِىَ الْجَمْـــرَا
سَكَبْتُ لَهُ دَمْعِى فَلَمَّا جَرَى إِلَـــى مَدَاهُ إِسَكَبْتُ الدَّمْعَ مِنْ مُهْجَتِىشِعْرَا
وَكُنْتُ أَلُومُ النَّاسَ تَبْكِى عُيُونُهُـــمْ فَلَمَّا بلَوْتُ الحُزْنَ أَوْسَعْتُهُمْ عُـذْرَا

ويوضح الشاعر عدم إنتمائه لحزب من الأحزاب السياسية التى كانت قائمة فى " مصر " ، فرثاؤه لهذا الزعيم أو لغيره لايمثل انتماءه للأحزاب التـــى يترأسونها ، بل إنه يرثيهم لأنهم ساسة مصر وقادتها الذين وهبوا حياتهـــم لأمتهم وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل تقدم ورفعة وطنهم فيقول:(١)

وَمَا أَنَا "حِزْبِىٌّ" هَوًى أَوْ عَقِيْـــدَةً أُتَابِعُ "زَيْدًا" فِىالسِّيَاسَةِ أَوْ"عَمْـرَا"
وَلَكِنَّمَا أَرْعَى لِمِصْرَ عُهُودَهَـــا وَأَنْدُبُ مِنْأَبْنَائِهَا البَطَلَ الحُـــرَّا
وَقَفْتُ عَلَى مِصْرٍ قَرِيْضِى وَمَدْمَعِـــى أُنَظِّمُهُ دُرًّا ، وَأَنْثُرُهُ شَـــذْرَا (٢)
فَيَوْمًا تُحَلِّىَ المَاجِدِيْنَ مَدَائِحِـــى وَيَوْمًا تُرَوِّى عَبْرَتِى الخَدَّ وَالنَّحْـرَا

ويصف الشاعر تلك الحالة النفسية التى تعترى الإنسان عندما يتلقى خبـرا مفزعا ، فيضطرب من هول الخبر فى بداية الأمر ،ويحاول جاهدا التثبت مـــن وقوع ذلك الخبر المحزن ، الذى يتمنى فى قرارة نفسه ـ أن لايكون صحيحـــا ، وإن صح أن لايصل إلى درجة الموت ، وبعد أن يصل الشاعر بهذه الأوهام إلـــى أوجها ، يقطع الشك باليقين ويصل إلى الحقيقة المرة المتمثلة بموت هـــذا الزعيم ـ غيلةً ـ(٣) . فيظهر لوعته وتباريح نفسه الحزينة . ويصور الشاعر

---

(١) ديوان الحان الاصيل ص ١٨٥
(٢) الشذر : مايلقط من ذهب المعدن من غير إذابة الحجارة ،والواحدة شذرة .
(٣) أغتال الفقيد ـ احمد ماهر ـ شاب طائش بين أروقة البرلمان المصـــرى ليلا .

ذلك بدقة فى قوله :[١]

أَصَخْتُ إِلَى المِذْيَاعِ لَهْفَانَ مُوْجَعًا تُعَلِّلُنِى الأَوْهَامُ أَنْ أَسْمَعَ البُشْرَى
أَقُوْلُ : لَعَلَّ العُمْرَ فِيْهِ بَقِيَّةٌ وَهَيْهَاتِ لَمْ تُبْقِ المَنُوْنُ لَهُ عُمْرَا
فَلَمَّا اسْتَبَانَ الأَمْرُ صِحْتُ وَفِى الحَشَا تَبَارِيْحُ جَمْرٍ - أَىُّ خَطْبٍ دَهَى مِصْرَا

وتطالعنا بعض الابيات فى رثاء الزعماء وقد ملأها الشاعر بالحكم والعظات ولعله يجد فى ذلك بعض العزاء : يقول فى معرض رثائه لـ (حسن صبرى) [٢] .

إِيْهِ " صَبْرِى " وَعَظْتَنَا أَبْلَغَ الوَعْظِ : وَدَاوَيْتَ كُلَّ قَلْبٍ سَقِيْمِ
فَعَرَفْنَا أَنَّ المَنَاصِبَ بَرْقٌ : خَاطِفٌ ، وَالحَيَاةَ مَرُّ نَسِيْمِ

وفى رثائه لـ (محمد محمود) [٣] يُلْبِس أقواله بالحكم والأمثال مبينا أن موت هذا الزعيم وأمثاله لايعنى نهاية أثرهم،فسيبقى ذكرهم خالدا فى أذهان أمتهم ، وان رحلت أجسادهم ، ويسترسل فى ضرب الأمثال الدالة على ذلك قائلا : [٤]

---

(١) ديوان ألحان الاصيل ص ١٨٦ .
(٢) ديوان ألحان الاصيل ص ١٦٨ ، حسن صبرى : أحد رؤساء الوزارات المصرية فى زمن الحرب العالمية الثانية فى عهد الملك (فاروق) وقد توفى فى ١٩٤٠/١١/١٤ م .
(٣) محمد محمود : رئيس حزب الأحرار الدستوريين ، وتولى رئاسة الوزارة عدة مرات ، وتوفى سنة ١٩٤١م .
(٤) ديوان الحان الاصيل ص ١٧١ ، ١٧٢ .

يَفْنَى المُجَاهِدُ - حِيْنَ يَفْنَى - صُوْرَةً ... وَيَعِيْشُ فِى الأَذْهَانِ وَالأَفْكَارِ
إِنَّ العَظِيْمَ ، حَيَاتُهُ فِى مَوْتِهِ ... فَاقْرَأْ عَظِيْمَ القَوْمِ فِى الأَسْفَارِ
مَاضَرَّ صَوْبَ المُزْنِ أَقْلَعَ تَارِكًا ... آثَارَهُ فِى الرَّوْضَةِ المِعْطَارِ

وكما أخلص الجندى فى رثائه للقادة والزعماء من أبناء وطنه المصرى من أمثال : سعد زغلول ، ومحمد محمود ، وأحمد ماهر وغيرهم من الساسة ، نراه يشارك بكل أحاسيسه فى رثاء قادة وزعماء العالم العربى والاسلامى ، ويعبر عن ذلك الحزن بصفته أحد أبناء الأمة العربية التى تربطه بها وشائج الدين واللغة ، فيتأثر بما يلم بها من أحداث ، ولا يبخل بعواطفه اتجاهها بل يرسلها وفاءً منه لعشيرته - أبناء يعرب - كما قال فى نهاية هذه الأبيات (١) :

لِى كُلَّ يَوْمٍ عَبْرَةٌ مَسْفُوْحَةٌ ... حَرَّى تَشُبُّ - عَلَى البُكَاءِ - أَوَارِى
جَادَتْ بِهَا عَيْنَاىَ لاَ أَجْزِى بِهَا ... صُنْعًا ، وَلٰكِنَّ الوَفَاءَ شِعَارِى
لاَ تَسْتَقِلَّ دُمُوْعَ عَيْنِىَ إِنَّهَا ... ذَوْبُ الفُؤَادِ يَسِيْلُ فِى الأَشْعَارِ
أَبْكِيهُمُ مِنْ كُلِّ " حِزْبٍ " مُضْمِرًا ... لَهُمُ هَوَى " حَسَّانَ " لِلأَنْصَارِ
وَأَنَا الهِزَارُ ، سَمَاءُ مِصْرٍ مَسْرَحِىْ ... وَ " النِّيْلُ " وِرْدِىَ وَالكِنَانَةُ دَارِى
لاَ بَلْ أَقُوْلُ - وَمَاكَذَبْتُ عَشِيْرَتِى ... أَبْنَاءُ "يَعْرُبَ" كُلُّهُمْ وَ " نِزَارِ "

ويبرز الشاعر فى رثائه لزعماء الأمة الاسلامية مآثرهم وصفاتهم وفضائلهم، ويجعلها مُثُلاً صالحة للإقتداء بها ، ويشيد بأولئك القادة الذين وهبوا

---

(١) ديوان الحان الاصيل ص ١٦٩ .

حياتهم رخيصة فى سبيل بناء أمتهم على الأسس الصحيحة القائمة على العدل والتقى ، كما فى قوله - مرتجلا - فى رثاء (المغفور له) الملك (عبد العزيز آل سعود) عاهل (المملكة العربية السعودية) قائلا :[1]

عَاشَ مَا عَاشَ بَانِيًا لِلْمَعَالِي ... تَحْتَ ظِلِّ التُّقَى ، وَظِلِّ العَوَالِي
رَادِفًا مَجْدَهُ التَّلِيْدَ بِمَجْدٍ ... طَارِفٍ مِنْ جَلَائِلِ الأَعْمَالِ
رُزِقَ البَسْطَتَيْنِ فِي الجِسْمِ وَالعَقْـ ... ـلِ وَحِيْزَتْ لَهُ صِفَاتُ الكَمَالِ
لَمْ يَكُنْ عَابِثًا ،وَلَمْ يَكُ يَلْهُوْ ... كَمُلُوْكٍ تَمَرَّغُوْا فِي الضَّلَالِ

ومما جاء فى ذلك أيضا رثاؤه للملك (فيصل الأول)[2] عاهل العراق ، ويصف حزنه وحزن الأمة عليه قائلا :[3]

"أَفَيْصَلُ" مَالَكَ عِفْتَ البَقَاءَ ... وَدُوْنَكَ لَيْسَ يَطِيْبُ البَقَاءْ
تَرَكْتَ البَوَادِيَ - عَلَى مَحْلِهَا - ... وَقَدْ أَنْبَتَ العُشْبَ فِيْهَا البُكَاءْ
وَغَشَّى الحَوَاضِرَ لَيْلٌ بَهِيْمٌ ... مِنَ الحُزْنِ حَجَّبَ عَنْهَا الضِيَاءْ

---

(١) ديوان فى ظلال القمر لعلى الجندى ص ٢٠١ ، ٢٠٢ توفى الملك عبد العزيز - رحمه الله - سنة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣م.

(٢) توفى فى سويسرة عام ١٩٣٣م .

(٣) ديوان الحان الاصيل لعلى الجندى ص ١٣٥ .

ولم يقتصر رثاؤ (الجندى) على بنى الإنسان بل رثى الحيوان أيضا ، وخص برثائه كلبه الوفى (بيجو) الذى قتله بعض الأشقياء .

ويبدأ الشاعر مرثيته بالتأسى واللوعة على هذا الفقيد، ذاكرا لصفاته التى اتسم بها كالأمانة والوفاء والقوة ، ويعقد الشاعر مقارنةً بين كلبه وبعض أصدقائه فى هذه الخلال النادرة فيثبتها له دونهم . ويتحسر الشاعر على كلبه الوفى المخلص قائلا :(١)

أَيْنَ " بِيْجُو " حَارِسُ البَيْتِ ، وَرَاعِيْهِ الأَمِيْنْ
وَصَدِيْقُ الأُسْرَةِ ، الذَّائِدِ عَنْهَا بِالْيَمِيْنْ (٢)

أَيْنَ " بِيْجُو " مَنْ يَفِى بِالْعَهْدِ ، وَالنَّاسُ تَخُوْنْ
أَيْنَ " بِيْجُوْ " الصَّادِقُ الخُلَّةِ ، وَالخِلُّ يَمِيْنْ (٣)

أَيْنَ " بِيْجُو " النَّاصِعُ الخَالِى مِنَ الحِقْدِ الدَّفِيْنْ
بَيْنَ جِيْلٍ ، أَكْثَرُ الصَّحْبِ بِهِ خَبٌّ ظَنِيْنْ (٤)

كَمْ كِلَابٍ مِنْ بَنِى " آدَمَ " تَبْهَى فِى العُيُوْنْ
لَوْ وَزَنَّاهُمْ بِهِ انْحَطُّوْا إِلَى الطِّينِ المَهِيْنْ

ويصور الشاعر حزنه وأسف أهل الحى جميعا على فراق هذا الكلب المتميز بقوته وإخلاصه ووفائه وأمانته ، فيطيل البكاء عليه ، ويقيم له مأتما فى

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص ٢١٩ .
(٢) اليمين : القوة .
(٣) الخلة بضم الخاء: الصداقة المختصة لاخلل فيها. ويمين : يكذب .
(٤) الخب بالفتح والكسر: الخداع الخبيث . والظنين : المتهم .

٣ - الوطنيـــــات

فن جديد ظهر فى العصور الحديثة وأظهرته الظروف المعاصرة .

وهو فن يعبر فيه الشاعر عن طبيعته فى حب الخير لوطنه من خلال رصد الأحداث - لاسيما السياسية منها - الممزوجة بعاطفته المشبوبة التى يصور فيها اتجاهه ونزعته . ووطنية الشاعر قد تتعدى البلد الذى يعيش فيه فتتسع لتشمل الوطن الكبير الذى تربطه به ملة الدين واللغة والمصير المشترك . فيقول بعد أن يتفاعل مع الأحداث المحيطة ببلده وأمته .

وشاعرنا الذى نتحدث عنه وجد فى فترة زمنية مليئة بالأحداث والتقلبات السياسية الخطيرة داخل بلده (مصر) أو أمته العربية الإسلامية وهى فترة مابين (الحرب العالمية الأولى) و (الحرب العالمية الثانية) وما تبعها من أحداث سياسية ، والتى كانت مادة خصبة (للجندى) إنعكس أثرها عليه فسجل صداها فى شتاجه الشعرى ، لذلك نجد دواوينه الشعرية تمتلىء بالقصائد الوطنية التى يتفاعل فيها مع الأحداث والمواقف ، ويحدد فيها نزعته واتجاهه . وهو فى هذا المجال شاعر (وطنى صميم حار الإخلاص ، خاض غمار الجهاد طالبا ، وتعرض للموت مئات المرات ، وكان وتر (دار العلوم) المُرَنِم مدة تلمذته بها ، وطالما هز مشاعر الجموع بما كان ينشده من القصائد الحماسية فى بيت الأمة)[1] .

---

(١) أنظر مقدمة ديوان أغاريد السحر ص ٢٢ .

وكان ذلك فى مطلع حياته الفنية إبان ثورة مصر الوطنية سنة ١٩١٩ بقيادة (سعد زغلول) ضد الإحتلال الإنجليزى ، وقد عايش الشاعر تلك الأحداث التى حلت فى بلده ، ونقل إلينا جزءا من إحساسه بالمعاناة القاسية التى يمر فيها وطنه ، ومما يدل على حب الشاعر لوطنه وتأصل ذلك فى نفسه تلك النظرة التى كان ينظر بها لزعماء الأحزاب السياسية المختلفة فى مصر آنذاك دون تعصب منه أو إنتماء لحزب من الأحزاب ، وإن كان - كما يقال عنه [1] : (فى أول أمره حزبيا ثم خلص من ذلك تدريجا فأصبح وطنيا واسع الأفق) .

ويبرهن الشاعر على وفائه وإخلاصه لمن أراد الخير لوطنه من قادة تلك الأحزاب السياسية دون تعصب أو انتماء عندما يقول فى رثاء أحد قادة تلك الأحزاب : [2]

وَمَا أَنَا " حِزْبِيٌّ " هَوَىً أَوْ عَقِيْدَةً
أُتَابِعُ " زَيْدًا " فِى السِّيَاسَةِ أَوْ "عَمْرَا"
وَلَكِنَّمَا أَرْعَى لِمِصْرَ عُهُوْدَهَا
وَأَنْدُبُ مِنْ أَبْنَائِهَا البَطَلَ الحُرَّا
وَقَفْتُ عَلَى مِصْرٍ قَرِيْضِى وَمَدْمَعِى
أُنَظِّمُهُ دُرًّا ، وَأَنْثُرُهُ شَذْرَا

---

(١) مقدمة ديوان أغاريد السحر ص ٢٣ .
(٢) ديوان الحان الاصيل لعلى الجندى ص ١٨٥ .

إنه بذلك يحدِّد اتجاهه ونزعته الوطنية النابعة من حبه لبلده الذى يلزمه بحب من أحبه وعمل من أجل رفعته بإخلاص وتفان من أولئك الأبطال الذين تتحقق على أيديهم آمال شعوبهم .

ولايقف (الجندى) عند هذا الحد من التعبير عن حبه لوطنه بل نراه يقف بكل مشاعره مع أولئك القادة لأنهم وهبوا حياتهم لبلادهم يفدونها بأرواحهم وراحتهم ، ويجد الشاعر فيهم قدوة ومثالا يجب أن يحتذى ، ومن خلال تضحيتهم ونضالهم يستمد الشاعر دعوته إلى تعميق المشاعر الوطنية وإيقاظها فى النفوس ، ويستنهض الهمم عندما يدعو إلى مناهضة الإحتلال والتصدى له .

ويتجلى هذا الموقف من الشاعر عندما اعتقل (الإنجليز) - فى ٨ مارس سنة ١٩١٩ م - (سعد زغلول) و (محمد محمود) و (إسماعيل صدقى) و (حمد الباسل) ونفوهم إلى (مالطه)،فيتفاعل مع هذا الحدث ويلقى هذه القصيدة - وهو طالب - فى جموع إحتشدت فى ساحة الجامع الأزهر، وفيها يستنهض الهمم بعد عرض سريع للواقع المليئ بالآلام ، داعيا إلى مناهضة الإحتلال والتصدى له بكل الوسائل ، وطرده عن حياض الوطن قائلا:(١)

دَعِ الذُّلَّ خَيْرٌ مِنْ مُقَامٍ عَلَى الصَّغْرِ
ثَوَاؤُكَ مَرْهُونًا لَدَى ظُلْمَةِ القَبْرِ
وَجُدْ بِنَفِيْسِ النَّفْسِ ذَوْدًا عَنِ الحِمَى
وَإِلاَّ فَلُذْ بِالْخِدْرِ كَالْكَاعِبِ البِكْرِ

---

(١) أغاريد السحر ص ١٣٩ .

وَكَيْـفَ انْتِفَـاعُ الْمَرْءِ بِالْعَيْشِ وَالعِـدَى
يُدِيْقُوْنَـهُ فِى دَارِهِ غُصَصَ الأَسْـرِ
أَتَهْنَئُهُ تِلْـكَ الحَيَـاةُ ، وَإِنَّهَـا
لَأَجْدَرُ أَنْ تُدْعَى مَمَاتًا إِلَى الْحَشْـرِ
بَنِـى «مِصْرَ» قَدْ جَدَّ النِّزَالُ فَجَـدِّدُوْا
عَزَائِمَكُمْ وَابْغُوْا السَّبِيْلَ إِلَى النَّصْرِ
بَنِى «مِصْرَ» هُبُّوْا لِلْجِهَـادِ بِأَنْفُسٍ
فِدَائِيَّةٍ لَاتَرْتَضِـىْ عِيْشَـةَ القَهْـرِ
بَنِىْ «مِصْرَ» إِنَّ السِّلْمَ لَيْـسَ بِنَافِـعٍ
فَحُشُّوْا لَظَاهَـا وَادْرَءُوْا الشَّرَّ بِالشَّرِ

إلى أن يقول : مذكراً بأمجاد سابقة مستثيرا حماسهم وغيرتهم على وطنهم :

فَإِنْ أَنْتُمُو قَلَّمْتُمُو ظُفُرَ بَطْشِهِـمْ
ظَفِرْتُمْ وَإِلَّا فَالسَّلَامُ عَلَـى مِصْرِ
شَنَارٌ وَعَـارٌ أَنْ نَـدِلَّ لِبَأْسِهِـمْ
وَنَحْنُ بَنُـو الْمَجْدِ الْمُؤَثَّلِ وَالْفَخْرِ
مَلَكْنَا بَسِيْطَ الأَرْضِ قِدْمًـا ، وَمَجْدُنَـا
تَسَامَى عَلَى هَامِ السِّمَاكَيْنِ وَالنَّسْـرِ (١)

---

(١) السماكان : كوكبان يسمى أحدهما الرامح والآخر الأعزل ، والنسر أحد كوكبين يسمى أحدهما الطائر والآخر الواقع .

ويشير بعد ذلك إلى إبعاد الإنجليز لزعماء الثورة آنذاك وما كان من شأن ذلك النفى الذى كان إيذانا بنشوب ثورة مصر من أجل استرجاع حريتها المسلوبة قائلا :

هُنَا تَظْهَرُ الأَبْطَالُ - وَالْمَوْتُ مُكْثِبٌ -
وَيَبْدُوْ حَمِيَّ الأَنْفِ ذُوْ الخُلُقِ المُرِّ
فَإِنْ أَبْعَدُوْا عَنَّا (الزَّعِيْمَ) سَفَاهَةً
فَلَنْ يُطْفِئُوْا ذَاكَ الشُّعُوْرَ الَّذِى يَسْرِى
لَقَدْ حَرَّمُوْا بَيْعَ (الرَّقِيْقِ) فَمَالَنَا
نَرَاهُمْ يُبِيْحُوْنَ التِّجَارَةَ فِى الحُرِّ

إلى أن يقول :

وَقَدْ تُسْفِرُ الأَحْدَاثُ عَنْ طَيِّبِ المُنَى
وَيَارُبَّ عُسْرٍ قَدْ تَكَشَّفَ عَنْ يُسْرِ

ويعبر (الجندى) عن وطنيته أصدق مايكون عندما يتلقى نبأ مرض الزعيم (سعد زغلول) فى (سيشل) ونقلُ الأنجليزِ إياه إلى (جبل طارق) ، فتهيج عاطفته من هذا الواقع المرير الذى حل بوطنه آملا إنكشافه فى قوله :(١)

سَجَا لَيْلُهُ ، وَالْقَلْبُ مَازَالَ وَاجِبًا
فَهَلْ شَامَ بَرْقًا أَوْ تَذَكَّرَ غَائِبَا

---

(١) أغاريد السحر ص ١٥١ ، ١٥٢ .

عَهِدْنَا لَدِيْذَ الغُمْضِ يَأْلَفُ جَفْنَهُ
فَمَا بَالُهُ أَمْسَى يُرَاعِى الْكَوَاكِبَا

لَعَمْرُ كُمَا مَارَاحَ قَلْبِى بِغَادَةٍ
مُعَنَّىً وَلاَ عُلِّقْتُ فِى الحُبِّ كَاعِبَا

وَلاَ نَغَمَاتُ (العُوْدِ) أَصْبَتْ مَسَامِعِى
وَلاَ لَذَّلِىْ صَفْوُ المُدَامَةِ شَارِبَا

وَلاَ رَاقَنِى مِنْ بَعْدِ«سَعْدٍ»سِوَى الأَسَى
وَلاَ أَلِفَتْ نَفْسِى سِوَى الهَمِّ صَاحِبَا

وَمَا بِتُّ - لَوْلاَ حُبُّ مِصْرَ - مُؤَرَّقًا
وَلاَ بَاتَ دَمْعِى فَوْقَ خَدَّىَ سَاكِبَا

إلى أن يقول :

وَذُوْ دَنَفٍ خَطَّ الوَقَارُ بِفَوْدِهِ
مَشِيْبًا ، وَأَوْلَتْهُ السُّنُوْنَ تَجَارِبَا

عَلَى سَاحِلِ (الأَسْبَانِ) أَلْقَى عَصَاالنَّوَى
تُسَاوِرُهُ الآلاَمُ فِيْهِ نَوَاصِبَا

لَكِ اللّٰهُ مِصْرٌ ، كَمْ خُطُوْبٍ تَتَابَعَتْ
عَلَيْكِ ؟ وَكَمْ ذَا تَحْمِلِيْنَ نَوَائِبَا

فَإِنْ كَانَ هَذَا الدَّهْرُ عَبَّ صَرْفَهُ
وَسَاقَ إِلَيْنَا - يَسْتَحِثُ - الكَتَائِبَا

وَأَطْبَقَتِ الأَهْوَالُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَمَدَّتْ عَلَيْنَا الحَادِثَاتُ غَيَاهِبَا

فَكَمْ مِحَنٍ فِيْهِ تَكَشَّفْنَ عَنْ مُنًى
وَكَمْ سَاءَ بَدْءًا مَايَسُرُّ عَوَاقِبَا

ويدعو الشاعر إلى مناهضة الإحتلال وعدم تصديق الوعود الكاذبة التى يطلقها المستعمرون وغرضهم من ذلك التضليل ، ويُشَهِّرُ بهم مستندا الى الواقع المؤلم ، مثبتا زيف تلك المعاهدات والوعود الكاذبة التى يدعو إليها المستعمرون وغالبا مايكون عاقبتها الجور ، فيقول : (١)

كُشِفَ الغِطَاءُ ، وَأُعْلِنَ المَسْتُوْرُ
الحِلْفُ إِفْكٌ! وَالصَّدَاقَةُ زُوْرُ

مَازَالَ يَخْدَعُنَا سَرَابُ وُعُوْدِكُمْ
حَتَّى مَحَا لَيْلَ الشُّكُوْكِ النُّوْرُ

قَالُوْا : (مُعَاهَدَةٌ) فَقُلْتُ : سَلَاسِلٌ
يَلْهُوْ بِحُلْوِ رَنِيْنِهَا الْمَأْسُوْرُ

غَنَّى لَهَا بُلْهُ السَّوَادِ ، وَصَفَّقُوْا
وَحَشَا بَيْنَ جَوَانِحِيْ مَصْهُوْرُ

حَذَّرْتُ قَوْمِي السُّمَّ فِي أَضْعَافِهَا
لَوْ كَانَ يَنْفَعُ قَوْمِيَ التَّحْذِيْرُ

(١) ديوان أغاريد السحر ص ١٧٠ ، ١٧١ ، ونظم الشاعر هذه القصيدة بعد الحادثة التى وقعت فى يوم الخميس ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ وفيها أطلق الإنجليز الرصاص على المظاهرة السلمية التى خرجت تندد بالإحتلال معبرة عن غضبها من نقض الوعود ، وادى ذلك إلى قتل وجرح الكثير من المتظاهرين .

إلى أن يقول :

هِيَ خُدْعَةٌ جَازَتْ عَلَى زُعَمَائِنَا
فَاعْذُرْهُمُو ، قَدْ يُخْدَعُ النِّحْرِيرُ

لَاتَرْضَيَنَّ بِغَيْرِ حَقِّكَ كَامِلاً
فَقَلِيلُ مَافَرَّطْتَ فِيهِ كَثِيرُ

أَوْ خَلِّ أَعْبَاءَ الجِهَادِ لِفِتْيَةٍ
خُلِقُوا لَهُ ! إِنَّ الجِهَادَ عَسِيرُ

ويتجلى حب الشاعر لوطنه وغيرته عليه ورغبته الصادقة فى بقائه قويا متماسكا ، عندما ينبه محذرا من تلك الفرقة التى دبت بين الأحزاب السياسية، فذلك من شأنه أن يضعف الوطن ويلحق الضرر به ، ويتبرَّم بذلك الخلاف بين الأحزاب قائلا :(١)

أَجَلْتُ الطَّرْفَ بَيْنَهُمُو فَعَادَ بِمَا يُرَوِّعُنِي
فَمِنْ صَبٍّ بِدُنْيَا الحُسْنِ م مَوْقُوفٍ عَلَى الدَّدَنِ
وَأَحْزَابٍ تُرِيدُ (الحُكْمَ) م لَوْلَا الحُكْمُ لَمْ تَكُنِ

ويحذر الشاعر ـ المحب لوطنه ـ من عاقبة هذا الخلاف الذى دب بين الأحزاب المتصارعة على الحكم ، ووصل بهم الأمر إلى التراشق بالتهم بين صحف الأحزاب المختلفة،وأغفلوا الجانب المهم وهو التصدى (للمستعمر)

---

(١) أغاريد السحر ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

الذى يدنس أرضهم . ويدعوهم إلى نبذ الخلاف والإلتفات الى ماهو أمر وأدهى عندما يرسل من أعماق صدره هذه الزفرات قائلا :(١)

مَالِيْ أَرَى الأَقْلَامَ نَافِثَةً ... فَوْقَ الطُّرُوْسِ سُمُوْمَ أَصْلَالِ
وَقَدِ اسْتَحَالَتْ فِي أَنَامِلِكُمْ ... أَسَلَاتُهَا أَنْيَابُ أَغْوَالِ

زُعَمَاءُ مِصْرٍ ، كَيْفَ نَوْمُكُمُو ... وَالأَرْضُ رَاجِفَةٌ بِزِلْزَالِ
هَذَا التَّرَاشُقُ - تَحْتَ أَعْيُنِهِمْ - ... أَدْمَى قُلُوْبَ الصَّحْبِ وَالآلِ
كُلٌّ تُغَنِّيْهِ صَحِيْفَتُهُ ... مَاشَاءَ : مِنْ شِعْرٍ وَأَزْجَالِ
مَهْلاً ، فَفِي الأَعْنَاقِ مَابَرِحَتْ ... تَؤْذِي الكَرَامَةَ بَعْضُ أَغْلَالِ
وَبِمِصْرَ أَحْوَالٌ مُعَقَّدَةٌ ... عَسْرَاءُ تُعْيِيْ أَلْفَ حَلَّالِ

وتبرز وطنية الشاعر فى نظرته الحزينة للحالة التى وصل إليها وطنه المخدوع بساسته الذين يُنَصبهم المستعمرون - الإنجليز - ، فلا تقوم وزارة إلا ويتدخل الإنجليز فى تأليفها من أولئك الحكام الذين هم بعيدون كل البعد عما يدور فى وطنهم ، فالمستعمر يختفى خلف أولئك الحكام الذين فسد حكمهم ، وألحق الضرر بأمتهم ، فيصف ذلك الحال السيىء متطلعا إلى زواله قائلا : (٢)

---

(١) ديوان أغاريد السحر للجندى ص ١٦٦ ، ١٦٨ .
(٢) " " " " ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

فِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا " وَزَارَهْ " تَضِيْقُ عَنْ وَصْفِهَا العِبَـــارَهْ
جَاءَتْ إِلَى (الدَّسْتِ) مِنْ طَرِيْـقٍ يَأْبَى أُبَاةُ النُّفُوْسِ عَـــارَهْ (١)
تُدِيْرُنَا وَهْنَ لَوْ أَصَابَـــــتْ قَالَتْ لَنَا : إِنَّهَا مُـــدَارَهْ
تَبًّا لِدَهْـرٍ يَحُـلُّ فِيْـــهِ رُذَّالُ مِصْـرٍ بِهَا الصَّدَارَهْ
مَايَمْنَعُ الشَّعْبَ أَنْ نَـــرَاهُ مُقَلِّدًا أَمْـرَهُ خِيَـــارَهْ

ويتابع مشيرا إلى تدخل الإنجليز فى تأليف الوزارة المصرية :

" وَجْهٌ " يُغَطِّى عَلَيْـــهِ سِتْـرٌ أَلْمَحُ مِـنْ خَلْفِـهُ "احْمِرَارَهْ)
يَلْهُوْ بِنَا ـ وَهْوَ غَيْرُ لَاهٍ ـ وَيُرْسِلُ الوَحْـىَ وَالإِشَارَهْ

ويحاول إلهاب جماهير الشعب لذلك الأمر فيستنهض الهمم قائلا : (٢)

هَلْ عَقِمَتْ(مِصْرٌ) أَمْ تَوَلَّـــتْ لَا حُرَّ فِيْهَـــا وَلَا حَـــرَارَهْ
أَمْ سَكَنَتْ ثَـوْرَةٌ عَرَتْهَـــا لِأَنَّهَا كَانَتِ (اسْتِعَـــارَهْ)
أَلَا شَبَابٌ بِهَـــا كَرِيْـــمٌ مُتَّخِـذٌ حُبَّهَـــا شِعَـــارَهْ
مُسْتَقْتِلٌ فِى الذِّيَادِ عَنْهَـــا حَامِى الحِمَى ، مَانِعٌ ذِمَـارَهْ
يَهُزُّهَا مِنْ عَمِيْـــقِ نَـــوْمٍ بَاتَتْ بِهِ تُشْبِهُ الحِجَارَهْ

---

(١) الدست صدر البيت وأراد به الشاعر كرسى الحكم .

(٢) أغاريد السحر للجندى ص ١٦٤ .

وَمن الأحداث الوطنية التى أنطقت شاعرنا وألهبت عواطفه معركة «بورسعيد» التى انتصر فيها الجنود المصريون على المستعمرين الإنجليز وأعوانهم ، وفيها يشيد بهذه المدينة الباسلة وأبنائها الأبطال وما فعلوه بأولئك الغزاة المستعمرين ، وكيف أنهم يَفْدون وطنهم بأعز مايملكون فيقول :(١)

يَازَهْرَةَ المُدُنِ الحَرَائِرِ لَمْ يَخُنْ
عَهْدَ الوَفَاءِ حُمَاتُكِ الأَحْرَارُ

الصَّابِرِيْنَ عَلَى البَلاَءِ نُفُوْسَهُمْ
وَالأَرْضُ رَاجِفَةُ الحَشَا مِذْعَارُ

سَارُوْا إِلَى هَمَجِ الغُزَاةِ ضَرَاغِمًا
أَنْيَابُهَا ـ لِلْفَتْكِ ـ وَالأَظْفَارُ

وَحَنَوْا عَلَيْكِ صُدُوْرَهُمْ وَنُحُوْرَهُمْ
فَكَأَنَّهَا مِنْ دُوْنِكِ الأَسْوَارُ

وَفَدَوْكِ بِالأَعْمَارِ ـ وَهْىَ نَفَائِسٌ ـ
وَلِمِثْلِ قَدْرِكِ تَرْخُصُ الأَعْمَارُ

ويصور جانبا من أحداث تلك المعركة فى قوله :(٢)

هَبَطُوْا عَلَيْكِ مِنَ السَّمَاءِ وَمَادَرَوْا
أَنَّ السَّمَاءَ عَلَى حِمَاكِ تَغَارُ

---

(١) ترانيم الليل لعلى الجندى ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) ديوان ترانيم الليل ص ٤٥ .

فَتَلَقَّفَتْهُمْ فِي الهَوَاءِ صَوَاعِقٌ
فِيْهَا المَنُوْنُ ، وَلَفَّهُمْ إِعْصَارُ

وَأَتَتْهُمُ مِنْ حَيْثُ لَايَدْرُونَهَا
نَارٌ وَلِلْمُتَجَبِّرِيْنَ النَّارُ

كما أنه يُشهِّر فى هذه القصيدة بفظاعة المستعمرين ووحشيتهم وغدرهم فيقول : (١)

إِنْ قَتَّلُوْا الضُّعَفَاءَ فِيْكِ ، فَإِنَّهُ
عَارٌ يُسَوِّدُ صُحْفَهُمْ وَشَنَارُ

أَوْ هَدَّمُوا الجُدْرَانَ مِنْكِ فَرُبَّمَا
عَصَمَ البِلَادَ جِدَارُكِ المُنْهَارُ

ويختتم القصيدة مشيدا بنهاية تلك المعركة التى أدت إلى جلاء جنود المستعمرين مجللين بعار الهزيمة والخذلان ، مسجلا هذا النصر الذى سيبقى شرفا وفخرا لأبناء الوطن فيقول : (٢)

شَرَفًا وَفَخْرًا بَوْرَسَعِيْدَ وَسُؤْدَدًا
يُزْهَى بِهِ أَنْعَارُكِ (الأَنْصَارُ)

---

(١) نفس المرجع السابق .

(٢) ترانيم الليل ص ٤٧ ، ٤٨ .

طَالَتْ يَدَاكِ وَعَزَّ أَهْلُكِ ، وانْجَلَى
بُوْمُ الظَّلَامِ ، وَذَلَّ الاسْتِعْمَارُ

عَادُوْا كَمَا جَاءُ وا وَفَوْقَ أُنُوْفِهِمْ
وَسْمُ الهَوَانِ ، وَفِي الجِبَاهِ القَارُ

خَذَلَ الإِلٰهُ المُعْتَدِيْنَ وَقُنِّعُوا
خِزْيًا ، وَعُقْبَى المُعْتَدِيْنَ خَسَارُ

وَأَعَزَّ بِالنَّصْرِ المُبِيْنِ جُنُوْدَهُ
وَلِجُنْدِهِ النَّصْرُ المُبِيْنُ شِعَارُ

ويعبر الشاعر عن وطنيته أصدق مايكون عندما يتغنى بحبه ، ضاربا على نفسه العهد بأن يكون وفيا ومخلصا لبلاده قائلا : (١)

حَلَفْتُ بِرَبِّيَ جَهْدَ اليَمِيْنِ
وَبِالْكُتْبِ ، بِالرُّسْلِ ، بِالأَنْبِيَاءْ

بِأَنِّيَ لِلنِّيْلِ وَافٍ أَمِيْنْ
أَصُوْنُ العَرِيْنَ ، وَأَحْمِي اللِّوَاءْ

* * *

وَأَبْذُلُ رُوْحِي فِدَاءَ الوَطَنْ
إِذَا مَادَعَانِيَ دَاعِي الجِهَادْ

---

(١) تراتيم الليل ص ٤٧ ، ٤٨ .
(٢) " " ص ١٨ .

حَفِيْظٌ عَلَى عَهْدِهِ مُؤْتَمَنْ
وَدِرْعٌ لَهُ فِى الخُطُوْبِ الشِّدَادْ

ويصل به حب وطنه إلى درجة الهيام عندما يقول :(١)

بِلَادِى وَقَفْتُ عَلَيْكِ الغَرَامْ
وَفِيْكِ عَرَفْتُ الجَوَى وَالهُيَامْ

إِذَا قُلْتُ : (لَيْلَى) فَأَنْتِ المُنَى
وَإِنْ قُلْتُ : (سَلْمَى) فَأَنْتِ المَرَامْ

أُحِبُّكِ حُبَّ المُعَنَّى العَمِيْدْ
تَبَارِيْحُهُ كُلَّ يَوْمٍ تَزِيْدْ

أَرَى الحُبَّ يَبْلَى بِطُوْلِ المَدَى
وَحُبِّى عَلَى الدَّهْرِ غَضٌّ جَدِيْدْ

وبقدر ما أحب (الجندى) وطنه المصرى وأخلص له وتغنى به مصورا إتجاهه ونزعته، نجده يقف بكل أحاسيسه ومشاعره مع وطنه العربى والإسلامى الكبير الذى تربطه بوطنه وشائج الدين واللغة والمصير، ويتحدث عن تلك الصلة قائلا : (٢)

" لِيَعْرُبَ " مِنْ سَاحِهَا أَوْ (نِزَارٍ)
رَبِيْعٌ ، وَمَرْتَعٌ زَاهِرُ

---

(١) تراتيم الليل ص ٢٩ .
(٢) " " ص ٥٤ .

لَهُمْ فَوْقَهَا إِخْوَةٌ أَوْفِيَاءُ
يَضُمُّهُمُ النَّسَبُ الفَاخِرُ

وَدِينٌ يُؤَلِّفُ بَيْنَ القُلُوبِ
وَيَعْطِفُهَا ، وَالْهَوَى نَافِرُ

وَأُمُّ اللُّغَى رَحِمٌ بَيْنَنَا
وَقَاطِعُ أَرْحَامِهِ كَافِرُ

ويعتز بانتمائه إلى هذه الأمة التى يقول فيها الله - عز وجل - " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً " الآية (١) ، فيقول : (٢)

إِنَّا لأَوْسَطُ أُمَّةٍ عَزَّتْ ، وَسَادَتْ فِي البَشَرْ
وَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا بِهَا كَاللَّيْلِ ضَوَّأَهُ القَمَرْ

ويعبر الشاعر عن وطنيته - بمعناها الشامل - عندما ينبه أبناء الأمة الإسلامية إلى نبذ الخلافات التى دبت بينهم فجعلتهم فرقاً وأشياعا ضعيفةً لاحول لها ولا طول ، وما كانت هذه الفرقة إلا لأنهم هجروا كتاب الله وسنّة نبيه التى تدعوهم الى التآلف تحت راية الإسلام ، ويدعوهم إلى التأسى بأسلافهم الذين حكّموا كتاب الله بينهم فأعزهم الله وهم قِلّة ، وأذل غيرهم

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٤٣ .
(٢) ترانيم الليل ص ٦٩ .

وهم كُثر ولكن كغثاء السيل جزاء ما اقترفت أيديهم ، ويوجه إليهم الخطاب قائلا :(١)

عَلَامَ الخُلْفُ ؟ " وَالْقُرْآنُ " هَدْيٌ
وَفِيْمَ البُغْضُ ؟ وَالدِّيْنُ التَّآلُفْ

وَهَلْ لاَنَتْ قَنَاةُ (الشَّرْقِ) إِلاَّ
لِأَنَّا قَدْ تَفَرَّقْنَا طَوَائِفْ

سَلِ الأَسْلاَفَ هَلْ نَالُوْا الثُّرَيَّا
بِغَيْرِ الحُبِّ ، أَوْ غَيْرِ التَّكَاتُفْ

بَنَوْا مُلْكًا أَظَلَّ الأَرْضَ حِيْنًا
عَلَى حَدِّ الظُّبَا ، وَهُدَى المَصَاحِفْ

رَضُوْا بِالْعِزِّ مَطْلُوْبًا ، وَإِنَّا
رَضِيْنَا أَنْ نَكُوْنَ مَعَ الخَوَالِفْ

وفى موضع آخر يتبرم الشاعر بهذا الحال الذى آل المسلمون إليه ، فصاروا بذلك مطمعا للمتربصين من الأعداء قائلا :(٢)

عَجِبْتُ لِلْمُسْلِمِيْنَ الْيَوْمَ كَيْفَ عَنَوْا
لِلْحَادِثَاتِ وَذَلَّتْ مِنْهُمُ القَصَرُ

---

(١) أغاريد السحر ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) ديوان أغاريد السحر ص ٨٩ .

تَعْدُوْ عَلَيْهِمْ ذِئَابٌ لَيْسَ يَنْقُصُهَا
مِنْ سَاكِنِ الغَابِ إِلاَّ النَّابُ وَالظُّفُرُ

وَبَيْنَ أَيْدِيْهِمُ "الذِّكْرُ الحَكِيْمُ" هُدًى
لَوْ أَنَّهُمْ نَصَرُوْا أَحْكَامَهُ انْتَصَرُوْا

نَسُوْا "الكِتَابَ" فَأَنْسَاهُمْ نُفُوْسَهُمُ
رَبُّ الكِتَابِ! فَهُمْ قَلُّ وَإِنْ كَثُرُوْا

ويدعوهم بعد ذلك للعودة إلى دينهم الإسلامى الذى به خلاصهم مما هم فيه فيقول :(١)

عُوْدُوْا إِلَى "السَّمْحَةِ البَيْضَاءِ" فَهْىَ لَكُمْ
حِصْنَ النَّجَاةِ إِذَا مَا نَابَتِ الغِيَرُ

ويهتم " الجندى " بما يدور فى أمته العربية وما تلاقى من بلاء ومحن جرها عليهم العدو المستعمر ، ويرى بأن قضيتهم فى ذلك واحدة ومصابهم واحد من أولئك المستعمرين ، ونجده يشاركهم فى آلامهم وأفراحهم بعاطفة حية مشبوبة ، ويلامس بعض تلك الجراح التى تؤلف بينهم معالجا إياها بشعره الذى يعرض من خلاله واقع أمته المليئ بالآلام والمتطلع إلى الآمال ، وكما أخلص القول فى حب وطنه المصرى نجده كذلك فى وطنه العربى المسلم ولنستمع إليه مشاركا أبناء أمته العربية فى " الجزائر " ضد المستعمر (الفرنسى)،

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٩٠ .

إنه يشاركهم فى محنتهم ويدعوهم إلى تعميق مشاعرهم الوطنية . وإلى مناهضة الإحتلال " الفرنسى " الغاشم على أرضهم والثبات فى ذلك قائلا :(١)

فِـى حِمَـىٰ " أُوْرَاسَ " إِخْـوَانٌ لَنَا غُـرٌّ وِضَـاءْ (٢)
هُمْ جُنُوْدُ اللّٰهِ فِى الأَرْضِ ، وَخَيْـرُ الأَنْبِيَـاءْ
كُـلُّ فَـرْدٍ مِنْهُمُ رُمْـحٌ ، وَسَيْفٌ ، وَلِـوَاءْ
مَوْقِـعُ الجَمْـرِ عَلَـى أَكْبَادِهِـمْ زَهْـرٌ وَمَـاءْ
وَهَزِيْـمُ المِدْفَـعِ الجَبَّـارِ تَرْجِيْـعُ غِنَـاءْ
صُبُـرٌ فِـى المَأْزِقِ الضَّنْـكِ وَقَدْ عَـزَّ النَّجَـاءْ
يَـرِدُوْنَ الحَـرْبَ بِالْمُصْحَـفِ وَالْبِيْـضِ الظِّمَـاءْ
سُمَحَـاءٌ بِالـدَّمِ الغَالِـى عَلَيْهِمَـا كُرَمَـاءْ

ويشهر بفظاعة المستعمرين " الفرنسيين " وما يأتونه من جرائم يندى بها الجبين ؛ إنهم يقتلون الضعفاء والعزل ويعذبون النساء ويهرقون الدماء بلا وازع من خلق أو ضمير ، فيقول :(٣)

وَالفَرَنْسِيْسُ يَصُبُّـوْنَ عَلَـى الضَّعْفَـى البَـلَاءْ
وَيَسُوْقُـوْنَ إِلَـى أَقْصَـى " المَنَافِى " الأُسَـرَاءْ

---

(١) تراتيم الليل ص ٧٠ .
(٢) أوراس : الجبل الذى كان مقرا للثوار الجزائريين .
(٣) تراتيم الليل ص ٧٠ ، ٧١ .

وَيَعُدُّوْنَ مِنَ النَّخْوَةِ تَعْذِيْبَ النِّسَاءْ
مِنْهُمُ النَّجْدَةُ وَالْعِزَّةُ وَالْمَجْدُ بَرَاءْ

وبعد هذه التعرية " البشعة " التى يهدف من ورائها الشاعر إلى إذكاء الروح الوطنية وبعثها فى الأمة وبالتالى إستنهاض هممها للذود عن وطنها، يحذر من خداع المستعمرين وعدم تصديق الوعود الكاذبة التى يطلقونها للتضليل والتعمية ، ويطالب الجماهير بأخذ العبرة من دروسٍ سبقت ومعاهداتٍ أطلقت فى " لبنان وسوريا " وكيف كان عاقبتها الجور والطغيان قائلا : [1] :

يَابَنِى الأَعْمَامِ وَالأَخْوَالِ أَصْغُوْا لِلنِّدَاءْ
كُشِفَ المَسْتُوْرُ ، وَانْزَاحَ عَنِ السِّرِّ الغِطَاءْ
وَبَدَا " دِيْجُوْلُ " فِى صُوْرَتِهِ بَعْدَ الخَفَاءْ[2]
ثُعْلُبَانٌ تَحْتَ ثَوْبَيْنِ : خِدَاعٍ وَرِيَاءْ
فَاحْذَرُوْا أَشْرَاكَ خَدَّاعٍ ، لَكُمْ يَمْشِى الضَّرَاءْ
كَمْ رَمَى لُبْنَانَ ، بِالْعَسْفِ وَلِلشَّامِ أَسَاءْ
وَالأَفَاعِى أَبَدَ الآبَادِ لِلسُّمِ وِعَاءْ

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص ٧١ .
(٢) ديجول : رئيس جمهورية فرنسا آنذاك وكان أول أمره كثير التناقض والمراوغة حتى أكرهه المجاهدون على الإعتدال .

ويتعاطف الشاعر مع أبناء الأمة العربية فى محنهم ، فها هو ينـــدد بالإستعمار الفرنسى " لتونس " ، ويتفاعل مع الأحداث مثبتا حبه لوطنـــه وأمته الإسلامية ، ويشجع أبناء مدينة " بنزرت " الباسلة حينما هاجمهـــا المستعمر " الأوروبى " ويُحييها على الثبات فى مقاومة الأعداء قائلا :(١)

" بِنْـزُرْت " يَـا أُخْـتَ " بَوْ سَعِيْـدِ "
نَفْدِيْـكِ يَـاغَابَـةَ الأُسُـوْدِ
ثَبَتِّ كَالطَّـوْدِ لِلأَعَـادِى
وَكُنْـتِ رِدْءَ الحِمَـى المَجِيْدِ

ويواصل " الجندى " المسير فى أداء رسالته الوطنية نحو أمته بإيمان وإخلاص فيشارك إخوته فى " لبنان " ويتألم لما حصل لهم سنة ١٩٤٣م من تسلـط وجور المستعمرين " الفرنسيين " الذين أمعنوا فى التنكيل بهم ضاربيـن بعهودهم ومواثيقهم التى وعدوا بها " اللبنانيين " عرض الحائط فيقول:(٢)

"دِيْجُـوْلُ " قُلْ لِى ـ هَدَاكَ اللّٰهُ ـ" دِيْجُوْلُ "
أَأَنْتَ عَمَّا جَرَى فِى "الأَرْزِ" مَشْغُـوْلُ
أَعْطَيْتَ " لُبْنَانَ " عَهْدًا مَاوَفَيْـتَ بِـهِ
فَكَيْفَ فَاتَـكَ أَنَّ العَهْـدَ مَسْئُـوْلُ ؟

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص ٨٧ .
(٢) " أغاريد السحر للجندى ص ١٨٦ .

فِيْمَ المَوَاثِقُ ؟ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى ثِقَةٍ
أَنَّ المَوَاثِقَ تَمْوِيْهٌ وَتَضْلِيْلُ

أَتُنْكِرُوْنَ عَلَى الأَحْرَارِ حَقَّهُمُوْ
فِى عُقْرِ دَارِهِمُوْ ؟ تِلْكَ الأَبَاطِيْلُ

جَزَاؤُهُمْ مِنْكُمُو فِى ظِلِّ رَايَتِهِمْ
- عَلَى المَوَدَّةِ - تَشْرِيدٌ ، وَتَقْتِيْلُ

إلى أن يقول مشاركا فى الحزن ومشبتا أن ألم " لبنان " ألم " لمصر" وللعرب جميعا (١) :

إِنَّا غَضِبْنَا "لِلُبْنَانٍ" وَسَاكِنِهِ
" وَالأَرْزُ " شَاطَرَهُ أَحْزَانَهُ " النِّيْلُ "

كِلَا الشَّقِيْقَيْنِ - صَانَ اللّٰهُ حَوْزَتَهُ -
آبَاؤُهُ العَرَبُ الغُرُّ البَهَالِيْلُ(٢)

وتتجلى وطنية شاعرنا إتجاه أمته فى تفجعه على"سوريا" عندما ضربها الفرنسيون سنة ١٩٤٥م - بعد الحرب العالمية الثانية - ويتألم من البطش الذى حل بها، ويوجه خطابه إلى مجلس الأمن - المنعقد آنذاك فى " سان فرانسيسكو " بأمريكا للنظر فى الوسائل التى تكفل الأمن الدولى وتكف

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ١٨٧ .

(٢) البهاليل جمع بهلول بالضم : الحيى الكريم الضحاك .

عادية المعتدى - ساخرا من المفارقة العجيبة المحزنة قائلا :[1]

تَجَمَّعْتُمُوْا مِنْ كُلِّ جِنْسٍ وَأُمَّةٍ
وَلَوْنٍ ، لِحِفْظِ السِّلْمِ ، هَلْ حُفِظَ السِّلْمُ ؟
وَهَلْ رَفَعَ الحَقُّ الذَّلِيْلُ جَبِيْنَهُ ؟
وَهَلْ نَحْنُ بِتْنَا لَايُرَوِّعُنَا الظُّلْمُ ؟
وَإِلاَ فَمَا بَالُ الشَّآمِ دِمَاؤُهُ
تَسِيْلُ ! وَأَنْتُمْ عَنْ مَنَاحَتِهِ صُمُّ
وَيَطْلُبُ " دِيْجُوْلٌ " تُرَاثَ أُمَيَّةٍ
وَلَيْسَ لَهُ فِى " الشَّامِ " خَالٌ وَلاَ عَمُّ
سَمِعْنَا كَلاَ مًا لَذَّ فِى السَّمْعِ وَقْعُهُ
وَرُبَّ لَذِيْذٍ شَابَ لَذَّتَهُ السُّمُّ
أَلاَ كُلُّ شَعْبٍ ضَائِعٌ حَقُّهُ سُدًى
إِذَا لَمْ يُؤَيِّدْ حَقَّهُ "المِدْفَعُ" الضَّخْمُ

أما " فلسطين " فإنها جرح لم يندمل بقلب شاعرنا ، ودمعه عليها لم يرقأ ، بكاها كثيرا فى شعره وشارك أبناءها بشعوره الوطنى المخلص فيما نزل بهم من ظلم وقهر وبلاء فيغضب لذلك ويتألم فى مثل قوله :[2]

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٢٠٠ ، ٢٠٢ .
(٢) " " " ص ١٩١ .

" فَلَسْطِيْنُ " حَزِنْتُ لَهَا ... وَمَا أَدْرَاكَ مَاحَزَنِي
أَرَاهَا - تَحْتَ أَعْيُنِنَا - ... تُبَاعُ بِأَبْخَسِ الثَّمَنِ
تُسَامُ الذُّلَ مِنْ " صِهْيُو ... نَ " تِرْبِ الذُّلِّ وَالجُبُنِ
بُغَاثُ الطَّيْرِ كَيْفَ سَمَتْ ... لِصَيْدِ النَّسْرِ فِي الوُكُنِ
" تُرُوْمَان " - وَهُوَ لَمْ يُنْصِفْ - ... أَصَمَّ بِقَوْلِهِ أُذُنِي(١)
أَسَاءَ الحُكْمَ فَهْوَ عَلَى ... الحُكُوْمَةِ غَيْرُ مُؤْتَمَنِ
قَضَى لَهُمُوْ بِهَا وَطَنًا ... قَضَاءَ الخُرْقِ وَالأَفَنِ(٢)

ويحذر " الجندى " أبناء أمته من تمادى " اليهود " وعدم الإستهانة بشأنهم لأنهم قوم جبلوا على الخسة والذل فيخاطب العرب قائلا : (٣)

ذَاكَ " صُهْيُوْنُ " قَبَّحَ اللّٰهُ " صِهْيـ
ـوْنَ " تَمَادَى فِي غَيِّهِ وَاسْتَطَالاَ
لاَتَقُوْلُوا : مَاتَفْعَلُ الرِّيْحُ بِالطَّوْ
دِ ؟ فَقَدْ يَقْتُلُ البَعُوْضُ الجِمَالاَ(٤)

---

(١) ترومان : رئيس جمهورية أمريكا وهو أكبر أعوان اليهود ،وقد صرح آنذاك بوجوب إدخال مئة ألف يهودى إلى فلسطين .
(٢) الخرق بوزن قفل والخرق بوزن سبب :عدم الرفق ، والأفن : ضعف العقل والرأى .
(٣) أغاريد السحر ص ٩٥ .
(٤) إشارة إلى نوع من البعوض فى أواسط أفريقية يقتل الإبل بلسعها .

عَبَدَ الوَفْرَ فِي الحَدِيْثِ وَقِدْمًا
عَبَدَ " العِجْلَ " فَاسْتَحَقَّ النَّكَالاَ(١)

هَبَطَ الغَابَ طَافِحَ الوَجْهِ بِشْرًا
يَحْسِبُ الرَّمْلَ فِي " فَلَسْطِينَ " مَالاَ

جَاهِلاً أَنَّ فِي العَرِيْنِ أُسُوْدًا
تَتَلَظَّى ! وَفِي " السَّوَيْدَا " رِجَالاَ

ويدعو الشاعر أبناء " فلسطين " إلى النضال والتصدى لليهود وإعلاء كلمة الله ، ويشير إلى " وعد بلفور - المشئوم " (٢) وما جره من ويلات على " فلسطين " بخاصة والعرب بعامة ، فيرفع روحهم المعنوية بقوله :(٣)

أُنْصُرُوْا اللّٰهَ ، وَامْحَقُوْا " عَهْدَ بِلْفَوْ
رَ " فَقَدْ كَانَ خَادِعًا خَتَّالاَ

أَدَرَى فِي " الجَحِيْمِ " مَاجَرَّهُ " العَهْدُ "(*)
وَأَنَّ التَّنْفِيْذَ بَاتَ مُحَالاَ

شَدَّ مَاغَرَّتِ " اليَهُوْدَ " الأَمَانِي
وَأَخُوْ الحُمْقِ يَسْتَلِذُّ الخَيَالاَ

---

(١) الوفر : المال الكثير ، والعجل : عجل الذهب الذى صاغه لليهود السامرى فعبدوه .

(٢) بلفور : وزير خارجية إنجلترا وصاحب مشروع تهويد فلسطين - المشئوم - الصادر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ م .

(٣) أغاريد السحر ص ٩٥، ٩٦ .

ويستمر الشاعر فى بكائه على " فلسطين " وأبنائها قاصدا من وراء تصويره لتشريد أبناء هذه الأمة العربية وحالتهم البائسة التى آلـــــوا إليها من أعدائهم اليهود وأعوانهم ، إلهاب الحماس فى الصدور ورفع رايـة الجهاد لإستردادها وطرد اليهود منها فيقول :(١)

" مِلْيونُ " نَفْـسٍ شَـرَّدُوْا ... لاَ يَلْجَئُـوْنَ إِلَـى وَزَرْ

نَسْلُ الفَرَانِيْقِ العُـلاَ ... وَبَنُوْ السِّيَادَةِ وَالخَطَرْ (٢)

مِنْ يَعْـرُبٍ وَرَبِيْعَـةٍ ... وَذُوَا بَـةِ الدُّنْيَا مُضَـرْ

تَحْتَ الخِيَـامِ تَخَالُهُـمْ ... أَنْضَاءَ حَـرْبٍ أَوْ سَفَـرْ

الجُـوْعُ يَنْهَشُهُمْ بِأَنْيَـا ... بٍ كَأَنْيَـابِ النِّمِـرْ

وَالـدَّاءُ فِيْهِـمْ أَزْرَقُ ... العَيْنَيْـنِ مُحْمَرُّ الظُفُـرْ (٣)

لَوْ يَسْمَعُ الحَجَـرُ الأَصَـمُّ ... بُكَاءَهُـمْ لَبَكَـى الحَجَرْ

وَغِيَاضُهُـمْ ، وَرِيَاضُهُـمْ ... مِنْهُمْ عَلَـى مَرْمَى البَصَـرْ

يَمْشِي بِهَا عَبْـدُ القَفَـا ... بَيْنَ المَخِيْلَـةِ ، وَالصَّعَـرْ

صِهْيَوْنُ : مَنْ جَاءَتْ بِلَعْنَتِـهِ ... وَشَقْوَتِـهِ السُّـوَرْ

---

(١) ترانيم الليل ص ١٠٠ .

(٢) الفرانيق : الشباب البيض الحسان ، الخطر : الشرف .

(٣) زرقة العين : كناية عن شدة العداوة .

وتثور حمية الشاعر عندما أحرق اليهود المسجد الأقصى دون مراعاة حرمة الأديان ، وحرمة الأماكن المقدسة ، ويعبر عن وطنيته ، أشد مايكون فى غضبه من تلك الجريمة الشنعاء ، فيتوعد ويهدد اليهود مستنهضا همم المسلمين للذود عن "ثالث الحرمين الشريفين " مسلطا الأضواء على مكانته فى نفوسهم فى قوله :(١)

نَسْلُ الأُفَاعِى قَوْلُ صِدْ ... قٍ قَالَهُ " عِيْسَى " الأَبَرْ
وَبَنِى القُرُوْدِ ، بَنِى الخَنَا ... زِيْرِ الَّتِى تَهْوَى القَذَرْ
غَالَيْتُمُ فِى بَغْيِكُمْ ... وَالْبَغْىُ مَشْئُوْمُ الأَثَرْ
وَكَفَرْتُمُ آلاءَنَا ... وَلَسَوْفَ يُجْزَى مَنْ كَفَرْ
وَسَتَحْصُدُوْنَ ثِمَارَ غَرْ ... سِكُمُ وَيَابِئْسَ الثَّمَرْ
وَسَتَسْطَلُوْنَ عَلَى حَرِ ... يْقِ " المَسْجِدِ الأَقْصَى " سَقَرْ
يَاثَالِثَ الحَرَمَيْنِ - رَوَّ ... حَ رَبْعَ جِيْرَتِكَ الزَّهَرْ
فِى سَاحِكَ الفَيْحَاءِ، صَلَّى ... أَحْمَدٌ خَيْرُ البَشَرْ
لاَكَانَ قَوْمِى ، إِنْ رَضُوْا ... لِلذُّلِّ ، أَنْ يَحْنُوْا القَصَرْ

هكذا أحب " الجندى " وطنه المصرى ووطنه العربى المسلم ، وأخلص له متفاعلا ومشاركا بفكره وبعاطفته مع الأحداث التى ألمت بأمته فى ذلك العصر وخاض تجربتها معهم ، ولقد عالج بشعره الوطنى كثيرا من تلك

---

(١) ديوان فى ظلال القمر للجندى ص ٩ ، ١٠ .

الأحداث التى تؤلف بين أبناء الامة العربية التى كان مصابها من العدو المستعمر واحد ، " والجندى " يثبت بذلك إنتمائه للوطن العربى الكبير الذى إنطلق إليه من خلال إخلاصه ووفائه لوطنه " المصرى " ، وهو فى وطنيته الجامعة (عربى شرقى) معتدل النزعة والإتجاه ، همه الأوحد وشغله الشاغل إرادة الخير لوطنه ولأمته ، يفخر بالعرب ، ويتغنى بمجدها ويحب شعوبها ويدافع عنهم ويأسى لما يحيق بهم من بلايا الإستعمار .

وبالإضافة إلى ماسبق نجد أن أهم ملامح شخصية " الجندى " فى هذا الميدان تتجلى فى : دعوته الصادقة الى تعميق المشاعر الوطنية وغرسها فى النفوس ، من خلال عرضه لما كانت عليه أمته من قوة وما آلت إليه من ضعف مسلطا الضوء على أسباب تلك القوة وهذا الضعف ، ثم إنه يلامس كثيرا من تلك الجراح التى ألمت بوطنه - المصرى والعربى - منبها إلى أن العلاج من تلك الآلام واقع بين أيديهم ، ولن يكون إلا بتوحيد الكلمة ومناهضة الإحتلال وطرد العدو المستعمر ، فيستنهض الهمم لذلك مشهرا بفظاعة المستعمرين ومحذرا من دسائسهم ووعودهم الكاذبة ، التى تمهد لبسط سلطانهم وتمكنهم من الأمة العربية.وكانت عاطفته حية مشبوبة فى هذا الفن الذى أطال القول فيه بإخلاص ووفاء وإحساس صادق معبر عن شخصيته الوطنية .

٤ - المديـــــــح

فن قديم من فنون الشعر ، عرفه القدامى وأفردوا له الكثير مـــن القصائد فى دواوينهم ، وتوارثه الأبناء عن الأجداد حتى يومنا هذا .

والمدح والثناء : وصف الممدوح ونعته بشمائله الكريمة وتعـــداد مابرز فيه من الأخلاق الحميدة والمزايا الجميلة والإشادة بها مع إظهـــار الإعجاب والتقدير لذلك من المادح .

وقد يكون المدح والثناء نابعا من قرارة نفس الشاعر الذى يتحـــرى الصدق فيما يقول عن ممدوحه فتجيئ مدحته مترجمة للواقع مثبتة له معبـرة عن مدى الحب والتقدير والإعجاب بذلك الممدوح الذى لايكون الهدف مـــن وراء مدحته التكسب والرياء بل العرفان والوفاء ، وهذا النوع ممالا بأس فيـــه والأمثلة فيه كثيرة ويأتى فى مقدمتها المدائح النبوية[1] .

أما إذا كان المدح والثناء بالشعر وسيلة للتكسب والتزلف - الـــذى يتمادى فيه الشاعر لبلوغ هدفه بالمدائح الكاذبة وببذل ماء وجهه علـــى الأبواب رخيصا فى صورة فيها مافيها من المساس بعزة النفس ، فهو مـــدح ممقوت تأباه النفوس السليمة التى تفهم حقيقة رسالة الشاعر فى المجتمـــع ولعل هذا النوع من المديح هو المقصود بقول رسول الله - صلى الله عليـــه وسلم - :

---

(١) من ذلك قول حسان فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَقَطُّ عَيْنِـى وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَـاءُ

" إِذَا رَأَيْتُمُ المَدَّاحِيْنَ فَاحْثُوْا فِي وُجُوْهِهِمُ التُّرَابَ "(١) وقد قيل بأن المراد بالمدح هنا (هو المدح الباطل والكذب ، وأما مدح الرجل بما فيه فلا بأس به) (٢) . وفى حثو التراب معنيان : (أحدهما التغليظ فى الرد عليه ، والثانى كأنه يقال له : يكفيك التراب)(٣) وقيل بأن معنى الحديث : (خيبوهم فلا تعطوهم شيئا لمدحهم)(٤) .

ومما يعاب على كثير من الشعراء فى فن (المديح) أنهم لم يتورعوا عن إسباغ أجمل الصفات على من لايستحقونها للحصول على مال أو مقام مرموق ، وهم بذلك يحولون الشعر إلى سلعة يتاجرون فيها ، مسيئين إلى الأدب بعامة والشعر بخاصة وقبل ذلك أنفسهم .

ولقد تتبع النقاد أصول هذا الفن الذى راج فى كثير من الأعصر الأدبية وبينوا الجيد والرديء منه ، ويرى أحدهم أنه من(الواجب أن لايمدح الرجال إلا بما يكون لهم وفيهم ، وكذا يجب أن لايمدح شيئ غيرهم إلا بما يكون له وفيه ، وبما يليق به ولا ينافره)(٥) .

ويّخص مدح الرجال بالقول مشيرا إلى أن الجيد والمعيب منه هو ماوافق فيه المادح شيئا من هذه الخصال الأربع وهى: العقل والشجاعة والعدل

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى حـ ١٨ ص ١٢٨ .
(٢) المستطرف فى كل فن مستظرف للأبشيهى ص ٢٣٣ .
(٣) " " " " ص ٢٣٣ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى حـ ١٨ ص ١٢٨ .
(٥) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ٦٥ .

والعفة ، ويُفَصِّل القول فى أقسام هذه الخصال الأربع ، ويمزج الناقد بعض هذه الأقسام مع بعض فيحدث عدة أنواع ذكرها فى كتابه ، مؤكدا على أن الإفراط والمبالغة فى هذه الفضائل والأوصاف قد تحيلها إلى الذم ، وأن الجيد من أبواب المدح هو ماخلى من الإطالة ومال إلى الإختصار وأصاب آخر ما فى كل فضيلة دونما إغراق فى وصفها (١) .

ويشير ناقد آخر إلى أن الأسلوب فى هذا الغرض لابد أن يكون مطابقا لصفات الممدوح ، ولن يكون ذلك إلا بالفهم التام لمعنى كل فضيلة فيقول : " وتتصرف للمديح تصرف مواقعه ، فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف " (٢) .

كما أن النقاد أشاروا إلى وجوب ملائمة المدائح لمكانة الممدوحين ووظائفهم وفصلوا القول فيما ينبغى عند مدح الملوك والخلفاء أو الوزراء أو الكتاب او القضاة أو القادة أو غيرهم من أصناف الناس (٣) .

ويقول أحد نقاد القرن العشرين - الذى احتدم القول فيه بين رافض لهذا الفن ومؤيد له بشروط - عن شعر المديح : " والذى نعتقده أن شعر المديح من أفضل المقاييس لقياس حال الأمة والشاعر والأدب فى وقت واحد . فيخطىء من يظن أن الامم المترقية لاتمدح أولا تقبل المدح من

---

(١) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، إلى ص ٨١ .

(٢) الوساطة بين المتنبى وخصومه للجرجانى ص ٢٤ .

(٣) أنظر فى ذلك العمدة لإبن رشيق القيروانى ص ٣٤٣ ومابعدها ، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ٨٢ ومابعدها .

شعرائها. إذ المديح جائز فى كل أمة ومن كل شاعر ، فلا ضير على أعظم الشعراء أن يصوغ القصيد فى مدح عظيم يعجب به ويؤمن بمناقبه ، ولا ضير على الأدب أن يشتمل على باب المديح بين أبوابه الكثيرة التى يعرفها الغربيون أو الشرقيون. وإنما الخلاف فى نوع المديح لافى موضوعه على إطلاقه ، فمديح الأمم المتعلمة غير مديح الأمم الجاهلة ، والشاعر الذى يملك أمره يتبع فى مدحه أسلوبا غير الذى يتبعه شاعر مغلوب على أمره ، ومكانة الأديب فى الأمة تظهر أتم الظهور من أساليب الشعراء فى هاتين الحالتين " . (١)

ومن ذلك يتبين لنا مدى إهتمام النقاد بفن المديح ، الذى شغل حيزا كبيرا فى ديوان الشعر العربى على مختلف عصوره الأدبية ، ملفتا إليه أنظارهم ومسترعيا إهتمامهم ، فميزوا الجيد والردىء منه بعد تدقيقهم فى نشأته وأحواله وبواعثه المتعددة .

والمتأمل فى قصائد المديح فى العصر الجاهلى يجد أنها تشتمل بالإضافة إلى المديح - وهو الغرض الأساسى الذى نظمت من أجله القصيدة - عدة أغراض أخرى ، فغالبا مايبدأ الشاعر قصيدته بالوقوف على الأطلال ويثنى بالحديث عن الحب وينتقل إلى وصف الرحلة ومن ثم يصل إلى الحديث عن المدح والإشادة بممدوحه ، وقد يختم القصيدة بشىء من الحكم . كما أن تعداد مناقب الفقيد فى المراثى غرض أساسى يعول عليه الشاعر ، فلا تكاد تخلو مرثية من المراثى من ذلك .

---

(١) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى - عباس محمود العقاد ص ١٧ .

وتتوالى بعد ذلك العصور وتستمر قصيدة المديح على ماكانت عليه في العصر الجاهلى مع بعض الحذف والإضافة كاستبدال وصف الخمر والطبيعة بالوقوف على الاطلال ووصف الرحلة . وفى العصر العباسى إهتم الشعراء بالحكم وأكثروا منها فى مدائحهم كما أن للتغيير الذى طرأ على الحياة الإجتماعية فى هذا العصر دور فى تغيير المثل العليا والمعايير الخلقية التى سادت فى العصر الجاهلى وماتلاه ، وألقى ذلك بظلاله على قصيدة المدح " فبعد أن كانت الشجاعة والكرم وحماية الجار هى أهم مايدور على ألسنة المادحين صرنا نرى أوصافا ترسم لنا شخصية مثالية غير تلك التى رسمها العصر الجاهلى لنفسه على ألسنة شعرائه ، شخصية تتحلى برقة الحاشية وعذوبة الروح والظرف وغير ذلك من الصفات التى يطلبها مجتمع متحضر راق يعيش فى ظلال بنى العباس " (١) .

وقصيدة المدح فى العصر الحديث تستمد أسلوبها ومقوماتها من العصور الأدبية السابقة مع ملاحظة مدى إنتشار الثقافة والحضارة والوعى الذى جاءت به النهضة الحديثة، وتأثير ذلك على فن المديح الذى يكثر فيه الشعراء من التركيز فى التعبير عن مشاعر الجماعات وتقليص الحديث عن ذات الممدوح، وإضفاء الروح الوطنية والقومية والنزعة الدينية على الممدوح ، والتنويه بما يقدمه الممدوح إلى بلده من إصلاحات وما إلى ذلك ، وهذه أمور عرفت فى مدح القدماء وإن إختلفت مسمياتها .

---

(١) الشعر العربى بين الجمود والتطور د. محمد الكفراوى ص ١٢٦ .

مدح على الجندى :

ولقد ضرب شاعرنا بسهم وافر فى هذا الفن ، وتعددت قصائده ومقطعاته فى مدح أصدقائه ورؤسائه ، وكان مدحه فيهم معتدلا ، خاليا من المبالغة والإسراف متسما بالصدق والوفاء فى كثير من الأحايين .

ويرى (الجندى): أن للمدح أثرا عميقا فى بعض الصفات الحميدة ، فهو يشجع الجبان ويسخى البخيل ويحث على فعل المحامد والإتصاف بأسنى الخلائق، فالشاعر عندما يخلع نبيل الخلال على من يستحقها ، إنما يرسم صورة زاهية لما يجب أن يكون عليه الإنسان المتميز بما حاز من خلال نبيلة ، ويشير الشاعر إلى أثر المديح وأهميته فى ذلك بقوله : (١)

فَلاَ تَزْدَرِى المَدْحَ ، إِنَّ المَدِيْحَ وِسَامٌ يُقَلِّدُهُ الأَنْبَلُ
وَرُبَّ ثَنَاءٍ أَثَارَ الجَبَانَ وَأَغْرَى الأَشِحَّاءَ أَنْ يَبْذُلُوْا

بل إننا نجده يرفع من شأن هذا الفن عندما يجعله جزءا من رسالة الشعر ، فالمدح عنده دليل على وفاء الشاعر وكرم طبعه وهو واجب حين يمدح من يستحق المدح،ويرى أنه إذا سكت عن ذلك فقد قصر فى واجب كان عليه أداؤه .

---

(١) ديوان تراتيم الليل للجندى ص ٢٩٢ .

وفى هذا يقول :[١]

إِذَا الشِّعْرُ لَمْ يَنْشُرْ مَكَارِمَ قَوْمِهِ فَلاَ حَمِدَتْ مِنْهُ المَكَارِمُ مَشْهَدَا

والممدوح عنده ليس بالشخص العادى بل هو ماجد تدل عليه أفضاله ومآثره فيكون مدحه بذلك صادقا وفيه اعتراف بالفضل والمكانة ، لأنه نابع من قرارة نفسه ، ولأنه يجعله وقفا على من هو أهل له عندما يقول:[٢]

ثَنَائِىَ مَوْقُوْفٌ عَلَى كُلِّ مَاجِدٍ وَمَاجِدَةٍ تُسْدِى إِلَى"مِعْرهَا" يَدَا
أُقَلِّدُهُ الغُرَّ الكِرَامَ فَيَنْثَنِى خَلِيًّا عَلَى أَجْيَادِهِمْ مُتَوَقِّدَا
عَرَائِسُ لاَتُجْلَى عَلَى غَيْرِكُفْئِهَا ضَمِنَّ لِمَنْ زُفَّتْ لَهُ أَنْ يُخَلَّدَا

وهو شديد الضنانة بشعره - فى المدح - على من لايستحق إذ يقول :[٣]

وَمَا أَنَا إِلاَّ شَاعِرٌ غَيْرَ أَنَّنِى إِذَا قُلْتُ نَظَّمْتُ النُّجُوْمَ قَلاَئِدَا
ضَنِيْنٌ بِعَوْغِ المَدْحِ إِلاَّ لِأَهْلِهِ وَإِنْ كُنْتُ بِالأَعْلاَقِ لِلنَّاسِ جَائِدَا[٤]

ويؤمن شاعرنا بهذا الفن ويعتبره (من صميم الشعر) عندما يتحدث عن صدق الأداء فيه قائلا : (إن الشاعر الحق لايستطيع أن يقول بيتا واحدا فى غرض لايملك عليه شعوره كله ، فكل بنات الشاعر الصادق أو أبياته ،

---

(١) ديوان ألحان الأصيل للجندى ص ٢٥٦ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) الحان الأصيل ص ٢١٥ .
(٤) الأعلاق : النفائس .

فيض العاطفة ، ونبض الشعور ، لافرق فى ذلك بين الشعر الوجدانى الخالص كالنسيب وبين غيره كالاماديح فهو عندى من صميم الشعر لأنى أنظمه بهذه الروح التى أغنى بها آلامى النفسية من الأعماق ، ولا غرابة فى ذلك إذا عرفنا أن ابتهاج الشاعر بمقدم صديق غائب،قد يزيد على إبتهاجه بمقدم الربيع ، وأن انبعاثه لإطراء بطل عظيم ، قد يكون أشد من إنبعاثه لوصف منظر خلاب) (١) ، فهو يمدح بشعره ليعبر عن ذات نفسه بصدق ، كما أنه ينفى أن يكون الدافع لتلك المدائح هو الطمع أو الرياء أو الخوف .

ويتنبه (الشاعر) إلى نقطة مهمة فى(المديح)قد تحيله من مدح صادق إلى تملق ورياء ؛ وهى أن الإنسان بطبيعته يحب الثناء - وإن لم يُظهر ذلك-ولكن بعض الممدوحين يتظاهرون بالتمنع من ذلك الثناء بدعوى التواضع الذى يستتر خلفه الكبر لغرض فى أنفسهم ، فهم يريدون من الشاعر أن يطيل فيهم المديح كما يشاءون لا كما شاء الشاعر ، وينبه (الجندى) إلى أولئك الذين يستمرئون الرياء قائلا :(٢)

كَلِفَ النَّاسُ بِالثَّنَاءِ ، فَلَا يُعْـ ـجَدُ فِيهِمْ مَنْ لَايُحِبُّ الثَّنَاءَ
فَإِذَا مَاسَمِعْتَ مَنْ قَالَ : إِيهًا عَنْ مَدِيحِي ، فَقَدْ أَتَى الإِفْتِرَاءَ(٣)
هُوَ يُبْدِى تَوَاضُعًا فَوْقَ كِبْرٍ وَامْتِنَاعًا يَبْغِى بِهِ الإِغْرَاءَ

---

(١) الحان الاصيل ص ٨ .
(٢) ديوان ترانيم الليل ص ٣١٨ .
(٣) أيها عن كذا : أكفف وابعد .

لِتُطِيْلَ الثَّنَاءَ فِيْهِ كَمَا يَهْـــوَى وَتَشْدُوْ بِمَدْحِـهِ كَيْفَ شَـــاءَ
كَالْفَتَاةِ اللَّعُوْبِ يُغْرِي بِهَـــا الدَّلَّ هَوَاهَا فَتُظْهِرُ البَغْضَـــاءَ(١)
نَسْلُ حَوَّاءَ ـ لَيْتَهَا ثَكِلَتْهُـــمْ ـ أَلِفُوْا الإِفْكَ ،وَاسْتَحَبُّوا الرِّيَاءَ

ولنستمع إلى شاعرنا فى بعض قصائده التى يطرى فيها بعض أصدقائـــه أو خلانه أو رؤسائه :

بادئين بمدحه وثنائه للدكتور (طه حسين) الذى كانت تربطه بـــه علاقة ود وصداقة من قبل توليه (وزارة المعارف بمصر) وحدث أن أسدى إليـــه الوزير بعض الصنائع التى أوجبت على (شاعرنا) الشكر والإعتراف بالجميـــل فى قوله :(٢)

مَنْ لِى بِمِثْلِ بَيَانِ (طَـــهَ) مُبْدِعُ السِّحْـــرِ الحَـــلَالْ
حَتَّـى أَقُـوْمَ بِشُكْرِ مَـــا أَوْلَيْتَ يَافَخْـرَ الرِّجَـــالْ
كَنْـزُ المُرُوْءَةِ أَنْتَ بَيْـــنَ العَالَمِيْـنَ بِـلاَ جِـــدَالْ
حَقَّقْـتَ آمَـــالاً ظَنَنْـــتُ بُلُوْغَهُنَّ مِـــنَ المُحَـــالْ
فَلَكَ الثَّنَاءُ ، وَلاَ بَـــرِحْتَ لِجِيْلِنَا أَبْهَى مِثَـــالْ

---

(١) الدل : بفتح الدال وتشديد اللام ـ : الدلال : أى يحملها الحـــب على الدلال فتتكلف الصد .

(٢) ديوان ألحان الاصيل ص ٥٨ ، ٥٩ .

إنه يعبر عما فى نفسه بسهولة تكتنفها الصراحة ، فيجعل مدحه وثناءه لهذا الصديق عنوانا للوفاء وعرفانا بالجميل ، وإذا أمعنا النظر فيما أسبغه على ممدوحه من خلال فإننا نجده يشيد - فى غير مبالغة - ببيان (طه حسين) وهذا معروف عنه ، كما أنه يمدحه بالمروءة مستدلا بما قدم له من صنيع تحققت به آماله .

وفى موضع آخر يظهر الشاعر إعجابه (بطه حسين) فيمدحه بما أكرمه الله من مواهب فذة فى الخلق والعلم والأدب ، ويبدأ القصيدة بالحديث عن مكانة الرجل العالية التى تبوأها بما قدم من خدمة لوطنه فى نشر العلم وتيسيره لجميع فئات الشعب فيقول :(١)

رَفَعَتْ مِصْرُ " بِالْعَمِيْدِ " مَنَاراً يُخْرِجُ الجِيْلَ مِنْ ظَلَامِ القُبُوْرِ
يَسَّرَ العِلْمَ لِلْفَقِيْرِ ، وَقَبْلاً كَانَ قَصْرًا عَلَى رَبِيْبِ "القُصُوْرِ "

وينتقل إلى الإشادة بشمائله العلمية والخلقية والأدبية التى تميز بها فيبرزها متخذا منها مثالا لما يجب أن يكون عليه الإنسان المتميز ، إذ يقول :(٢)

مَنْ (كَطَهَ) فِى عِلْمِهِ وَحِجَاهُ مَنْ " كَطَهَ) فِى الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيْرِ
" جَامِعِيٌّ " فِى عَزْمِهِ مَقْطَعُ الحَقِّ وَفِى حَزْمِهِ سَدَادُ الأُمُوْرِ

---

(١) ديوان الحان الاصيل ص ٥ .
(٢) " " " ص ٥ .

نَافِثُ السِّحْرِ فِي القَرَاطِيسِ يُزْرِيْ بِالَّذِي ضُمِّنَتْ عُيُوْنُ الحُوْرِ
وَمُحِيْلُ البَيَانِ فَنًّا مِنَ الصَّهْبَاءِ م تَنْدَى بِالْمِسْكِ وَالكَافُوْرِ
مَثَلُ النُّبْلِ وَالمُرُوْءَةِ مَفْطُوْ رٌ عَلَى الخَيْرِ كَالسَّحَابِ الدَّرُوْرِ

ويكشف الجندى عن جوهر المدح عنده عندما يقول متحدثا عن نفسه (١) :

لِكُلِّ امْرِءٍ جَهْرٌ يُخَالِفُ سِرَّهُ وَمَالِيَ مِنْ سِرٍّ يُخَالِفُهُ جَهْرِي
خُلِقْتُ "كَعِيْسَى" لَا أُجِنُّ ضَغِيْنَةً بِقَلْبِي ، وَلَا أَطْوِي ضُلُوْعِي عَلَى غَدْرِ

وَلَا نَاسِيًا صُنْعَ امْرِئٍ وَجَمِيْلَهُ إِلَيَّ ،وَنِسْيَانُ الجَمِيْلِ مِنَ الكُفْرِ
وَلَمْ أَبْتَذِلْ وَجْهِي لِشَيْءٍ أَنَالُهُ وَلَوْ أَنَّهُ عُمْرٌ يُضَافُ إِلَى عُمْرِي

إنه فى هذا الفن ممن تربو عنده الصنيعة ويزكو الجميل ، وإيمانه بذلك يدفعه إلى وجوب الشكر والإعتراف بالجميل والثناء لمن يستحق ، كما أنه ينفى عن نفسه أن يكون من مرتزقة الأدباء والمنتفعين بشعرهم ، فهو لايزكى إنسانا لسؤل يبتغيه ولا لغرض يناله ، ولكن عن إعتقاد خالص ومودة أوجبت عليه ذلك . ولا نعجب بعد هذا التصوير النفسى أن نراه يكثر من الشكر والثناء فى مدائحه التى نظمها كقوله فى الثناء على صديقه الوزير

---

(١) أغاريد السحر : ص ٥ .

" إبراهيم الدسوقى أباظة " :[1]

أَتَيْتُ إِلَى القُطْبِ (الدَّسُوْقِيِّ) شَاكِرًا
صَنَائِعَهُ عِنْدِى فَأَوْسَعَنِى شُكْرَا

" أَبَا الشِّعْرِ " حَسْبُ الشِّعْرِ مَاقَدْ صَنَعْتَهُ
فَمَهْلاً - رَعَاكَ اللّٰهُ - لَاتُخْجِلِ الشِّعْرَا

مَدَحْتُ " الغَزَالِيَّ " النَّبِيْلَ ، وَإِنَّمَا
مَدَحْتُ بِهِ نَفْسِى ،وَشِدْتُ لَهَا ذِكْرَا[2]

سَأَشْكُرُ لِلْحُرِّ الكَرِيْمِ صَنِيْعَهُ
وَأَشْكُوْ إِلَيْهِ أَنَّهُ اسْتَعْبَدَ الحُرَّا

وهو فى البيت الأخير يدلل على وفائه وتقديره وحفظه للجميل .

ثم يمدحه بعد ذلك بصفات لاتخرج عن الإطار الذى لا مبالغة فيه ، فيثنى على كرمه وسماحته وتواضعه وحياته وغير ذلك من الخصال التى عرفت عنه فى مجالسه الأدبية قائلا :[3]

أَغَرُّ " أَبَاظِىٌّ " تُطَالِعُ وَجْهَهُ
فَتَقْرَأُ فِى أَسْرَارِهِ المَجْدَ وَالفَخْرَا

---

(١) ألحان الاصيل ص ٥٧ ، إبراهيم الدسوقى أباظة : وزير وأديب وشاعر يلقب بأبى الشعراء وكانت له مجالس أدبية مشهورة وكان يرأس "جماعة أدباء العروبة " توفى سنة ١٣٧٢ هـ .

(٢) الغزالى : لقب كان يوقع به الدسوقى مقالاته الأدبية .

(٣) الحان الاصيل ص ٥٧ .

حَيَّاءُ الغَدَارَى ، فِى عُذُوبَةِ مَنْطِقٍ
جَلَتْ لِىَ وَشْىَ الرَّوْضِ ، وَالمَاءَ وَالخَمْرَا

تَوَاضُعَ إِيْمَانًا بِقِيْمَةِ نَفْسِهِ
وَنَفْسٌ كَبِيْرِ النَّفْسِ لَا تَأْلَفُ الكِبْرَا

تُيَسِّرُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ طِبَاعُهُ
وَهَلْ يَسْتَطِيْعُ الزَّهْرُ أَنْ يَكْتِمَ العِطْرَا ؟

إِلَى " طَيْءٌ " يُنْمَى! وَمَنْ مِثْلُ طَيْءٍ
إِذَا عَدَّدَتْ " قَحْطَانُ " أَنْجُمَهَا الزُّهْرَا

وعلى النحو السابق يستمر شاعرنا فى مدح أصدقائه وزملائه بدافع المحبة والمودة والإعتراف بالجميل .

وإذا ما انتقلنا إلى مدح " الجندى " للرؤساء والملوك فإننا نجده يتجه وجهة تختلف عن غيرهم ، إنه يمدحهم لمجرد أداء الواجب فقط وحتى لايقال :- سكت عن مدح الرئيس - ويدل على ذلك أيضا قلة مدائحه فيهم فقد مدح الملك " فؤاد الاول " و " الملك فاروق " و " الرئيس جمال عبد الناصر " والرئيس " أنور السادات " بعدة قصائد ومقطعات قصيرة يغلب على بعضها المبالغة فى تصوير الشخصية ولا تغنى بشئ فى سجل الأدب لأن مثل هذا النوع من القصائد ينتهى بمجرد القائه وهذا لايعنى أن شاعرنا قد قال فى مدحهم بدافع الخوف أو الطمع أو الإستعطاف أو الرياء ، ولكنه نوع جرت به العادة على ألسنة بعض الشعراء ، فأدلى بدلوه معهم .

ومن ذلك قوله فى مدح الملك " فؤاد الأول " (١) :

مِنْ طِيْبِ عَرْفِكَ طَابَتِ الأَزْهَـــارُ وَبِنُوْرِ وَجْهِكَ أَشْرَقَ النَّـــوَارُ
وَالشَّمْسُ مِنْكَ قَدِ اسْتَمَدَّتْ حُسْنَهَـا وَسَنَا مُحَيَّا البَدْرِ فِيْكَ مُعَـارُ
مَوْلَاىَ مَعْذِرَةً ، فَمِدْحَـةُ عَاجِـزٍ هَيْهَاتَ تَبْلُغُ وَصْفَكَ الأَشْعَـــارُ

وقوله فيه :(٢)

قَـرَّتْ بِرُؤْيَتِـكَ العُيُـــوْنْ وَاسْتَبْشَرَ انقَلْـــبُ الحَزِيْنْ
لَكَ صُـوْرَةٌ قَـــدْ مَثَّلَـــتْ لِلنَّاظِرِ " الرُوْحَ الأَمِيْـــنْ "
لَا البَدْرُ يَحْكِيْهَـــا ، وَلَا فَلَـقُ الصَّبَـــاحِ المُسْتَبِيْـنْ

ونلاحظ فى هاتين المقطوعتين مدى إسراف الشاعر ومبالغته فى تصويـــر شخصية الملك ، ولا نظلم بعد ذلك شاعرنا إن قلنا بأن ذلك من الشطحـــات ـ القلائل ـ التى وقع فيها .

ويمدح الرئيس " محمد أنور السادات " بقوله :(٣)

يَـابَـارَكَ اللّٰـهُ فِى "السَّـادَاتِ" مِنْ رَجُلٍ حَوَى : كَمَالاً وَفَضْلاً غَيْرَ مَحْـدُوْدِ
رَئِيْسُ عِلْـمٍ ، وَإِيْمَـانٍ ، وَمَعْدِلَـــةٍ كَأَنَّمَا عَهْدُهُ ، عَهْدَ ابْـــنَ دَاوُدِ

---

(١) ألحان الاصيل ص ٢١ .
(٢) الحان الاصيل ص ٢٢ ، ٢٣ .
(٣) فى ظلال القمر ص ٣ .

يَحْيَا الرَّئِيْسُ الَّذِى تَحْيَا رَعِيَّتُهُ فِى ظِلِّ أَمْنٍ عَلَى الآفَاقِ مَمْدُوْدِ
مَدَحْتُهُ ،وَجَمِيْعُ الخَلْقِ تَمْدَحُهُ حَتَّى "العَّهَايِنُ "أَهْلُ الأَكْيَدِ السُّوْدِ(١)
عَاشَ الرَّئِيْسُ الَّذِى فَكَّ الكِنَانَةَ مِنْ جُوْعٍ وَخَوْفٍ ، وَمِنْ أَسْرٍ وَتَقْيِيْدِ
"الحَمْدُ" فِى اسْمٍ لَهُ وَالنُّوْرُ قَدْ جُمِعَا والسُّؤْدُدُ الفَرْدُ مِنْ بَأْسٍ وَمِنْ جُوْدِ

فهو فى هذه الأبيات يمدح الرئيس بصفات عامة - طالما ترددت على ألسنة الشعراء - فيقول عنه انه رجل فاضل كامل ورئيس دولة علم وإيمان وعدالة ، وما أن ينتهى من خلع هذه الصفات على ممدوحه حتى يلتفت إلى تعليل تسميته على طريقة الأقدمين فى فلسفة الأسماء ، وكقول المتنبى فى تسمية " على بن منصور الحاجب " (٢) :

فِى رُتْبَةٍ حَجَبَ الْوَرَى عَنْ نَيْلِهَا وَعَلَا ، فَسَمَّوْهُ عَلِيَّ الحَاجِبَا

وإذا ما تأملنا الأبيات جيدا فإننا نجد الدافع الذى أوجب على الشاعر مدح الرئيس والتغنى بمآثره هو حب الوطن الذى ألزمه بأن يقول مع القائلين ، وهو فى هذا المدح يجمع بين الحديث الموجز عن ذات ممدوحه وبين التعبير عن مشاعر الجماعات التى يهتف معها بحياة الرئيس الذى ساعد فى تحرير البلاد من قيودها ووفر لها الأمن والعيش الرغيد .

ويستوقفنا فى هذه القصيدة قول الشاعر : " مَدَحْتُهُ وَجَمِيْعُ النَّاسِ تَمْدَحُهُ " وكأنه يرد على من يذم عليه ذلك ، إذ ليس من الغريب أن يمدح

---

(١) المراد أنهم أصحاب مكر وخبث وحروب .
(٢) ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح العكبرى حـ١ ص ١٢٨ .

رجل يقر بفضله وبمكانته العدو قبل الصديق ، ومن إكتمل له ذلك فمدحه عند شاعرنا واجب لاينبغى التفريط فيه .

وتتجلى قدرة شاعرنا فى هذا الفن عندما يلتفت إلى مدح الأبطال والبطولات بقصائد فيها تصوير وجدانى رائع ينبض بالحياة ، إلى جانب تخليد أولئك الأبطال والتعريف بهم ، وهو بهذا المديح الذى يبرز فيه جلائل أعمالهم يؤكد على المثل العليا التى يجب أن تكون قدوة وهداية وعبرة لمن أراد ، ولقد لمسنا بعض ذلك — سابقا — عند حديثنا عن مدحه فى قصائد الرثاء ، ويجدد ذلك عندما يفرد بعض قصائده فى مدح القادة والأبطال .

ومن ذلك قصيدته " بطل حطين " التى يرسم فيها لوحة فنية تجسد ما اشتملت عليه شخصية البطل المسلم " صلاح الدين " التى جمعت بين البطولة ومكارم الأخلاق فيمدحه بذلك قائلا : (١)

صُوَرٌ مِنْ مَحَاسِنٍ صَاغَهَا اللّٰـهُ م مِثَالاً تَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهْ
رَقَّ ، حَتَّى لَقِيْلَ : نَفْحَةُ رَوْضٍ كَلَّلَتْ وَشْيَ زَهْرِهِ أَنْدَاؤُهْ
وَسَطَا ، فَالحِمَامُ أَحْمَرَ لَايُرْ ـ ـؤْ مَنُ بِاللَّيْلِ والنَّهَارِ لِقَاؤُهْ
وَعَفَا ، فَالْحَيَاةُ فَاءَتْ إِلَى الجَا نِبِ ، وَفِى مِخْلَبِ الرَّدَى حَوْبَاؤُهْ (٢)
لَمْ يَكُنْ "يُوْسُفَ" الجَمَالِ" وَلَكِنْ يُوْسُفُ النُّبْلِ مَاحَوَاهُ رِدَاؤُهْ

---

(١) أغاريد السحر ص ٧٨ ، الى ص ٨١ .

(٢) الحوباء : الروح .

دَاءُ أَعْدَائِهِ ، وَيَأْتِيهِمُو مِنْهُ (٣)
- بِلاَ مِنَّةٍ عَلَيْهِمْ - دَوَاؤُهْ (١)

وَالأُسَارَى ضُيُوْفُهُ ، وَعَرِيْقٌ
فِى النَّدَى مَنْ ضُيُوْفُهُ أُسَرَاؤُهْ

أَيَّدَتْهُ خَلْفَ الْعَوَالِى سَجَايَا
هُ ، وَأَبْلَتْ قَبْلَ الظُّبَا آرَاؤُهْ (٢)

قَيْنُهُ الحَقُّ ، وَالشَّجَاعَةُ وَالبَأْ
سُ غِرَارَاهُ ، والسَّمَاحَةُ مَاؤُهْ (٣)

مِنْ سُيُوْفِ الإِسْلاَمِ ، طَابِعُهُ الخَا
لِقُ إِلاَ " هِنْدُهُ " وَلاَ " صَنْعَاؤُهْ" (٤)

يَوْمُ (حِطِّيْنَ) حَطَّ كُلَّ رَفِيْعٍ
مِنْهُمُ طَاوَلَ السِّمَاكَ سَنَاؤُهْ (٥)

وَانْثَنَى خَاشِعًا ، وَإِنْ رَاحَ مُخْتَا
لاً عَلَى قِمَّةِ السَّحَابِ لِوَاؤُهْ

---

(١) أى أنه كان يرسل الدواء إلى أعدائه كما ذكرت ذلك كتب السيرة .
(٢) العوالى : الرماح ، والظبا : أطراف السيوف .
(٣) القين : الحداد صانع السيف ، والغرار : حد السيف ، وماؤه : رونقه .
(٤) الهند وصنعاء اليمن كانتا معروفتين قديما بطبع السيوف فنسبت اليهما .
(٥) حطين : بلدة بفلسطين سميت بها المعركة الفاصلة بين صلاح الدين والصليبيين ، السناء : الرفعة .

لَـمْ تُرَنِّـحْ لَـهُ الْمَخِيْلَـةُ عِطْفًـا
وَجَمِيْلٌ مِـنْ ظَافِـرٍ خُيَـلَاؤُهْ
كُلُّ غَازٍ لَمْ يَدَّرِعْ شَـرَفَ النَّفْـسِ (م)
هَـوَى قَبْلَ أَنْ يَتِـمَّ بِنَـاؤُهْ

إنها ضربات فنية متتابعة تبين قدرة شاعرنا على إبراز محاسن هـذا القائد البطل ، ومدحه بها فى أبهى الحلل ، فيسمه بالشجاعة والفروسية والبأس والورع والحلم والكرم والتواضع وغير ذلك من الصفات التى أوردها الشاعر وأسهمت مجتمعة فى تكوين شخصية هذا البطل ، وكانت - بفضل الله - خير معين له فيما حقق من إنتصارات ، ويشير بعد ذلك إلى أن عنصر الشجاعة وحده لايكفى فى تحقيق شخصية القائد المكتملة ولا بد من إقترانه بمكارم الأخلاق كما هو الحال فى شخصية "صلاح الدين " مؤكدا على مثالية ذلك ووجوب الإقتداء به.ويسجل الشاعر إعجابه بالرئيس " جمال عبد الناصر " عندما يمدحه بالبطولة فى السلم وفى الحرب ، ويسمه بالكمال فى الجسم وفى العقل ، ويخلع عليه صفات الحكمة والدهاء والكرم والنجدة والصفاء والهمة والشجاعة وغير ذلك قائلا : (١)

فَارِسُ السِّلْمِ والنِّزَالِ المُلَقَّـى رَايَةَ النَّصْرِ وَالمَنَايَا تَلُوْبُ (٢)
رُزِقَ البَسْطَتَيْنِ : جِسْمًا وَعَقْـلاً فَهْوَ فِى جِنْسِهِ عَجِيْبٌ غَرِيْـبُ (٣)
هِمَّةٌ ، فِى عَزِيْمَةٍ ، فِى مَضَـاءٍ فِى صَفَاءٍ كَمَا يَرُوْقُ القَلِيْـبُ (٤)

---

(١) ترانيم الليل ص ٣٧ .
(٢) تلوب : تحوم ، وأصله : استدارة الحائم حول الماء .
(٣) البسطة : الطول والكمال فى الجسم ، والتوسع فى العلم .
(٤) القليب : البئر أو العادية القديمة منها ، ويؤنث .

وَهْوَ غَيْثٌ لِقَوْمِهِ وَغِيَاثٌ وَهْوَ سَيْفٌ عَلَى الْعِدَا وَلَهِيْبُ
ذُوْ فُنُونٍ فِي حُكْمِهِ وَابْتِكَارٍ وَلَهُ فِي دَهَائِهِ أُسْلُوْبُ

وتكتمل ملامح شخصية (الجندى) فى هذا الفن بمدحه لرسول الله -صلى الله عليه وسلم - وبعض أصحابه - رضوان الله عليهم - ، يدفعه إلى ذلك إيمانه الصادق وعقيدته المخلصة ، التى ألزمته بأن يعبر عن مافى نفسه من حب وإجلال ووفاء لهم ، غير منتظر على ذلك جزاء أو شكورا من الخلق، وإنما يبتغى - فيما يقول - الفضل من الله - عز وجل - ، ويعبر عن ذلك فى مديحته التى أفردها لرسول الله -صلى الله عليه وسلم - بعنوان " فلق الصباح " إذ يقول : (١)

اللّٰهُ يَشْهَدُ أَنَّنِي لَا أَبْتَغِي مِنْ مَدْحِهِ إِلَّا جَمِيْلَ رِضَائِهِ
نَزَّهْتُ رِفْعَةَ قَدْرِهِ عَنْ مِدْحَتِي فَأَبَى الْقَرِيْضُ وَلَجَّ فِي غُلَوَائِهِ
إِنْ لَمْ أَكُنْ حَسَنَ الْبَيَانِ فَحَسْبُ مَنْ يُثْنِي عَلَى الْمُخْتَارِ حُسْنُ وَفَائِهِ

ويمهد الشاعر لما سيقول فى هذه القصيدة من إطراء بانه لن يأتى بجديد فى مدحته بقدر ماسيعبر عما يعتلج فى نفسه من غرام مشبوب لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، بل إنه يؤكد على أن الشعر كله قاصر عن بلوغ الحقيقة فى وصف محمد - صلى الله عليه وسلم - وأن يحد مآثره التى لاتدخل تحت حصر ولا يتسامى إليها عقل ، ولكنه شاعر مسلم من جملة الشعراء المسلمين

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٤٩ .

وسينهج فى ذلك نهج حسان بن ثابت - رضى الله عنه - حينما كان يطرى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى عصر النبوة قائلا : (١)

وَأَعِدْ لَنَا " حَسَّانَ " فِى عَصْرِ الهُدَى
يُطْرِى الرَّسُولَ ، فَأَنْتَ مِنْ شُعَرَائِهِ

وَتَفَنَّ فِى وَصْفِ الحَبِيْبِ فَإِنَّهُ
لَحْنٌ يُسَاوِرُنَا الهَوَى بِغِنَائِهِ

عَصَفَ الغَرَامُ بِهِ فَبَاتَ كَأَنَّمَا
يَسْرِى الغَضَى المَشْبُوْبُ فِى أَحْشَائِهِ (٢)

خَلِّ المَدِيْحَ ! فَلَسْتَ بَالِغَ وَصْفِهِ
كُلُّ المَكَارِمِ قَطْرَةٌ فِى مَائِهِ

هَذَا الجَلَالُ يَجِلُّ عَنْ شِعْرٍ ، وَإِنْ
نَظَّمْتَ دُرَّ ، " عُمَانَ " فِى أَثْنَائِهِ (٣)

ويتطرق بعد ذلك إلى مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإطرائه بما اشتمل عليه من صفات جليلة فى الخَلْقِ والخُلُق ، تلك الصفات التى أثنى بها القرآن الكريم على محمد - صلى الله عليه وسلم - وليس بعد ثنائه وبيانه ثناء ولا بيان فيقول : (٤)

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٤٨ .
(٢) الغضى : شجر صلب شديد الإحتراق .
(٣) عمان : بضم العين بلد ينسب إليه الخليج المشهور باللؤلؤ على ساحل الخليج العربى .
(٤) أغاريد السحر ، ص ٤٩ .

أَثْنَى " الكِتَابُ " عَلَيْهِ فِى آيَاتِهِ
مَاذَا عَسَاكَ تَقُوْلُ بَعْدَ ثَنَائِهِ ؟

ويمدحه بمعجزته التى أيده الله بها وهى : تكليم الله له فى الموضع الأعلى ليلة الإسراء والمعراج عندما يستهل القصيدة قائلا :(١)

مَاذَا يَقُوْلُ الشِّعْرُ فِى عَلْيَائِهِ
مَنْ خَاطَبَ الرَّحْمَنَ فَوْقَ سَمَائِهِ

ويشيد بفضله على الناس فى الدنيا وفى الآخرة ، فببعثته اهتدى الناس وعزوا بعد أن كانوا أذلاء ، فيستطرد إلى بيان الحكمة من ذلك قائلا:(٢)

النَّاسُ فِى الدُّنْيَا بِبَعْثَتِهِ اهْتَدُوْا
وَالنَّاسُ يَوْمَ البَعْثِ تَحْتَ لِوَائِهِ

عَزَّ الأَنَامُ بِهِ ، وَكَانَ أَعَزُّهُمْ
عَبْدًا يُعَانِى القَيْدَ مِنْ أَهْوَائِهِ

مَنْ عَاشَ مِنْهُمْ ، عَاشَ فِى أَوْهَامِهِ
أَوْ مَاتَ رَاحَ مُزَمَّلاً بِشَقَائِهِ

ويسترسل (الجندى) فى تعداد كثير من صفات الكمال التى حيزت للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهيأته ليكون بحق أكرم مرسل بالشريعة الإسلامية يبعثه الله ، فيمتدحه بما أسبغ الله عليه من حلم وحياء وصدق وسخاء وصفاء فى النفس إلى غير ذلك من الصفات العظيمة العالية التى عرف بها (صلى الله عليه وسلم) ، وبما اجتمع له مع ذلك من عزة وأصالة وسؤدد موروث عن الآباء ، وينوه الشاعر بتلك المثل العليا فى قوله : (٣)

يَمْشِى الزَّمَانُ بِهِ ، فَيَبْهَى رَوْنَقًا
مِثْلَ الهِلَالِ يَرُوْقُنَا بِنَمَائِهِ

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٤٧ .
(٢) نفسه
(٣) نفسه ص ٥٢ ، ٥٣ .

لَوْ لَمْ يَنُمَّ عَلَيْهِ نُوْرُ جَبِيْنِهِ
لَأَتَاكَ بِالْبُرْهَانِ فَرْطُ حَيَائِهِ

هَذَا الْيَتِيْمُ وَمَنْ يَكُنْ " كَمُحَمَّدٍ "
فَالْيُتْمُ يَرْفَعُهُ عَلَى نُظَرَائِهِ

فَضْلُ الْيَتِيْمِ مِنَ اللَّآلِىءِ أَنَّهُ
فَاقَ اللَّآلِىءَ كُلَّهَا بِصَفَائِهِ

هَذَا هُوَ الْمُخْتَارُ أَشْرَقَ نُوْرُهُ
فِى " آدَمٍ " وَضَفَا عَلَى (حَوَّائِهِ) (١)

هَذَا هُوَ الْهَادِى الْبَشِيْرُ ، فَحَدِّثُوْا
عَنْ حِلْمِهِ وَحَيَائِهِ وَسَخَائِهِ

هَذَا هُوَ الْمَبْعُوْثُ بِالْحَقِّ الَّذِى
فِى نُطْقِهِ يَبْدُو وَفِى إِيْمَائِهِ

هَذَا رَسُوْلُ اللّٰهِ أَكْرَمُ مُرْسَلٍ
" بِالسَّمْحَةِ الْبَيْضَاءِ " مِنْ حُنَفَائِهِ (٢)

حِيْزَ الْكَمَالُ لَهُ ، وَزَادَ كَرَامَةً
بِالسُّؤْدُدِ الْمَوْرُوْثِ عَنْ آبَائِهِ

شَرُفَتْ بِهِ " عَدْنَانُ " بَلْ خَلَدَتْ بِهِ
كَمْ مِنْ أَبٍ قَدْ عَاشَ فِى أَبْنَائِهِ

---

(١) ضفا : سبغ
(٢) الحنفاء : جمع حنيف : المتعبد المعتزل الأصنام .

وَيُعَقِّبُ " الجندى " على ماقيل فى مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنه شيء يسير لايمثل الحقيقة كاملة ، فى الذى أثنى عليه خالقه - عز وجل - بقوله : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيْمٍ)[1] ، وسيبقى عليه السلام - فى مرتبة عالية فوق مايقال عنه من شعر وخطب تدين لها أساليب البلاغة وسحر البيان وعبقرية اللغة لأنها ستعجز فى النهاية من إحصاء شمائل هذا النبى العظيم أو إدراك صفاته ومآثره كما كان ، ويوضح ذلك قائلا : " مامثلنا فى تعاطى مدحه ، وعد مناقبه ، إلا كمثل من يرى الشمس فى فلكها الأعلى ، فيقنعه منها قرصها المستدير ، وأشعتها اللامعة ... وكمثل من ينظر البحر فلا ينفذ إلى ماوراء أديمه المنبسط ، وموجه المتراكب .. وأين الشمس والبحر فى المنظر ، من الشمس والبحر فى المخبر .. وأين الشمس والبحر فى المخبر ، من سيد الكائنات ، وصفوة المخلوقات ، وخيرة الله من عباده؟" [2] .

ويرى (الجندى) بأنه من الواجب عليه بعد ذلك أن لايفزع الى الصمت بل يشيد بتلك المثل النبيلة التى تعطر الكون بعبقة من ريباه أو تنشر على الناس شعاعا من سناه - صلى الله عليه وسلم - .

ويلتفت الشاعر بعد ذلك إلى مدح بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - فيمدح أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - قائلا : [3]

---

(١) القرآن الكريم سورة (القلم) آية (٤) .
(٢) نفح الازهار فى مولد المختار لعلى الجندى ص ١٥٥ .
(٣) أغاريد السحر ص ٦٤ .

لَـــمْ يَسَرَ النَّـــاسُ لِلصِّدِّيْقِ "أَبِى بَكْرٍ" (م)
مَثِيْلاً ، وَأَيْنَ أَيْـنَ المَثِيْـــــلُ ؟

أَوَّلُ المُؤْمِنِيْنَ ، وَالشِّرْكُ مُخْتَـــــا
لٌّ مُـــدِلٌّ بِحِزْبِـــــهِ مُسْتَطِيْـــلُ

بَـــاذِلُ النَّفْـــسِ رَاضِيًا حَامِلُ العِـــبْءِ (م)
ـ عَلَى الضَّعْفِ ـ وَهْـوَ عِبْءٌ ثَقِيْـــلُ

كَانَ بَـرًّا ، وَلَيْسَ فِى النَّـــاسِ بَـرٌّ
وَوَصُـوْلاً ، وَلَيْسَ فِيْهِمْ وَصُـــوْلُ(١)

مَثَـــلٌ فِى الوَفَـــاءِ مَازَالَ يُـــرْوَى
رَاحَ جِيْـلٌ بِـهِ ، وَأَقْبَـــلَ جِيْـــلُ

إنه يمدحه بصحبته للرسول-صلى الله عليه وسلم-وبوفائه ، وبـــــره ، وتضحيته وسبقه إلى الإيمان وتصديق الرسول ـ عليه السلام ـ ، مشيدا بهـــــذه المثل التى ضرب بها أبو بكر أروع الأمثلة ، فكانت وساما له تتناقلـــــه الأجيال إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها .

ويمتدح الشجاعة والفداء والتضحية وقوة الإيمان والسكينة والوقـــار فى " على بن أبى طالب" ـ رضى الله عنه ـ مستدلا على ذلك بما كان منه فى ليلة نومه على فراش الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تضليلا للقوم المشركيـــــن

---

(١) الوصول : الذى يصل الود والقربى .

الذين أزمعوا قتل النبى (عليه السلام) ، فيتخذ من ذلك مثالا على المثل النبيلة التى اتصف بها (على بن أبى طالب) - رضى الله عنه - فيقول :(١)

وَبِنَفْسِىَ الفَتَى " عَلِيًّا " وَالدَّهْرُ
بِمِثْلِ الفَتَى " عَلِيٍّ " بَخِيْلُ

فِى "فِرَاشِ النَّبِىِّ" بَاتَ وَلِلْمَوْ
تِ صَرِيْفٌ - مِنْ حَوْلِهِ - وَصَلِيْلُ (٢)

جَلَّلَتْهُ سَكِيْنَةٌ وَوَقَارٌ
وَعَلَيْهِ مِنَ السَّنَا إِكْلِيْلُ

إِنْ يَكُنْ (أَحْمَدٌ) نَأَى البَيْتَ فَالْبَيْتُ
مِنَ النُّوْرِ وَالهُدَى مَأْهُوْلُ

إِفْتَدَاهُ بِنَفْسِهِ وَوَقَاهُ
إِنَّمَا يَفْتَدِى النَّبِيْلَ النَّبِيْلُ

وبعد .. فهذا هو فن المديح الذى وجدناه لدى شاعرنا ، ولعلنا بعد عرضنا - السابق - لبعض النماذج فى الثناء على الأصدقاء أو الرؤساء أو القادة أو مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابته ، واستقصائنا

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٦٣ .

(٢) الصريف فى الأصل : صوت البكرة عند الإستقاء وصوت الباب وصوت ناب الناقة .

لمظاهر هذا الفن عنده ، نستطيع القول أنه كان معتدلا فيه إلى حد كبير ، لأنه نظم فيه عن رغبة صادقة وإيمان عميق ، فألزم نفسه به دونما تكليف من أحد ، فمدح من مدح لا خوفا ولا طمعا ولا رياءا،بل ليعبر عما فى نفسه من حب ووفاء وإعتداد بالمثل العليا والأخلاق النبيلة ولمسنا ذلك كثيرا فى عدم مبالغته ومغالاته فى نعت ممدوحيه ، بالإضافة إلى مدحه لمن يستحق بما فيه ، ولمحنا قدرته على الإرتقاء بهذا الفن عند ذكر الأبطال والبطولات ، وبما فى مدائحه من تصوير وجدانى رائع ينبض بالحياة ، وما تضمن مدحه من إستطرادٍ إلى ضرب الحكم البالغة التى يهدف من ورائها إلى القدوة والهداية .

وهذا لاينفى وجود بعض الهنات فى بعض ماقاله فى هذا الفن وقد أشرنا إلى ذلك عند عرض النماذج .

وبذلك تتضح لنا بعض ملامح شخصية " الجندى " فى هذا الفن .

٥ - الفخـــــر

يعد من أقدم الفنون الشعرية عند العرب لأن البيئة كانت توحـــى بذلك ، وفيه يمتدح الشاعر نفسه أو قومه (١)، " وقيل : ليس لأحد مـــن الناس أن يطرى نفسه ويمدحها فى غير منافرة إلا أن يكون شاعرا فإن ذلـــك جائز له فى الشعر غير معيب عليه (٢) " .

والفخر أنواع ومنه الفخر الذاتى الذى يتحدث فيه الشاعر عن نفســه ويتغنى بخلائقه وسجاياه ونسبه ، وقد عرف هذا النوع منذ القدم وظل كذلـــك حتى العصر الحديث ، واذا دققنا النظر فى شعر الفخر عند (الجندى)فإننـا نجده من هذا النوع الذى تتضمن أبياته إعتزاز الشاعر بجملة من الصفـــات والخصال الحميدة التى يرى الشاعر فيها مزيدا من الرفعة والفضل والمهابة ، ويرى أنها تزين صاحبها وترفع من قدره ، ومن هذا الفخر قوله من قصيـــدة عنوانها " صورة نفسية " (٣) .

لِكُلِّ اِمْرِىءٍ جَهْرٌ يُخَالِفُ سِـــرَّهُ
وَمَالِىَ مِنْ سِرٍّ يُخَالِفُهُ جَهْـــرِى

خُلِقْتُ " كَعِيْسَىٰ " لاَ أُجِنُّ ضَغِيْنَـةً
بِقَلْبِىْ ، وَلاَ أَطْوِى ضُلُوْعِى عَلَى غَدْرِ

---

(١) أنظر العمدة ص ٣٥٥ لإبن رشيق .
(٢) " " ص ١٩ " " .
(٣) ديوان أغاريد السحر ص ٥ ، ٦ .

وَلاَ نَاسِيًا صُنْعَ امْرِئٍ وَجَمِيْلَـــهُ
إِلَيَّ ، وَنِسْيَانُ الجَمِيْلِ مِنَ الكُفْـــرِ

وَلَمْ أَرَ فِي عُسْرٍ مُقِـرًّا بِذلَّـــةٍ
وَلاَ سَاجِبًا ذَيْلَ المَخِيْلَـةِ فِـــي يُسْـــرِ

وَلاَ ضَارِعًـا إِلاَّ إِلَى اللّٰهِ خَالِقِـــهْ
وَإِنْ قَلَّبَتْنِـــي الحَـــادِثَاتُ عَلَى الجَمْرِ

وَلَمْ أَبْتَذِلْ وَجْهِـي لِشَيْـئٍ أَنَالُـهُ
وَلَوْ أَنَّهُ عُمْـرٌ يُضَـــافُ إِلَى عُمْـرِي

أَرَى الفَقْرَ إِثْـرَاءً -وَوَجْهِي بِمَائِهِ -
وَبَعْضُ ثَـرَاءِ القَـوْمِ شَرٌّ مِنَ الفَقْـــرِ

حَلِيْمٌ بِلاَ ضَعْفٍ إِذَا حَلُمَ امْـــرُؤٌ
- عَلَى خَوَرٍ فِيْهِ - كَبِيْـرٌ بِلاَ كِبْـــرِ

وَفِيٌّ لِأَصْحَابِي عَلَى السُّخْطِ وَالرِّضَـا
مُعَنًّى بِأَحْبَابِي عَلَى الوَصْلِ وَالْهَجْـــرِ

فالشاعر فى هذه الابيات يفخر بجملة من الخصال الحميدة التى تنطوى عليها نفسه كالصفاء والوفاء والحلم وعزة النفس وأنفتها، كما أنه يفتخر بعدم كتمان الضغينة ، والبعد بنفسه عن الغدر وعن كل مامن شأنه أن ينقص من عزة نفسه وكبريائه ... ونلاحظ من خلال ذلك إعتداده بنفسه وبرفعة مناقبه فى هذا المجال .

ثم يواصل " الجندى " الحديث عن نفسه فيفخر بنسبه الذى يمتد حتى يتصل بقبيلة " كندة " التى يفخر بها كثيرا فى شعره ، ومن هذا نراه حريصا على أن يُطلق عليه " الجندى " بكسر الجيم لأنه من سلالة " كندة " بكسر الكاف كما سنرى فى الأبيات التالية :(١)

أَبِى " المَلِكُ الضِّلِّيْلُ " حُزْتُ تُرَاثَهُ
سِوَى وِزْرِهِ ، إِنِّى بَرِىءٌ مِنَ الوِزْرِ (٢)

جَرَيْتُ عَلَى الأَعْرَاقِ مِنْ صِيْدِ " كِنْدَةٍ "
وَمِثْلِى عَلَى أَعْرَاقِ آبَائِهِ يَجْرِى

إِذَا لَفَّتِ الظَّلْمَاءُ أَنْسَابَ مَعْشَرٍ
رَأَيْتَ عَلَى أَنْسَابِنَا رَوْنَقَ البَدْرِ

ضَرَبْنَا عَلَى النَّاسِ الجِزَى فِى قَدِيْمِنَا
بِهِنْدِيَّةٍ بِيْضٍ ، وَخَطِّيَّةٍ سُمْرِ

لَنَا " الشِّعْرُ " وَ " الشِّعْرَى" لَنَا كُلُّ بَاسِقٍ
مِنَ السُّؤْدُدِ العَادِىِّ وَالحَسَبُ البِكْرِ (٣)

لأَوَّلِنَا تُعْزَى المَعَالِى فَقُلْ لِمَنْ
يُفَاخِرُنَا لَمْ نُبْقِ لِلنَّاسِ مِنْ فَخْرِ

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٦ .

(٢) الملك الضليل : أمرؤ القيس الكندى .

(٣) الشعرى : نجم يمنى يشرق على منازل كنده ، والعادى : القديم جدا .

وتعصب شاعرنا لقبيلة " كنده " واضح فى هذه الأبيات ، حتى اننا نحس بأن ذلك قد ورَّثه نعرة جاهلية ، إذ نجده يفاخر بإمتداد نسبه إلى هذه القبيلة التى ينتسب إليها " أمرؤ القيس " فيفخر به ويشير إلى إمارته على الشعراء ، كما يشير إلى عراقة هذه القبيلة وأصالتها وتاريخها القديم الذى يحفل بالمجد والرفعة والسؤدد ،ويبالغ الشاعر كثيرا عندما يذكر فى نهاية القصيدة بأن هذه القبيلة التى يتشرف بإنتسابه إليها قد أتت على كل المعالى وبلغت القمة فيها ، ولم تبق للناس شيئا يفتخرون به .

ولقد كان الجندى يعتز كثيرا بأسرته الكندية التى تتفرع - كما يقال - : (من قبيلة كندة بيت الملوك والأقيال فى قحطان ، ومعدن الشعر فى الجاهلية الأولى)[1] ، لذلك يتردد إسم هذه القبيلة كثيرا فى فخره ، ويتضح ذلك فى هذه الأبيات التى يعتد فيها بنفسه وبرفعة مناقبه وسمو أمجاد قومه من قبيلة " كندة " وفيها يقول :[2]

بَلَى إِنَّنِى بَيْنَ أَهْلِ الحِجَا ... أَحُلُّ العَّدَارَةَ فِى المَحْفِلِ

وَإِنْ عُدَّ يَوْمًا رِجَالُ القَرِيْضِ ... عُدِدْتُ مِنَ النَّمَطِ الأَوَّلِ

وَمَا أَنَا زَا رٍ وَلاَ سَاخِطٌ ... عَلَى حِكْمَةِ الرَّزِاقِ المُفْضِلِ[3]

وَلاَ بِالَّذِى إِنْ رَأَى نِعْمَةً ... عَلَى غَيْرِهِ جَاشَ كَالْمِرْجَلِ

وَكَيْفَ ؟ وَمَا فَاتَنِى فَائِتٌ ... مِنَ المَجْدِ وَالحَسَبِ الأَفْضَلِ

---

(١) أنظر مقدمة ديوان أغاريد السحر ص ١٢ .

(٢) ديوان أغاريد السحر ص ٢٣٦ .

(٣) زار : عائب .

فَرَعْتُ " بِكِنْدَةَ " شَمْسَ السَّمَاءِ وَطَامَنْتُ مِنْ بَدْرِهَا الأَكْمَلِ(١)
إِذَا جَاذَبَ النَّاسُ حَبْلَ الفِخَارِ أَنَا خَ عَلَى فَخْرِهِمْ كَلْكَلِي (٢)

ويقول مفاخرا بإنتسابه إلى " كندة " ومباهيا بعفته :(٣)

أَتَخَافُ الغَدْرَ مِنِّي أَنَا مَنْ تَأْمَنُ غَدْرَهْ
شَاعِرُ الأَخْلَاقِ يَأْبَى كُلَّ مَا تَأْبَاهُ " عُذْرَهْ "
جَاءَ مِنْ " كِنْدَةَ " حُرًّا وَالفَتَى يَتْبَعُ نَجْرَهْ

ويفخر الشاعر بـ (بكر وائل من ربيعة) ويذكر بأن أجداده لأمه منهم فيقول : (٤)

وَقَدْ وَرَّثَتْنِي بَكْرُ وَائِلَ شِعْرَهَا
فَإِنْ قُلْتُ شِعْرًا قِيلَ قَدْ أَنْجَبَتْ بَكْرُ

وفي موضع آخر يفخر بآبائه من " كندة " وأجداده لأمه من " بكر واثل من ربيعة " قائلا :(٥)

لَسْتُ الغَرِيبَ! فَلِي قُرْبَى ، وَلِي نَسَبٌ
إِلَى رُبَيْعَةَ " مَاحَالَتْ ، وَلَا حَالَا

---

(١) كندة : يقصد قبيلة كندة المشهورة وفرع : علا ،وطامن : خفض.
(٢) الكلكل : الصدر .
(٣) أغاريد السحر ص ٢٨٣ .
(٤) " " ص ١٤ .
(٥) أنظر ديوان أغاريد السحر ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

إِنْ كَانَ " كِنْدَةُ " أَعْمَامِي أَتَيْتُ بِهِمْ
فَإِنَّ لِيْ فِي بَنِي شَيْبَانَ أَخْوَالاَ

وَرِثْتُ عَنْهُمْ قَرِيْضًا يَزْدَهِي حِكَمًا
تَطِنُّ فِي أُذُنِ الدُّنْيَا وَأَمْثَالاَ

ثم إننا نجد (الجندى) يفخر " بالفاطميين " ويذكر بأن " آل الجندى الفاطميين عمومة فى كندة ، ويزهو بذلك قائلا :(١)

إِمَامُ الهُدَى بَعْدَ الرَّسُوْلِ " وَصِيُّنَا "
وَزَهْرَاؤُنَا الشَّمْسُ الَّتِي لَيْسَ تَغْرُبُ

أَبُوْنَا " مُعِزُّ الدِّيْنِ " وَاحِدُ عَصْرِهِ
لَهُ المَجْدُ إِرْثٌ وَالمَحَامِدُ مَكْسَبُ (٢)

لَنَا بُرْدُهَا دُوْنَ الوَرَى وَقَضِيْبُهَا
وَفِيْنَا الفِخَارُ الطَّالِبِيُّ المُطَنَّبُ

إِلَى نَضَدٍ مِنْ " كِنْدَةٍ " بِاذِخُ الذُّرَا
لَهُ فَوْقَ هَامَاتِ الكَوَاكِبِ مَوْكِبُ

ويفخر بنسبه " الفاطمى " قائلا : (٣)

لَعَمْرُكَ مَا قَصَّرْتُ فِي طَلَبِ العُلاَ
وَلاَ كُنْتُ عَنْ كَسْبِ الفَخَارِ بِنَائِمِ

---

(١) ديوان فى ظلال القمر ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ .
(٢) "المعز لدين الله الفاطمى" الخليفة المصرى .
(٣) ديوان فى ظلال القمر ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

إلى أن يقول :

وَحَسْبِيَ فَخْرًا بَيْنَ قَوْمِيَ : أَنَّنِـــــي
سَلِيْلُ العُلاَ وَالمَجْدِ ، وَابْنُ «الفَوَاطِمِ»*

ونخلص مما تقدم إلى أن الشاعر شديد الزهو بحسبه ونسبه ، وكما يقول عنه صديقه الأستاذ محمد صالح سمك : (لولا أن العصر الحديث طامن من فـــــن الفخر لكان ثانى الفرزدق فيه ، فهو حبيب إلى قلبه بالفطرة ، ومن أجـــــل هذا يحفظ كثيرا من شعر الفخر ، وتعتريه هزة إذا أنشده وربما ترقرقـــــت الدموع فى عينيه) (١) .

لذلك نجده يهتف فى شعره كثيرا - على سنة الفرزدق - حتى فى غزلـه عندما يقول : (٢)

هَانَ لِلْغِيْدِ آمْيَدٌ وَرِثَ الكِبْـــــرَ (م)
أَلاَ فِى سَبِيْلِ الهَوَى يَلَذُّ الهَـــوَانُ (٣)

ولا ينسى نفسه - كالفرزدق - إذا مدح عظيما يستحق المدح كما فـــى قوله من قصيدة " مهرجان الشعر " : (٤)

---

* فالجندى دائما يريد أن يصل نسبه إلى شجرة الرسول صلى الله عليـــه وسلم من فاطمة الزهراء .

(١) أغاريد السحر ص ٢٥ .
(٢) ديوان أغاريد السحر ص ٣٠٤ .
(٣) الأميد : الذى لايلتفت من زهوه يمينا ولا شمالا .
(٤) ديوان ألحان الأصيل ص ٢٥٦ .

أُقَلِّدُهُ الفَرَّ الكِرَامَ فَيَنْثَنِي
حُلِيًّا عَلَى أَجْيَادِهِمْ مُتَوَقِّدَا

عَرَائِسُ لَاتُجْلَى عَلَى غَيْرِ كُفْئِهَا
ضَمِنَّ لِمَنْ زُفَّتْ لَهُ أَنْ يُخَلَّدَا

يَدِيْنُ لَهَا قَسْرًا " فَرَزْدَقُ دَارِمٍ "
لِأَعْرَقَ مِنْهُ فِي الفَخَارِ وَأَمْجَدَا

كما أننا نجد الشاعر يفخر بالأخلاق كثيرا ويجعلها معيارا للحسب ، الذى يقصد به المعدن الكريم ، والمنبت الصالح ، الذى يزدان بالتقى والورع والفضائل كما فى قوله من قصيدة " نفحات الحجاز " (١) :

وَمَا حَسِيْبٌ حَسِيْبٌ لَايُزَيِّنُهُ
دِيْنٌ ، وَإِنْ حَلَّ مِنْ دُنْيَاهُ فِي القِمَمِ

لَاتُعْظِمَنَّ عَظِيْمًا لَيْسَ ذَا وَرَعٍ
أَتْقَى الأَنَامَ أَحَقُّ النَّاسِ بِالعِظَمِ

وعلى قلة نجد الشاعر يفخر بقومه المصريين كما فى قوله من قصيدة " النفخ فى الصور "(٢) :

مَلَكْنَا بَسِيْطَ الأَرْضِ قِدْمًا ، وَمَجْدُنَا
تَسَامَى عَلَى هَامِ السِّمَاكَيْنِ والنَّسْرِ(٣)

---

(١) ديوان اغاريد السحر ص ١٣٠ .
(٢) " " ص ١٤٠ .
(٣) السماكان : كوكبان يسمى أحدهما الرامح والآخر الأعزل ، والنسر أحد كوكبين هما الطائر والواقع .

وَمِنْ عِلْمِنَا بَحْرُ المَعَارِفِ قَدْ جَرَى
وَمِنْ صُنْعِنَا " الأَهْرَامُ " أُعْجُوبَةُ الدَّهْرِ

وَدَانَ الوَرَى شَرْقًا وَغَرْبًا لِحَوْلِنَا
وَآيَاتُنَا قَدْ أَسْمَعَتْ كُلَّ ذِي وَقْرِ

وَكُنَّا بِرَوْضِ العِزِّ نَمْرَحُ وَالعُلاَ
وَكَانُوْا كَأَمْثَالِ البَهَائِمِ فِي القَفْرِ

كما يقل مثل قوله (١) مفاخرا بالأمة العربية الاسلامية مسترشدا بقول الله تعالى : " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا" الآية (٢) :

إِنَّا لَأَوْسَطُ أُمَّةٍ عَزَّتْ ، وَسَادَتْ فِي البَشَرْ
وَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا بِهَا كَاللَّيْلِ ضَوَّأَهُ القَمَرْ

وهكذا نجد أن الجندى قد أكثر من الفخر الذاتى الذى غلب على شعره، وفيه إعتد بنفسه وبحسبه ونسبه - كما رأينا - ، ومن العجيب أن نجد شاعرنا يخوض فى هذا المجال لما عرفنا عنه من تواضع جم وحياء شديد ، فالفخر كما نعلم غالبا مايكون من طبيعة المتكبرين ، وذلك أمر يتنافى مع الطبيعة التى عرفناها فى شاعرنا ، ولعل الباعث على وجود ذلك الفخر فى شعره راجع الى إتصاله الوثيق بأدب التراث الذى طغى على عقليته وغلب على شاعريته ، ولم يكن بدافع الكبر أو التعالى والغرور ، ولكن هو مجرد

---

(١) ديوان ثرانيم الليل ص ٦٩ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٤٣ .

أن يكون له فى كل فن جولة يستعرض فيها قدرته على الخوض فى شتى النواحى البيانية ، ولا غرابة بعد ذلك أن نسمع منه مثل هذا الفخر .

٦ - بكاء الشباب

أحد الفنون الأدبية القديمة التى عرفها الأدباء والشعراء وتغنوا بها ، ولقد اتّسع مجال القول فيه وكثر عند شعراء العصر العباسى عندما أفردوا بعض القصائد المستقلة بهذا الموضوع ، بعد أن كان القول فيه لايتجاوز البيت أو الأبيات القليلة فى بعض مقدمات قصائد المدح(١).

وقد التفت إلى قلة القول فى الشيب قبل العصر العباسى واتساعه فى العباسى ومابعده أحد الأدباء قائلا : " إن الإغراق فى وصف الشيب والإكثار فى معانيه ، واستيفاء القول فيه ، لايكاد يوجد فى الشعر القديم ، وربما ورد لهم فيه الفقرة بعد الفقرة ، فكانت مما لانظير له ، وإنما أطنب فى أوصافه واستخراج دفائنه والولوج إلى شعابه الشعراء المحدثون "(٢)واستشهد لذلك بما قاله "البحترى،وإبن الرومى،وأبو تمام"وغيرهم من الشعراء .

وعندما يتناول الشاعر هذا الفن فإنه يعكس لنا صورة من نفسه المتأثرة بوخط الشيب ، فيتوجع منه تارة (ويذمه بأنه رائد الموت ونذيره وأنه يوهن القوة ويضعف المنة ويطمع فى صاحبه ، وأن النساء يصددن عنه ويعبن به وينفرن عن جهته ، وربما شكى الشاعر منه لنزوله فى غير زمانه ووفوده قبل إبانه ، وأنه بذلك ظالم جائر وما أشبه ذلك)(٣) .

---

(١) أنظر العصر العباسى الأول للدكتور شوقى ضيف ص ١٨٦ .
(٢) أنظر الشهاب فى الشيب والشباب للسيد الشريف المرتضى الموسوى ص ٣ .
(٣) الشهاب فى الشيب والشباب للموسوى ص ٤ .

ويمدحه تارة بأنه يجلب الوقار لصاحبه ويبعد عنه الفواحش والقبائح ، وأن لونه الناصع دليل على الحنكة والتجارب .

وقد رمى " على الجندى " بسهم وافر فى هذا الفن ، ويصرح بذلك قائلا : " وأنا أشهد على نفسى أننى بكيت الشباب كثيرا ، بل لعله لم يبك شاعر عربى الشباب كما بكيت وبتوجع من الشيب كما توجعت ، ولا بأس بذلك فهو من عناوين الوفاء ، وعمرو بن العلاء يقول : مابكت العرب شيئا مابكت الشباب ، وما بلغت أهله . " (١)

ولعل شكوى الشاعر وتوجعه من الشيب راجع الى نزول هذا الضيف غير محتشم برأسه فى سن السادسة عشرة (٢) ، فكان هذا الشيب المبكر مثار الألم والحسرة فى نفسه ، لأنه كثيرامايكون موضع شماتة وتشف من أصدقائه ، ونستمع إلى ذلك فى قصيدته الحزينة " شماتة الأصدقاء " التى يرد بها على صديقيه الشاعرين : محمد الاسمر وعبد الحميد فهمى مرسى ، بعد أن عيراه بالشيب فى أحد المجالس ، فيقول : (٣)

أُعِيْذُكُمَا بِاللّٰهِ أَنْ تَشْمَتَا بِيَا
وَقَدْ وَخَطَ الشَّيْبُ المُلِمُّ قَذَالِيَا (٤)

---

(١) خمسة أيام فى دمشق الفيحاء لعلى الجندى ص ٢١٠ .
(٢) أنظر ديوان أغاريد السحر ص ٢٤٥ .
(٣) ديوان أغاريد السحر ص ٢٤٥ .
(٤) القذال : جماع مؤخر الرأس - بفتح القاف .

رَأَيْتُكُمَا إِلْبًا عَلَيَّ وَلَمْ تَلِنْ
قَنَاتِي ، وَلَمْ تُبْلِ اللَّيَالِي رِدَائِيَا

فَكَيْفَ إِذَا مَا أَخْلَقَ الدَّهْرُ جِدَّتِي
وَأَصْبَحْتُ أَمْشِي قَاتِرَ الخَطْوِ وَانِيَا (١)

وَقَدْ كَانَ ظَنِّي فِيكُمَا - أَنْ ضَنَنْتُمَا
بِعَوْنٍ عَلَى الأَحْدَاثِ - أَنْ تَرْثِيَالِيَا

وَعَيَّرْتُمَانِي الشَّيْبَ قَبْلَ أَوَانِهِ
وَمَا هُوَ إِلَّا الدَّاءُ أَعْيَا المُدَاوِيَا

وَرَأْسِي - بِحَمْدِ اللهِ - مَازَالَ نَبْتُهُ
- كَعَهْدِي بِهِ - قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ دَاجِيَا

وَإِنْ قَالَ قَوْمٌ : قَدْ أَضَاءَتْ نُجُومُهُ
فَحُسْنُ الدُّجَى أَنْ بَاتَ بِالنَّجْمِ حَالِيَا

وَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ تُفِيدَانِ مَغْنَمًا
إِذَا صَرَمَتْ بِيضُ الوُجُوهِ حِبَالِيَا

ويشتد حزن الشاعر وجزعه من ذلك الشيب فيجهر بالشكوى قائلا : (٢)

أَتَسْلُبُنِي الأَيَّامُ حَتَّى مَفَارِقِي
وَيَشْمَتُ بِي حَتَّى خِيَارُ صِحَابِيَا

---

(١) الجدة بكسر ثم تشديد : نقيض البلى .
(٢) أغاريد السحر ص ٢٤٩ .

وَيَالَيْتَ دَهْرِى حِيْنَ فَـوَّقَ سَهْمَـهُ
فَأَصْمَى بِهِ فَوْدِى تَخَطَّـى فُؤَادِيَـا

وَهَلْ أَنَا مُلَّيْتُ السَّوَادَ فَأَجْتَـوِى
بَيَاضًا بِرَأْسٍ لَا أَرَى مِنْـهُ وَاقِيَـا (١)

ويتوجع الجندى كثيرا عندما يرى رواعى الشيب تنزل برأسه فوق ميعة الشباب غير محتشمة ، فتجتاح سواده إجتياحا ، ويتألم لذلك فيشكو قائلا: (٢)

شَعَرَاتٌ فِى مَفْرِقِ الرَّأْسِ لَاحَـتْ
كَنُجُوْمٍ تُضِىْءُ فِـى الدَّيْجُـوْرِ

تَرَكَتْنِى فِى نَضْرَةِ الْعُمْرِ أَبْكِـى
ذِكْرَيَاتِ الصِّبَا بِدَمْـعٍ غَزِيْـرِ

وَكَسَتْنِىَ ثَـوْبَ الوَقَارِ ، وَهَلْ أَسْمَجُ (م)
فِـى الْعَيْنِ مِنْ وَقَارِ الصَّغِيْـرِ!

بِالظُّلْمِ الأَيَّـامِ إِذْ وَقَفَتْنِـى
بَيْنَ رَأْسِ شَيْخٍ وَقَلْـبٍ غَرِيْـرِ

تَرَكَانِى فِى حَيْرَةِ الدَّمْعَةِ الحَرَّى (م)
بِجَفْـنِ الْمُتَيَّـمِ الْمَهْجُـوْرِ

---

(١) مليت الشيء : تمتعت به ، واجتواه : كرهه .
(٢) ديوان ألحان الاصيل ص ٢٩٢ .

ذَاكَ يَدْعُوْ إِلَى الرَّشَادِ ، وَهَذَا
مُسْتَهَامٌ بِكُلِّ وَجْهٍ نَضِيْرِ

إِنْ دَعَانِي الشَّبَابُ قَالَ لِيَ الشَّيْبُ (٣)
:تَعَابِي الشُّيُوْخِ رَأْسُ الفُجُوْرِ

أَوْ أَطَعْتُ المَشِيْبَ صَاحَ بِيَ القَلْبُ (٣)
رُوَيْدًا ، فَلَسْتُ بَعْضَ العُخُوْرِ

وتملأ الحسرة نفس الشاعر وهو يسترجع ذكريات الشباب.وأيامه التى إنقضت سريعا ، ويشبه تلك الفترة القصيرة التى يمر بها الإنسان بالحلم الذى يمر سريعا ولا تبقى منه سوى الذكريات فيقول :(١)

وَيَمُرُّ الشَّبَابُ كَالْحُلُمِ السَّا
رِي ، وَعُمْرُ الشَّبَابِ جِدُّ قَصِيْرِ

ويستمر الشاعر فى بكاء الشباب الذى يتمنى رجوعه دون جدوى ، ولكنه مايلبث أن يعترف بحقيقة الشيب المرة على نفسه ، فهو فى أعين الخرائد شين وبلاء ومحنة يستدعى منهن العدود ، كما فى قوله من قصيدة " على أطلال الشباب "(٢) التى يبكيه فيها بمرارة :

---

(١) ألحان الأصيل ص ٢٩٢ .

(٢) ديوان ترانيم الليل ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

ذَهَبَتْ جِـدَّةُ الصِّبَـا ، وَتَوَلَّـــــى
عُنْفُـوَانُ الفَتَـاءِ إِلاَّ بَقِيَّـــــةْ (١)

وَأَحَـالَ الزَّمَـانُ لَيْلِـى نَهَـــــارًا
وَنَهَـــارُ المَشِيْـبِ حَـادِى المَنِيَّةْ

وَهْوَ فِى أَعْيُـنِ الخَرَائِـــدِ شَيْـــنٌ
وَبَـلاَءٌ ، وَمِحْنَـــةٌ ، وَرَزِيَّـــــه

كَمْ تَمَنَّيْتُ أَنْ يَعُـوْدَ شَبَابِـــــى!!
لَمْ يَعُدْ لِـى ! وَخَابَتِ الأُمْنِيَّـــــه

كَمْ لَهُ مِنْ عَوَارِفٍ - هِـــىَ عِنْـــدِى
فَوْقَ شُكْـرِى - وَمِـــنْ أَيَادٍ سَنِيَّه

غَيْـرُ وَافٍ لَـهُ ، إِذَا أَنَـا لَمْ أَسْكُـبْ (م)
عَلَيْـهِ دُمُـــوْعَ عَيْنِـــى الأَبِيَّـــه

إلى أن يقول :

لَيْـتَ عَهْـدَ الصِّبَـا يُبَـاعُ ، فَأَشْـرِى
بَعْضَ أَيَّامِـهِ بِمَا فِى يَدَيَّـــــه

وإذا كانت المغالطة فى الحقائق بغيا وعدوانا كما هو الحال فـــى كثير من الامور ، فهى فى الإعتراف بحقيقة الشيب ، أمر مشروع عند كثير مـــن الشعراء كما فى قول الشاعر الرقيق " بهاء الدين زهير " (٢)

---

(١) الجدة : ضد البلى ، والعنفوان : أول كل شيىء ، أو أول بهجتـه . والفتاء بالفتح : الشباب .

(٢) ديوان البهاء زهير ص ٣٢ .

وَلَيْسَ مَشِيْبًا مَا تَرَوْنَ بِعَارِضِي
فَلاَ تَمْنَعُوْنِي أَنْ أَهِيْمَ وَأَطْرَبَا

فَمَا هُوَ إِلاَّ نُوْرُ ثَغْرٍ لَثَمْتُهُ
تَعَلَّقَ فِي أَطْرَافِ شَعْرِي فَأَلْهَبَا

وَأَعْجَبَنِي التَّجْنِيْسُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
فَلَمَّا تَبَدَّى أَشْنَبًا رُحْتُ أَشْيَبَا (١)

ولكن الجندى يعترف بحقيقة الشيب - المرة على نفسه - فى كثير من المواضع كما فى قوله لبائعة الكازوزة الحسناء حينما آنس منها بعض العطف (٢) :

تَوَلَّى زَمَانُ اللَّهْوِ يَا " هِنْدُ " فَاعْذِرِي
وَأَقْصَرَ عَمَّا كَانَ مِنْ غَيِّهِ " عُمَرْ "(٣)

كَفَفْتَنَا - عَلَى بَرْحِ الجَوَى - مِنْكِ نَظْرَةٌ
وَفِي دِيْنِ أَهْلِ الشِّعْرِ لاَيَحْرُمُ النَّظَرْ

أَلَمْ تُبْصِرِي فَوْدِي تَنَفَّسَ صُبْحُهُ
وَكَانَ حَبِيْبًا لِلدُّمَى لَيْلُهُ العكرْ (٤)

---

(١) التجنيس : إيراد لفظين متشابهين فى اللفظ مع إختلاف المعنى ، وهو هنا بين أشيب وأشنب وهو جناس ناقص .
(٢) ديوان الحان الاصيل ص ٢٩٩ .
(٣) عمر : إبن أبى ربيعة ، وأقصر : ترك الشيئ عن قدرة .
(٤) الفود بسكون الواو : جانب الرأس .

وَمَـا ذَاكَ مِنْ فِعْلِ السِّنِيْنِ، وَإِنَّمَـا
لَبِسْتُ بَيَاضَ الشَّيْبِ فِى مَيْعَةِ العُمُـرْ

جَنَاهُ عَلَى رَأْسِى زَمَـانٌ مُذَمَّـمٌ
يَشُوْبُ لَنَا صَفْوَ اللَّذَائِـذِ بِالْكَدَرْ

ولأن الشيب كما يقال : (عنوان الكبر ، وأول مراحل الموت ، وخطام المنية ، وتمهيد الحمام " (١) فقد أثر الشيب فى النفس البشرية منـذ الازل، لأنه يؤذن الإنسان بتصرم مالديه من بقية شباب وصبوة ، وهذا ماجعل أحـد الشعراء يقول : (٢)

وَمِمَّا زَادَ فِـى طُوْلِ اكْتِئَابِـى
طَلَائِعُ شَيْبَتَيْـنِ أَلَمَّتَابِـى

فَأَمَّا شَيْبَـةٌ فَفَزِعْـتُ فِيْهَـا
إِلَى المِقْرَاضِ مِنْ حُـبِّ التَّصَابِى

وَأَمَّا شَيْبَـةٌ فَعَفَـوْتُ عَنْهَـا
لِتَشْهَدَ بِالبَـرَاءِ مِنَ الخِضَـابِ

وهنا يلجأ كثير من الناس إلى الخضاب فى محاولة منهم لتزييـف الحقيقة المرة الواقعة ، فالأصباغ تغير بياض الشيب وتعيد لونه إلى مـا كان عليه فى سن الصبا ، والجندى - رغم إعترافه بحقيقة الشيب - كغيـره من الناس يحاول أن يحتال على الشيب بالخضاب ، ليظهر أمام غيره على غيـر

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى ج ٦ من المجلد الثانى ص ٣٢٤ .
(٢) العقد الفريد لإبن عبد ربه حـ ٣ ص ٥٣ - والأبيات لأبى عبد اللـه الاسكندرانى (معلم الأخوة) .

حقيقته التى وخطها الشيب ، ولكن أنىٰ ليد الصنعة أن تخفى حقيقة صاحب الشيب مهما بالغ فى إخفائه ، ويلتفت شاعرنا إلى ذلك بقوله :(١)

قَدْ خَضَبْنَا مَا ابْيَضَّ مِنْكَ ، فَمَاجَـ
ـرَ عَلَى فِطْنَةِ العَلِيْمِ الخَبِيْرِ

وَبَرَزْنَا لِلنَّاظِرِيْنَ ، فَقَالُـ
ـوْا ذَاكَ رَأْسٌ يُدْ لِي بِحَقٍّ ، وَزُوْرِ

وهكذا نجد الجندى يعترف بوخط الشيب ولاينكره ، فيبكى أيام الشباب ويتوجع من الشيب ويشكو منه ، ويحاول إخفاءه فلا يستطيع ، فتتفجر فى أعماق نفسه ثورة حنق على هذا الشيب ، فيذمه بأنه نذير شؤم ، ورائد للموت ، وبأنه سبب الأسقام فهو يوهن القوة ويضعف المنة ، وفوق هذا وذاك يذمه بأنه سبب رئيس فى صد الغوانى ونفورهن منه وفى ذلك يقول (٢) :

يَارَسُوْلَ المَنُوْنِ ، يَاوَافِدَ الأَسْقَـامِ (م)
يَاطَيْفَ "مُنْكَرٍ" وَ "نَكِيْرِ"

أَنْتَ بَغَّضْتَ لِيَ الحَيَاةَ ، وَأَفْسَدْ
تَ صِلَاتِي بِمُرْهَفَاتِ الخُصُوْرِ

---

(١) ديوان ألحان الأصيل لعلى الجندى ص ٢٩٣ .

(٢) نفسه .

كُلّ غَيْدَاءَ حِيْنَ أَبْدُو تُرَاعِيْنِي (م)
بِأَلْحَاظِ كَاشِحٍ مَوْتُوْرِ (١)

ثُمَّ تَزْوَرُّ كَالْجَوَادِ عَلَى الطَّعْنِ (م)
وَتَعْدُوْ كَالشَّادِنِ المَذْعُوْرِ

لَيْتَ شِعْرِي ، وَمَا نَضَوْتُ شَبَابِي
كَيْفَ صَبْرِي عَلَى جَفَاءِ الحُوْرِ

وبعد هذه الثورة التى يتذمر فيها من الشيب ويذمه ، نجد الشاعر يستسلم ويعترف بوخط الشيب معللا ذلك بأن الشيب مظهر إكتمال وهالة نور وحلية الحليم الوقور ، ويعجب من صد الغوانى عنه ونفورهن منه بعد أن وخطه الشيب قائلا (٢) :

عَجَبِي لِلْحِسَانِ يَزْهَدْنَ فِي الشَّيْبِ (م)
وَمَا الشَّيْبُ غَيْرُ هَالَةَ نُوْرِ

قُلْتُ : يَا " نُعْمُ " لَا تُرَاعِي لِشَيْبِي
إِنَّهُ حِلْيَةُ الحَلِيْمِ الوَقُوْرِ

نَاسَبَ الأَوْجُهَ الرِّقَاقَ بَيَاضًا
وَحَكَى وَمْضُهُ رَفِيْفَ الثُّغُوْرِ

---

(١) تراعى : تلاحظ ، والكاشح : الذى يضمر العداوة .
(٢) ديوان ألحان الاصيل ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

وكما هى عادة المؤمنين الذين يمتثلون لقضاء الله وقدره ، يرضى الشاعر بمشيئة الله - عز وجل - ويستسلم لحكمه إستسلام الرض ، فيلبس حلة الشيب فى زمن الصبا ويرحب بهذا الزائر قائلا : (١)

قَدْ رَضِيْنَا مَشِيْئَةَ اللهِ فِيْنَا
وَامْتَثَلْنَا لِحِكْمَةِ المَقْدُوْرِ
وَلَبِسْنَا - عَلَى الصِّبَا - حُلَّةَ الشَّيْبِ (م)
فَأَهْلاً وَمَرْحَبًا " بِالنَّذِيْرِ "

بل إنه يمدح هذا الشيب بأنه يعظ من نزل به ، ويأخذ بيد صاحبه حتى يقيله عن العثرات التى قد تحدث فى زمن الصبا ، فيمدح الشيب بأنه يصرف صاحبه ويبعده عن الفواحش فيقول : (٢)

إِنَّ فِى الشَّيْبِ وَاعِظًا لِلَّذِى رَا
نَ عَلَى قَلْبِهِ ضَبَابُ الشُّرُوْرِ
غَرَّنَا الفَاحِمُ البَهِيْمُ فَنُمْنَا
وَصَحَوْنَا عَلَى ضِيَاءِ القَتِيْرِ (٣)

---

(١) ديوان ألحان الاصيل ص ٢٩٥ .
(٢) " " لعلى الجندى ص ٢٩٥
(٣) الفاحم البهيم : يريد به الشعر الأسود ، والقتير : الشيب .

٧ - المساجلات الشعرية

وجد عند شاعرنا نوع من أنواع الأدب الفكاهى الذى يمكن أن نطلق عليه : (مساجلات شعرية) .

وكلمة مساجلة تأتى بمعنى : (المباراة والمناضلة ، قال الفضل بن عباس ابن عتبة بن أبى لهب : (١)

مَنْ يُسَاجِلْنِى يُسَاجِلْ مَاجِدًا
يَمْلَأُ الدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ الكَرَبْ

وفى اللسان : (ساجل الرجل : باراه ، وأصله فى الاستقاء ،وهما يتساجلان . والمساجلة : المفاخرة بأن يَصْنَعَ مثل صنيعه فى جَرْيٍ أو سقى ، وقالوا : الحروب سِجَالٌ : أى سجل منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء) (٢) .

وقيل : (ساجل الشاعر صاحبه : تناشدا الشعر هذا شطرا وهذا شطرا ، أو بيتا فبيتا) (٣) .

ومن ذلك نستطيع القول بأن المساجلة : مباراة بالشعر بين طرفين أو أكثر .

---

(١) المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص ٢٢٤ ، لسان العرب حـ ١١ ص ٣٢٧ .

(٢) لسان العرب لابن منظور حـ ١١ ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ .

(٣) المعجم الأدبى لجبور عبد النور ص ١٣٧ .

وإذا قرأنا هذه القصائد وحاولنا الإتصال بجوها وظروفها ، وشرعنا في تحليلها فإننا نجد أنها من حيث الشكل : أشبه ماتكون بالنقائض والمعارضات ، فالطرف الأول حر طليق يختار البحر والموضوع وحرف الروى الذى يعجبه ، أما الطرف الثانى فإنه مقيد بما قيد الأول به نفسه ، وهذا لايعنى أن الثانى أقل قدرة من الأول بل بالعكس فقد يتغلب عليه بحكم أنه مجبر على ذلك ، وحمله ثقيل وأكبر فهو مضطر للإجابة على الأول .

أما من حيث المضمون فإن المساجلات تختلف عن النقائض والمعارضات إلى حد ما ، إذ لايتناول الشاعر بالحديث فيها عن الأعراض لامن قريب أو بعيد فالعداوة بين الطرفين ليست مشتعلة ، والشاعر فيها لايخلع عذار الحشمة والوقار ، كما أنه لاحاجة فيها إلى نقض ماجاء فى القصيدة الأولى كما فى النقائض ، أوالنسج على منوالها كما هو الحال فى المعارضات ، وإنما تكاد تكون لإستعراض القوة البيانية والموهبة الشعرية وهذا يتفق إلى حد كبير مع النقائض والمعارضات .

كما أننا نجد أن المساجلات تعتمد على عنصر مهم تدور حوله هو الفكاهة ، فسداها ولحمتها الأدب الفكاهى ، إذ غالبا ماتكون بأسلوب الهجاء المضحك الذى يتقبله المهجو على رحابة صدر ويهش له ، فهى من نوع الهجاء المحبب إلى النفس - إن جاز لنا قول مثل ذلك - لأنها ليست من الهجاء الثقيل الذى ينوش الأعراض ويخرج القول فيه إلى حد الفحش ، بل هو هجاء ، مهذب لا تنفر منه المسامع ، وتصيخ له الآذان لما فيه من طرائف

وهذا ماجعل بعض (الجرائد) تهتم بنشر هذه المساجلات على صفحاتها(١) .

وغالبا مايدور الحديث فى المساجلات حول المأكولات وما إلى ذلك ، ومن هنا نجد أن الكلام فيها ليس أليما فلا يخدش ولا يجرح لأن المتلقى يتقبله برحابة صدر ، ومن ناحية أخرى نجد أن المساجلات قد تكون بين أكثر من شخصين فى القصيدة الواحدة ، يمدح الشاعر فيها شخصا ويهجو الآخر وقد يتخذ من المدح نفسه لونا من هجاء الاول .

وننتقل بعد هذه المقدمة إلى استعراض بعض تلك المساجلات التى دارت بين شاعرنا وبعض أصدقائه من الشعراء .

ونبدأها بالمباراة الطريفة التى حدثت بين الاستاذ / على الجندى وجماعة من أصدقائه الشعراء فى عيد من أعياد الأضحى الذى اشتد فيه الغلاء بسبب مجيئه أثناء الحرب العالمية الثانية ، وقد نشرت تلك القصائد فى دواوين الشعراء ، كما اهتمت جريدة الأهرام بنشرها لما فيها من طرافة(٢).

وأطراف هذه المساجلة هم : الشاعر " محمد الأسمر " والشاعر " محمد عبد الغنى حسن " بالإضافة إلى الأستاذ " على الجندى " والشاعر

---

(١) انظر ديوان ألحان الأصيل لعلى الجندى ص ١٠٠ وكذلك جريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ١٩٨٥/٨/٢٥ ص ١٢ مقال للأستاذ " سامى دياب " .

(٢) أنظر ديوان ألحان الاصيل لعلى الجندى ص ١٠٠ - ١٠٢ ، وديوان الشاعر محمد الأسمر ص ٣٨١ - ٣٨٥ ، وجريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ١٩٨٥/٨/٢٥ ص ١٢ تحت عنوان (أخراف هاتيك أم أنقاف ؟) للأستاذ سامى دياب) .

عبد الحميد فهمى مرسى " ، وفيها يستنجد الشاعر "محمد الأسمر" بعديقه "عبد الحميد مرسى" فى ظل تلك الظروف القاسية ، وكان الأخير على سعة من العيش ، فيرسل إليه قصيدة يطلب فيها خروفا يضحى به ، فلما علم الشاعر " الجندى " بذلك بعث إلى صديقه " عبد الحميد " بقصيدة من نفس البحر والروى يطلب فيها خروفا أيضا ، ثم علم بذلك الشاعر " محمد عبد الغنى حسن " فأنشأ قصيدة يطلب فيها نفس الطلب .

وقد نشرت جريدة " الأهرام " هذه القصائد مقدمة لها بكلمة لطيفة مرحة جاء فيها :

نيران الحرب العالمية الثانية تجتاح فى طريقها كل شيء ، والغلاء يطحن الناس طحنا ، وعيد الأضحى على الأبواب ، ويدس الشاعر " محمد الأسمر " يده فى جيبه ، إن دراهمه لاتكفى شراء دجاجة فما بالك بذى القرنين ؟ لابد للأسمر من خروف يضحى به فإذا تعذر ذلك واستحال فلا أقل من خروف يستعيره يجاوب بمأمأته مأمآت قرينه فى بيت جاره ، فيحسن الظن بدراهمه من يسيء الظن بها ويطمئن دائنوه .

ولايجد الأسمر أمامه إلا أن يرسل الى صديقه الشاعر " عبد الحميد فهمى مرسى " وكان على سعة من العيش مستنجدا (١) .

---

(١) جريدة الاهرام فى ١٩٨٥/٨/٢٥ ص ١٢ تحت عنوان (آخراف هاتيك أم أنقاف) .

ويقول " الأسمر " فى قصيدته " خروف العيد " [1] التى بعث بها لصديقه :

عَبْدَ الحَمِيْدِ وَأَنْتَ مِعْوَانٌ إِذَا
هَزَّ الخَدِيْنُ حِبَالَ وُدِّ خَدِيْنِهِ

إِنْ كَانَ (ذُوْ القَرْنَيْنِ) عِنْدَكَ حَاضِرًا
فَابْعَثْ بِهِ لِنَرَى ضِيَاءَ جَبِيْنِهِ

وَلَكَنْ نُشَاهِدَ حُسْنَهُ وَجَمَالَهُ
وَنَرَى اقْتِدَارَ اللّٰهِ فِى تَكْوِيْنِهِ

وَلَكَنْ يُجَاوِبَ - لَوْ يُمَأْمِئُ مِثْلُهُ
فِى بَيْتِ جَارِى - مَأْمَآتِ قَرِيْنِهِ

وَلِيَعْلَمَ الجِيْرَانُ أَجْمَعُ أَنَّنِى
إِنْ جَاءَ عِيْدٌ لَمْ أَضِقْ بِشُؤُوْنِهِ

وَلَكَنْ يَرَاهُ مَنْ أَسَاءَ ظُنُوْنَهُ
بِدَرَاهِمِى ، فَأَنَالَ حُسْنَ ظُنُوْنِهِ !!

وَلِيَطْمَئِنَّ الدَّائِنُوْنَ وَيَعْلَمُوْا
أَنِّى امْرُؤٌ يَقْضِى جَمِيْعَ دُيُوْنِهِ

وَلَكَنْ يُشَرِّفُنَا بِطِيْبِ حُضُوْرِهِ
فَبِهِ مِنَ التَّشْرِيْفِ كُلُّ فُنُوْنِهِ

---

(١) ديوان الأسمر ص ٣٨١ ، ٣٨٢ .

وَنَـرُدُّهُ لَـكَ بَعْـدَ ذَلِـكَ سَالِمـًـا
بِدِمَقْـسِ فَرْوَتِـهِ ، وَعَـــاجِ قُرُوْنِـــهِ

وَأَنَـا الأَمِيْـنُ عَلَيْـهِ وَهْـوَ بِمَنْزِلِـى
مِنْ كُـلِّ جَـزَّارٍ ، وَمِـــنْ سِكِّيْنِـــــهِ

يَغْـدُوْ غَـدَاةَ النَّحْرِ لَمْ يَمْرُرْ عَلَـى
(سَفُّوْدِ) عِيْدِ النَّحْرِ ، أَوْ (طَجِّيْنِـهِ)

يُمْسِـى وَيُصْبِـحُ وَهْوَ عِنْـدِىَ آمِـــنٌ
مِنْ (فُلْفُلٍ) الطَّاهِـى وَمِنْ (كَمُّوْنِهِ)

فَابْعَثْ بِهِ (عَبْدَ الحَمِيْدِ) فَإِنَّـــهُ
شَىءٌ يُرَدُّ إِلَيْكُـمُ فِـى حِيْنِـــــهِ

لَسْنَا نَمِيْلُ إِلَى نِعَاجِكَ بَلْ إِلَـــى
كَبْشٍ لَكَ التَّفْوِيْـــضُ فِى تَعْيِيْنِـــهِ

ونلاحظ فى هذه القصيدة التى نظمها الأسمر من بحر (الكامل) واتخذ من حرف (النون الموصول بالهاء المكسورة) رويا لها أن الشاعر قد عمد فيها إلى صديقه يستنجد به ويطلب عونه بأسلوب أدبى طريف لايخلو من المرح والدعابة ، فيبدأها بالإشادة بذلك الصديق الذى يعين أصدقاءه فى وقت الشدة ، وقد حل بالأسمر ذلك الوقت فى عيد من أعياد الأضحى، الذى أجمع المسلمون على مشروعية الأضحية فيه [1] وأنها سنة مؤكدة على

---

(١) الروض المربع شرح البهوتى حـ ١ ص ١٥٤ .

المسلم[1]، وجريا على سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم أراد الاسمر خروفا يضحى به فى عيد الفداء من هذا الصديق المعوان بعد أن تعذر عليه ذلك ، ولكن طموحه فى هذه القصيدة وقف عند حد القناعة ، حيث لم يرتفع إلى إستهداء الخروف بل إكتفى بإستعارته ، وبعد صديقه برد ذى القرنين إليه بدمقس فروته وعاج قرونه بعد أن يؤدى دوره المرسوم كاملا ، فالهدف من إستعارة الخروف عنده يتمثل فى عدة أمور هى :

١ - الإستمتاع بجماله وحسنه والتأمل فى قدرة الخالق عز وجل .

٢ - وتجاوب (المأمأة) - وهى صوت الخرفان - التى يسمعها فى بيت جاره ، وهذه صورة واقعية جميلة إقتنصها الشاعر وعبر عنها جيدا بقوله - ولكى يجاوب .

٣ - وليعلم الجيران بأنه شخص ميسور الحال ، فالدليل على ذلك قائم .

٤ - وليطمئن الدائنون وليعلموا بأنه قادر على الوفاء لهم ، وهذا هدف رئيس سعى إليه الشاعر .

ثم إننا نجده يلمز صديقه (الجندى) فى قوله :

وَلَكِنْ يَرَاهُ مَنْ أَسَاءَ ظُنُوْنَهُ
بِدَارَاهِمِي ، فَأَسَالَ حُسْنَ ظُنُوْنِهِ

---

(١) الروض المربع شرح البهوتى حـ ١ ص ١٥٦ وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب إلى الله من إراقة الدم) ويقول : (إن على كل أهل بيت أضحاه كل عام) أى أضحية .

إذا ما علمنا أن بين الشاعرين جدلاً ومداعبات حول (إكتناز المال) فقد إتهمه الجندى بذلك فى قوله :(١)

فَيَا أَسْمَرَ الْعَيْنِ مَاذَا دَهَاكَ
وَمَا ذَلِكَ الطَّمَعُ الأَشْعَبِيْ

فالأسمر فى قصيدته يعد (الجندى) ويرد عليه بأن لديه القدرة على الإنفاق . كما نلمح فى نهاية القصيدة سخريته ومداعبته لصديقه (عبدالحميد) الذى تكثر فى مزرعته النعاج ، فيذكره بذلك مبديا أنه لايرغب فى تلك النعاج .

ويعد إلى الشاعر (الجندى) نبأ هذه القصيدة فيسارع بنظم قصيدة فى نفس الموضوع ملتزما فيها بالبحر وبحرف الروى الذى سلكه الأسمر ، وكنم كان جميلا من الجندى أن يقدم بمقدمة تمهد للموضوع وتصف حال الواقع الذى يكون فيه العيد نعيما على أناس وجحيما على آخرين عندما يقول فى قصيدته " خروف العيد "(٢) :

" عِيْدُ الفِدَاءِ " - وَمَا جَهِلْتُ مَكَانَهُ -
وَافَى ، وَجَيْبِيَ مُرْهَقٌ بِدُيُوْنِهِ
تَفِدُ المَوَاسِمُ وَهْوَ فِيْ أَزَمَاتِهِ
يَشْكُوْ إِلَى "النَّقْدَيْنِ" فَرْطَ حَنِيْنِهِ

---

(١) ديوان الأسمر - مداعبات بينه وبين الجندى وغيره - ص ٣٨١ .
(٢) ديوان ألحان الأصيل لعلى الجندى ص ١٠٠ .

مَالِـي وَلِلْأَعْيَادِ إِوَهْـيَ مَغَـــارِمٌ
تَقْضِي عَلَى المُكْـدِي بِقَطْعِ يَمِيْنِـهِ (١)

مَا العِيْدُ إِلاَّ لِلغَنِيّ ، فَمَـنْ يَكُنْ
ذَا عُسْرَةٍ ، فَالْعِيْدُ بَعْـضُ شُجُوْنِـهِ

وينتقل الى وصف معاناته التى جعلته يلجأ الى صديقه (عبد الحميد) طالبا منه خروفا يضحى به ، إنه يعانى فى ظل التضخم عين مايعانيه الشاعر الأسمر - فى قصيدته السابقة - ، يحاول الجندى أن يشترى خروف العيد نقدا فلا يظفر به ... يحاوله نسيئة فيعجز عن عربونه ، إن الأسد الخادر فى عرينه لأيسر مطلبا فى يقين الجندى من خروف العيد ،فى قوله : (٢)

قَالُوْا : الخَرُوْفُ فَقُلْتُ : أَيْسَرُ مَطْلَبًا
مِنْهُ الغَضَنْفَرُ خَـادِرًا بِعَرِيْنِـهِ (٣)

حَاوَلْتُـهُ (نَقْدًا) فَلَمْ أَظْفَـرْ بِـهِ
وَ " نَسِيْئَةً " فَعَجِزْتُ عَـنْ عُرْبُوْنِـهِ

ويرى الجندى أن من حقه أن يتخيل مواصفات ذلك الخروف التى بلغت حد التغزل ، بل إنه يمليها على من سيجلبه إليه قائلا :

---

(١) المكدى : المخفق والذى لايكثر ماله ، والمعنى أن التضحية تكلفة السرقة التى تقضى بقطع يمين السارق .
(٢) الحان الاصيل ص ١٠٠ .
(٣) خَدَر الأسد : لزم عرينه .

مَنْ لِي بِهِ يَمْشِي الهُوَيْنَى تَائِهًا
" كَابْنِ الدَّوَاتِ " زَهَتْهُ كَثْرَةُ " طِيْنِهِ "

غَرَسَ الجَمَالُ بِدَيْلِهِ نُوَّارَةً
وَالحُسْنُ أَطْلَعَ كَوْكَبًا بِجَبِيْنِهِ

أُصْغِي إِلَيْهِ مُشَنِّفًا بِثُغَائِهِ
سَمْعِي ، وَعِرْنِيْنِي عَلَى عِرْنِيْنِهِ

وَأَمُدُّ رَأْسِيَ نَاطِحًا ، فَيَشُكُّنِي
بِقُرُوْنِهِ ، فَأَلَذُّ وَقْعَ قُرُوْنِهِ

وَأَهُزُّ " أَلْيَتَهُ " فَتَمْلَأُ رَاحَتِي
"شَحْمًا" يُقَوِّمُهُ الشَّحِيْحُ بِدِيْنِهِ

وَأُدَاعِبُ " الزَّنَمَاتِ " مِنْهُ ، وَأَنْثَنِي
أَتَأَمَّلُ الإِبْدَاعَ فِي تَكْوِيْنِهِ

وَأُجِيْلُ كَفِّيَ فَوْقَهُ مُتَرَفِّقًا
" بِالْفَرْوِ " يُزْرِي بِالحَرِيْرِ وَلِيْنِهِ

قَدْ أَفْرَغَتْ فِيْهِ الطَّبِيْعَةُ فَنَّهَا
وَتَأَنَّقَتْ " أُوْسِيْمُ " فِي تَلْوِيْنِهِ (١)

وَقَبِيْلَ مَعْرَعِهِ أُطِيْلُ عِنَاقَهُ
وَأَصِيْحُ : وَا أَسَفَا لِحَزَّوَتِيْنِهِ

---

(١) أوسيم : قرية مصرية من أعمال الجيزة معروفة بالخرفان الجياد.

ثم يلتفت إلى مداعبة صديقه الشاعر " الأسمر " بهجاء خفيف يقول فيه :(١)

" عَبْدَ الحَمِيْدِ " وَأَنْتَ مِنِّي نَازِلٌ
بِمَكَانِ " مُوْسَى " الطُّهْرِ مِنْ " هَارُوْنِهِ "

نَالَ " الأُسَيْمِرُ " مَا اشْتَهَى فِي نَدْهِهِ
وَتَحَقَّقَتْ " بِالْكَبْشِ " كُلُّ ظُنُوْنِهِ

فَغَدَا يُكَايِدُنِي بِمَدِّ لِسَانِهِ
وَبِغَمْزِ حَاجِبِهِ ، وَكَسْرِ جُفُوْنِهِ

وَيَقُوْلُ لِي مُسْتَهْزِئاً : خَلِّ الأَسَى
وَاقْنَعْ بِجُبْنِ " حُنَيْنَ " أَوْ زَيْتُوْنِهِ (٢)

وَمَشَى يَهُزُّ مِنَ المَخِيْلَةِ عِطْفَهُ
" كَالفُوْهْرَرِ " المَغْرُوْرِ فِي " بَرْلِيْنِهِ "

وَمَضَى يَعُدُّ " فَطِيْرَهُ " وَ " رُقَاقَهُ "
وَيُؤَجِّجُ النِّيْرَانَ فِي " كَانُوْنِهِ "

وَيُحَدِّثُ الجِيْرَانَ أَنَّ " ثَرِيْدَهُ "
فَوْقَ الثَّرِيْدِ عَلَى اخْتِلَافِ فُنُوْنِهِ

مَنْ ذَا يُوَازِنُ كَبْشَهُ بِضَحِيَّتِي
وَيَقِيْسُ سِكِّيْنِي إِلَى سِكِّيْنِهِ ؟

---

(١) ألحان الأصيل ص ١٠١ .

(٢) حنين : بقال مصرى مشهور آنذاك .

ففى البيت الأول يشير شاعرنا إلى مكانة صديقه من نفسه ، وجميل منه أن يصف بلفظة (الطُّهر) لأن الوصف بالمصدر أبلغ من الوصف بالمشتقات .

ثم ينتقل إلى مداعبة صديقه الأسمر عندما يصغِّره للتمليح أو لشتمه بهجاء خفيف والأخيرة هى الاقرب ، ويؤيد ذلك الأبيات الثلاثة التى تليها .

وقد أجاد الجندى فى نقله إلينا صورة واقع نراه رأى العين فيها ، فهى صورة ناطقة تعبر عن مادار بينهما .

وفى نهاية الأبيات يشير مداعبا صديقه الأسمر إلى ماجرت به العادة أن يُعمل من توابع تستكمل بها الموائد فى عيد الأضحى كالثريد والفطير والرقاق وهى أصناف قائمة على مرقة الخروف كما نعلم .

ويتابع الجندى إملاء شروطه على صديقه الذى يستهديه أن يبعث له كبشا أملح [1] أقرن ، وهو كما نرى - فيما مضى وفيما سيأتى من أبيات - لايستعير خروفا " صناعيا " كالأسمر .. بل يطلبه هدية ويشترط فيه شروطا .. ولا بأس إذا سخا صديقه بدفع أجرة ذبحه .. وإلا فهو مضطر ألى ذبح قطته ففث اللحم عنده كسمينه،وهذا تحذير لصديقه (عبد الحميد) ،ثم إنه لاينسى نفسه فى نهاية الأبيات الآتية عندما يشير إلى أنه كريم فى وقت اليسر [2] :

---

(١) الأملح : ماكان فى شعره بياض وسواد .

(٢) الحان الاصيل لعلى الجندى ص ١٠١ .

فَابْعَثْ إِلَيَّ الكَبْشَ أَمْلَحَ أَقْرَنًا
تَظْفَرْ بِأَبْكَارِ الثَّنَاءِ وَعُونِهِ

وَإِذَا سَخَوْتَ لَنَا بِأُجْرَةِ ذَبْحِهِ
كُنْتَ الخَدِيْنَ وَفَى بِعَهْدِ خَدِيْنِهِ

أَوْلَا ، فَإِنِّى سَوْفَ أَذْبَحُ " قِطَّتِى "
وَاللَّحْمُ عِنْدِىَ غَثُّهُ كَسَمِيْنِهِ

لَوْلَا الَّذِى تَدْرِى لَكُنْتُ مُضَحِّيًا
بِابْنِ المُخَاضِ الضَّخْمِ وَ " ابْنِ لَبُوْنِهِ "(١)

ثم حدث بعد ذلك أن إستجاب الصديق لرجاء أصدقائه الشعراء فبعث إليهم خرافا من مزرعته (بالمِنْيا) ، ووصلت هذه الخراف ، ولكن الرحلة الطويلة المرهقة تترك آثارها على الخراف فتصيبها بالضمور وتتحول بفعل الهزال كما يقول شاعرنا الجندى من خراف إلى أنقاف (أى كتاكيت صغيرة) . لا لحوم بها ولا أصواف ولا يجوز أن يضحى بها ، وترفضها المذاهب الأربعة(٢) ، وفى ذلك يقول الجندى مداعبا صديقه (عبد الحميد) ويصف ضعف تلك الخراف التى أنكرها(٣) :

---

(١) إبن المخاض : الفصيل دخل فى السنة الثانية ، وإبن اللبون : الذى دخل فى السنة الثالثة .

(٢) لقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث البراء بن عازب : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أربع لاتجوز فى الأضاحى: العوراء البين عورها ، والمريضة البين مرضها ، والعرجاء البين ضلعها ، والعجفاء التى لا تنقى " رواه أبو داود والنسائى .

(٣) ألحان الاصيل ص ١٠٢ .

أَخِرَافٌ هَاتِيْكَ أَمْ أَنْقَافُ ؟
نَبِّئُوْنَا عَسَى يَزُوْلُ الخِلَافُ (١)

مَسَّهَا الضُّرُّ وَالهُزَالُ فَرَاحَتْ
تَتَهَادَى كَأَنَّهَا أَطْيَافُ

قَدْ رَآهَا " الجَزَّارُ " فَانْتَابَهُ الغَشْيُ (٢)
وَخَفَّتْ لِحَمْلِهِ " الإِسْعَافُ "

هَلْ سَمِعْتُمْ أَوْ هَلْ رَأَيْتُمْ خِرَافًا
لَا لُحُومٌ بِهَا وَلَا أَصْوَافُ ؟

قُلْتُ لَمَّا أَتَى إِلَيَّ خَرُوْفِي
رَبِّ أَنْتَ المَعَاذُ مِمَّا نَخَافُ

لَيْسَ يَرْضَى بِهَا فِدىً " حُجَّةُ اللّٰهِ " (٣)
وَيَأْبَى قَبُوْلَهَا " الأَحْنَافُ " (٢)

وَهْيَ عِنْدَ " ابْنِ حَنْبَلٍ " وَ (ابْنَ إِدْرِ
يْسَ) لُحُوْمٌ تَعَافُهَا الأَشْرَافُ (٣)

أما الشاعر (الأسمر) فقد وصلت اليه تلك الخراف المتعبة التى نال منها طول الطريق ، واستمع إلى قصيدة الشاعر (الجندى) السابقة فيها ، فنظم قصيدة على منوالها من البحر الخفيف الذى نظم فيه (الجندى) قصيدته وبحرف الروى نفسه - الذى يتألف من حرف الفاء التى سبقها حرف المد -

---

(١) الأنقاف : صغار الكتاكيت .
(٢) حجة الله : يقصد الإمام مالك
(٣) إبن إدريس : الإمام الشافعى

وفيها يعلن عن سخطه وإنكاره لتلك الخراف ، ويداعب صديقه (عبد الحميد) وشخص آخر يدعى (عبدالعزيز سلطان)[1] ـ الذى ساعد على إرسال تلك الخراف ـ ويؤكد الأسمر فى قصيدته أن صديقهما قد أرسل اليهما هرات وقال عنها خراف ... ذلك أنها نونوت عند وصولها ولم تمأمىء ـ كما يقول ـ فهى رزايا وليست هدايا ويصف ضعف تلك الخراف قائلا: [2]

وَيْحَ (عَبْدِ العَزِيْزِ) أَرْسَلَ هِرَّا
تٍ إِلَيْنَا ، وَقَالَ عَنْهَا خِرَافُ

لَمْ تُمَأْمِىءْ بَلْ نَوْنَوَتْ فَضَحِكْنَا
ثُمَّ قُلْنَا مَادَلِيلُكَ الإِسْرَافُ ؟

أَهَدَايَا ، أَمْ تِلْكَ بَعْضُ الرَّزَايَا ؟!
رَبِّ سَلِّمْ وَنَجِّ مِمَّا نَخَافُ

أَرْبَعٌ أَقْبَلَتْ ، فَقُلْتُ خِرَافٌ
مَا تَرَاهُ العُيُوْنُ ، أَمْ أَطْيَافُ ؟!

كَانَ مِنْهَا لَنَا خَرُوْفٌ عَجِيْبٌ
هُوَ مِنْ فَرْطِ ضَعْفِهِ شَفَّافُ

لَاحَ كَالْوَهْمِ بَلْ هُوَ الوَهْمُ يَمْشِى
لَا خَرُوْفٌ جَاءَتْ بِهِ الأَرْيَافُ

---

(١) عبد العزيز سلطان : أحد أقرباء الأستاذ (عبد الحميد مرسى) الذى كان قد طلب منه الجندى والأسمر ومحمد عبد الغنى حسن تلك الخراف وكان عبد العزيز يشرف على مزرعة عبد الحميد .

(٢) ديوان الأسمر ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

إلى أن يقول :

يَاصَدِيْقِى (عَبْدَ الحَمِيْدِ) أَهَـــذَا
مَارَجَوْنَـا ، وَعِنْـدَكَ الأَلْطَـــافُ ؟!

إِنَّ (عَبْدَ العَزِيْزِ) مَالَ عَنِ الحَـــقِّ
فَأَيْـنَ الوَفَـــاءُ وَالإِنْصَـــــافُ

كَبْشُهُ وَهْوَ كَبْشُكُمْ حِيْـنَ وَافَـــــى
حَارَ فِيْهِ (الجَزَّارُ) وَالعَـــلَّافُ)

أَبْعَرَتْـهُ القُـــدُوْرُ عِنْدِى فَمَالَـــتْ
ضَاحِكَـــاتٍ ، وَفَـــرَّتِ الأَضْيَـــافُ

خُـذْهُ (عَبْدَ الحَمِيْدِ) خُـذْهُ ، وَحَسْبِـى
هَبْهُ (حُكْمًا) أَمَالَـــهُ (اسْتِئْنَـافُ) ؟!

أما الأستاذ (محمد عبد الغنى حسن) فقد شارك فى هذه المساجلة ولكنى لم أعثر عليها فى دواوينه ، وأشار إلى مشاركته الشاعر (على الجندى) فى مقدمة قصائده السابقة[1] ، كما أثبت الشاعر (الأسمر) إحدى قصائده ـ فى هذا الموضوع ـ بديوانه [2] ، وفيها يرى الشاعر (محمد عبد الغنى) غير مارآه (الجندى والأسمر) فى هذه الخراف ، فقد رضى الخروف وشكر صديقه (عبد الحميد) ، ومدح الخروف بقصيدة نظمها من

---

(١) أنظر ديوان ألحان الأصيل ص ١٠٠ .

(٢) ديوان الأسمر ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

بحر (الكامل) وجعل رويها حرف النون الموصول بالهاء المكسورة - على منوال قصيدتى الجندى والأسمر السابقتين - .. قال يخاطب صديقه (عبد الحميد) [1] :

وَصَلَ الخَرُوْفُ وَقَدْ حَسِبْتُكَ مَازِحًا
فَإِذَاكَ قَدْ بَالَغْتَ فِى تَسْمِيْنِهِ
اللّٰهُ زَيَّنَهُ بِكُلِّ جَمِيْلَةٍ
وَجَمِيْلُ صُنْعِكَ زَادَ فِى تَزْيِيْنِهِ

وبعد .. فلعلنا لاحظنا فى القصائد السابقة التى أسميتها مساجلات شعرية بين شاعرنا (الجندى) وغيره من الشعراء ، أنها مزيج من الدعابة والهجاء والسخرية ، ولكنها دعابة فكهة وهجاء رفيع مهذب وسخرية حلوة غير مرة ، إستطاع الشعراء من خلالها رسم ملامح شخصية تُبِيْنُ عن قدرتهم البيانية وموهبتهم الشعرية فى إستخدام هذه المساجلات التى لاتخلو من فكرة ، ولعلى استطعت من خلالها أن أضع يدى على تحديد معنى (مساجلة شعرية) .

وأخيرا أشير بإيجاز إلى أن هناك جولات متعددة ومساجلات مختلفة بين شاعرنا وغيره من الشعراء يجد القارىء فيها الطرافة والتسلية التى لاتخلو من فائدة . كالمساجلة التى دارت بين الجندى وبين الشاعر (محمد الأسمر)

---

(١) ديوان الأسمر ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

والشاعر (عبد الحميد فهمى مرسى) حول (العصا)[١] ، وكالدعابة الشعرية التى نشرتها جريدة الأهرام تحت عنوان (دعابة شعرية)[٢] وكانت حـــــول (ثروة شاعر) بين الشاعر الأسمر والشاعر على الجندى والشاعر عبد الحميـد فهمى مرسى [٣] .

---

(١) أنظر ديوان ألحان الأصيل للجندى من ص ٨٤ إلى ٨٩ ،ومجلة مجمع اللغة العربية الجزء السادس والعشرون ربيع الأول ١٣٩٠ هـ (العصا فـــى الأدب الحديث من ص ٨٩ إلى ص ٩٣) .

(٢) ديوان الاسمر ص ٣٧٩ .

(٣) أنظر ديوان الحان الاصيل للجندى ص ٨٠ ، ٨١ ،
ديوان (الأسمر) من ص ٣٧٩ إلى ص ٣٨١ .

الباب الثالث

خصائصه الفنيه ومنزلته الأدبيه

الفصل الأول :

أ ـ في الألفاظ والأساليب .

ب ـ في الأفكار والمعاني .

جـ ـ في الصور والأخيله .

الفصل الثاني :

أ ـ مدرسته الفنيه .

ب ـ آراء النقاد في شعره .

جـ ـ موازنته بغيره من طبقته .

خصائصه الأدبيـــــة

مرّ بنا عند الحديث عن فنون شعر (الجندى) لمحات عن خصائص كل فن من الفنون التى اتّسع له مجال القول فيها وأشرنا إلى ذلك فى حينه ، أمـــا حديثنا هنا فسيكون عن خصائص شعره العامة ، وسنحاول فيه تتبع ماقد يبـــرز فى شعره من ملامح وسمات ؛ وذلك من خلال دراسة أسلوبه لفظيا ومعنويـــــا وأخيلته ، وطريقة تعبيره عن ذلك .

وهنا نتساءل عن هذه الخصائص،وإلى أى حد تجلت فى ألفاظه ، ومعانيه وأخيلته،وصوره ؟ وهل تميّز بشئ منها عن سواه ؟

هـــذا ماسنراه فى الفصول التاليـــة :

(أ) فى الألفاظ والأساليـــــب

ما أنتوى العلاقة القائمة بين الألفاظ والمعانى رغم إختلاف النقـــاد قديماً وحديثا حول قضية (اللفظ والمعنى) التى تباينت فيها الآراء بيـــن منتصرة لبلاغة الألفاظ ، مقدمة إياها على المعانى ،وأخرى تؤثر جانـــب المعانى وتجعل الألفاظ تابعة لها .

وتتلاشى حدة هذا الخلاف أمام الصلة الطبيعية الوثيقه بين المعانـى وطريقة التعبير عنها بالألفاظ،ذلك أنها تمثل علاقة قوية بين الدال والمدلول، فصاحب الصياغة الفنيه مهما بالغ فى تقديرها وحرص على إبرازها لن نَجِـــده غافلا عما للمعنى من أثر فى العمل الفنى،وكذلك من يجعل للمعنى نصيبـــــا أوفى من اللفظ لاينكر ماللصياغة من دور فى العمل الفنى ،" فإذا إستطـــاع

الأديب أن يطابق بين بلاغتى اللفظ والمعنى فقد جمع بين الحسنيين ، ..... أما إذا فرغ فى جانب دون جانب فإنه لن يسلم من ألسن الناقدين» (١).

والشعر الجيد يمتاز بتجانس الألفاظ والمعانى ، إذ يرق اللفظ فى مواضع الرقة ، ويهدر ويشتد فى مواضع القوة، ويمتاز أيضا بإختيار الألفاظ المناسبه التى يشترط فيها أن تجئ على قدر المعانى دون زيادة أو نقصان .

والألفاظ الشاعرية الجيده هى تلك التى تثير فى النفس المتعة والإطراب بجمالها الحسى الناشئ من تتابع أجراس حروفها وائتلافها وتناسق نظمها، وتناسب فقراتها، وتلاؤم موسيقاها ، هذا من الناحية الشكلية ، أما جمالها المعنوى فبما تتضمنه من المعانى والإيحاءات الدالة عليها ، وهنا نلحظ بأن الجمال الشكلى للألفاظ يمتع النفس بما يحمله من تلاؤم موسيقى يقوم على الوزن والقافيه من ناحيه ، ويعمل من ناحية أخرى على تهيئتها لإستقبال المعانى الموجودة خلف الشكل ، فتزيد إلى موسيقى الشعر موسيقى نفسيه مؤثره تفيق الخيال وتدعو إلى الذهن شتى الصور التى تزيد من قيمة الشعر وتأثيره .

ومن ذلك نستطيع القول أن الألفاظ الشاعرية عنصر هام من عناصر الصياغة الشعريه لاتقل أهمية عن المعانى، وهى أساس للشعر الجيد، والـ اللفظ هو وسيلتنا لإدراك القيم الشعوريه فى العمل الأدبى، وهو الأداة المهيأة للأديب لينقل إلينا خلالها تجاربه الشعوريه، ففى أي عمل أدبى كما فى التمثال أو الصورة تناغم بين الفنان والطبيعة ، وفى تجربته الفنيه يشكل بالألفاظ تصورًا لما حوله أو لبعض ماحوله، ويقدمه لنا فى إطار يحرص -واعيا أو غير واع - على أن يضمنه أحاسيسه وأفكاره .) (٢)

---

(١) بلاغة الكتاب فى العصر العباسى د. محمد شبيه حجاب ص ٤٠، ٤١ .

(٢) أنظر النقد الأدبى الحديث : أصوله وإتجاهاته للدكتور/ أحمد كمال زكى ص ٣٩ .

وقبل أن نخوض فى تتبع أسلوب الشاعر وألفاظه نجده يشير إلى إهتمامه بجانب اللفظ الذى يرجع الفضل إليه فى الإبانة عن المعنى فيقول:(وعندى أن المعانى - مهما دقت ولطفت - فإنها واجدة كفاءها من الألفاظ المناسبة لها ، وغير ذلك مرده إلى قصور الأداء أو إستغلاق المعنى فى نفس الشاعر)(١)

وإذا نحن تتبعنا ألفاظ (الجندى) نجد أنها تلائم الموضوع الذى يتناوله، وتغلب عليها السهولة والرصانة والوضوح ، وتجرى فى تأليفها على أصح وجوه التأليف، دونما سخف أو تفكك أو هزال ، ومرد ذلك إلى صحة ذوقه ،وسلامة منطقه وغزارة روايته من منتخل المنثور والمنظوم .

وتختلف ألفاظ الشاعر بإختلاف الموضوع أو الغرض الذى يطرقه، ففى الغزل يلائم (الجندى) بين رهافة إحساسه ومايتخير لمعانيه من ألفاظٍ رقيقةٍ عذبه ، وربما أمْعَنَتْ فى السهولةِ والرقه فإذا هى الماء الدافق تصبباً وانحداراً كما فى قوله من قصيده (عَبَثُ الغيد)(٢) :

يَاحَدِيثاً فى (المِسَرَّهْ) لقَّنَ القَلْبَ المَسَرَّهْ
من حَبيْبٍ لَوْ أَرَانِى وَجْهَهُ ،مَاكَانَ ضَرَّهْ ؟
يُؤْثِرُ الحُبَّ سَمَاعاً آيَرى الحُبَّ مَعَرَّهْ
واصَلَ " الأُذْنَ " وَمَاجَـ دَ عَلَى "العَيْنِ" بِنَظْرَهْ

أَيُّهَا " الخاطِبُ " وُدِّى لَايَكُنْ قَلْبُكَ صَخْرَهْ
بَلَغَ العِشْقُ مَدَاهُ فَامْنَحِ الْعَاشِقَ زَوْرَهْ

---

(١) أنظر ديوان ألحان الأصيل لعلى الجندى ص ٨ .

(٢) ديوان اغاريد السحر لعلى الجندى ص ٢٨٢، ٢٨٣

إنه يستخدم الألفاظ الرقيقة السهلة العذبة، التى تتلائم مع (الغزل) فى وضوح تام ينبئ عن رقة طبعه وذوقه المرهف ، ونلمس ذلك فى مثل قوله :

(يَاحَدِيْثاً فى المِسَرَّه) و (مِنْ حَبِيْبٍ) و(يؤْثِرُ الحبَّ سَمَاعاً) و (وَاصَلَ الأُذُنَ) و (الخَاطِبُ وُدِّى) و (بلَغَ العِشْقُ مَداه) و(فَامْنَحِ العَاشِقَ زَوْرَه)

ونستمع إلى الألفاظ الرقيقة العذبة ذات الجرس الذى يذكِّرنا (بالبهاء زهير) فى خفة موسيقاه ، ورقة لفظه ، وحلاوة منطقه ، وعذوبة روحه ،عندما نطالع ألفاظ الشاعر العذبة فى قصيدة (دلال الحِسَان) التى يقول فيها :(١)

قَالُوا حَبِيْبُكَ قَاسٍ ... فَقُلْتُ : صَفْوُ الزُّلَال
وَهَجْرُهُ لَكَ مُرٌّ ... فَقُلْتُ : لَكِنْ حَلَالِى
وَفِيْهِ زَهْوٌ وتِيْهٌ ... فَقُلْتُ : لَسْتُ أُبَالِى

إلى أن يقول :

يَاحُلْوُ رِفْقاً بِقَلْبِى ... يَاحُلْوُ رِفْقاً بِحَالِى

وقد تقتصد ألفاظ الشاعر فى السهولة ، فإذا رصانة مهيبة ، وأصداء متجاوبة ، ورنات متجلجلة ، نستمع إليها فى قوله من قصيدة (طيف خيالها)(٢)

---

(١) ديوان أغاريد السحر لعلى الجندى ص ٣١٩،

(٢) ديوان أغاريد السحر ص ٣٢٣ ، ٣٢٦.

أَلَمَّتْ بِهِ " لَيْلَى " وَقَدْ رَنَّقَ الكَرَى
بِعَيْنَيْهِ وَهْنًا بَعْدَ سُهْدِ لَيَالِي

عَلَى حِينَ " لَيْلَى " قَدْ تَنَاءَى مَزَارُهَا
وَبَتَّتْ عَلَى عَمْدٍ وَثِيقَ حِبَالِي

سَعَى بَيْنَنَا الوَاشِي فَأَضْمَرَتِ القِلَى
وَكَمْ مِن هوىً أَوْدَى " بقَيْلَ وقَالِ "

وَقَدْ كَانَ يُغْنِي القَلْبَ هَجْرُ دَلَالِهَا
فَكَيْفَ بِهِ إِنْ كَانَ هَجْرَ مَلَالِ ؟

فَيَا طَيْفَ " لَيْلَى " قُلْ لِلَيْلَى : تَدَارَكِيْ
حُشَاشَةَ صَبٍّ آذَنَتْ بِزَوَالِ

وَصِفْ مَا أُلاقِي مِنْ لَوَاعِجِ حُبِّهَا
فَإِنَّكَ أَدْرَى العَالَمِيْنَ بِحَالِي

وَحَدِّثْ وَلَاتَحْرَجْ عَنِ الشَّوْقِ وَاقِدًا
بِقَلْبِيْ ، وَعَنْ سُهْدِي ، وَفَرْطِ هُزَالِي

فالشاعر فى الأبيات السابقه يستخدم الألفاظ الداله على الأسى واللوعه والحزن الناتج عن الصد والقطيعه، وإذا ماتأملنا هذه الألفاظ، (رَنَّقَ الكَرَى بِعَيْنَيْهِ وَهْنًا) و (سُهْدِ لَيَالِي) و (بَتَّتْ عَلَى عَمْدٍ) و (يُغْنِي القَلْبَ هَجْرُ دَلَالِهَا) و (تَدَارَكِيْ حُشَاشَةَ صَبٍ) و (لَوَاعِجِ حُبِّهَا) و (الشَّوْقُ وَاقِدًا بِقَلْبِي) و (سُهْدِي) و (فَرْطِ هُزَالِي) أحسسنا بأن معاناة الشاعر قد شذّبت ألفاظه فأتت رقيقة عذبه تكاد تشف عمّا

تحتها من معان .

ونجد (الجندى) يحتفظ بطابعه من الرقة والرشاقه - فى الألفاظ - فى الرجز .

كما يحتفظ بهما فى القصيد ، على ماتقتضيه طبيعة الرجز ، وتدفع إليه خصائصه من التوعر والغرابه ،ويتجلى ذلك فى قوله :(١)

عِمَامَةٌ مِنْ يَقَقِ الحَرِيْرِ ... تُنِضُّ مِثْلَ هَالَةِ البُدُورِ(٢)
كَأَنَّمَا خُيُوْطُهَا مِنْ نُوْرِ ... تَنْدَى بِرَيَّا الزَّنْبَقِ المَنْفُورِ
وَعَبَقِ الجَادِّي وَالكَافُورِ ... تَخَالُهَا فِي الفَاحِمِ المَنْشُورِ(٣)
بَشَائِرَ الصَّبَاحِ فِي الدَّيْجُورِ ... لِيْثَتْ عَلَى رَأْسٍ رَشَاً غَرِيْرِ(٤)

ويتضح لنا من تتبع قصائد الشاعر فى الغزل ، أن الطابع العاطفى لشخصيته قد جعله يميل إلى رقة اللفظ وعذوبته وسلاسته حينما يتغزل ، وأى رقة أكثر من قوله متمنياً الموت :(٥)

إِدْفِنُوْنِي حَيّاً ، وَهَلْ أَنَا حَيٌّ؟ ... وأَرِيْحُوا مُضْنَى الجَوَى مِنْ جَوَاهُ
لَسْتُ آسَى عَلَى مِبَاىَ ،وقَدْ شَا ... بَ فُؤَادِيْ فِي عُنْفُوَانِ صِبَاهُ

إلى أن يقول :

إِدْفِنُوْنِي حَيّاً فَلَيْسَ يَذُوْقُ النَّـ ... ـارَ مَنْ ذَاقَ فِي هَوَاهُ النَّارَا
إِدْفِنُونِي حَيّاً فَلَيْسَ يَهَابُ المَـ ... ـوْتَ مَنْ مَاتَ قَبْلَ ذَاكَ مِرَارَا

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٣٢٠ . (٢) يقق : الناصع البياض .
(٣) الجادى : الزعفران ،والفاحم المنشور : الشعر الأسود .
(٤) ليثت : لفت ، غرير : ناعم .
(٥) ديوان أغاريد السحر ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

وفى مناجاة الشاعر نجده يتناول الألفاظ الرقيقة/العذبة/السهلة ، نستمع إليها فى مثل قوله من قصيدة (مناجاةٌ وابْتِهَال) :(١)

هُدَى أَنْتَ لِى إِنْ جُرْتُ عَنْ طُرُقِ الهُدَى
وَأَنْتَ نَجَاتِى إِنْ أُحَاطَ بِىَ الرَّدَى

وَأَنْتَ سَنَا عَيْنِى ، وَنُوْرُ بَصِيْرَتِى
وَحِصْنُ أَمَانِى حِيْنَ تُوْعِدُنِى العِدَا

وَأَنْتَ رَشَادِى ، والظَّلامُ مُخَيِّمٌ
عَلَى أُفْقِ نَفْسِى : حِيْرَةٌ وَتَرَدُّدَا

وَأَنْتَ أُنَيْسِى حِيْنَ تَشْتَدُّ وَحْشَتِى
وَأُمْسِى عَلَى اللَّيْلِ الطَّوِيْلِ مُسَهَّدَا

ألفاظ واضحة ، قريبة المأخذ ، حلوة الجرس ، تلك التى إنتقاها الشاعر فى قوله (هُدَى) و (نَجَاتِى) و (سَنَا عَيْنِى) و (رَشَادِى) و (أُنَيْسِى) .

وكذلك يتناول الشاعر ألفاظا عذبة رقيقة فى بعض قصائده الوطنية ومن ذلك قوله (٢):

إِسْكُبِ الأَنْغَامَ فِى سَمْعِ الزَّمَانْ
وَانْشُرِ الأَعْلامَ فِى كُلِّ مَكَانْ

وَانْظِمِ البُشْرَى غِنَاءً رَاقِصَا
يَنْفَحُ الدُّنْيَا بِأَرْوَاحِ الجِنَانْ

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص ١١ .

(٢) ديوان ترانيم النيل لعلى الجندى ص ١٥.

طَاحَتِ الثَّوْرَةُ بِالظُّلْمِ العَتِيْدْ
وانْجَلَى اللَّيْلُ عَنِ الْفَجْرِ الجَدِيدْ
وَأَظَلَّ النِّيلَ عَهْدٌ بَاسِمٌ
كُلُّ يَوْمٍ مِنْهُ عِيْدٌ ، أَيُّ عِيْدْ

يتغنى الشاعر بوطنه ، مظهرا فرحته ، بألفاظ رشيقة ، تحمل جرسا رقيقاً يتناسب مع الحال الذى هو فيه ، وتبدو فى مثل قوله (اسكُبِ الانغَامَ) و (انْظِمِ البُشرَى) و (غِناءً رَاقِصاً) و (الفَجْرُ الجَدِيْد) و (عَهْدٌ بَاسِمٌ) و (عيدٌ، ايُّ عِيدْ).وتتعاقب على الشاعر أحوالٌ متباينة تؤثر فى نفسه ، فيحاول نقل تلك الأحاسيس التى تعتمل فى صدره بواسطه اللغة التى تختلف فى الأداء تبعا لتباين المواقف ، ونجد ألفاظه مشاكله للموضوع الذى تواكبه وتنساب منه ، ففى رثائه نستمع إلى الألفاظ الرقيقه الموحية الحزينه التى تتلائم مع تجربته وأحاسيسه ، ويتضح ذلك الحزن العميق الذى انطوت عليه جوانحه فى قوله من مرثية (شاعِرِ الأزهَر) [1]

أَتَانِيَ نَعْيُكَ رَأْدَ الضُّحَى ... فَخُيِّلَ لِي شَمْسُهُ تَعْفُلُ
وَكَادَتْ تَشِيْطُ لَهُ مُهْجَتِي ... وَكَادَ جَنَانِي بِهِ يُخْبَلُ

وفى قوله :

رَثَاكَ الصَّدِيقُ العَدُوقُ الَّذِي ... عَنِ الْعَهْدِ لِلصَّحْبِ لايَغْفُلُ
يَعُدُّ المَرَاثِيَ مِنْ قَلْبِهِ ... كَمَا لَفَحَ المَارِجُ المُشْعَلُ
سَوَائِرُ تَشْجُو فُؤَادَ الخَلِيِّ ... وَتُزْجِي العَزَاءَ لِمَنْ يَثْكَلُ

---

(١) ديوان فى ظلال القمر لعلى الجندى ص ١٧٧ - ١٨٤ .

فالشاعر فى الأبيات السابقه يعبر عن الأسى والحزن بالفاظ رقيقة فيها الكثير من الإيحاءات الحزينه، ويتجلى ذلك فى قوله (تَشِيْطُ لَهُ مُهْجَتِى) ويَقُدُّ المَرَاشِىَ مِنْ قَلْبِه) و (سَوَائِرُ تَشْجُو) و (تُزْجِى العَزَاءَ) وفى ذلك دلالة واضحه على أن تجربة الشاعر فى الأسى والحزن قد جعلته يُحسن تناول هذه الألفاظ ووضعها حيث ينبغى أن تكون . وفى فخره تطالعنا الألفاظ الفخمه الجزلة المتينه، التى تملاء الفم وتقرع الأذن كقوله من قصيدة (صوره نفسية) (١) :

أَبِى "المَلِكُ الضِّلِّيلُ" حُزْتُ تُرَاثَه ... سِوَى وِزْرِه ، إِنِّى بِرِىءٌ مِن الوِزْرِ (٢)
جَرَيْتُ عَلَى الأَعْرَاقِ مِن مِيْدِ "كِنْدَةٍ" ... ومِثْلِى عَلَى أَعْرَاقِ آبَائِهِ يَجْرِى
إِذَا لَفَّتِ الظَّلْمَاءُ أَنْسَابَ مَعْشَرٍ ... رَأَيْتَ عَلَى أَنْسَابِنَا رَوْنَقَ البَدْرِ
ضَرَبْنَا عَلَى النَّاسِ الجِزَى فى قَدِيْمِنَا ... بِهِنْدِيَّةٍ بِيْضٍ ، وخَطِّيَّةٍ سُمْرِ
لنا الشِّعْرُ و"الشِّعْرَى" "لشاكُلٌ بَاسِقٍ ... من السُّؤْدُدِ العادِىِّ والحَسَبِ البِكْرِ (٣)
لأَوَّلِنَا تُعْزَى المعالى فَقُلْ لِمَنْ ... يُفَاخِرُنَا لَمْ نُبْقِ للنَّاسِ مِنْ فَخْرِ

ففى هذه الأبيات نحس بأن جزالة الألفاظ وفخامتها جعلت القصيده تبدو فخمه ومتينه فى بنائها، وهى ملائمة لمعانى العزة والإستعلاء التى يتطلبها الفخر، ومن هذه الألفاظ : حُزْتُ تُرَاثَهُ ، جَرَيْتُ عَلَى الأَعْرَاقِ ، رَأَيْتَ عَلَى أَنْسَابِنَا ضَرَبْنَا عَلَى النَّاسِ الجِزَى ، هِنْدِيَّةٍ بِيْضٍ ، خَطِّيَّةٍ سُمْرٍ ، السُّؤْدُد العَادِىِّ ، تُعْزَى المَعَالِى ، يُفَاخِرُنَا ، أَبِى " المَلِكُ الضِّلِّيْلُ " .

---

(١) ديوان أغاريد السحر لعلى الجندى ص ٦

(٢) الملك الضليل : امرؤ القيس الكندى .

(٣) الشعر : إشاره إلى امانة إمرئ القيس للشعراء ، والشعرى : نجم يمنى يشرق على منزل كندة ، والعادى : القديم جدا .

ويقـــول فى قصيـــدة أخـــــرى :(١)

فَرَعْتُ " بِكِنْدَةَ " شَمْسَ السَّمَـــاءِ ... وَطَامَنْتُ مِنْ بَدْرِهَا الأَكْمَلِ (٢)
إِذَا جَاذَبَ النَّاسُ حَبْلَ الفَخَـــارِ ... أَنَاخَ عَلَى فَخْرِهِمْ كَلْكَلِـــى (٣)

وهنا يستخدم الشاعر الألفاظ القويه المعبره عن الإستعلاء ، حين يفخر بنسبه وبنفسه قائلا : فَرَعْتُ ، طَامَنْتُ ، كَلْكَلِى ، حَبْلَ الفَخَارِ ، أَنَاخَ عَلَى فَخْرِهِـــــمْ، ومامن شك فى أن ذلك راجع إلى تأثره بأدب التراث .

وألفاظ الشاعر فى الشكوى مرتبطة بحالته النفسيه ، فيعلو صوتهـــا أحيانا وتخفت حينا آخر ، ففى شكوى الأهل والأصدقاء تتحول ألفاظ الشاعـــر من الرقة والرشاقة إلى القوة والشدة التى تعلو فيها النبره ويشتد إرتفـــاع صدى الكلمات كما فى قوله من قصيدة " ثالث المستحيـــلات "(٤)

بَرِمتُ بِدَهْـرِى : بَلْ بَرِمْتُ بِأَهْلِـــهِ ... فَمَا الذَّنْبُ لِلأَيَّامِ ،بَلْ لَهُمُ الذَّنْبُ
أَرَقَّهُمُ قَلْبًا هُوَ الصَّخْرُ قَسْـــوَةً ... وَأَكْرَمُهُمْ نفسًا هُوَ الغَادِرُ الخِـبُّ (٥)
يَخُونُكَ مَنْ تُعْفِيهِ وُدَّكَ مِنْهُـــمُ ... عَلَى حِينَ لَايَنْسَى الوَفَاءَ لَكَ(الكَلْبُ)
خَطَبْتُ الوِدَادَ المَحْضَ فِى النَّاسِ جَاهِدًا ... فَمَا خِطْبَةٌ إِلاَّ أَتَى إِثْرَهَا الخَطْبُ
أَكُلُّ خَلِيلٍ تَحْتَ بُرْدَيْـهِ " ثَعْلَـبٌ " ... وَكُلُّ صَدِيقٍ حَشْوُ أَثْوَابِهِ " ذِئْـبُ "

إلى أن يقـــول :

سَأَحْيَا وَحِيدًا كَالطَّرِيدِ ، وَرُبَّمَـــا ... يُسَرُّ الفَتَى بِالبُعْدِ إِنْ سَاءَهُ القُرْبُ

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٢٣٦
(٢) كندة : القبيلة المعروفه ،فرع : علا ،طامن : خفض .
(٣) الكلكل : الصدر ، والمراد قهرهم .
(٤) ديوان أغاريد السحر لعلى الجندى ص ٢٠٧ ،٢٠٨.
(٥) الخب بالكسر والفتح : الرجل الخداع.

لقد تمكن الشاعر بألفاظه القويه (بَرِمْتُ بِدَهْرِى - بَرِمْتُ بِأَهْلِهِ - لَهُمُ الذَّنْبُ - الصَّخْرُ قَسْوَةً - الغَادِرُ الخِبُّ - يَخُوْنُكَ - الخَطْبُ - سَأَحْيَا وَحِيْدًا كَالطَّرِيْدِ) من إظهار الشكوى ،عندما رأى الحياةَ على غير مايفهم فأنكرها ، وبرم بأهلها ، وآثر العزله على الخلاط .

وفى شكوى الشاعر من جفوه المحبوب ، وألم البعد والفراق ، تطالعنا الألفاظ المنغومة الدالة على الأسى والحزن ، ونجد أنها تلائم الموضوع الذى يتناوله هذا الإحساس المرهف من الشاعر ، ونلمس هذا فى قصيدته ((البلبل الحائر))[1] :

إِسْمَعُوْا أَنَّتَهُ خَلْفَ الدُّجَى ... تَلْمِسُوا الحُرْقَةَ فِى أَنَّتِهِ
واقْرَءُوا حَيْرَتَه فِى لَحْظِهِ ... يُعْرَفُ الحَائِرُ مِنْ نَظْرَتِهِ
عَبْرَةُ الوَسْمِيِّ فِى تَهْتَانِهِ ... بَعْضُ مَايَسْفَحُ مِنْ عَبْرَتِهِ (٢)
والْتِهَابُ البَرْقِ فِى إِيمَاضِهِ ... وَقْدَةُ الأَنْفَاسِ فِى آهَتِهِ
هَاتِفُ بِالصَّوْتِ مِنْ أَعْمَاقِهِ ... :مَنْ يُقِيْلُ الشَّعْرَ مِنْ عَثْرَتِهِ؟
هذه الصَّرْخَةُ - لَوْتَدْرُونَهَا - ... مِنْ شَفَافِ القَلْبِ أَوْ حَبَّتِهِ (٣)
باحَ بالشَّكْوَى فَهَلْ مِنْ رَاحِمٍ ... يُبْرِئُ الشَّاكِىَ مِنْ عِلَّتِهِ
كَانَ مِنْ عَادَتِهِ بَثُّ الهَوَى ... كَيْفَ حَالَ اليَوْمَ عَنْ عَادَتِهِ (٤)

---

(١) ديوان أغاريد السحر لعلى الجندى ص ٣٢ ، ٣٣
(٢) الوسمى : مطر الربيع الأول .
(٣) شفاف القلب بالفتح : غشاؤه ، وحبته : نقطه سوداء فى صميمه .
(٤) حال : تغيّر .

فالشاعر فى الأبيات السالفه الذكر قد عمد إلى إنتقاء الألفاظ المشحونة بالألم والحزن والحيرة والأنين (إسْمَعُوْا أَنَّتَهُ - وَاقْرَءُوْا حَيْرَتَهُ - بَعْضُ مَايَسْفَحُ مِنْ عَبْرَتِهِ - وَقْدَةُ الأَنْفَاسِ فِي آهَتِهِ - هَذِهِ الصَّرْخَةُ) فى سبيل إبراز معاناته من ألم البعد والفراق ، وهى ألفاظ سهلة عذبة متعاقبه طَبعها الشاعر برقته .

أما ألفاظ الشاعر فى قصائده الوطنيه فإنها صوت حي يعبر عن غضبه وثورته على الظروف والأحداث المؤسفه التى كانت تعصف بوطنه أنذاك ، وألفاظه فى تلك القصائد قويه ثائره مليئة بالحركة والإنفعال ،ويستمد مفرداتها من لغة الرفض والتهديد والتحريض والنقد ، ولنا فى قصيدته " النفخ فى الصور " (١) خير مثال على ذلك إذ يقول :

دَعِ الذُّلَّ ،خَيرٌ مِنْ مُقَامٍ عَلَى الصَّغْرِ ... ثَوَاؤُكَ مَرْهُوناً لَدَى ظُلْمَةِ القَبْرِ (٢)
وَكَيْفَ انْتِقَاعُ المَرْءِ بِالعَيْشِ ، وَالعِدَا ... يُذِيْقُوْنَهُ فِى دَارِهِ غُصَصَ الأَسْرِ
أَتَهْنَئُهُ تِلْكَ الحَيَاةُ ، وإِنَّهَا ... لَأَجْدَرُ أَنْ تُدْعَى مَمَاتاً إِلَى الحَشْرِ
بَنِي "مِصْرَ" قَدْ جَدَّ النِّزَالُ فَجَدِّدُوا ... عَزَائِمَكُمْ ،وابْغُوا السَّبِيلَ إِلَى النَّصْرِ
بَنِي "مِصْرَ" ،هُبُّوا لِلْجِهَادِ بِأَنْفُسٍ ... فِدَائِيَّةٍ لَاتَرْتَضِي عِيْشَةَ القَهْرِ
بَنِي "مِصْرَ" ،إِنَّ السِّلْمَ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... فَخَشُّوا لَظَاهَا وادْرَءُوا الشَّرَّ بِالشَّرِ
بَنِي مِصرَ ،دَقَّتْ سَاعَةُ الفَصْلِ بَيْنَنَا ... فَإِمَّا نَعِيْمًا أَوْ شَقَاءً مَدَى الدَّهْرِ
بَنِي مِصرَ ،إِنَّ القَوْمَ قَدْ مَكَرُوا بِنَا ... فَرُدُّوْا سِهَامَ المَاكِرِيْنَ إِلَى النَّحْرِ
هُمُو خَدَعُونَا " بالوُعُوْدِ" وهَا هُمُو ... لَكُمْ أَظْهَرُوا مَا أَبْطَنُوهُ مِنَ الغَدْرِ
فَإِنْ أَنْتُمُوْ قَلَّمْتُمُوْ ظُفْرَ بَطْشِهِمْ ... ظَفِرْتُمْ ،وَإِلَّا فَالسَّلَامُ عَلَى مِصْرِ
شَنَارٌ وَعَارٌ أَنْ نَذِلَّ لِبَأْسِهِمْ ... وَنَحْنُ بَنُو المَجْدِ المُؤَثَّلِ وَالفَخْرِ

---

(١) ديوان اغاريد السحر لعلى الجندى ص ١٣٩ - ١٤٢
(٢) الصغر بالضم والصغار بالفتح : الذل والضيم ،الثواء : المكث .

إلـــى أن يقول :

هُنَا تَظْهَرُ الأَبْطَالُ - والموتُ مُكْثِبٌ - وَيَبْدُو حَمِيُّ الأَنْفِ،وَالخُلُق المُرّ (١)

أبيات خطابيه تعبر تعبيرا كاملا عن رفض الظلم السائد فى الوطـــن وإثارة حماسة أبنائه وتحريضهم على الجهاد المتواصل،والتصدى للمستعمرين حتى النصر، والشاعر فى هذا المجال قد أتى بألفاظ جَزْلَة قوية صاخبة تحمـل دلالات التهديد والإنذار للمستعمر الغادر، وتركيبات تكشف عن فورته الحماسية فيشحن حديثه بالألفاظ الطنانة،الشائره ، المليئة بالإيقاع والحركـــة عندما يقول : دَعِ الذُلّ - جَدِّدُوْا عَزَائِمَكُمْ - هُبُوْا لِلْجِهَادِ - حَشُّوْا لَظَاهَـــا إِدْرَءُوْا الشَّرَّ بِالشَّرِّ - رُدُّوْا سِهَامَ المَاكِرِيْنَ إِلَى النَّحْرِ - شَنَارٌ وَعَارٌ أَنْ نَـذِلَّ لِبَأْسِهِمْ - غُصَصَ الأَسْرِ - عِيْشَةَ القَهْرِ - دَقَّتْ سَاعَةُ الفَصْلِ بَيْنَنَا - ابْغُوْا السَّبِيْلَ إِلَى النَّصْرِ - تَظْهَرُ الأَبْطَالُ - يَبْدُوْ حَمِيُّ الأَنْفِ - المَوْتُ مُكْثِبٌ) .

ونستمع إلى الألفاظ القويه الهادرة المليئة بالحركه فى مثل قولـــه من قصيده (الجولة الثانيه)(٢) التى يخاطب فيها الجيش المصرى :

إِلَى المَيْدَانِ،كَالْبُـــرَكَا ... نِ كَالإِعْصَـــارِ ،قَدْ هَبَّـا
يَصُبُّ عَلَى جُنُـوْدِ الشَّـــرِّ ... أَصْنَافَ الرَّدَى صَبَّـــا

إلى أن يقـــول :

دَعَانَا الحَقُّ ، أَنْ نَسْحَقَ ... أَوْ شَابَ الصَّهَايِيْـــنِ
وأَنْ نَمْحَقَ مَنْ عَاثُـــوْا ... فَسَادًا فِـــى فَلَسْطِيْـــنِ
وَنَمْحُوَ مِنْ ثَرَاهَا الطُّهْـرَ ... أَرْجَاسَ الشَّيَاطِيْـــنِ

---

(١) مكثب : قريب .

(٢) ديوان فى ظلال القمر ص ٦ - ٧ .

ففى هذين المقطعين نلمح ألفاظا هادرة تموج بالحركة، قد عمد إليهـــا الشاعر لإلهاب حماس المقاتلين ورفع الروح المعنويه لديهم، ولو تأملنـــا هذه الالفاظ :

(كَالْبُرْكَانِ - كَالإِعْصَارِ - قَدْ هَبَّا - يَصُبُّ ، أَصْنَافَ الرَّدَى صَبَّا - أَنْ نَسْحَـــقَ - نَمْحَقْ - وَنَمْحُوْ) لرأيناها تلائم المعارك والحروب .

ويمكننا القول بعد ذلك أن (الجندى) يحقق فى نظمه ملامة اللفـــظ وفصاحته ووضوحه ، ويضيف إلى ذلك عنايته الدقيقه بإنتقاء الألفاظ، والملائمه بينها وبين المعانى ، فيختار الألفاظ الرقيقه السلسه العذبه فى غزلياتـــه وشكواه ورثائه ، وينتقى الألفاظ القويه ، الفخمه المتنيه فى فخره ووطنياته ومن هنا إمتاز أسلوبه بالموائمه بين موضوع القصيدة وصياغتها .

وأســلوب الشاعر - فى ذلك كله - عربى محض ، لاتشوبه شائبة عجمـــة، ولاترى عليه إشارة سخف أوضعف ، يجنح إلى السهوله واليسر واللين، فى رصانـــة وإحكام دون ضعف او تعقيد، ويرجع لين شعره وسهولته إلى منشئه، وطبعـــه، وذوقه، فقد كان لين العريكه ، حلو الشمائل ، مهذب لطيف ، والشعر صـــوره لصاحبه وقطعة منه. وأسلوبه على نقائه لايكاد يعتسف ضروره أو يأخذ على غيـــر أليف مأنوس ، ومرد ذلك إلى تمكنه من اللغة وإمساكة بناصية الكلام لذلـــك نسمع فى أسلوبه موسيقى عذبة النغم، مستوية الجرس ، لانحس فيها نبوّا ولاشذوذا .

وكثيرا مايكون أسلوبه خطابيا ، يغلب عليه التنويع والتقطيع، فإسترسال وتوقف أو التفات أو إعتراض، وإخبار فتساؤل أو تعجب أو إضراب، فـــإذا جلجلة يتنوع فيها النغم ، وتتقاصر المسافات ، وتتتابع الحركات فـــى رشاقة وإسراع، ونستمع لمثل ذلك فى قوله من قصيدة (بين بلاء الحب وبـــلاء العذل)[1] :

---

(١) ديوان أغاريد السحر لتعلى الجندى ص ٣٢٧.

أَصَحْبِى أَنْتُمُ؟ كَيْفَ هُنْتُ عَلَى صَحْبِى؟! وَكَيْفَ تَوَلَّوْا دونَ غَيرهِمُ حَرْبِى
وَكَيْفَ اعْتَدَوا إِلْبًا علىَّ مَعَ الهَوَى وَبَعْضُ الَّذِى أَلْقاهُ لَوْ أَنْصَفُوا حَسْبِى
جَنَوْا لِىَ هَمًّا فَوقَ هَمٍّ يَثُورُنِى فَوَا عَجَبًا لِلحُبِّ خَطْبًا عَلَى خَطْبِ
أَأَشْكُو ؟ لِمَنْ أَشْكُو؟ وَلَوْ قَدْ شَكَوْتُهُمْ إِلَى اللَّهِ أَخْشَى أَنْ يُعَاقِبَهُمْ رَبِّى
وأَعْتَبُ لَابَلْ سَوْفَ أُغْضِى عَلَى القَذَى وَكَيْفَ ؟ وقَدْ جَلَّ المَقَامُ عَنِ العَتْبِ

وقولـــه فى قصيدة " صولة الجمـــال "(١)

أَقَلْبِى ،لَقِيتَ الْوَيْلَ ! مَالَكَ كُلَّمَا نَهَيْتُكَ عَنْ " نُعْمٍ" أَبَيْتَ سِوَى "نُعْمِ"
تُمَنِّيكَ " نُعْمٌ " وَصْلَهَا فِعْلَ خَادِعٍ وهَيْهَاتَ مَامَنَّتْكَ ! مَنْ لَكَ بِالنَّجْمِ؟

وهنـالك ظواهر أسلوبيه متنوعة قد يشترك فيها كثير من شعراء العربيـــــه ولكن يختلف تناولها من شاعر لآخر منناحيه الكم والكيف ، ويجد الدارس لشعر أحد الشعراء جملة خصائص لفظيه تكوّن عبارته ، وتتكرر هذه الخصائـــــص حتى تصبح سمة بارزة ولازما من لوازم أسلوبه .

ومن أبرز الظواهر الأسلوبيه فى شعر الأستاذ (على الجندى) مايأتى :

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٣٠٠ .

١- التكـــرار

والتكرار حلية بلاغية قديمة ، دأب على إستغلالها كثير من الشعـــراء فى شتى العصور ، وأشار إلى ذلك كثير من النقاد فى كتبهم (١)

وتكاد تكون خاصية التكرار هى السمة الأسلوبيه الأولى عند شاعرنـــا ، إذ يكثر دورانها على لسانه وفى هذا دلاله على إهتمامه بها .

ولقد نجح (الجندى) فى تعامله مع هذه الظاهره ،من غير أن تسئ إلـــى شعره أو تفسد معناه ، وحقق الجانب الإيجابى فيها عند ماجعلها تبـــدو كعلامة بارزه لزياده تأكيد المعنى وإيضاحه وتقريره فى نفس السامع ،وإثـراء الأسلوب بموسيقى خاصه يحققها التناغم الصوتى الذى ينجم عن تكرار كلمـــات أو جمل بعينها ،ولايخفى دور الموسيقى الجيدة فى تعميق إحساسنا بالجمـــال عند قراءة نص شعرى .

ويأتى التكرار فى أسلوب الشاعر بأشكال متعدده ،يمكن تقسيمها إلـــى (تكرار الحروف ،وتكرار الألفاظ ، وتكرار الصيغ والتراكيب)

وفى تكرار الشاعر للحروف نلاحظ أنه يستخدم بعض حروف العطف وحـــروف الجر ،التى يبرز دورها فى ترابط العمل الفنى وتآلف نظمه .

فمثلا نجده يكرر حرف العطف فى قوله من قصيدة (بين الرأس والقلب) (٢)

---

(١) قدماء ومحدثين كأبى هلال العسكرى فى الصناعتين ص ١٩٦- ٢٠١ ،وإبن رشيق فى العمده حـ ٢ ص ٢٩٨ - ٣٠٤،ونازك الملائكه فى قضايا الشعر المعاصر ص ٢٥٣.

(٢) ديوان ألحان الأصيل على الجندى ص ٢٩٥

قَدْ رَضِيْنَا مَشِيْئَةَ اللّٰهِ فِيْنَـــــا وَامْتَثَلْنَا لِحِكْمَةِ المَقْدُوْرِ
وَ لَبِسْنَا - عَلَى العَبَا - حُلَّةَ الشَّيْبِ م فَأَهْلاً وَمَرْحَبـــًا بِالنَّذِيْـــرِ
وَ لَزِمْنَا (المِحْرَابَ) نَجْأَرُ بِالتَّهْلِيْلِ م فِي جَوْفِـــهِ وَبِالتَّكْبِيْـــرِ
وَ عَكَفْنَا عَلَى تِلاَوَةِ (آيِ الذِّكْرِ) م زُلْفَى إِلَى العَزِيْزِ الغَفُـــوْرِ
وَ ثَنَيْنَا العِنَانَ عَنْ مَنْهَلِ الـــرَّا ح إِلَى مَنْهَلِ القَرَاحِ الطَّهُـــوْرِ
وَ أَعَرْنَا القِيَـانَ سَمْعَ أَصَـــمٍّ وَ مَنَحْنَا الحِسَانَ طَرْفَ ضَرِيْـــرِ
وَ غَنِيْنَا بِالشَّمْسِ مَطْلَعُهَا الأُفْـــقُ م عَنِ الشَّمْسِ نُشِّئَتْ فِي الخُـــدُورِ
وَ اسْتَعَضْنَا بِالغُصْنِ يَكْسُوْهُ " آذَا رُ " عَنِ الغُصْنِ رَافِلاً فِي الحَرِيْـــرِ

فقد كرر الشاعر حرف (الواو) كثيرا فى الأبيات السابقه ،لأنه وجد فى هـذا الحرف مايلائم معناه ويعضد فكرته ،فيعرض بهدوء حالته وهو يَرىٰ رواعـــى الشيب تنزل برأسه فى ميعة الشباب فيستجيب لمشيئة اللّٰـه - عز وجل - ويرضى بها ، وهنا يستخدم حرف (الواو) الذى يصاحب هذا الأداء الهادئ اللين المتباعد فيجئ فى دعة ورقه وهدوء مدللا على براعة إختيار الشاعر لهـذا الرابط الأسلوبى .

ويكرر الشاعر حرف (الواو) مرة أخرى فى قوله من قصيده (عرائس البحر) (١) :

فَوْقَ الشَّوَاطِئِ لُؤْلُؤٌ مَنْثُـــوْرُ لَمْ تَحْوِهِ فِي جَوْفِهِنَّ بُحُـــوْرُ
أَمْدَافُهُ حِبَرٌ زَهَتْ ، وَغِلاَئِـــلٌ شَفَّتْ ، وَوَشْيٌ مُوْنِقٌ وَحَرِيْـــرُ (٢)
يَا لَلْمَلاَحَةِ فِي الشُّطُوْطِ تَبَرَّجَـــتْ فَإِذَا الشُّطُوْطُ كَوَاكِبٌ وَبُـــدُوْرُ

---

(١) ديوان ترانيم الليل لعلى الجندى ص ١٧٢

(٢) حبر : كعنب : ضرب من برود اليمن.

وَ إِذَا الرِّمَالُ مَفَاتِنٌ ،وَمَبَاهِجٌ وَمَبَاحَةٌ ، وَصِبًا أَغَرُّ غَرِيْرُ
وَرَفَارِفٌ ، وَزَخَارِفٌ ، وَمَجَاسِدٌ وَقَلَائِدٌ ، وَحَبَائِرٌ ،وَعَبِيْرُ(١)
وَتَوَاصُلٌ ، وَتَهَاجُرٌ ،وَتَدَلُّلٌ وَتَذَلُّلٌ ، وَتَنَهُّدٌ ، وَزَفِيْرُ

ولكن الأداء فى هذه الأبيات يختلف عن الأداء السابق-الذى طبع بالهدوء فى أبيات القصيدة الأولى - ومن هنا إختلف إستعمال الشاعر لتكرار الحرف الواحد،فهو هنا يوظف حرف (الواو) لخدمة الإيقاع النغمى السريع، إذ تتلاحق (الواو) وتتابع فى وفرة وتناسب يتواكب مع موقف الشاعر فى إستعراضه السريع لتلك الصور التى تمر به سراعا ، وإستعمال الشاعر لهذا الحرف على هذا النحو يَشِى بمقدرة الشاعر الفنيه وبراعته فى الإختيار .

وأحيانا نجد الشاعر يكرر بعض حروف الجر فى قصائده كما فى قوله من قصيده الشاعر الشهيد (٢) :

فَجَعَتْنَا عِصَابَةُ الكُفْرِ وَالإِلْحَادِ
وَالْغَىِّ والخَنَى والفُجُوْرِ

بِالْمُجَلِّى السَّامِى عَلَى كُلِّ قِرْنٍ
فِى مَجَالِ المَنْظُومِ وَالمَنْثُوْرِ

بِالْمُلَقَّى السُّعُوْدِ واليُمْنِ وَالظَّا
فِرِ يَوْمَ الرِّهَانِ ، وَالمَنْصُوْرِ

---

(١) الرفارف : الوسائد والبسط ،والرقيق من ثياب الديباج والمجاسد : ثياب مصبوغة بالزعفران والحبائر ضرب من برود اليمن .

(٢) ديوان فى ظلال القمر لعلى الجندى ص ٢٢٥

بِالأَرِيْبِ المِفَنِّ مَنْ كَانَ مَبْنَـــا
هُ وَمَعْنَاهُ لِثْنَةً فِي السُّطُـــوْرِ
بِالرِّفَاعِي فِي غَرَائِبِ مَاتِيـــأْ
تِيْهِ مِنْ زُخْرُفٍ وَمِنْ تَحْبِيْـــــرِ
بِالمُكَنَّى فِي شِعْرِهِ بِابْنِ أَوْسٍ
وَالمُسَمَّى بِالبُحْتُرِيِّ الصَّغِيْـــرِ

فالشاعر هنا يكرر حرف الجر ، الذى يبث من خلاله مزيدا من الأسـى واللوعه على فقد صديقه ، فبواسطة هذا التكرار يحاول الشاعر إلقـاء مزيد من الضوء على هذا الفقيد ، فيوضح مكانته مؤكدا مدى الخسارة بفقده، كما أن تكرار حرف الباء هنا مناسب للإيقاع البطئ الذى سارت عليه الأبيات .

كما يعمد الشاعر كثيرا إلى تكرار حرف العطف مع حرف الجر كمـا فى قوله من قصيده (متحف الكون)[1]:

رَأَيْتُكَ فِي سَجَاتِ الهِـــلَالِ ... يُضِيءُ عَلَى غُرَّةِ الأَشْهُـــرِ
وَفِي مَشْرِقِ الشَّمْسِ مِنْ خِدْرِهَـــا ... وَفِي صَفْحَةِ القَمَرِ الأَزْهَـــرِ
وَفِي لَمْعَةِ النَّجْمِ عِنْدَ الطُّلُوْعِ ... وَفِي لَمْحَةِ الدُّرِ وَالجَوْهَـــرِ
وَفِي وَمْضَةِ البَرْقِ سَاطَ السَّحَابَ ... وَفِي وَقْدَةِ الشَّفَقِ الأَحْمَـــرِ[2]
وَفِي زَخْرَةِ البَحْرِ طَامِي العُبَـــابُ ... وَفِي دِرَّةِ العَارِضِ المُمْطِـــرِ[3]
وَفِي اللَّيْلِ يَسْجُوْ بِأَرْوَاقِـــهِ ... وَفِي جَلْوَةِ اللَّيْلَةِ المُقْمِـــرِ[4]

---

(١) ديوان ترانيم الليل لعلى الجندى ص ٣٣٨- ٣٣٩ .
(٢) ساطه : ضربه بالسوط .
(٣) درة العارض : سيلان السحاب المعترض فى الأفق .
(٤) أرواق الليل : أثناء ظلمته .

وَفِي النَّارِ ،فِي النُّوْرِ ، فِي لَفْحَةِ الهَوَاجِرِ ،فِي نَفْحَةِ الصَّرْصَرِ(١)

ويستمر الشاعر فى تكرار حرفى العطف والجر حتى نهاية القصيده،وفى هذا النوع من التكرار الذى يستخدمه (الجندى) خدمة لأفكار القصيدة وغرضها الذى ينزع إلى التأمل فى آيات الخالق-جلّت قدرته -،فالآيات كثيرة ومتنوعه وللربط بينها عمد إلى أسلوب التكرار الذى ساعده كثيرا على التوسع والإمتداد فى أفكاره ومعانيه،إضافة إلى ما أحدثه هذا التكرار من تعزيز للإيقاع .

أما تكرار الألفاظ والمفردات فإنه يكثر عند شاعرنا،ويفهم (تكرار الأسماء وتكرار الأفعال) .

ونلاحظ تكرار الشاعر للأسماء فى بعض قصائده كما فى قوله من قصيدة (الحلاق الشاعر)(٢):

مِصْرُ تَقْفِي بِهَا الأُسْوُدُ وَتَحْيَا بِهَا البَقَرْ
مِصْرُ حَرْبٌ عَلَى الأَدِيْبِ م وَقَبْرٌ لِمَنْ شَعَرْ
مِصْرُ نَارٌ عَلَى التَّقِيّ م وَفِرْدَوْسٌ مَنْ فَجَرْ
مِصْرُ يَسْلُبُهَا الثَّرَا ءُ عَلَى كُلِّ ذِي خَطَرْ(٣)
لِأَخِي الثَّوْثَةِ التَّغَا رُ وَلِلنَّابِغِ الحَجَرْ
مِصْرُ لَوْ دَاتَكِ الإِلـ ـهُ م لَمَا جَادَكِ المَطَرْ
مِصْرُ لَاتَدْفِنِي النبُو غَ - حَنَانَيْكِ - فِي الحُفَرْ
مِصْرُ لَاتَأْكُلِي البَنِيـ ـنَ م كَمَا تَفْعَلُ الهِرَرْ
مِصْرُ عَطْفًا عَلَى جَنَا كِ ،وَرُحْمَاكِ بِالثَّمَرْ

---

(١) العرصر : الريح الشديدة الصوت ،أو البرد .
(٢) ديوان ألحان الأصيل ص ٣٣٠
(٣) بسل : حرام ، والخطر : الشرف .

وهنا يكرر الشاعر كلمة (مصر) كثيرا فى بداية الأبيات ،وهذا التكرار يوحى بشدة إنفعال الشاعر مما يجرى فى وطنه من ظلم للأدباء، وقد ساعد ذلك التكرار على إيضاح الفكره التى سعى إليها بأسلوبه ، وعلى التوسع فى عرض المعنى وتأكيده وإبراز أهميته للسامع .

ومن تكرار الشاعر للأسماء تكراره لبعض ضمائر الرفع المنفصله، ويكثر مثل ذلك فى دواوين الشاعر ،ومنه قوله فى قصيده (إبتهال):(١)

هُدَّى أَنْتَ لِى إِنْ جُرْتُ عَنْ طُرُقِ الهُدَى
وَأَنْتَ نَجَاتِى إِنْ أَحَاطَ بِىَ الرَّدَى

وَأَنْتَ تَنَاعَيْنِى ،وَنُوْرُ بَصِيْرَتِى
وَحِصْنُ أَمَانِى حِيْنَ تُوْعِدُنِى العِدَا

وَأَنْتَ رَشَادِى ،وَالظَّلَامُ مُخَيِّمٌ
عَلَى أُفْقِ نَفْسِى : حَيْرَةً وَتَرَدُّدَا

وَأَنْتَ مُعِيْنِى حِيْنَ لَاعَوْنَ يُرْتَجَى
عَلَى زَمَنِى إِنْ رَاحَ بِالخَطْبِ أَوْغَدَا

وَأَنْتَ طَبِيْبِى حِيْنَ تُعْضِلُ عِلَّتِى
وَيَنْدَاحُ جُرْحِى نَاغِرًا مُتَمَرِّدَا(٢)

وَأَنْتَ قِلَادِى مِنْ قَرِيْبٍ وَأَجْنَبٍ
يَدِيْنُ بِبِغْضَائِى ، وَيُبْدِى التَّوَدُّدَا

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص ١١.

(٢) اعضل الداء : اعيا وغلب الأطباء . وانداح : عظم واسترسل ،ونفر الجرح : سال منه الدم .

فبواسطه تكرار لفظة (وأنت) إستطاع الشاعر أن يتوسع فى المعانى ويمتد فى الأفكار ، التى يؤكدها ويفصل أجزاءها بهذا الأسلوب فى الأبيات السابقه. ويكثر الشاعر من تكرار لفظة (أنتِ) فى قصيدته (أنْتِ أحسن فى كل شئ [1]) التى يقول فيها :

أَنْتِ مِنْهَا أَعْلَى جَمَالاً وَأَغْلَى
أَنْتِ مِنْهَا أَرَقُّ حُسْنًا وَأحلَى

أَنْتِ أَزْكَى رُوْحًا، وَأَذْكَى فُؤَادًا
أَنْتِ أَنْدَى صَبًا ، وَأَنْضَرُ شَكْلاَ

أَنْتِ أَبْهَى وَجْهًا، وَأَمْلَحُ ثَغْرًا
أَنْتِ أَسْجَى طَرْفًا، وَأَفْتَنُّ دَلاَّ

أَنْتِ أَسْنَى مَجْدًا ، وَأَعْرَقَ فَخْرًا
أَنْتِ أَسْمَى مَكَانَةً وَمَحَلاَّ

أَنْتِ مَنْ أَنْتِ ؟ أَنْتِ بِشْرٌ وَبُشْرَى
وَيَسَارٌ عَلَى الفَقِيْرِ اسْتَهَلاَّ

أَنْتِ مَنْ أَنْتِ ؟ أَنْتِ يُمْنٌ وَإِقْبَا
لٌ وَصُبْحٌ عَلَى ابْنِ لَيْلٍ تَجَلَّى

أَنْتِ مَنْ أَنْتِ ؟ أَنْتِ أُغْرُوْدَةٌ غَرَّا
ءُ تُرْوَى - عَلَى الزَّمَانِ - وَتُتْلَى

أَنْتِ مَنْ أَنْتِ ؟ أَنْتِ رُوْحٌ وَرَيْحَا
نٌ وَوَرْدُ الرِّيَاضِ عَانَقَ فُلاَّ

---

(١) ديوان فى ظلال القمر - على الجندى - ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

ونلاحظ فى الأبيات السابقه تكرار لفظة (أَنْتِ) عشرين مره ، وهـــذا كثير على ثمانيه أبيات ، ولكن الشاعر إستطاع أن يتصرف فى هذا التكـــرار عندما قسمه إلى قسمين : ونلاحظ القسم الأول فى الأبيات الأربعه الأولى التـــى تتكرر فيها اللفظه ثمان مرات ، وفى كل بيت تتكرر اللفظة مرتين متوازنتين، وبواسطة هذا التكرار إستطاع الشاعر أن يوازن بين محبوبته والفتاة الأخـــرى، ولقد سهل التكرار لشاعرنا التوسع فى مقارنته التى يؤكد فيها ترجيح كفـــة محبوبته على الأخرى ، فينتصر لجمالها ويؤكد تلك المعانى والأفكار التـــى يخلعها على محبوبته بهذا التكرار ، ورغم كثرة تكراره لهذه اللفظـــه إلا أننا لانشعر بثقلها ، ذلك أنه يحقق من خلالها نغمة موسيقيه وإيقاعـــا صوتيا متلائما .

وفـى الأبيات الأربعه المتأخره يتساءل الشاعر ويجيب، مستعينا بتكـــرار هذه اللفظه ثلاث مرات فى البيت الواحد، ولقد ساعده ذلك على التوسع والإمتداد فى الأفكار والمعانى التى جاءت متدفقه .

أما تكراره للأفعال فيكثر فى قصائد الرثاء ويقل فى سواها، وتطالعنا فى ذلك عده قصائد يلجأ فيها الشاعر إلى تكرار بعض الأفعال كما فـــى قوله من قصيدة (الشاعر الشهيد) [1]:

سَائِلُوْنِى عَنْهُ فَإِنِّـــى بِمَاغَـــا
بَ عَنِ الوَاصِفِيْهِ جِدُّ خَبِيْـــرُ
كَانَ أَنْقَى مِنَ الزَّنَابِـــقِ أَخْـــلاَ
قًا وَأَصْفَـى مِنَ الزُّلاَلِ النَّمِيْـرِ

---

(١) ديوان فى ظلال القمر ص ٢٢٦ .

كَانَ أَحْمَى مِنَ الحُسَامِ اليَمَانِـــــى
وَأَنْدَى مِنَ السَّحَابِ المَطِيْـــــرِ

كَانَ فِى حُنْكَةِ المُسِنِّ أَخِـــــى الإِرْ
بِ وَفِى حِشْمَةِ الرَّمِيْـــتِ الوَقُوْرِ

كَانَ ذَا فِطْنَةٍ وَرَأْيٍ سَدِيْـــــــــدٍ
يَخْلُسُ الغَيْبَ مِنْ وَرَاءِ السُّـــتُوْرِ

كَانَ تَحْدِيْثُهُ عَـــزَاءَ الثَّكَالَـــــى
وَفُكَاهَاتُـــهُ رُقَـــى المَحْزُـــوْرِ

كَانَ زَيْنَ اللِّدَاتِ عَقْلاً وَعِلْمًـــــــا
وَخِـــلَالاً وَكَانَ فَخْرَ العَشِيْـــــرِ

فالشاعر فى هذه الأبيات يكرر الفعل الناقص " كان " سبع مـــــرات، وغرضه من ذلك تأكيد قيمة المرثى ومنزلته ومدى الخسارة بفقده، ويستخـــدم لفظة (كَانَ) للتعبير عن صفات الشاعر الشهيد التى يبث الحسرة من خلالهـــا على فقده ، وهنا يوظف الشاعر التكرار فى هذه المرثيه لخدمة المعانـــى التى تدور فى نفسه ، فيجسدها ويؤكدها بهذا الأسلوب .

ويجد الشاعر فى تكرار الأفعال - فى قصائد الرثاء - وسيلـــة تعبيريه تساعده على الإفصاح عن المعانى التى تجسد مشاعره ،فيكرر تلـــك الألفاظ دونما تصنع أو تكلف فتجئ شاهدة على توظيفها فى خدمة المعنـــى وتأكيده كما فى قوله من قصيده (شيخ العروبه) (١)

---

(١) ديوان الحان الأصيل ص ١٣٩

نَعَـــى " أَحْمَدَ " النَّاعُوْنَ فِى جُنْحِ كَافِرٍ
أَحَمَّ الحَوَاشِى حَالِكِ الجَنَبَـاتِ (١)

فَبِتْنَا لِهَافًا : بَيْنَ شَاكٍ مُسَهَّـــــدٍ
وَآخَرَ مَطْوِيٍّ عَلَـــى الجَمَـرَاتِ

فَيَالَكَ لَيْلاً رَوَّعَ الشَّرْقَ ،فَاغْتَـــدَى
يُـرَوِّعُ وَجْهَ الصُّبْحِ بِالعَرَخَـــاتِ

بَكَيْنَا نَصِيْرَ العُرْبِ إِيْحِيْ تُرَاثَهُـــمْ
وَيَنْشُرُ عَنْهُمْ طَيِّبَ الذِّكْـــرَاتِ(٢)

بَكَيْنَا فَتَى الإِسْلَامِ يَنْفَحُ دُوْنَـــــهُ
إِذَا سَـدَّدَتْ أَعْدَاؤُهُ الرَّمَيَـات

بَكَيْنَا أَبَا التَّارِيْخِ يَجْلُـوْهُ لِلْـوَرَى
حَقَائِـقَ كَالإِصْبَـاحِ مُؤْتَلِقَـــاتِ

بَكَيْنَا أَخَا الفُصْحَى وَحَامِـى ذِمَارِهَـــا
وَفَارِسَهَـا السَّبَّاقُ فِى الحَلَبَاتِ

بَكَيْنَا زَكِـىَّ النَّفْسِ ،عَفَّا عَنِ الخَنَـــى
نَبِيْلَ المَرَامِـى ، طَاهِرَ الخَلَوَاتِ

---

(١) الكافر : الليل ويقصد أن الفقيد قد نعي ليلا .

(٢) الذكرات بالضم جمع ذكره بالضم أيضا : الذكرى.

فتكراره للفظة (بَكَيْنَا) مكنته من الحديث عن صفات المرثى والتوسع فيها وزيادة تأكيد المعانى التى جاء بها .

مع إظهار الحسرة العميقة ـــ التى تخلفها هذه اللفظة فى مطالع الأبيات ، والتى يؤكد الشاعر من خلالها قيمة المرثى ومنزلته فى النفوس.

وقد يكرر الشاعر (لفظةً مَا) فيكتسب منها الأسلوب موسيقى خاصة تشعرنا بجمال الأداء الذى يصاحبنا ونحن نقرأ شعره، بالإضافه إلى مايمكن أن يحدثه ذلك التكرار من توسع نستدل من خلاله على ثقافه الشاعر ومن هذا القبيل قوله فى قصيدة (تبكى على جوربها) :[1]

بَكَتْ بِالدُّمُوْعِ عَلَى الجَوْرَبِ ... بُكَاءَ (نُعَيْبٍ) عَلَى (زَيْنَبِ)[2]
بُكَاءَ المُهَلْهِلِ حَامِى الحِمَى ... أَخَاهُ (كُلَيْبًا) فَتَى (تَغْلِبِ)
بُكَاءَ (مُتَمِّمَ) شَادِى (تَمِيْمٍ) ... عَلَى (مَالِكٍ) قَرْمِهَا المُعْقَبِ[3]
بُكَاءَ (الفَوَاطِمِ) تَحْتَ الحِدَادِ ... عَلَى ابْنِ (الوَصِىِّ) وَسِبْطِ النَّبِى

إلى أن يقول :

تَنُوْحُ نُوَاحَ الحَمَامِ الحَزَانِ ... عَلَى إِلْفِهَا فِى غُصُوْنِ الرُّبَى
نُوَاحَ اليَتِيْمِ الغَرِيْرِ الصَّبَا ... عَلَى الأُمِّ ـ يَفْقِدُهَا ـ وَالأَبِ
نُوَاحَ المُحِبِّ جَفَاهُ الحَبِيْبُ ... وَلَيْسَ بِجَانٍ ، وَلَا مُذْنِبِ

فتكرار الشاعر للكلمات (بكاء ، نواح) قد أتاح له إثراء أسلوبه بهذه الموسيقى الخاصه التى يشتد تناغمها وتصبح متراقصه الأنغام عندما يقول : (تَنُوْحُ نُوَاحَ الحَمَامِ الحَزَانِ) وذلك لما تحقق فى هذه الكلمات

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص١٣٤، ١٣٥.
(٢) نعيب : هو نعيب بن محجن الشاعر الأسود ،زينب : بنت سفوان معشوقته .
(٣) متمم : هو إبن نويره الشاعر ، ومالك : هو أخوه الذى قتله خالد بن الوليد فى حرب الرده، والقرم المعقب : الفحل الذى ترك ركوبه .

من تناغم صوتى .

والمتأمل فى شعر (الجندى) يلاحظ كثرة تكرار الشاعر لبعض الجمل المختلفه التى تجئ فى مطالع الأبيات ، وعلى سبيل المثال نجد ذلك فى عدة قصائد فى مختلف دواوينه الشعريه ، مثل قصيدة (جنون الشعر[١] وقصيدة (نبيل الصعيد)[٢] وقصيدة (بين أعمى البصر وأعمى البصيره[٣] وقصيدة (بورسعيد الخالده)[٤] وقصيدة (غَضَبَتِي لِلْجَمال)[٥] وقصيدة (شاعر الوطنيه)[٦] وقصيدة (الشاعر الشهيد[٧] وقصيدة (لاتغضبى[٨] .

ويحاول الشاعر بتكراره لتلك الجمل التى تجئ فى مطالع كثير من أبيات القصيده الواحده ، أن يقرر المعنى فى ذهن السامع ويؤكده ويبرز أهميته ، أو يتوسع فى عرضه وتفصيل أجزائه ، أو يلفت الإنتباه إلى الفكرة التى يطرحها بأسلوب التكرار الذى يؤدى إلى نوع من الإيقاع الموسيقى الناجم عن تناغم الأصوات عند تكرار كلمة بعينها أو جمله ، وأكتفى هنا بعرض بعض المقاطع من قصيدته (جنون الشعر[٩] التى يقول فيها :

إِدْفِنُوْنِي حَيًّا ! وَهَلْ أَنَا حَيٌّ ؟
وَأَرِيْحُو مُضْنَى الجَوَى مِنْ جَوَاهُ
لَسْتُ آسَى عَلَى صِبَاىَ، وَقَدْ شَا
بَ فُؤَادِي فِي عُنْفُوَانِ صِبَاه

* * *

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٣٥٥ .
(٢) ديوان ألحان الأصيل ص ١٧٠ .
(٣) نفسه ص ٣٤١ .
(٤) ديوان ترانيم الليل ص ٤٤ .
(٥) ديوان ترانيم الليل ص ٢٥٦ .
(٦) ديوان فى ظلال القمر ص ٢٠٧ .
(٧) نفسه ص ٢٢٣ .
(٨) نفسه ص ٢٧٧ .
(٩) أغاريد السحر ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

إِدْفِنُوْنِي حَيًّا فَقَدْ جَفَّ يَنْبُوْ
عِي ،وَمَاتَ الهَوَى ، وَخَابَ الرَّجَاءُ

لَا أُرِيْدُ الحَيَاةَ ، لَيْسَتْ حَيَاتِي
ـ بَعْدَ فَقْدِ الحَبِيْبِ ـ إِلَّاهَبَاءُ

* * *

إلى أن يقول :

إِدْفِنُوْنِي حَيًّا وَقُوْلُوْا : هُنَا (تَوْ
بَةُ) بَلْ (عُرْوَةٌ) بَلِ (القَيْسَانِ)(١)
وَدَعُوْنِي (لِمُنْكَرٍ) وَ (نَكِيْرٍ)
سَوْفَ يَرْضَى جَوَابِيَ (المَلَكَانِ)

* * *

إِدْفِنُوْنِي حَيًّا فَلَيْسَ يَذُوْقُ النَّـ
ـارَ مَنْ ذَاقَ فِي هَوَاهُ النَّارَا

إِدْفِنُوْنِي حَيًّا فَلَيْسَ يَهَابُ الـ
مَوْتَ مَنْ مَاتَ قَبْلَ ذَاكَ مِرَارَا

* * *

إِدْفِنُونِي حَيًّا وَقُوْلُوْا : دَفِيْنٌ
حَانَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَحِيْنَ وَفَاتُهْ(٢)

---

(١) توبه : صاحب ليلى الأخيلية ،وعروه : صاحب عفراء والقيسان : قيس ليلى العامريه وقيس لبنى .

(٢) حان : هلك

فَـدَحَ اليَأْسُ نَفْسَهُ ، وَأَخُو اليَـأْ
سِ سَوَاءٌ حَيَاتُـهُ وَمَمَـاتُهْ (١)

فالشاعر فى الأبيات السابقة يكرر جمله (ادفنونى حيا) ست مـرات، نلاحظها فى بدايه كل مقطع من مقاطع القصيده ، التى يصور فيها حاله حين خانه التجلد وغلبت عليه الفجيعة - إثر فراق محبوبته - ويبلغ الشاعر ذروة اليأس والألم من جراء ذلك ، فيستعين بهذه الجملة التى يعبر فيها عن درجة تأثره وحالته النفسيه ومعاناته ،ويكررها مؤكدا تلك المعانى، والتكرار هنا قد إرتبط إرتباط جوهريا بالقصيدة .

أما تكرار الصيغ والأدوات عند الشاعر فإنها تشمل (الإستفهام و النداء وأدوات التشبيه فيكثر فى شعره تكرار صيغة الإستفهام فى القصيدة الواحده - دون تنويع فى الأداه - ومن ذلك قوله فى قصيده (على اطلال الشباب) (٢) :

لَيْتَ شِعْـرِى مَا الزَّهْـرُ مَا النَّوْرُ مَا الأُسْـ
ـمَارُ فِى ظِلِّ لَيْلَـةٍ قَمَرِيَّـهْ (٣) ؟

مَا الهَوَى ، مَا الهَوَاءُ مَا الشَّفَقُ القَـا
نِـئُ ،مَا الوَرْدُ فِى الخُدُوْدِ الفَتِيَّهْ؟

---

(١) فدحه : أثقله وبهظه .

(٢) ديوان ترانيم الليل ص ١٩٤ - ١٩٥ .

(٣) النور بفتح النون : الزهر الابيض .

إلـــى أن يقـــول :

مَا الصِّبَـا ، مَا الجَمَـالُ ، مَا الوَجْدُ ، مَا الشَّبْـ
ـرِيْـحُ تُذْكِيْـــهِ صَبْوَةٌ عُذْرِيَّـــةْ

مَا المَهَـا ، مَا الظِّبَـاءُ ، مَا اللُّؤْلُـؤُ المَنْـ
ـثُوْرُ فَوْقَ الشَّوَاطِـــئِ السُّحْرِيَّـــةْ

مَا الثُّغُوْرُ الوِضَـاءُ ، مَا الشَّعْرُ كَالشَّبْـ
ـرِ فِرِنْدًا مَا الأَعْيُنُ البَابِلِيَّـــةْ (١)

مَا العِنَاقُ الشَّهِيُّ ، مَا نَشْـــوَةُ القُـــبْ
ـلَةِ مِنْ كَاعِـــبٍ رَشُـوْفٍ صَبِيَّـــةْ؟ (٢)

حَدِّثُونِـي عَنْهَا فَقَدْ طَـالَ عَهْـــدِي
بِالمَرَائِـــي المَجْنُوْنَـةِ العَبْقَرِيَّـــهِ

بِتُّ أَدْرِي بِأَنَّنِـي لَسْـــتُ أَدْرِي
أَنَّ لِلعَيْـــشِ قِيْمَةً ، أَوْ مَزِيَّـــهِ

ففى هذه الأبيات يعمد الشاعر إلى تكرار أداة الإستفهام (ما) ليتذكر أيام العبا التى يتمنى أن تعود بعد أن تقدم به العمر ، ويشعرنا هـــذا التكرار بالحسرة والألم الذى يتجسد فى نفس الشاعر وهو يتساءل عن تلـــك الأمور التى طال عهده بها .

---

(١) فرند كل شئ : بريقه ولمعانه، والأعين البابليه : منسوبه إلى بابـــل موطن السحر والخمر .

(٢) الرشوف : كصبور المرأة الطيبه الفم .

وينوع الشاعر فى إستخدامه لأساليب الإستفهام عندما يخرجها من المعنى الأصلى وهو (الإستخبار) إلى معانى أخرى كالتعجب والإنكار والتوبيخ وغيرها،مبقيا على التكرار الذى يزيد من تأكيد المعانى التى قصد إليها . ومن ذلك قوله فى قصيده (مجلس الخوف لامجلس الأمن)(١)

تَجَمَّعْتُمُو مِنْ كُلِّ جِنْسٍ وَأُمَّةٍ
وَلَوْنٍ ،لِحِفْظِ السِّلْمِ ! هَلْ حُفِظَ السِّلْمُ
وَهَلْ رَفَعَ الحَقُّ الذَّلِيلُ جَبِيْنَهُ؟
وَهَلْ نَحْنُ بِتْنَا لاَ يُرَوِّعُنَا الظُّلْمُ؟
وَإِلاَّ فَمَا بَالُ الشآمُ دِمَاؤُهُ
تَسِيْلُ ؟ وَأَنْتُمْ عَنْ مَنَاحَتِهِ صُمُّ

وفى هذه الأبيات يكرر الشاعر الإستفهام الذى قصد منه التعجب من تلك المفارقات العجيبه ، ففى الوقت الذى كان فيه مندوبو خمسين دولة مجتمعين فى (سان فرنسيسكو) بأمريكا للنظر فى الوسائل التى تكفل الأمن الدولى وتكف عادية المعتدى ، كان الجنرال الفرنسى (اوليفاروجيه) يقذف عاصمة الأمويين (دمشق) بوابل من القنابل تدك أحياءها على أحيائها بلا شفقه ولا رحمة ، وهنا يكرر الشاعر تساؤله متعجبا من تلك الحال ، وقد إستطاع بذلك أن يحقق الإنسجام الفنى بين شكل القصيده ومضمونها .

---

(١) ديوان اغاريد السحر ص ٢٠٠

وقولـــه فى قصيـــدة (الزوج النـذل) (١) :

وَإِذَا الفَتَى غَامَـــتْ سَرِيْرَتُـــهُ
عَادَى الرَّشَـادَ، وَصَادَقَ الجَهْـــلاَ

وَأَتَى المَخَازِيَ غَيْرَ مُكْتَـــــرِثٍ
لاَيَتَّقِي التَّأْنِيْبَ وَالعَـــــذْلاَ

آأَمِنْتَ دُنْيَـــا لاَتَقِرُّ عَلَـــى
حَـالٍ ! بِكُلِّ عَجِيْبَـــةٍ حُبْلَـــى

آأَمِنْتَ دَهْـــرًا فى تَصَرُّفِـــهِ
يَضَعُ الوَلِـيَّ ، وَيَرْفَعُ المَوْلَـــى (٢)

آأَمِنْتَ أَنْ تُمْسِى حَلِيْفَ ضَنَـــى
وَتَعُوْدَ فِىرَهْوِ الصِّبَـا كَهْـــلاَ

آأَمِنْتَ أَنْ تَغْدُو أُخَامِـــمَ
وَالنُّـوْرُ مِنْ عَيْنَيْكَ قَـدْ وَلَّـى

آأَمِنْتَ بَيْنَ عَشِيَّـــةٍ وَضُحَـــى
أَنْ يُوْدِعُوْا أَجْلاَدَكَ الرَّمْـــلاَ (٣)

فالشاعر فى الأبيات السابقة يستنكر موقف الزوج ـ النذل ـ الـــذى طلق زوجته بسبب إصابتها بالعمى ، فيظهر إنفعاله من ذلك التصرف الشائـــن عندما يكرر همزة الإستفهام التى يوبخ فيها الزوج وينكرفعله .

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص ١٣٢ .
(٢) الولى : السيد ، والمولى هنا : المسود .
(٣) الأجلاد : جسم الإنسان ، أو جماعة شخصه .

ومن الصيغ التى يكثر تكرارها فى شعر الجندى تكرار النداء ،ونجد ذلك مبثوثا فى كثير من فنون شعره ، والنداء عنده لايقتضى تلبية لأنه يخرجه من معناه الأصلى إلى معانى أخرى كالتفجع فى قوله من قصيدة (فقيد الضاد) :[1]

يَا (أَبَانَا) - وَالمَعَالِى نَسَبٌ
أَيْنَ مَثْوَاكَ ؟ فَقَدْ طَالَ الغِيَابْ

يَا (أَبَانَا) هَلْ نُرَجِّى عَوْدَةً
لَكَ فِينَا ؟ مَالِمَنْ مَاتَ إِيَابْ !

فهو هنا يكرر النداء دون تنويع إسم المنادى ، متوجعا من فراق صديقه الراحل ، كما نلاحظ فى هذين البيتين إقتران الإستفهام بالنداء، لِبَثّ مزيد من الأسى واللوعه التى يعبر بها الشاعر عن نفسه .

ويناجى الشاعر محبوبته مرددا أداة النداء فى قوله من قصيدة (إلى صاحبة المعطف الأحمر)[2] :

يَاصَفِيًّا عَلَى الكِبَرْ رَدِّلِى رَوْنَقَ الصِّغَرْ
يَاصَبَاحًا إِذَا سَفَرْ وَقَطَاةً إِذا خَطَرْ

إلى أن يقول :

يَاجَزَاءً لِمَنْ صَبَرْ وَنَعِيمًا لِمَنْ شَكَرْ
يَامُنَى كُلّ مَنْ شَعَرْ وَهَوَى كُلّ مَنْ نَظَرْ

---

(١) ديوان الحان الاصيل ص ١٥١
(٢) ديوان فى ظلال القمر ص ٣٧٥ - ٣٧٦

ونستمع إلى معنى التمجيد الذى يقصد إليه الشاعر بتكرار أداه النداء عند مناجاته لصديقه الذى يرثيه فى قصيدة (الأديب الكامل) قائلا : (١)

يَابَدِيْعَ الزَّمَانِ فِى صَنْعَةِ الأَفْـــوَا
فِ وَالوَشْـــيِ ، يابَدِيْعَ الزَّمَـــانِ
يَاعَقِيْدًا "لِبَعْفَرَ" فِـى المَبَانِـــى
يَا أَخًا لِابْنِ يُوْسُفَ فِى المَعَانِـــى
يَارَسِيْلَ الصَّابِى تَرَسَّلَ فَانْحَـــــا
زَتْ إِلَى فَنِّهِ فُنُـوْنُ البَيَـــانِ
يَامُحِيْلَ الطُّرُوْسِ رَوْضًا أَرِيْضًـــــا
ضَاحِـكَ الزَّهْـرِ ، رَاقِصَ الأُغْنَـانِ
يَاشُجَاعَ الآرَاءِ مَاضَـرَّ لَوْ عِشْـــتَ
وَغَـــالَ الحِمَامُ كُلَّ جَبَـــانِ

وكذلك نجده يكرر أداه التشبيه والمشبه به من أجل التوسع فى الوصف، وذلك حينما يكون للمشبه جوانب عده تستدعى ماينا سبها من المشبه به، فيكرر أداه التشبيه وطرفيه كقوله فى وصف القرآن الكريم (٢) :

كَأَنَّهُ الرَّوْضُ لاتَنْفَكُّ جِدَّتُـــهُ يَبْهَى عَلَى العَيْنِ مِنْهَا الوَشْيُ وَالحِبَرُ
كَأَنَّهُ الشَّمْسُ لاتَفْنَى أَشِعَّتُهَـا مَدَى القُرُوْنِ ، وَلاتَبْلَى لَهَـا صُـوَرُ
كَأَنَّهُ القَمَرُ المَرْمُوْقُ مَنْظَرُهُ لِكُلِّ يَوْمٍ جَمَالٌ فِيْـهِ مُدَّخَـــرُ

---

(١) ديوان فى ظلال القمر ص ٢١٥ .

(٢) ديوان أغاريد السحر لعلى الجندى ص ٤٥

وهذا النوع من التكرار كثيرا مانجده فى الشعر القديم كقول المتنبى يمدح على بن منصور الحاجب(١) :

كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ الْتَفَتَّ رَأَيْتَهُ
يُهْدِى إِلى عَيْنَيْكَ نُوْرًا ثَاقِبَا
كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيْبِ جَوَاهِرًا
جُوْدًا وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيْدِ سَحَائِبَا
كَالشَّمْسِ فِى كَبِدِ السَّمَاءِ وَضَوْءُهَا
يَغْشَى البِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبَا

وكذلك يكثر إستخدام هذا التكرار فى الشعر الحديث كقول شوقى فى أهرام مصر(٢) :

كَأَنَّ أَهْرَامَ مِصْرٍ حَائِطٌ نَهَضَتْ
بِهِ يَدُ الدَّهْرِ لَابُنْيَانٌ فَانِيْنَا
كَأَنَّهَا وَرِمَالاً حَوْلَهَا الْتَطَمَتْ
سَفِيْنَةٌ غَرِقَتْ إِلاَّ أَسَاطِيْنَا
كَأَنَّهَا تَحْتَ لَأْلَاءِ الضُّحَى ذَهَبًا
كُنُوْزُ (فِرْعَوْنَ) غَطَّيْنَ المَوَازِيْنَا

---

(١) ديوان المتنبى ص ١٣٠ بشرح العكبرى حـ١ .

(٢) الشوقيات حـ٢ ص ١٠٧ .

وقبل أن أختم حديثى عن التكرار ، أشير إلى بعض الصيغ التى تلزم (شاعرنا) فيكررها فى قصائد مختلفه ، ومن ذلك: إدخال (ها التنبيه) على الضمير المنفصل ، الذى ليس مُخبرًا عنه بإسم إشاره فيقول فى قصيدة (أبو الأشبال)(١) :

هَاهُوَ اليَوْمَ بَعْدَ خَمْسِيْنَ عَامًا
يَنْثُرُ الْحُبَّ فِى ثَرَاكَ وُرُوْدَا

ويقول فى قصيده (النفخ فى الصور)(٢) :

هُمُ خَدَعُوْنَا بِالْوُعُوْدِ وَهَاهُمُ
لَكُمْ أَظْهَرُوْا مَا أَبْطَنُوْهُ مِنَ الغَدْرِ

ويقول فى قصيدة (عندما يثور الكريم)(٣) :

وَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا (كَابْنِ وَرْقَاءَ) وَادِعًا
وَهَأَنَا فِى بُرْدَىَّ يَكْمُنُ (ضَيْغَمُ)(٤)

ويحكم النحاة بشذوذ أمثال هذه التراكيب .

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ١١٩.
(٢) ديوان أغاريد السحر ص ١٤٠ .
(٣) ديوان أغاريد السحر ص ٢١٦.
(٤) إبن ورقاء : فرخ الحمام .

٢ - الجنـــــاس :

وهو أحد المحسنات اللفظيه - البديعيه - التى إنبثت فى شعـــــر (الجنـــدى)،ومن خلاله يحاول الشاعر إيجاد نوع من الموسيقى والترديـــد النغمى بين الألفاظ ، ويأتـى الجناس فى شعره على صور متعدده:ففى بعـــض الأحيان تتجاور الكلمات التى وقع فيها الجناس ، فيتتابع الإيقاع النغمـى الذى يزيد من عذوبة موسيقى الأبيات كما فى قوله من قصيدة (ذات المنظـار الأســـود)[1] :

لَايَحْجُـــبِ السِّحْرَ مِنْ عَيْنَيْكِ (مِنْظَـــارُ)
إِنِّـى إِلَيْكِ - عَلَى المِنْظَارِ - نَظَّـارُ

فقد جانـس بين (المنظار) و (نظار) فى الشطر الثانى من البيـــت، وقوله من قصيدة (مأتـم العروبه والإسلام)[2]

دَعُـــوْا (التَّعْـــشَ) لَاتَحْمِلُوْهُ عَلَـــــى
سَرَاةِ الخِضَمِّ[3]، وَمَتْنِ الهَـــــــوَاءِ

(فَجِبْرِيْـــلُ) أَدْرَى بِهِ مِنْكُمُـــــــوْ
وَأَوْلَى بِحَمْلِ السَّنَـــا وَالسَّنَـــاءِ[4]

---

(١) ديوان ألحان الأصيل ص ٢٠٧.
(٢) نفسه ص ١٣٤.
(٣) سراه الخضم : أعلاه أو وسطه.
(٤) السناء : الرفعه ،والسنا: الضوء.

والكلمات التى حصل بينها الجناس متجاورة فى الشطر الثانى من البيت الثانى فى قوله: (السنـــا) و (السنـــاء) .

ونلاحظ ذلك فى قوله من قصيدة (إلى صديقى النشال الظريف) [1]:

فَتَنَـالُ مَاتَبْغِى بِلاَ تَعَـــبٍ وَتَعُوْدُ بَيْنَ البِشْـرِ وَالبُشْرَى

فقد جانس بين الكلمتين المتجاورتين فى الشطر الثانى وهى (البشر و (البشرى)، وقوله من قصيدة (مجلس الخوف لامجلس الأمن) [2]:

أَرَى الـدُّوَلَ الكُبْرَى لَهَا الغُنْمُ وَحْدَهَا
وَقَدْ عَادَتِ الصُّغْرَى عَلَى رَأْسِهَا الغُـرْمُ
يُخَيَّلُ لِى أَنَّ (الوُفُـوْدَ) تَفَرَّقَـــتْ
وَلَمْ يَنْدَمِلْ - مِنْ طَيِّبِ الْكَلِمِ - الكَلْمُ[3]

فقد جانس بين الكلمتين المتجاورتين فى الشطر الأخير من البيت الثانـى وهى (الكَلِم) و (الكَلْم) .

ونلاحظ الجناس الناقص (غير التام) وهو ما اختلف فيه اللفظان فـــى نوع الحروف أو عددها أو ترتيبها فى مثل قوله من قصيدة (إستجداءُ الوِصَال)[4]

فَمَازَالَ طَرْفِى فِى جَمَالِكِ يَسْرَحُ وَنَارُ الجَوَى بَيْنَ الجَوَانِحِ تَقْدَحُ

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص ١٤٣.
(٢) ديوان أغاريد السحر ص ٢٠١ .
(٣) الكلم بفتح وسكون: الجرح .
(٤) ديوان فى ظلال القمر ص ٢٥٥.

وقولـــه فى قصيدة (فلق الصبـــاح)[1] :

إِمْدَحْهُ ، أَوْ فَاحْمَدْهُ ، لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ
حَرَجٍ فَإِنَّ الحَمْدَ مِنْ أَسْمَائِـــهِ[2]

وقولـــه فى قصيدة (شهيد العروبـه)[3] :

والأَبِـيُّ الحُرُّ لَايَثْنِيهِ وَعْدٌ أَوْ وَعِيْـــدْ

وقولـــه فى قصيـدة (أبى الأشبـــال)[4] :

أَيُّهَـا النِّيْلُ تِهْ بِعَرْشٍ (عَلـــيٍّ
ذَاكِرًا عَهْدَهُ الأَغَرَّ المَجِيْـــدَا[5]
مَنْ أَصَارَ التُّرَابَ تِبْرًا نَفِيْـــسًا
وَأَحَالَ اليَبَابَ رَوْضًـــا مَجُوْدَا

فالجناس فيما تقدم - بالترتيب - واضح بين (الجَوَى والجَوَائِح) وبيـن (إمدحه وأحمده) وبين (وَعْدٌ ووَعِيْد) وبين (تُرَابٌ وتِبْر). وأحيانـــا يجانس الشاعر بين عروض البيت وضربه ، وهذا من مظاهر إهتمامه بالإيقـــاع

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٤٧ .
(٢) إشاره الى إسم الرسول صلى الله عليه وسلم (محمد) .
(٣) ديوان ترانيم الليل ص ٩٥ .
(٤) أغاريد السحر ص ١٢٤ .
(٥) علىٍّ : يقصد محمد على باشا الكبير .

النغمى، الذى يوجد شيئا من التناسق والتوازن فى البيت، وتتجلى تلك الموافقة النغميه التى يعمد إليها الشاعر من خلال المجانسه بين عروض البيت وضربه فى مثل قوله من قصيدة (تبرم بالحب) :(١)

حَتَّامَ فِى حُبِّ (الرَّبَابْ)
تَهْمِى دُمُوْعُكَ كَالرَّبَابْ ؟(٢)

وقوله من قصيدة (السائقات الفاتنات) :(٣)

(رِضْوَانُ) مُوْحٍ لَهُ وَجَنَّتُهُ
وَغَيْرُهُ عَبْقَرٌ وَجِنَّتُهُ

وقوله من قصيدة (السادات فى موت أبيه) :(٤)

إِنَّ مَنْ أَنْجَبَ أَنْوَرْ
مِنْ نُجُوْمِ الأُفْقِ أَنْوَرْ

فالجناس واضح بين (الرباب ، والرباب) وبين (جَنَّتُهُ ، وَجِنَّتِهِ) وبين (أنور ، وأنور) .

---

(١) ديوان فى ظلال القمر ص ٢٦٦ .

(٢) الرباب الأولى : إسم المحبوبه ، والثانيه : السحاب الأبيض .

(٣) ديوان ترانيم الليل ص ١٥٩ .

(٤) ديوان فى ظلال القمر ص ٢٣٩ .

٣ - السجـــع :

وهـو(أن تتواطأ الفواصل فى حرف الروي ، أو فى الوزن ، أو فـــى مجموعهمـا)[١]

ويأتـى السجع فى الفاظ الجندى دونما تكلف أو تعمد ، وإنما علـــى السجيه التى تبعد كل البعد عن التكلف والتنميق اللفظى .

وعن طريق السجع يحاول الشاعر توفير جوٍ إيقاعى متوافق ، تستعذبـه الأذن ، ويزيدُ من سلاسة الأبيات ومرونتها .

وفى شعر (الجِنـدى) نماذج كثيرة لهذه الظاهره ،أشير إلى بعضهـا فى مثل قوله منقصيدته (نصيبى من الجمال)[٢] :

وَلَسْتُ الثَّقِيْـلَ ، وَلاَ المُسْتَطِيْـلَ
عَلَى الصَّحْـبِ بَيْنَ ذَوَاتِ الـدَّلاَلْ

فَفى البيت " سجع " بين " الثقيل والمستطيل " حيث ترددت (اليـاء واللام) فيهمـا .

وقولـه فى قصيدة (شهداء المعلمـين)[٣] :

مَاجَازَ سِنَّ العِشَـا ، وَالْوَجْهُ مُكْتَهِـلٌ
وَالرَّأْسُ مُشْتَمِلٌ بِالشَّيْبِ مُشْتَعِـلُ

---

(١) أنظر(فن الأسجاع لعلى الجندى) جـ١ ص ٣٢ ،أنظر(علوم البلاغة العربيـه) لأحمد مصطفى المراغى ص ٣٧٢ .
(٢) ديوان ألحان الأصيل ص ٣١٢ .
(٣) ديوان أغاريد السحر ص ٢٤٠ .

فإتفاق الحرف الأخير فى الكلمات(مُكْتَهِلٌ ومُشْتَمِلٌ ومُشْتَعِلٌ) إضافة إلى إتفاقها فى الوزن قد أوجد فى البيت نوعا من الموسيقى العذبة التى نلمسها فى الترديد النغمى لهذه الكلمات .

ومن أمثله السجع أيضا قوله من قصيدة (ضَرْس العقل) :(١)

وَاليَوْمَ بِتُّ مُشَتَّتَ الأَفْكَارِ فِيْهِ مُشَرَّدَا
مُتَقَلْقِلاً ، مُتَزَلْزِلاً مُتَمَلْمِلاً ، مُتَلَدِّدَا(٢)

ونلاحظه فى قوله (متقلقلا ، ومتزلزلا ، ومتململا)

وقوله من قصيدة (عرائس البحر) :(٣)

وَإِذَا الرِّمَالُ مَفَاتِنٌ ، وَمَبَاهِجٌ
وَصَبَاحَةٌ،وَصِبًا أَغَرُّ غَرِيْرُ

وَرَفَارِفٌ ، وَزَخَارِفٌ ، وَمَجَاسِدٌ
وَقَلَائِدٌ ، وَحَبَائِرٌ ،وَعَبِيْرُ(٤)

حيث تردَّد الوزن وترددّت (الألف والراء والفاء) فى كل من (رفارف ، وزخارف)

وكذلك تردد الوزن وترددت (الدال) فى كل من (مجاسد وقلائد). وساعد هذا الترديد على تتابع الإيقاع وإيجاد تناسق وتوازن فى البيت .

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص ٢٢٤.

(٢) المتلدد : المتحير.
(٣) ديوان ترانيم الليل ص ١٧٢.
(٣) الرفارف : الوسائد والبسط ،والرقيق من ثياب الديباج،والمجاسد: ثياب مصبوغه بالزعفران والحبائر : ضرب من برود اليمن .

وقولـــه من قصيده (حورية التلفزيـــون) : (١)

وَصَـوْتٌ خَفِيْضٌ بِهِ بُحَّـــــــةٌ كَأَنَّهُ مُثْخَنَـــــةٍ بِالجِـرَاحْ
يُمِيْتُ أَسَانَا ، وَيُحْيِى هَوَانَـــا وَيَسْكُبُ فِى الأُذْنِ فَيْضَ ارْتِيَاحْ
لَهَا عَاشِقُوْنَ ، بِهَا مُعْجَبُـوْنَ وَلَيْسَ عَلَى مُعْجَبٍ مِنْ جُنَـــاحْ

فالسجع فى قوله (أسانا ، وهوانـــا) وقوله (لها وبها ، وعاشقـــــون ومعجبون) وقد أوجد ذلك الترديد تجانسا وتآلفا بين ألفاظ الأبيـــــات، إضافة إلى التوافق النغمى الذى أحدثه السجع بين الكلمات وماكان ذلـــك ليتأتى للشاعر إلا لأنّه بعيد عن التكلف ، فالسجع كما نلاحظ فـــــى هذه الأمثله يأتى على لسان الشاعر عفو الخاطر دونما قصد،فيزيـــــد من جمال الإيقاع الصوتى والائتلاف الموسيقى بين الكلمات.وقريب من ذلـــك إهتمام (الجندى) بالإيقاع والتوافق النغمى بين عروض البيت وضربـــه، وهو مايسمى (بالتصريع) الذى قيل فى تعريفه (جعلُ العروضِ مُقَفَّـــاة تقفية الضرب) (٢)

ويتحدث الجندى عن التصريع فيقول : (التصريع ضرب من الموازنـــة والتعادل بين (العروض) و (الضرب) يتولد منهما جرس موسيقى رخيـــم مطـــرب)(٣) ويصفه بأنه (أشبه مايكون بمقدمة موسيقيه خفيفه قصيـــره، تلهب إحساسنا ، وتهيئنا لإستماع القصيده فى لذة غامره)(٤).

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص ٢٧٢ - ٢٧٣.
(٢) أنظر الإيضاح فى علوم البلاغة للإمام الخطيب القزوينى ج ٢ ص ٥٥١.
(٣) فن الأسجاع لعلى الجندى ج٢ ص ٧٩.
(٤) المرجع نفسه ص ٧٩.

وتتجلى تلك الموافقات النغميه بين عروض البيت وضربه فى كثير من مطالع القصائد التى جاء فيها التصريع - عند شاعرنا - محققاً للتناسق والتوازن فى البيت ؛ ونلمح ذلك فى مثل قوله من مطلع قصيدة (ربيع الحب فى ربيع الحياة) :(١)

يَارَبِيْعَ الحُبِّ ،وَالدُّنْيَا رَبِيْعْ
وَالصِّبَا فِى المَهْدِ ،وَالدَّهْرُ رَضِيْعْ

وقوله فى مطلع قصيده (عميد الأهرام) :(٢)

الحُزْنُ حَلَّ عَلَيْكَ وَهْوَ حَرَامُ
فَالْعَيْنُ دَمْعٌ ، وَالْفُؤَادُ ضِرَامُ

وقوله فى مطلع قصيده (جبل طارق) :(٣)

" عَلَمٌ " تَسَامَى غَارِبًا وَسَنَامَا
تَزْهُوْ الكَوَاكِبُ فَوْقَهُ أَعْلَامَا(٤)

وقوله فى مطلع قصيدة (سبت اللقاء) :(٥)

" السَّبْتُ " عِيْدٌ لأَنِّى فِيْهِ الْقَاكِ
لاَتَحْرِمِى العَيْنَ يَوْمَ السَّبْتِ مَرْآكِ

---

(١) ديوان ترانيم الليل للجندى ص ٢١٨.
(٢) ديوان ألحان الأميل للجندى ص ١٧٩.
(٣) ديوان أغاريد السحر ص ٨٢.
(٤) العَلَمْ : الجبل ،والسنام فى الأصل : واحد أسنمة الأبل ، والغارب : مابين السنام إلى العنق .
(٥) اغاريد السحر للجندى ص ٣٠٧.

وقوله فى مطلع قصيدة (لعبه بيديه)[1]

السِّحْرُ مَوْقُوْفٌ عَلَى جَفْنَيْهِ
والوَرْدُ مَنْسُوْبٌ إِلَى خَدَّيْهِ

فالتصريع واضح فى الأبيات السالفة الذكر بين (ربيعْ ورضيعْ) وبين (حَرَام وضِرَام) وبين (سناما وأعلاما) وبين (القاك ومرآك) وبين(جفنيه وخديه)

والمتأمل فى شعر (الجندى) يلاحظ ميله إلى التصريع فى أوائل القصائد دون أن يأتى به فى وسطها، فيقتصر التصريع عنده على البيت الأول من القصيده ، ولايكرره بعد ذلك وقد تنبه الشاعر لذلك فى شعره، ونراه يَحكُم بقبح موالاة التصريع فى القصيده ، أو تكراره - كثيرا - فى أثنائها، ويعلل لذلك بقوله : (بأن الأذن العرهفه لاتحتمل هذه الموجات المتتابعه المتشابهه ، اللهم إلاّ أن يكون البحر هو الرجز ،فإن ذلك مستساغ فيه)[2] فالشاعر يدرك تماما قيمة هذه الأساليب،وتأثيرها على أذن المتلقي ، كما أنه يُحْسِن إستخدامها فى المكان المناسب .

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص ٢٤٩ .

(٢) من الأسجاع لعلى الجندى حـ ٢ ص ٨٨ .

٤ - المراجعة (الحوار) :

وهو(أن يحكى المتكلم مراجعة فى القول،ومحاورة بينه وبين غيره)(١). ولهذا الأسلوب قيمة فنية بالغة الأثر فى النص الشعرى ،فالأديب عندما يُديْرُ حوارا بينه وبين من يرتضى من الشخصيات - فى قصيدته الشعرية - كالحبيبة مثلا يتمكن من الإرتقاء بالأحداث والبعد بها عن التقريرية والمباشرة ، فيخفف من حدتها من ناحية ، ويتمكن من إضفاء الحركة والحيوية والنشاط على تلك الأحداث من ناحية أخرى .

ويكثر أسلوب الحوار فى شعر (على الجندى) وغالبا مايدور بينه وبين بعض الشخصيات ، التى يصورها فى شعره كشخصية المحبوبه التى يَكْثُرُ حواره معها،ونستمع إلى ذلك الأسلوب فى قوله من قصيدة (قارئه الفنجان الحسناء)(٢) التى أقتطف منها هذه الأبيات :

لَيْسَ بَخْتِى بِالَّذِى أَجْهَلُهُ
إِنَّ بَخْتِى لَيْسَ بِالْبَخْتِ السَّعِيْدْ
ذَاكَ حَظِّى لَمْ يَزَلْ يَصْحَبُنِى
مُنْذُ قَالُوْا : زَيَّنَ المَهْدَ وَلِيْدْ
لَاتَزِيْدِيْنِى بِهِ عِلْمًا ،فَمَا
خَبَرَ الأَشْوَاقَ كَالصَّبِ العَمِيْدْ(٣)
فَأَجَابَتْ شَاعِرٌ مُنْطَلِقٌ
بِالخَيَالَاتِ إِلَى الأُفْقِ البَعِيْدْ

(١) أنظر تحرير التحبير لإبن أبى الإصبع ص ٥٩٠ .
(٢) ديوان ترانيم الليل لعلى الجندى ص ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ .
(٣) العميد : الذى هدّه العشق والمرض .

لَكَ فِى الفِتْيَانِ نَهْجٌ لاَحِبٌ
مِنْهُ تَرْقَى لِلْمَعَالِى وَتَسُودْ(١)

إلى أن يقول :

ثُمَّ مَاذَا بَعْدَ ذَا ؟ وَاخْتَنَقَتْ
كَلِمَاتٌ خِلْتُهَا تَرْجِيعَ عُودْ
وَسَرَى فِى وَجْنَتَيْهَا خَفَرٌ
أَلْهَبَتْ وَقْدَتُهُ وَرْدَ الخُدُودْ
وَرَمَتْ وَجْهِى بِطَرْفٍ فَاتِرٍ
أَوْطَفِ الأَهْدَابِ ، لِلصَّيْدِ صَيُودْ(٢)
ثُمَّ رَاحَتْ فِى شُرُودٍ فَاتِنٍ
لَيْتَ شِعْرِى مَا الَّذِى يَعْنِى الشُّرُودْ
قُلْتُ : يَاحَسْنَاءُ ، بِالْحُسْنِ الَّذِى
لَيْسَ فِيهِ لَكِ مِثْلٌ أَوْ نَدِيدْ
نَبِّئِينِى بِالَّذِى أَضْمَرْتِهِ
فَإِلَيْهِ هَزَّنِى الشَّوْقُ الشَّدِيدْ
فَتَفَرَّى ثَغْرُهَا عَنْ بَسْمَةٍ
كَشَفَتْ سِمْطَيْنِ مِنْ دُرٍّ نَضِيدْ(٣)
وَأَجَابَتْ : ظَبْيَةٌ سَانِحَةٌ
تُلْهِمُ الشَّاعِرَ مَعْسُولَ القَصِيدْ
تَبْتَغِى الحُبَّ نَقِيًّا طَاهِرًا
لَيْسَ مِنْ وَعْدٍ بِهِ أَوْ مِنْ وَعِيدْ

---

(١) لاحب : واضح .
(٢) الأوطف : طويل الأهداب .
(٣) تفرى : بوزن تجلى : إنفتح وإنشق .

هُوَ شَيْءٌ لَسْتُ أَدْرِي وَصْفَـــــهُ
غَيْرَ قَوْلِـــي : إِنَّهُ حُـــبٌّ فَرِيْـدْ
فَقُلِ : الحَـقَّ وَصَارِحْنِـي بِـهِ
هَلْ تُرِيْدُ الحُبَّ ؟ قُلْ : إِنِّي أُرِيْـدْ
قُلْتُ : لَيْتَـي أَنْتِ تُعْفِيْنِي الهَوَى
وَأَنَا فَيْسُـكِ وَاللّٰـهُ شَهِيْـــدْ

ففى هذه الأبيات يسجل الشاعر مادار بينه وبين محبوبته - قارئـــه الفنجان - بأسلوب الحوار ، الذى يصل من خلاله إلى المعانى بطريقه تقطـع الملل ، وتوقظ الإحساس ، وتدعو إلى الإثاره ، كما يمتاز حواره هنـــا بدقة الوصف الذى تمثله الأبيات من السادس إلى التاسع ونلمحه فى البيـــت الثانى عشر كما نلمح تمكن الشاعر من بعث الحركه والنشاط فى هذه الأبيـات التي تحكى البوح بالحب .

وقد يطول الحوار بين الشاعر وبين الشخصية التى يحاورها ،فيـــلازم القصيدة من أولها إلى آخرها وفق ترتيب منظم ، يتجاذب فيه الطرفـــان أطراف الحديث .

وهذا مانجده فى قصيدة الشاعر « كعك العيد » التى تجاوز الحوار فيها الأربعين بيتا حول كعك العيد بين شاعر رقيق الحال وزوجه التى تُصر علـى صنع الكعك ، مستنجدة بدموعها وكلامها المعسول ، حتى تم لها الإنتصـــار -كما عودتنا حواء - رغم ضيق العيش الذى يمر به الشاعر،ويستغل الشاعـر هذا الحوار فى تقديم النصح والإرشاد بطريق غير مباشر نلمحه فى كثيـــر من أجزاء القصيدة التى يستهلها بالحوار مع زوجته قائلا : (١)

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص ١٤٤ - ١٤٦ .

قَالَتِ : العِيْدُ قَدْ أَطَلَّ ، وَلِلْعِيْدِ
جَمَالٌ وَبَهْجَةٌ وَجَلَالُ

حَقُّهُ وَاجِبُ الأَدَاءِ ، وَمَاذَا
بَعْدَ حَقٍّ يَحِقُّ إِلاَّ الفَلَالُ

وَتَكَالِيْفُهُ ثِقَالٌ ، وَلَكِنْ
أَنْتَ (قُعْبٌ) بِمِثْلِهَا حَمَّالُ

وينتقل الحوار إليه فيقول بعد عدة أبيات (١) :

قُلْتُ : عَاشَتْ أُمُّ العِيَالِ ، وَنَالَتْ
كُلَّ مَاتَبْتَغِي ، وَعَاشَ العِيَالُ

وَحَمَى اللّٰهُ بَيْتَهَا وَرَعَى زَوْ
جًا مِنَ الرِّزْقِ حَظُّهُ الإِقْلَالُ

شَاعِرٌ كَنْزُهُ الخَيَالُ ، وَهَلْ يُجْدِي
عَلَى المَرْءِ فِي الحَيَاةِ الخَيَالُ

ويستمر بعد ذلك الحوار على لسانه إلى أن ينتقل إلى زوجته فيقول (٢) :

وَهُنَا اسْتَضْحَكَتْ وَقَالَتْ : سُؤَالٌ
لِي - تَجَلَّدْ - وَلاَيَرُعْكَ السُّؤَالُ

أَتُرَانَا فِي العِيْدِ نُغْفِلُ صُنْعَ الكَعْكِ
يَالَلْهَوَانِ ، هَذَا مُحَالُ

---

(١) السابق نفسه .

(٢) السابق نفسه ص ١٤٥ .

إِنَّهُ لِلْبُيُوْتِ مَظْهَـــرُ إِثْـــرَاءٍ
وَلِلْعِيْـدِ زِيْنَـــةٌ ، وَجَمَـــــالُ

وَنُبَاهِي بِهِ الأَقَـارِبَ وَالجِيْـــــ
ـرَانَ إِنْ هُمْ بِهِ عَلَيْنَا اسْتَطَالُـوا
وَبِهِ فَخْرُنَا عَلَى أَغْنِيَـاءِ الحَـــيِّ
وَالْفَخْـرُ لِلْمُقِلِّ حَـــــلَالُ
لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا يَقُوْلُوْنَ عَنَّـــا
وَلَهُمْ أَلْسُنٌ حِدَادٌ طِـــــوَالُ
أَيَقُوْلُوْنَ : إِنَّنَا ـ حَـاشَ للّٰـهِ ـ
شَقِيْنَا ، وَسَاءَتِ الأَحْـــــوَالُ

وهنا ينتقل الحوار إليه ـ بعد أن إستمع إليها ـ فيستفله لنقد هـــذه الظاهره ، وإسداء النصح والإرشاد فيقول :(١)

قُلْـتُ : مَا الْكَعْبُ ـ إِنْ أَحَطْتِ بِهِ خُبْـرًا ـ
سِوَى مِحْنَةٍ تَهَـا أَذْيَـــــالُ
وَهْوَ فِي الحَقِّ ـ لَوْرَجَعْتِ إِلَى الحَـــقِّ ـ
سَقَـــامٌ تَدْنُوْ بِهِ الآجَـــــالُ
وَخَرَابُ البُيُوْتِ يُنْحِي بِهِ الفَقْـــــرُ
عَلَيْهَا وَالهَمُّ وَالأَوْجَـــــالُ
وَطَلاَقُ النِّسَاءِ ، كَمْ مِنْ زَوَاجٍ
كُنَّ عِيْدٍ تُبَتُّ مِنْهُ الحِبَـــــالُ

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص ١٤٥ .

كَيْفَ نَخْتَـــارُ أَنْ يُسَاوِرَنَا البُـؤْ
سُ وتَجْتَاحَنَا الدُّيُوْنُ الثِّقَـــالُ

ويستمر الحوار بينهما إلى نهاية القصيده ، ونلاحظ هنا قدرة الشاعـــر على الربط بين مقاطع القصيده بواسطة هذا الحوار الذى يدور بينـــه وبين زوجته،وقد ساعد ذلك على إمتداد الأبيات،وإبراز المعانـــى التى قصد إليها بطريقة تقطع الملل وتوقظ الإحساس وتدعو إلى الإثـــاره نظرا لمافيها من تشويق وحركة ونشاط .

وقد يدير الشاعر الحوار مع نفسه،وكثيرا مايتمثل ذلك فى حديثـــه مع قلبه ، وتطالعنا فى ذلك أبيات كثيرة فى قصائد مختلفه منها قولـــه فى قصيدة (القلب الجموح) :[1]

يَاوَيْحَ قَلْـــبٍ مُعَنَّـــــى
يَعْلَـــى تَبَارِيْحَ وَجْـــــدِ

إلى أن يقـــول :

كَمْ قُلْتُ : قَدْكَ غَرَامـــًا
وَخَلِّ عَنْهُ وَعَـــــدِّ[2]

فَثَارَ ثَـــوْرَةَ لَيْـــــثٍ
مِنْ أُسْدِ خَفَّـــــانَ - وَرْدِ[3]

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٢) قدك - بفتح القاف وإسكان الدال - حسبك.وعدِّ عنه : خل عنه .

(٣) خفان كحسان : مأسده مشهوره ، والورد : الأحمر .

وَقَالَ : لَسْتَ لِمِثْلِي كُفْئًا ، وَلَسْتَ بِنِدٍّ
قَدْ كُنْتُ أَوْلَى بِمَدْرٍ رَحْبٍ كَمَدْرِ (ابْنَ بُرْدِ) (١)

وقولـه فى قصيدة (أنْتِ أحْسَنُ فِى كُلِّ شىء)(٢)

قُلْتُ لِلْقَلْبِ كُنْ جَلِيْدًا عَلَى بُعْـ
ـدِكَ عَنْهُ ، فَقَالَ لِيَ الْقَلْبُ كَلاَّ
أَتَظُنُّ البُعَادَ عِنْدِيَ هَيْنًا
أَتَظُنُّ الفِرَاقَ عِنْدِيَ سَهْلاَ

وقولـه من قصيدة (بين العقل والقلب) (٣)

لِلّٰهِ قَلْبٌ مُعَنًّى تَعَدَّدَتْ بَلْوَاهُ
بَيْنَ الضُّلُوْعِ يُوَالِي خَفْقًا يَهُدُّ قِوَاهُ

إِذَا سَلَوْتُ حَبِيْبًا يَقُوْلُ : لاَ أَسْلاَهُ
وَمَنْ لَهُ بِالتَّسَلِّي وَالحُبُّ قَدْ أَعْمَاهُ ؟

وكثيرا ما نجد أسلوب الحوار يلازم شاعرنا فى قصائده ، وتتفاوت نسبة الحوار فيها، فقد يلازم القصيدة من أولها إلى آخرها على النحو الذى رأيناه فى قصيدة (قارئة الفنجان الحسناء) أو (كعك العيد) مثلا ، وقد يكون الحوار سريعا فلا يتجاوز البيت أو البيتين فى القصيده كما فى قوله من قصيدة (اللص المليح) : (٤)

---

(١) إبن برد : الشاعر المشهور بشار .
(٢) ديوان فى ظلال القمر ص ٢٧٢ — ٢٧٣ .
(٣) ديوان ألحان الأصيل ص ٢٩٠ .
(٤) ديوان فى ظلال القمر ص ٢٨٣ — ٢٨٤ .

أَسَارِقَةَ الْقُلُوْبِ سَرَقْتِ قَلْبِـــى
بَلَـى ، وَسَرَقْتِ بَعْدَ الْقَلْبِ رُوْحِـى
فَقَالَتْ : كَيْفَ أَسْرِقُ ذَا ادِّعَـــاءٍ
فَقُلْتُ : خُدِعْـتُ بِاللَّصِّ الْمَلِيْـــحِ

وقولـــه من قصيـدة (القلب الهابـط) : (١)

يَقُوْلُ النَّعَاسِيُّوْنَ قَلْبُكَ هَابِطٌ
فَرِفْقًا بِهِ إِنَّ الْمَنَايَا مِنَ الْقَلْـبِ
فَقُلْتُ حَمَاهُ اللّٰهُ مِمَّا وَصَفْتُـمُ
أَيَهْبِطُ قَلْبٌ لَيْسَ يَحْوِى سِوَى الْحُـــبِّ

وقولـــه من قصيدة (شهداء المعلميـــن) : (٢)

قَالُـوْا : هُوَ الأَجَلُ الْمَحْتُوْمُ ، قُلْتُ لَهُمْ
: لَوْ لَمْ تَخُنْهُ الْمُنَى مَاخَانَهُ الأَجَلُ
يَأْسٌ وَبُؤْسٌ يَفِيْضُ الْعُمْرُ بَيْنَهُمَـــا
كِلَاهُمَا شَرُّ مَايُمْنَى بِـهِ رَجُـــلُ

وقولـــه من قصيدة (البرق الخلـب) : (٣)

قَالُـوْا : تَمَلَّ الْحَظَّ ، قُلْتُ لَهُمْ
: مَهْلاً ، فَإِنَّ الْحَظَّ يَلْعَبُ بِـــىْ (٤)

---

(١) السابق نفسه ص ٢٦٨ .
(٢) ديوان أغاريد السحر ص ٢٣٩ .
(٣) ديوان أغاريد السحر ص ٢٦٢ .
(٤) تمل : تمتع .

مَازِلْتُ أَصْحَبُهُ عَلَى حَذَرٍ
مِثْلَ الصَّحِيحِ يَخَافُ ذَا الجَرَبِ

وفى هذه الأمثله نلاحظ الحوار السريع ، الذى يزيد من سرعة الإيقاع فى الأبيات فيبعث فيها الحركه والنشاط وتلك مقدرة فنيه يمتاز بها الأسلوب الحوارى عند الجندى .

٥- الحكم والامثال :

ومن السمات الأسلوبيه التى يتميز بها نتاج شاعرنا حرصه الدائم على أن يختم كثيرا من مقاطع قصائده بحكم خالدة أو أمثال سائرة أو عظة مؤثره ، ويمثل ذلك الخط الفنى الدائم لإنتاجه الوفير .

وعند ماينهى (الجندى) كل مقطع من مقاطع النص- الشعرى - بنظرة فاحصه عميقه تتمثل فى الحكمة الصادقة أو المثل السائر أو العظة من الموقف،فإنه يحاول بذلك إثارة النفس وتحريكها وبعثها على التأمل والتدبر، ونلمح هذه الخاصيه - التى تكاد لاتفارقه - فى كثير مما سقناه فى شواهد سابقه ، أضيف إليها هنا بعض الأبيات التى يتناول فيها ذلك .

فمن أمثاله وحكمه قوله من قصيدة (تحيه الثوره العربيه) (١) :

يَاقَوْمُ بَعْضَ وَعِيدِكُمْ ،فَمَتَى هَابَ الغَضَنْفَرُ صَوْلَةَ الهِرِّ
عَسْفُ الزَّمَانِ يَزِيدُنَا كَرَمًا كَالمِسْكِ نَفَّاحًا عَلَى الجَمْرِ

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٧٢ .

وقوله فى نهاية قصيدته (بين سعد وماكد ونالد) [١] :

سَيَزْهَقُ بَاطِلُ الأَقْوَامِ يَوْمـــــًا
وَيَعْلُو الحَقُّ ، إِنَّ الحَقَّ أَجْلَـــــى

وقوله من قصيدة (بطل حطين) [٢] :

كَيْفَ يَعْلُوى الخِذْلاَنُ أَعْلاَمَ جَيْـــشٍ البُطُوْلاَتُ كُلُّهَا نُصَـــرَاؤُهْ
كُلُّ غَازٍ لَمْ يَدَّرِعْ شَرَفَ النَّفْـــسِ م هَوَى قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ بِنَـــاؤُهْ

وقوله من قصيده (درجات جامعيه للمجرمين) [٣] :

عِلْمٌ بِلاَعَمَلٍ : سَقَامٌ فَاتِـــــكٌ لاَيَأْمُلُ الْمَرْضَى بِهِ إِفْرَاقَا [٤]

وقوله فى نهاية قصيدته (ممن تطلب الحاجات ؟) [٥] :

وَأَشَدُّ مِنْ وَقْعِ الأَسِنَّةِ فِى الطُّلَـــى طَلَبُ الرَّفِيْعِ لُبَانَةً مِنْ دُوْنِ [٦]

---

(١) ديوان فى ظلال القمر لعلى الجندى ص ٢٢ والمقصود بسعد الزعيم الوطنى المصرى - سعد زغلول - أما ماكدونالد فهو رئيس حزب العمال الإنجليزى أنذاك .

(٢) ديوان أغاريد السحر ص ٧٩ .

(٣) ديوان ترانيم الليل ص ١٥٢ .

(٤) إفراقا : الإفراق : الشفاء والإفاقه .

(٥) ديوان ترانيم الليل ص ٣١١ .

(٦) الطلى : جمع طليه بالضم كرؤية : العنق .

وكقوله مختتما قصيدته التى أسماها : (الشاعر بين تهاويل شعره) : (١)

يَعِزُّ الشِّعْرُ فِي رَجُلٍ عَزِيْـــــزٍ
وَيَعْفُرُ فِي الذَّلِيْلِ مِنَ الرِّجَـــــالِ

وأخيرا قوله فى قصيدة (نبيل العميد) : (٢)

يَفْنَى المُجَاهِدُ - حِيْنَ يَفْنَى - صُوْرَةً
وَيَعِيْشُ فِي الأَذْهَانِ والأَفْكَـــــارِ

إِنَّ العَظِيْمَ ،حَيَاتُهُ فِي مَوْتِـــــهِ
فَاقْرَأْ عَظِيْمَ القَوْمِ فِي الأَسْفَـــارِ

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص ٣٣٢ .

(٢) ديوان ألحان الأصيل ص ١٧١.

ب- فى الأفكـــار والمعانـــى :

تحدثنا فى الفصل السابق عن الصلة الطبيعيه الوثيقة بين الألفـــاظ والمعانى،وأشرنا إلى إستحالة الفصل بينهما فى الشعر،لأن الصلة بيـــن الألفاظ والمعانى أو الأفكار وثيقه جدا كصلة الروح بالجسد . وبَيّنّا الـــدور الذى يمكن أن تقوم به الألفاظ فى إبراز العمل الشعرى .

ونتابع الحديث هنا عن الخصائص الأدبيه التى يمكن أن تبرز فـــى الأفكار والمعانى عند شاعرنا،فلايخفى علينا الدور المهم الذى تقوم بـــه الأفكار والمعانى فى الشعر،إذ لاقيمة لنص شعرى يخلو من الفكرة والمعنـــى مهما بالغ صاحبه فى إستخدام الكلمات ذات الرنين الموسيقى العـــذب، فالفكرة كما يقول أحد النقاد : (هي المادة الأساسيه التى يستخدمهـــا العقل فى الإنتاج ومنها يبنى الجديد)(١)

ويجب على الشاعر أن يحرص دائما على المواءمة بين الألفـــاظ وبين الأفكار والمعانى ، كما يجب عليه أن يمزج بين الفكره والعاطفـــه، وهذه الأمور من شأنها أن ترفع من قيمة الشعر لِمَالها من دور كبير فى الحكم على جودته.ولقد كانت العناية بالفكره إحدى سمات الاستاذ(على الجنـــدى) البارزه،وإحدى الملامح الواضحه الدالة على لونه الفنى ومذهبه الأدبـــى، ومع أنه يهتم بعنصر الفكره فى النص الشعرى،إلا أن ذلك لم يفسد عليـــه فنيته ولم ينل من قدرته وبراعته فى بث مشاعره وأحاسيسه فى ثنايـــا النص الشعرى،ولقد أشرنا إلى هذه الظاهره عند عرضنا لفن الرثاء فى شعره ، والذى رأينا فيه قدرته على بث لواعج نفسه والبوح بما امتلأت به فـــى صدق وإخلاص مع مايعرضه من أفكار ومعانى .

---

(١) انظر الأصول الفنية للأدب - عبد الحميد حسن ص ١٣٩ .

ولقد كان منهج (الجندى) فى تناول الأفكار والمعانى قائما على الوضوح وحسن العرض لها ، فيتناول معانيه قصدا ومن قريب.فلا التواء ، ولاتعسف ، ولاإيغال ، مما يكلف عنتا ، أو يسوم إحتيالا ، ويحدثنا عن منهجه فى ذلك قائلا : (وأما نهجى فى قرض الشعر فيتلخص فى كلمات قليله وهى صوغ المعانى العصريه التى تجيش بها نفسى فى أسلوب فصيح رصين محكم ... برئ من التكلف والحشو والمعاظله ،والتعقيد والغموض، تختار له الألفاظ المعقولة التى تعانق معناها وتشف عنه ،لأنى أومن إيمانا عميقا بمايقوله نقاد العرب : شر الشعر ماسئل عن معناه ، وبما يقوله نقاد الغرب : الشعر : بساطة ووضوح .

وعندى أن المعانى - مهما دقت ولطفت - فإنها واجدة كفاءها من الألفاظ المناسبة لها وغير ذلك مرده إلى قصور الأداء،أوإستغلاق المعنى فى نفس الشاعر، ولايعوزنا الدليل على هذه القضيه،فخير ماقاله أبو تمام والمتنبى والسرى وغيرهم قديما وحديثا،هوأدقه وأعمقه وأوضحه وأنصعه معا .(١)

هكذا يعلن الشاعر عن مذهبه القائم على وضوح المعانى والأفكار وإشراقها ، وتناسبها مع الألفاظ ، كما يرى فى هذا المنهج أن دقة المعنى وعمقه وجزالة الأسلوب ورصانة الصياغة لاتنافى الوضوح،وأن ظلام الفكرة مأتاه من ظلامها فى نفس صاحبها أو عجزه عن تجليتها فى اللفظ الملائم لها .

والمتأمل فى شعر(الجندى) يلمح تنوع أفكاره ومعانيه من ناحية الدقة أو السطحيه أو العمق أو الوضوح،وقد عرضنا فى ذلك إلى كثير من الشواهد عند حديثنا عن فنونه الشعريه .

---

(١) أنظر مقدمة ديوان ألحان الأصيل للجندى ص ٨.

وفى كثير من الأحيان يلجأ الشاعر فى المعانى والأفكار التى يضمنها قصائده إلى العرض والشرح والتفصيل وإلى سوق البراهين وضرب الأمثلة واستخلاص النتائج والأحكام، فإذا تلك المعانى والأفكار واضحه مشرقه، تسابق ألفاظها سعيًا إلى الأذهان كما فى قوله من قصيدة (شباب العروبه)(١)

أَنْتُمْ لَهَا أَمَلٌ ،فَلْيُثْمِرِ الأَمَلُ
هَيَّا اعْمَلُوا لِلْعُلَا ، إِنَّ العُلَا عَمَلُ

أُعِيْذُكُمْ أَنْ يُرَى فِى صَفِّكُمْ ضَرَعٌ
- إِنْ تَعْرُ نَائِبَةٌ - أَوْعَاجِزٌ وَكِلُ

تَبْنِى الْبُطُوْلَةُ مَاتُعْبِى قَوَاعِدُهُ
مَعَاوِلَ الدَّهْرِ ،فَابْنُوا كُلُّكُمْ بَطَلُ

دُوْنَ الأَمَانِىِّ آلامٌ مُبَرِّحَةٌ
وَإِبْرَةُ النَّحْلِ يُنْسِى وَخْزَهَا العَسَلُ

وَعَاشِقُ النَّصْرِ يَلْقَى الطَّعْنَ مُبْتَسِمًا
كَأَنَّ مَوْقِعَهُ فِى نَحْرِهِ قُبَلُ

وَالنَّارُ لِلتِّبْرِ تَمْحِيْصٌ وَتَصْفِيَةٌ
وَفِى مَهَبِّ العَوَادِى يَثْبُتُ الرَّجُلُ

إِنَّ الشَّبَابَ مِنَ (الفِرْدَوْسِ) نَبْعَتُهُ
فَالعُوْدُ غَضُّ الصِّبَا وَالرَّأْىُ مُكْتَهِلُ(٢)

يَمْضِى لِطِيَّتِهِ تَهْدِيْهِ عَاطِفَةٌ
مِنْ عُنْصُرِ النُّوْرِ لَايَرْقَى لَهَا الزَّلَلُ(٣)

---

(١) ديوان أغاريد السحر لعلى الجندى ص ١١٠ - ١١١ .
(٢) النبع : جمع نبعه : شجر تتخذ منه القسى ،ومن أغصانه السهام .
(٣) الطيّة بكسر الطاء : الجهة التى يطوى إليها الرجل البلاد .

ففى هذه الأبيات يتناول الشاعر الأفكار والمعانى فى وضوح تام،نلمسه فى دعوته لشباب الأمة - الذين هم أملها فى الرقى والرفعة - إلى العمل الدءوب - والصبرعلى الشدائد التى ستقابلهم فى طريق تحقيق أهدافهم النبيله ،إلى أن يصل فى نهاية الأبيات إلى أن الشباب على طراءة سنه راجح الرأى وثيق الفكر . كما نلاحظ فى هذه القصيدة إحدى اللوازم الفنيه التى يعمد إليها (الجندى) كثيرا فى شعره،والتى تتمثل فى إستقصائه لجزئيات التجربه فى عرضه لها غالباً،ولعل مرجع ذلك عنده إلى طبيعة عمله، فهو رجل يعمل فى مهنة التدريس،التى كثيرا مايحتاج فيها إلى الإستقصاء التام لكل جزئيات الموقف والإستقراء الكامل لجميع جنبات الحدث،والأخذ بأسباب الإفهام والتمكين .

ونلمس هذا فى حديثه إلى الشباب عندما ينبههم إلى وجوب مواصلة العمل وعدم التهاون به حتى يتمكنوا من مسايرة هذا الزمن الذى يمضى سريعاً،ويوضح لهم بأن المعالى ستكون من نصيب من يسير بسرعة هذا الزمن، كما أن الفرص ستفل لمن يتخلف عن مسايرته وقد تسد الأبواب دونه .

ويلامس بعد ذلك جزئيه مهمة ينصحهم من خلالها بصون النفس فى مرحلة الشباب عن اللهو والعبث،وستُجْنى ثمار ذلك فى مرحلة الشيخوخه . ثم يتحدث عن مرحله الشباب التى هى أشبه ماتكون بمرحلة الربيع الذى يُظلنا حينا من الدهر ثم يزول ولكن إلى غير رجعه،ويواصل الشاعر حديثه باستقصاء كثير من الجوانب التى يقصد من خلالها إلى إبراز الفكرة التى توضحها هذه الجزئيات وهي:دور الشباب نحو أمتهم ويتضح ذلك من قوله (١)

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ١١١ ،١١٢.

مَضَتْ عُهُودُ الهُوَيْنَى غَيْرَ رَاجِعَةٍ وَلَيْسَ كُلُّ أَوَانٍ يَحْسُنُ المَهَلُ
أَنْتُمْ بَنُوزَ مَنٍ يَحْدُوبِكُمْ عَجَلاً فَسَايِرُوْهُ ،فَإِنَّ السَّابِقَ العَجِلُ
لَخِلْتُهُ (طَائِرًا) يَهْفُوْ بِأَجْنِحَةٍ مِنْ خَوْفِ قَانِصِهِ قَدْ مَسَّهُ الخَبَلُ
نَالُوْا المَعَالِيَ مَنْ سَارُوْا بِسُرْعَتِهِ وَصَاحِبُ الرَّيْثِ شُدَّتْ دُوْنَهُ السُّبُلُ
مُوْنُوْا العَبَا النَّمْرَ عَنْ لَهْوٍ وَعَنْ عَبَثٍ
يَكُنْ ظَهِيْرًا لَكُمْ والشَّيْبُ مُشْتَعِلُ
نِعْمَ الذَّخِيْرَةُ لَاعُذْرٌ لِمُشْفِقِهَا عَلَى بَطَالَتِهِ إِنْ خَانَهُ الأَجَلُ
عَهْدُ الشَّبَابِ رَطِيْبُ الظِّلِ وَارِفُهُ فَبَادِرُوْا فَوْتَهُ ،فَالظِّلُ مُنْتَقِلُ
مَضَى حَيْثُ الخُطَا ،لَمْ نَدْرِ كَيْفَ مَضَى مَاضَرَّ لَوْرَجَعَتْ أَيَّامُنَا الأُوَلُ
وَنَحْنُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْضَاءُ مَعْرَكَةٍ
سِلَاحُهَا : الأَنْكَدَانِ : الشَّيْبُ وَالْعِلَلُ
هُوَ الرَّبِيْعُ أَظَلَّتْنَا بَشَاشَتُهُ حِيْنًا مِنَ الدَّهْرِ ،وَالدُّنْيَا بِنَا دُوَلُ
لَوْ كُنْتُ أُدْرِكُ أَنِّي سَوْفَ أُفْقِدُهُ مَاكَانَ لِي فِيْهِ إِلَّا بِالعُلَا شُغُلُ

فالجندى (الشاعر) لايستطيع أن يتخلى فى شعره عن طبيعة المعلم وملكاته فى التفكير والتعبير، كما لايستطيع التخلى فى تعليمه عن طبيعة الشاعر وملكاته فى التخييل والتصوير- وهذا صالمسته فى مؤلفاته العلمية- وبذلك يتضح لنا أثر مهنة (الجندى) فى فنه دون طغيان تلك المهنة على طبيعة الفن أو مهمة الشعر .

وتتجلى هذه السمة فى كثير من قصائده، وأكتفى هنا بالإشارة إلى قصيدته (شهداء المعلمين) (١) التى سبق لنا ذكرها فى الرثاء، وإلى قوله :

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٢٣٩ .

من قصيدة (جبل طارق) :[1]

" عَلَمٌ " تَسَامَىٰ غَارِبًا وَسَنَامَا
تَنْزُهُوْ الكَوَاكِبُ فَوْقَهُ أَعْلَامَا [2]

يَأْبَى عَلَى عُزِّ السَّحَابِ جَبِيْنُهُ
تَقْبِيْلَهَا فَتُقَبِّلُ الأَقْدَامَا

وَيَسِيْرُ زَخَّارُ العُبَابِ بِسَفْحِهِ
مُتَطَامِنًا يَحْنِي لَدَيْهِ الهَامَا

وَتَمُرُّ هَوْجَاءُ الرِّيَاحِ حِيَالَهُ
حَسْرَى عَلَى أَعْتَابِهِ تَتَرَامَى

وَتَرَى الجَوَارِيَ لاَتَنَالُ سَلاَمَهَا
إِلاَّ إِذَا أَلْقَتْ عَلَيْهِ سَلاَمَا [3]

مَابَالَهُ حَضَنَ (المَضِيْقَ) كَأَنَّهُ
سَبٌّ تَدَلَّهَ فِي المَضِيْقِ غَرَامَا [4]

يَرْعَى شَوَاطِئَهُ بِمُقْلَةِ سَاهِرٍ
عَافَ المَنَامَ ،فَلاَ يَذُوْقُ مَنَامَا

رَصَدٌ عَلَى (البَرَّيْنِ) مَدَّ أَصَابِعًا
سُفْعًا تَصُبُّ عَلَى المُغِيْرِ حِمَامَا [5]

وَنَوَى عَلَى (البَحْرَيْنِ) أَرْعَنَ لاَبِسًا
وَشْيَ الحَدِيْدِ عَلَى الجَلاَمِدِ لاَمَا

---

(١)ديوان أغاريد السحر ص ٨٢- ٨٣ - ٨٤.
(٢) العلم : الجبل ،والسنام فى الأصل : واحد أسنمة الإبل ،والغارب : مابين السنام إلى العنق .
(٣) الجوارى : السفن ، المراد بسلامها : التحيه المعروفه بإطلاق المدافع .
(٤) المضيق : مضيق جبل طارق.وتدلله : دله كحسب : تحيّر وذهب فؤاده من ألم أوعشق .
(٥) الأصابع المراد بها المدافع ، وسفع : سود مشربة بحمرة .

تَوَسَاوَرَ الجَيْشُ اللُّهَامُ شِعَابَـــــــــهُ
لَقِيَ الحُتُـــوْفَ قَذَائِفًا وَسِهَامَـــــا (١)

أَوْخَالَفَتْ ثُمَّ (الدَّوَارِعِ) أَمْـــــــرَهُ
طَاحَتْ عَلَى ثَبَـجِ المِيَاهِ حُطَامَـــــا (٢)

ففى هذه الأبيات وأخرى تليها يأخذ الشاعر - على عادته - بأسلـــــوب التيسير والتغريب من أجل الإفهام والتمكين فى تصويره " لجبل طـــــــارق" ، لذلك تبدو المعانى هنا واضحة وسهلة وبعيدة كل البعد عن التعقيـــــــد أو الغموض ومع وضوحها وسهولتها فهى لاتصل إلى حد السطحيه .

وفى هذه القصيدة نلمح استقصاء الشاعر لجزئيات كثيرة عند وصفـــــه لهذا الجبل ، فمثلا يذكر بأن (انجلترا) تسيطر على جبل طارق فى قولـــه :

مَلَكَتْهُ (سَيِّدَةُ البِحَارِ) وَلَمْ يَزَلْ
مِلْكُ البِحَارِ عَلَى القَوِيِّ لِزَامَـــا

كمـــــا يشير إلى سبب تسميته وشهرته قائلا :

لَيسَ الفَخَارَ بِفَاتِحٍ مَازَالَ فِـــــى
إِقْدَامِهِ لِلْفَاتِحِيْنَ إِمَامَـــــــا

كما يقارن بينه وبين جبال الألب الأوربيه فيقـــول :

إِنْ لَمْ يَكُنْ (كَالأَلْبِ) طَالَ ذُؤَابَـــةً
فَلَقَدْ أَنَافَ عَلَى السُّهَا وَتَسَامَـــى

---

(١) اللهام : الكثير ،يغيب من يدخل فى وسطه .
(٢) الدوارع : جمع دارعه : السفينه الحربيه الكبيره ،ثبج كل شئ وسطه ومعظمه .

وعندما يعمد الشاعر إلى هذه الجزئيات التى لاحظناها فى الأبيات السابقة فى سبيل تيسير المعنى وتوضيحه، فإنه يعبر عن أسلوبه فى تناول المعانى،ذلك الأسلوب الذى تغلب عليه سمة الوضوح الذى لايصل عنده إلى حد السطحية، ولقد أرجعنا ذلك إلى طبيعة المعلم الذى إمتهن التدريس لمدة طويلة، وطبيعي جدا أن تتأثر شخصيّة (الجندى) الشاعر بشخصيته فى مجال التعليم-كما أشرنا من قبل - ونلاحظ هنا عدم طغيان مهنته على شخصيته الفنيه ، ولقد تَحَوَّلَ ذلك عند شاعرنا إلى سمة بارزه نلمحها فى وضوح المعانى والأفكار وطريقة عرضها بيسر وسهولة بعيداً عن السطحية .

أما من ناحية الإبتكار فى المعانى والأفكار عند شاعرنا فإننا لانغالى فنقول بأنه ممن يشار إليه فى هذا الميدان،ولكن للحق أقول بأن للجندى بعض المحاولات فى هذا الميدان العسير، وعلى الرغم من قلة تلك المحاولات فهى تمثل شيئا وجد عنده فى المعانى ولابد من الإشارة إليه وذلك كقوله من قصيدة (شهداء المعلمين) [1]

مَاغَالَهُ المَوْتُ ،بَلْ أَوْدَى بِهِ العَمَلُ
كَيْفَ الحَيَاةُ وَلَاسَلْوَى وَلَاأَمَلُ ؟
قَالُوْا : هُوَ الأَجَلُ المَحْتُوْمُ،قُلْتُ لَهُمْ:
لَوْلَمْ تَخُنْهُ المُنَى مَاخَانَهُ الأَجَلُ

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٢٣٩

فالموت لايغْدر، والعمل لايُوْدِي بصاحبه مهما كانت مشقته، وإنما لكل إنسان عمره المقدور وأجله المحتوم الذى قررته العناية الإلٰهيه، وكل هذا بقضاء وقدرٍ من اللّٰهِ - عزّ وَجَل - غير أن الشاعر نظر إلى هذه المسألة بنظرة بشرية فادّعَى أن الموت يغدر وأن العمل يتحكم فى الأعمار، إذ يوجد فى المجتمع بأن الموت يخون فجأه وأن شدة الإرهاق فى العمل قد تودِي بصاحبها، فكأن الموت يغدر ويخون وكأن العمل يبادر بالوفاة، والشاعر هنا يتغنى ببعض مايتغنى به المجتمع، وعلى هذا جاءت أبياته السابقة فى رثاء هؤلاء المدرسين الّذين يسقطون موتى فى ميدان العمل تمهيدًا حتى يصل إلى هدفه المنشود وهو: تحسين أحوال المدرسين الماليه، ويشير فى الشطر الأخير من البيت الثانى بأنه لو تحققت لهم الأمانى فإن ذلك سيسعدهم ولم يموتو ؟

وكقوله من قصيده (أيقظ النيام) :[1]

لَاتَقُوْلُوْا : مَاتَفْعَلُ الرِّيْحُ بِالطَّوْ
دِ ؟ فَقَدْ يَقْتُلُ البَعُوْضُ الجِمَالاَ

فالشاعر هنا يخاطب العرب فى يهود فلسطين ويحذرهم من الإستهانة بشأنهم، ويذكرهم بفعل الرياح فى الجبال العظيمة - وهذا شئ يعرفه الجميع - والشئ الجديد هنا أنّ البعوض يقتل الجمال، ويذكر الشاعر أنه لم يكن يعرف ذلك عندما قال هذا البيت ولكنه وقف فى قراءته بعد ذلك على أن نوعا من البعوض يقتل الجمال بلدْغِه وهو موجود فى أواسط

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٩٥

افريقيـــه ،[١] ونلاحظ هنا أن المعنى قد خطر ببال الشاعر ثم لايلبث أن يتضح له صدقه ، وليس هذا ضربا من الوهم والخيال ولكنه نتيجه لقراءته التـــى عرف بها - فى أدب التراث والتى مكنته من الوصول الى هذا المعنى الـــذى تضمنه البيت ، ولقد اثبتت الايام صدق هذه القضيه .

وعلى الرغم من هذه المحاولات التى وجدناها عند(الجندى) فاننـــا لانستطيع القول بأنه قد ابتكر معانى جديده لم تطرق من قبل وله ولســـواه العذر فى ذلك فقديما قيل : (لم يترك الأول للآخر شيئا) وقد تنبه النقـــاد الى هذه المسأله منذ القدم ، يقول أحدهم : (وا' محنة على شعراء زماننـــا فى أشعارهم أشد منها على من كان قبلهم لأنهم قد سبقوا الى كل معنى بديـــع ولفظ فصيح ، وحيلة لطيفة ، وخلابة ساحره)[٢] وهذا لايعنى أن يتوقف الشاعر عند المعانى التى سبق اليها باعادتها الينا مع تغيير الالفـــاظ والاوزان فتلك سرقه [٣] لايقدم عليها الا من استغلق ذهنه وتؤدى الى العقم والجمـــود، وعلى الشاعر ان يستفيد من تلك المعانى بعد وصلها بعواطفه وربطها بوجدانـــه وخياله فى تدريب ملكته الشعريه . وشاعرنا (الجندى) طرق الكثير مـــن المعانى السابقة - كغيره من الشعراء - ولكنه استطاع ان يطبعها بطابعـــه الخاص ، وأن يوجد منها صورا جديدة تتلاحم فيها العواطف والافكار - كمـــا سنرى عند الحديث عن الصور والاخيلة-.

فمثلا نجده يشير الى أن الجمال يذكر بالخالق - عز وجل - ويدعـــو الى استنطاق الأفواه بالتسبيح والحمد فيقـــول :[٤]

---

(١) ديوان اغاريد السحر ص ٩٥

(٢) عيار الشعر لابن طباطبا العلوى ص ١٥

(٣) نفسه ص ١٦

(٤) ديوان ترانيم الليل لعلى الجندى ص ٢٥٨

إِنَّمَا هَذِهِ المَلَاحَاتُ رَمْـــــزٌ
لِلْجَمَالِ الَّذِى تَنَاهَـــى كَمَالاَ
فَتَخَشَّعْ إِنْ لَاحَ حُسْنٌ وَسَبِّـــحْ
وَٱرْفَعِ ٱلْحَمْدَ لِلإِلَٰهِ ٱبْتِهَـــالاَ

ويقول فى موضع آخر ؛ (١)

لَيْتَ شِعْرِى مَارَابَنِى مِنْ جَمَـالٍ
هُوَ لِلّٰهِ حُجَّـةٌ بَيْضَـــــاءُ
رُبَّ حُسْنٍ هَدَى إِلَى خَالِقِ الحُسْنِ (م)
حَيَارَى لَمْ يَهْدِهِمْ أَنْبِيَـــاءُ
ذَكَّرِيْنَا - يَاجُمْلُ - بِاللّٰهِ ، فَاللّٰهُ (م)
جَمَالٌ هَامَتْ بِهِ الأَصْفِيَـــاءُ

وهذا المعنى موجود فى شعر (البهاء زهير) الذى إطّلع شاعرنـــا على نتاجه - كما عرفنا من إتصاله بأدب التراث - يقول البهاء زهير فـــى ذلك : (٢)

وَبِمُهْجَتِى وَسْنَانَ لَاسِنَةَ الكَـــرَى
أَوَ مَارَأَيْتَ الظَّبْيَ أَحْوَى أَحْوَرا
بَهَرَتْ مَحَاسِنُهُ العُقُوْلَ فَمَا بَـــدَا
إِلاَّ وَسَبَّحَ مَنْ رَآهُ وَكَبَّـــرَا

---

(١) ديوان ألحان الأصيل لعلى الجندى ص ٣٠٠ .

(٢) ديوان البهاء زهير ص ٩٧ .

(٣) السنه : النوم ، الأحوى من الحوه : وهى حمره تضرب إلى السواد ، مستحبـــه وتوصف بها الشفاه ، والأحور من الحور : وهو شدة بياض العين مع شـــدة السواد .

ومع أن الشاعر قد سبق إلى المعنى فقد استطاع أن يطبعه بطابعه الخاص الذى تبدو فيه روحه المفعمة بالإحساس.وكذلك نجده فى موضع آخر يتحدث عن حبه فى إيثار وقناعه وتسام ،حتى أنه لايرضى أن يشركه المحبوب فى الحب صونا له عن ذل الحب ، وشفقة عليه من عذابه ، وهذه رقه إحساس من شاعرنا الذى اشتهر برقته وعاطفته المشبوبه . يقول :(١)

وَقَى اللّٰهُ (لَيْلَى) أَنْ يُلِمَّ بِهَا الهَوَى
وَإِنْ سَامَحَتْ - تَحْتَ الهَوَى - بِوِصَالِ
إِذَا رُحْتُ مِنْ (لَيْلَى) سَقِيْمًا وَعُوْفِيَتْ
فَلَسْتُ أُبَالِى السُّقْمَ لَسْتُ أُبَالِى
وَبَغَّضَنِى فَرْطُ الهَوَى فِى نَوالِهَا
فَلَسْتُ بِرَاضٍ جُوْدَهَا بِنَوَالِ

وهذا المعنى قريب منه قول البحترى :(٢)

أُعِيْذُكِ أَنْ تُمْنَىْ بِشَكْوَى صَبَابَةٍ
وَإِنْ أَكْسَبَتْنَا مِنْكِ عَطْفًا عَلَى الصَّبِ
وَيُحْزِنُنِى أَنْ تَعْرِفِى الحُبَّ بِالْجَوَى
وَلَوْنَفَعَتْنَا فِيْكِ مَعْرِفَةُ الحُبِّ

فالشاعر هنا يتمنى لمحبوبه المعافاه من الحب شفقة عليه ،ورحمة به مما يكابده هو ،ويلاحظ فى أبيات البحترى أنه يبدى رغبته فى أن تشاركه

---

(١) ديوان أغاريد السحر للجندى ص ٢٢٦ .

(٢) ديوان البحترى حـ ٢ ص ٦ (دار صعب بيروت)

المحبوبة ذلك ولكن بطريق غير مباشر ،عندما يذكرلها وقع ذلك عليه،بخلاف الجندى الذى استطاع أن يخفى ذلك،وأن يظهر أكثر قناعة وإيثارا،وهذا يدلنا على إستفادة الجندى من المعانى التى سبق إليها وقدرته فى وصلها بعاطفته المرهفه. وكذلك نراه فى موضع آخر يقول :(١)

أَدْمُعُ العَيْنِ - وَقَدْ جَدَّ الأَسَى
تَبْعَثُ الرُّوْحَ وَتَشْفِى البُرَحَاءْ
هَذِهِ الأَدْمُعُ نَسْتَشْفِى بِهَا
مِنْ جَوَى الأَحْزَانِ وَالأَحْزَانُ دَاءْ
رُبَّمَا كَانَتْ شِفَاءً عَبْرَةٌ
لِأَخِي البَثِّ إِذَا عَزَّ الشِّفَاءْ

مشيرا بذلك إلى أن جريان ملء العيون عند وقوع المصائب.وقانا الله منها- مما يساعده على تخفيف الأحزان أو التخلص والشفاء منها ، وهذا المعنى من المعانى الجيدة التى قد يُلمس أثرها وأشار اليه الشعراء من قديم الزمان،فيقول الفرزدق :(٢)

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ البُكَاءَ لَرَاحَةٌ
بِهِ يَشْتَفِى مَنْ ظَنَّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

ويقول (ذو الرمة)(٣) :

لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً
مِنَ الوَجْدِ أَوْ يَشْفِى نَجِيَّ البَلَابِلِ

---

(١) ديوان ألحان الأصيل لعلى الجندى ص ١٤٤.
(٢) ديوان الفرزدق ،شرح وضبط الأستاذ على فاعور ج ٢ ص ٦٥٣.
(٣) ديوان ذى الرمة ص ٥٧٧ .

ويقول (أبو تمـــام)[١] :

نَشَرَتْ فَرِيْدَ مَدَامِعٍ لَمْ تُنْظَـــمِ
وَالدَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ شَجْـوِ المُغْـــرَمِ

ويقول (البحتـــرى)[٢] :

عَلَّ مَاءَ الدُّمُوْعِ يُخْمِدُ نَـــارًا
مِنْ جَوَى الحُبِّ أَوْ يَبُلُّ غَلِيْـــلاَ

فالجندى كما نرى مقلد للمعنى ، ولكنه استطاع أن يعمل فيه مزيداً من إحساسه المرهف ، كما أنه استطاع أن يحيط به أكثر من غيره عندمـــا عمم المسألة ولم يجعلها قاصرة على بكاء الديار أو فقد الحبيب .

وفيما مضى رأينا كيفاستطاع (الجندى) الإستفادة منتلك المعانـــى التى سبق إليها وأن يجعلها تنساب فى شعره من غير تكلف أو جمـــود، وتلك ناحية إيجابية تبين قدرة شاعرنا على الإستفادة من أدب التراث الـــذى عاش فيه حياته وشغل حيزاً كبيرا فى ثقافته الأدبيه .

---

(١) شرح ديوان ابى تمام لشاهين عطيه ص ٢٩٤.

(٢) ديوان البحترى حـ ٢ ص ١٩٤ .

هذا ويتضح لنا من تتبع شعر (الجندى) أنه قد عمد إلى بعض المحسنات البديعيه، وقد مرَّ بنا تناوله لبعض المحسنات اللفظية، وإكمالا لما سبق نتناول هنا أهم المحسنات المعنويه التى لجأ إليها، وكثر دورانها على لسانه حتى أصبحت تكون شيئاً من خصائصه المعنويه. ومن أبرز ذلك فى نتاجه :

المطابقة

(وتسمى الطباق والتضاد أيضا ، وهي : الجمع بين المتضادّين ، أى معنيين متقابلين فى الجمله.)(١)

ومن أهم أنواعها : أ- مطابقة الإيجاب وهى : مالم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبًا .

ب - مطابقه السلب وهى : ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا .(٢) ويلاحظ على شاعرنا أنه مولع بالطباق ، فقد أكثر من استخدام هذا الضرب من البديع مقارنة بغيره من المحسنات المعنويه، ولعل ذلك راجع إلى ماقد يحققه الطباق من جرس موسيقى يزيد من سلاسه الأبيات، أو تقريبٍ يوضح المعنى ويعمقه. وغالبا مايأتى الطباق على لسانه خاليًا من التعقيد الذى يوحى بتضاد الأفكار ويدعو إلى مزيد من النظر والتأمل .

---

(١) الإيضاح فى علوم البلاغه للخطيب القزوينى حـ ٢ ص ٤٧٧ .

(٢) انظر فى ذلك علم البديع للدكتور عبدالعزيز عتيق ص ٦٩ ، ٧٠، البلاغة الواضحه تأليف على الجارم ومصطفى أمين ص ٢٨١، ويلحق بهذه الأنواع نوعين آخرين ذكرهما صاحب الإيضاح ص ٤٨٣ - ٤٨٤ .

ومثال ذلك قولـه من مطابقة الإيجاب :(١)

" العَمُ سَامُ " لَهُ التَّقَـا لِيْعُ الَّتِى فِيْهَا مَهَـرْ(٢)
لَافَـرْقَ فِى إِتْيَانِهِمَـا مَابَيْنَ أُنْثَـى أَوْ ذَكَرْ

فقد طابق بين(أنثى وذكر) طباق إيجاب، وتبدو فيه السهوله والوضـوح إضافة إلى الجرس الموسيقى الذى تحقق بالكلمه الأخيرة .

وقـولـه : (٣)

لَسْنَا نَلُوْمُكَ ،فَالدُّنْيَا بِنَا انْقَلَبَتْ
حَتَّى تَشَابَهَ إِقْبَالٌ بِإِدْبَـارِ

ففى البيت طباق إيجاب بين الكلمتين (إقبال ، إدبار) لتضادهما فـى المعنى إيجابا،وليس فيه ثمة من تضاد فى الأفكار يستحق التأمل والنظر .

وقـولـه : (٤)

هُوَ الدَّهْرُ جِدٌّ وَلِعْبٌ بِنَـا فَجِدِّى - إِذَا شِئْتِ - أَوْ فَالْعَبِى
هُوَ العَيْشُ مُرٌّ وَعَذْبٌ جَنَـاهُ فَلُوْبِى عَلَى المَوْرِدِ الأَعْـذَبِ

فقد طابق فى البيت الأول بين (جد ،ولعب) وفى البيت الثانى بيـن الكلمتين (مر ، وعذب) .

وقولـه :(٥)

أَتَذْكُرُ مَجْلِسَنَا قَبْلَهَـا نَجِدٌّ وَآوِنَـةً نَهْـزِلُ
نَشَدْتُكَ بِالْمَوْتِ مَاطَعْمُـهُ أَشَهْـدٌ - كَمَا قِيْلَ - أَمْ حَنْظَـلُ

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص ١٢٥. (٢) العم سام : لقب الولايات المتحدةالأمريكيه.
(٣) ديوان ترانيم الليل ص ١٦٤. (٤) ديوان ترانيم الليل ص ١٣٥.
(٥) ديوان فى ظلال القمر لعلى الجندى ص ١٧٩.

فقد طابق فى الأول بين (نجد ، ونهزل) وفى الثانى بين (شهد ، وحنظل) .

وقوله : (١)

طَلَعَ البَدْرُ وَالغَمَامُ عَلَيْهَا فَاسْتَنَارَتْ ، وَزَايَلَتْهَا المُحُوْلُ
خَرَجَتْ لِلِقَاءِ ، فَالقَوْمُ كَالْمَوْ جِ صُعُوْدٌ فِى (لَابَتَيْهَا) نُزُوْلُ (٢)

فقد طابق بين (صعود) و (نزول) .

وقوله من مطابقة (السلب) : (٣)

أَيُّهَا الشَّاعِرُوْنَ كَيْفَ رَضِيْتُمْ أَنْ تَرَوْا أُجْمَلَ الفُنُوْنِ غَبِيْنَا
كَانَ يُخْشَى ،وَكَانَ يُرْجَى فَأَضْحَى لَيْسَ يُرْجَى وَلَيْسَ يُرْهَبُ فِيْنَا

فقد طابق بين (كان يرجى) و (أضحى ليس يرجى) وبين (كان يخشى) و (ليس يرهب فينا) .

وقوله : (٤)

لَاحَبَّذَا خُلُقُ اللَّئِيْمِ ، وَحَبَّذَا
خُلُقُ الكَرِيْمِ ، الشَّامِخِ العِرْنِيْنِ

فطباق السلب واضح بين (لاحبذا خلق اللئيم) و (حبذا خلق الكريم) (٥)
والشواهد المشابهة على الطباق كثيرة فى دواوينه .

ومن خلال هذه الشواهد نلاحظ أن الطباق الذى استخدمه (الجندى) يخلو من التعقيد ، إذ يكتفى بوضع كلمة بإزاء كلمة أخرى تناقضها فى المعنى ، وهو بذلك يزيد من توضيح المعنى الذى قصده ، إضافة إلى الجرس الموسيقى

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٦٥ (٢) اللابة واللوبة والنوبة بوزن الكوفة: الحرة الملبسة حجارة سوداء ،وللمدينة لابتان أو حرتان جعل الرسول ما بينهما حرما .
(٣) ديوان ترانيم الليل ص ٣٠٢ .
(٤) ترانيم الليل ص ٣١٠ .
(٥) انظر على سبيل المثال ديوانه (ترانيم الليل ص ١٦ ،٢٥ ،٤١ ،٤٧ ،٦١ ،١٢٢ ، ١٢٦ ،١٣٩ ،١٥٢ ،١٦٩ ،١٧٢ ،١٩٤ ،٢٠٩ ،٢٤١ ،٢٤٢ ،٢٨١) .
وديوانه فى ظلال القمر ص ٧ ،١٩٧ ، ١٧٩ ، ٣٤٥ ، ٣٥٩ ، ...) .

الذى قد ينشأ فى بعض الأحيان بهذا الطباق ، الذى يمكن أن نقول بأنه من أهم المحسنات المعنويه التى لجأ إليها شاعرنا .

هذا ولم يقف الجندى عند هذا النوع من المحسنات المعنوية فحسب، بل استخدم بقيه الألوان ولكن على قلة، فتساقطت فى شعره بعض تلك المحسنات من غير تكلف .

كحسن التعليل فى قوله :(١)

أَلَمْ تُبْصِرِى فَوْدِى تَنَفَّسَ صُبْحُهُ
وَكَانَ حَبِيْبًا لِلدُّمَى لَيْلُهُ العَكِرُ
وَمَاذَاكَ مِنْ فِعْلِ السِّنِيْنِ ،وَإِنَّمَا
لَبِسْتُ بَيَاضَ الشَّيْبِ فِى مَيْعَةِ العُمُرِ

والمقابلة فى قوله :(٢)

وَحَلَّ النُّوَاحُ مَحَلَّ الغِنَاءِ
وَنَابَ عَنِ الفَرَحِ المُؤْتَنَمُ

والتقسيم فى قوله مخاطبا إحدى الفتيات :(٣)

العِلْمُ وَالعُرْىُ : هَذَا لَايَفِيْءُ عَلَى
أَصْحَابِهِ غَيْرَ إِعْسَارٍ وَإِقْتَارِ
وَذَاكَ أَمْهَرُ قَتَّالٍ بَعَثْتِ بِهِ
إِلَى جُنَيْدٍ " وَإِفْرَنْكٍ) (وَدُوْلَارِ)

---

(١) ديوان ألحان الأصيل ص ٢٩٩ ،وحسن التعليل:أن ينكر الأديب صراحة أو ضمنا علة الشئ المعروفة ويأتى بعلة أدبية طريفة تناسب الغرض الذى قصد إليه أنظر الإيضاح للخطيب القزوينى ص ٥١٨، البلاغه الواضحه لعلى الجارم ومصطفى أمين ص ٢٨٩.

(٢) ديوان ترانيم الليل ص ١٢٦، والمقابلة هى أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقه ثم يقابلهما أويقابلها على الترتيب.والمراد بالتوافق خلاف التقابل) أنظر الإيضاح للخطيب القزوينى ص ٤٨٥ .

(٣) ديوان ترانيم الليل للجندى ص ١٦٥، والتقسيم كما عرفه الخطيب القزوينى فى الإيضاح ص ٥٠٦ (وهو ذكر متعدد ،ثم إضافه مالكل إليه على التعيين).

جـ- الصورة الفنية فى شعره

قبل الحديث عن الصورة الفنية فى شعر الأستاذ / على الجندى ، يجدر بنا أن نوضح بشيء من الإختصار مفهوم الصورة الأدبية قديما وحديثا ، وعناصرها الفنية التى تقوم عليها ، لمعرفة الدور الذى يمكن أن تقوم به فى حيوية الأدب بعامة والشعر بخاصة .

مفهوم الصورة الأدبية بين الأمس واليوم :

عرفت الصورة الأدبية فى الأدب العربى منذ القدم ونالت إهتماما كبيرا من نقاد العرب القدامى من أمثال : " الجاحظ "(١) ، والجرجانى"(٢) و " عبد القاهر "(٣) و " ابن رشيق " (٤) و " قدامة بن جعفر "(٥) وابن طباطبا(٦) ، وغيرهم (٧) .

---

(١) أنظر فى ذلك مقولته النقدية فى كتاب الحيوان حـ ٣ ص ١٣١ ، ١٣٢، تحقيق عبد السلام هارون .

(٢) على بن عبد العزيز الجرجانى فى كتابه " الوساطة بين المتنبى وخصومه" ص ١٠٥ ، ١٠٦ ط / صبيح .

(٣) فى كتابه " أسرار البلاغة ص ١٣٦ ، ص ١٧٠ ،ص ٢٠٨ . تحقيق هـ . ريتر وفى كتابه " دلائل الإعجاز " ص ٣٦ ، ص ٣٧ ، ص ٥٠ ، ط بيروت .

(٤) فى كتابه " العمدة فى صناعة الشعر ونقده " جـ ١ ص ٢٨٧، ٢٨٩. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

(٥) فى كتابه " نقد الشعر " ص ١٩ . (تحقيق كمال مصطفى) .

(٦) فى كتابه " عيار الشعر " ص ١٣ ، ١٧ ، ٢١ .

(٧) من أمثال : (الآمدى) فى كتابه " الموازنة بين أبى تمام والبحترى " ص ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٠٥ ط صبيح ، وأبى هلال العسكرى فى " الصناعتين " فيما نقله عن العتابى ص ١٦١ ، تحقيق محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم .

ولكن نظرتهم لها تختلف عما هى عليه اليوم ، إذ أنهم نظروا اليها فى كثير من الأحيان من خلال تركيزهم واهتمامهم بأشكالها البلاغية ، فبحثوا فى التشبيه والإستعارة والمجاز والكناية متخذين من ذلك أهم الوسائل لتحقق الصورة ، ذلك أن الهم الأكبر للمتقدمين منهم كان منصبا على الكشف عن معانى القرآن الكريم وإيضاح بلاغته ، وقد وفقوا فى ذلك .

إن مفهوم الصورة عندهم قائم على الوضوح والشكلية - غالبا - عندما يجعلون مهمة التشبيه والإستعارة زيادة تأكيد المعنى وتوضيحه ، وبذلك يرتبط التصور لديهم بالحس والعقل ويهمل - إلى حد كبير - الجانب النفس الذى يبثه الشاعر من خلال تجسيد عواطفه وانفعالاته فى تلك الصور، وعن هذا المفهوم يقول أحد النقاد : " إن الصورة فى نظريتهم الشعرية تستمد طبيعتها من النظرة التحقيقية فهى تبنى على أساس المشابهة الشكلية أو المقاربة بين طرفيها سواء أكان ذلك فى التشبيه أم فى الإستعارة أم فى أى شكل آخر من أشكال الصورة ، هكذا فهموها فى الشعر القديم ، وهكذا أحبوا لها أن تدوم فى كل شعر بعده "[1] .

ومن الإشارات السابقة نجد أن النقاد السابقين قد اهتدوا إلى الصورة منذ القدم ، ووجدت عندهم وتحدثوا عنها ، ولكن ذلك الوجود وتلك الأحاديث تختلف عن المفهوم السائد للصورة الأدبية فى يومنا هذا .

ذلك أنهم لم يقصدوا إلى البحث فى الصورة الفنية عمدا وإنما كان حديثهم منصبا على تحديد معنى الشعر ، وفى سياق ذلك لامسوا الصورة فى حديث عرضي عابر .

---

(١) الصورة الفنية فى النقد الشعرى للدكتور/ عبدالقادر الرباعى ص ٦١ .

ومن ناحية أخرى نجد أن تلك الإشارات المتناثرة - عن الصورة الأدبية- فى كتب النقد القديمة تفتقر إلى الترتيب والتنظيم الذى يمكن عن طريقه تحديد ملامح الصورة الفنية ووضعها فى إطار منظم يساعد على تحديد مفهوم دقيق لها .

هذا بالإضافة إلى ما أشرنا إليه - فى بداية حديثنا - عندما ذكرنا بأن النقاد القدامى فى بحثهم للصورة ، قد حصروا مجهودهم فى الصورة البيانية (تشبيه ومجاز وإستعارة وكناية) .

ومهما يكن من أمر فإن فى ذلك دلالة واضحة على أن نقطة البداية فى الحديث عن الصورة الأدبية لم تكن وليدة هذا العصر بل إنها معروفة منذ القدم وإن تغير المفهوم بين الأمس واليوم .

وإذا كان النقاد القدامى قد تعرضوا للصورة الأدبية وذكروها على أنها صفة عابرة ، وإذا كان المفهوم القديم للصورة لم يساعد على تحديدها فلا عجب أن يكون مختلفا إلى حد ما عن المفهوم الجديد :فالنقاد فى عصرنا الحاضر - لاسيما الأوربيين منهم - قد أولوها مزيدا من الإهتمام فراحوا يدرسونها ويحددون ملامحها مفردين لها الكتب الخاصة والبحوث المستقلة كما فى كتاب (الصورة الشعرية THE POETIC IMAGE) لمؤلفه (س . لويس)[1] الذى جمع فيه خبرة الناقد وذوق الشاعر ،وأشار

---

(١) محمد حسن عبد الله (الصورة والبناء الشعرى) ص ١١ .

فيه إلى أن دراسة الصورة الأدبية بمقدورها أن تلقى من الضوء على الشعر مالا تلقيه دراسة أى جانب آخر من عناصره (١) .

وكذلك من الكتب التى أفردت لدراسة الصورة كتاب (الصورة فى الشعر العربى حتى آخر القرن الثانى الهجرى) (٢) وكتاب (الصورة الفنية فى النقد الشعرى) (٣) . وكتاب (الصورة بين البلاغة والنقد) (٤) وكتاب (الصورة الشعرية) (٥) وغير ذلك من الكتب التى استقلت بالحديث عن الصورة ، أو البحوث (٦) التى تحدثت عنها فى ثنايا كتب النقد ، وسعى فيها النقاد المحدثون إلى حد الصورة وتعريفها وبسط مقوماتها وأساليبها وأهدافها .

وبذلك نجد أن الصورة الفنية (أو الشعرية أو الأدبية) قد نالت من العناية والبحث والإستقصاء على أيدى النقاد فى عصرنا الحاضر أكثر مما كانت عليه عند السابقين ، فبعد أن كان البحث فى الصورة لدى النقاد القدامى عرضيا - لم يقصدوا إليه عمدا - ، أصبح لدى النقاد المحدثين

---

(١) المصدر السابق ص ١٢ .
(٢) لمؤلفة الدكتور/ على البطل.
(٣) لمؤلفه الدكتور / عبد القادر الرباعى .
(٤) لمؤلفه الدكتور / أحمد بسام ساعى .
(٥) لمؤلفه دكتور / ساسين عساف .
(٦) كما فى كتاب (النقد الأدبى الحديث ، للدكتور / محمد غنيمى هلال ، وكتاب (التفسير النفسى للأدب) للدكتور / عز الدين إسماعيل .
وكتاب (أصول النقد الأدبى) للأستاذ أحمد الشايب .

رئيسيا يولونه مزيدا من العناية ، ويتسم بالترتيب والتنظيم بعد إفتقاره إلى ذلك (١) ، وبعد أن كان المفهوم النقدى القديم قائما على الصور البلاغية التى تقتصر على التشبيه والإستعارة والكناية والمجاز (الأساليب المجازية) من ناحية ، وتطبيق ذلك من ناحية أخرى على البيت الشعرى منفردا عن المقطع أو القصيدة ، - فالنقد العربى القديم يركز بذلك على وحدة البيت ولا يحفل بالوحدة العضوية ولا بوظيفة الصور العضوية (٢)-، مما نتج عنه مجيء صور جزئية منفردة دون ربطها بالصورة الكلية التى يتألف منها المشهد الكامل .

وبعد أن مر البحث فى الصورة فى العصر الحديث بمراحل حتى وصلت إلى ماهى عليه الآن ، فإن المفهوم الحديث يأتى ليوسع من دائرة الصورة ، فيجعلها شاملة للأساليب المجازية وغير المجازية (فقد تخلو الصورة - بالمعنى الحديث - من المجاز) (٣) كما تنبه المحدثون إلى اهمية الربط بين الصور الجزئية ربطا محكما يفضي فى النهاية إلى الصورة الكلية التى تكشف بدورها جانبا مهما من مكنونات ذلك العمل الأدبى .

وفى تعريف الصورة الأدبية وتحديد مفهومها نجد كثيرا من النقاد والشعراء - فى العصر الحديث ممن يعنيهم هذا الأمر - يحملون إلينا مدلولاتها،فيقول الشاعر الإنجليزى (إزرا باوند) فى تعريفه للصورة الشعرية : " إنها تلك التى تقدم تركيبة عقلية وعاطفية فى لحظة من

---

(١) أنظر الصورة فى الشعر العربى للدكتور على البطل ص ٢٥ .
(٢) النقد الأدبى الحديث للدكتور/ محمد غنيمى هلال ص ٤٢٢ .
(٣) انظر فى ذلك الصورة فى الشعر العربى للدكتور / على البطل ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

الزمن[١]" ويقول الناقد الفرنسى " سارتر " : " إن الصورة الشعرية عمل تركيبى يضم إلى العناصر الممثلة للشيء نوعا من المعرفة المحدودة بحدود الحس "[٢] : وذلك كما إذا تمثلت كرسيا فى خيالى حين يغيب عنى ، فهذه الصورة ليست هى بالطبع الكرسى الخارجى ، ولكنها نوع من الوعى بجزئيات يتركب من مجموعها مايدل عليه فى دائرة الحس[٣].

وقريب من ذلك ماذكره الدكتور / محمد غنيمى هلال فقد عرفها بأنها علاقة بين الشيء ودلالته الصورية فى الوعى[٤] .

ويقول الدكتور كامل حسن البصير فى تعريفها : " إنها مايتماثل بوساطة الكلام للمتلقى من مدركاتٍ حسا ، ومعقولات فهما ، ومتخيلاتٍ تصورا ، وموهومات تخمينا ، وأحاسيس وجدانا "[٥] .

ويرى الدكتور عز الدين إسماعيل بأن الصورة الشعرية تركيبة عقلية تنتمى فى جوهرها إلى عالم الفكر أكثر من إنتمائها إلى عالم الواقع ، وأنها بمثابة الإطار العام لمشاعر الشاعر[٦] .

---

(١) التفسير النفسى للأدب للدكتور / عز الدين إسماعيل ص ٦٣ .
(٢) النقد الأدبى الحديث للدكتور / محمد غنيمى هلال ص ٤١١ .
(٣) المرجع السابق ، محمد غنيمى هلال ص ٤١١ .
(٤) المرجع السابق نفسه .
(٥) بناء الصورة الفنية فى البيان العربى للدكتور/ كامل حسن البصير ص ٢٦٥ .
(٦) التفسير النفسى للأدب / د. عز الدين إسماعيل ص ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٨ .

ويعرفها أحد النقاد قائلا : (الصورة كلام مشحون شحنا قويا يتألف عادة من عناصر محسوسة ، خطوط ، ألوان ، حركة ، ظلال تحمل فى تضاعيفها فكرة أو عاطفة ، أى أنها توحى بأكثر من المعنى الظاهر وأكثر من إنعكاس الواقع الخارجى ، وتؤلف فى مجموعها كلاً منسجما)(١)

وعلى ضوء ذلك نستطيع القول بأن الصورة الأدبية : لوحة فنية ناطقة أو تركيبة لغوية مشحونة بالعاطفة ، يبدعها الشاعر بخياله ويرسمها بكلماته وألفاظه ، فإذا سمعها السامع أو قرأها القارئ إنفعل بمثل ما انفعل به وشعر بمثل ماشعر ، من حيث المتعة واللذة أو الأسى والألم .

عناصر الصورة :

أما عناصرها التى بها تبدو وتتضح فهى :

١ - عناصر فنية :

وهى المقومات الأساسية التى لاتقوم الصورة بدونها ، وتتكون من : (العاطفة ، والخيال ، والفكرة ، والأسلوب) ولكل منها دورة المميز فى تكوين الصورة الأدبية ، كما أن الصورة الشعرية لاينفرد بها واحد من العناصر السابقة دون الآخر إنفرادا تاما ، فلابد من تمازج هذه العناصر الفنية التى تمد الصورة بالحياة .

---

(١) بناء الصورة الفنية للدكتور / كامل حسن البصير ص ١٢٨ .

فالفكرة لها دورها فى الصورة الأدبية ، (وهى المادة الأساسية التى يستخدمها العقل فى الإنتاج • ومنها يبنى الجديد ، وبها يلجأ إلى إيقاظ العواطف)[1] وارتباط الفكرة بالعاطفة فى الشعر أمر مهم ، إذ لابد من تمازج الفكرة بالعاطفة على أن لاتطغى الأفكار على العواطف ، فالشاعر الذى يستطيع تحويل الفكرة من خلال وجدانه إلى إحساسات نفسية يلونها بشعوره الخاص ويوصلها بعاطفته وإنفعالاته يجعلنا ندرك الحقائق عن طريق الإحساس لا عن طريق العقل ، حتى نتذوقها تذوقا أدبيا يمتع النفس ويملؤها نشوة وبهجة •

أما العاطفة فإنها لبّ الصورة الأدبية وعمادها ، وهى ملكة فى الإنسان تدرك آثارها ولايدرك كنهها ، تلتقط الحقائق ـ الأفكار ـ فتنفعل بها وترسلها للخيال الذى يقوم بدوره فى تكوين الصورة وإبداعها ، لذلك كان لإرتباط العاطفة بالخيال دور مهم فى تكوين الصورة وإبداعها • كما أن للعاطفة تأثيرا بعنصر الموسيقى ، التى هى لغة العواطف والوجدان ،والتى يشترط فيها أن تساير موضوع القصيد من أجل إتمام دور الصورة • وغير خاف علينا ما لجرس الألفاظ وتوازن الفقرات من إيقاع ورنين موسيقى خارجى يستميل الآذان ، وداخلى يستهوى الأفئدة ويتحدث إلى النفس ، فيزيد المعنى بذلك عمقا وثباتا •

أما الخيال فهو إحدى ملكات العقل القادرة على التخيل :

---

(١) الأصول الفنية للأدب / عبد الحميد حسن ص ١٣٩ •

(أ) إما بإستحضار المدركات السابقة التى إنعكست على مرآة العقل ثم استقرت فى مخزن الذاكرة . وهذا هو (الخيال التذكرى أوالحضورى).

(ب) وإما بتأليف صورة جديدة من الصور القديمة المتراكمة فى العقل ، حينما يثيره مدرك حسى جديد ، وهذا هو (الخيال الإختراعى) وهو النوع الذى يفهم من كلمة الخيال فى الأدب [١] .

ويلعب الخيال دورا هاما فى الصورة الأدبية إذ هو الأساس (فى تشكيلها ، يلتقطها ببراعة من مشاهدات الواقع وملابسات الحياة اليومية ، أو يرتفع بها عن الحوادث العادية فيستمدها من مناظر الطبيعة ومهابط الجمال الرفيعة ويمزج بين عناصرها المختلفة فتجيء خلقا جديدا يختلف فى طبيعته وخواصه عن العناصر الأولية التى يتألف منها [٢]) .

فالشاعر بذلك يحاول أن يظهر مايشعر به لا ماتراه العيون أو تسمعه الآذان ، وهو حينما يعبر عما إرتسم فى ذهنه يعمد إلى تصوير الأثر الذى شعر به ووسيلته فى ذلك وفى نقل التجارب إلى ذهن القارىء أو السامع هى (الخيال)،ثم إن المتلقى - فى الوقت نفسه - لايتأثر بالتجربة إلا إذا نظر إليها بعين الخيال .

كما أنه يجب على الأديب فى تخيله أن لايقلب الحقائق ويبعد بنا - فى تصوره - عن دائرة الحياة التى تلابسنا ، وإلا كان خيالا سقيما عقيما ، ولا بأس هنا بالمبالغة التى تحمل الجدة والطرافة - ويجد فيها القارىء

---

(١) الأصول الفنية للأدب لعبد الحميد حسن ص ٩١ .
(٢) الشعر العربى المعاصر د. طاهر أحمد مكى ص ٨٣ .

أو السامع متعا تعطو بها نفسه وتسمو حياته - من غير إسراف ، وإلا كانت الصورة ممقوتة (١) .

والخيال وثيق الصلة بالوجدان فى الصورة الأدبية ، إذ لابد من إمتزاجهما معا - كما أشرنا إلى ذلك فى العاطفة - من أجل المجىء بأمتع الصور ، بخلاف إفتراقهما الذى يؤثر على جمال الصورة . أما الأسلوب فهو القالب الذى يصب فيه الشاعر فكره وعاطفته ، وبواسطة الأسلوب ينقل الشاعر إلى ذهن القارىء أو السامع مايجيش فى نفسه من المعانى والخواطر والعواطف،منظما إياها فى شكل خاص يطبع به إنتاجه (٢).

وفى (الأسلوب الشعرى) يكون جانب العاطفة بارزا ومتغلبا ،والشاعر فيه مالكا زمام الوجدان ، وهدفه إثارة العواطف ، وإيقاظ المشاعر فى نفس القارىء حتى يشعر بمثل شعوره ، وذلك بخلاف (الأسلوب العلمى) الذى يقوم على الحقائق والمعلومات والتجارب ، وعرضها عرضا منظما تتدرج فيه الأفكار من الأسباب إلى النتائج وهو مايهدف إليه ، و (الأسلوب العلمى المتأدب) الذى نرى فيه جانب الحقائق والأفكار يغلب جانب العاطفة والوجدان ، كما فى النثر الفنى والمقامات ، والمناظرات (٣).

كما أن للخيال دورا مؤثرا فى الأساليب غير المباشرة التى يحرص فيها الشاعر على إعمال الذهن والإبداع - دونما إغراق - من أجل الوصول إلى المتعة الأدبية .

---

(١) الأصول الفنية للادب لعبد الحميد حسن ص ٩٣ .
(٢) " " " " " " ص ١٨٣ .
(٣) المصدر السابق ص ١٨٦ .

وهكذا فإن الإتصال بين هذه العناصر الفنية يؤدى فى النهاية إلى إبداع الصورة .

٢ - عناصر مادية :

أما العناصر المادية فهى الكون ومايحتوى عليه من مصادر طبيعية أو حيوانية أو بشرية ، يستمد منها الشاعر مادته التى يقدمها لنا فى صوره الشعرية .

أما الوسائل التى يعمد إليها الشاعر فى إظهار الصورة فهى الأساليب المجازية من تشبيه ومجاز وأستعارة وكناية ... فضلا عن تجميلها بمحسنات البديع والموسيقى الشعرية .

الصورة الفنية عند الجندى

عمد شاعرنا فى كثير من الأحيان إلى تقديم لوحات فنية معبرة أبدعها بخياله الخصب ، وفى سبيل إبراز تلك الصور إستعان بكثير من وسائل الإبانة التى تدل على مقدرته اللغوية وتمكنه من فن التعبير الذى أحسن إستغلاله فى بناء صوره ، كما استعان بكثير من العناصر الموحيه التى ساعدت على توضيح غرضه وإكتمال الصورة فى نعه الشعرى .

ولم يقتصر إهتمام الشاعر فى هذا الجانب على جمال اللفظ وبراعة السبك ، بل إننا نلمس من وراء صوره النابضه بالحركة والحياة آثار وقعها فى النفس ؛ ذلك أنه ينقل إلينا تلك الصور بعد تلوينها بخياله ومزجها بإحساسه .

وقد تجلى ذلك فى فنونه المختلفه التى سنتناول شيئا منها بالتحليل هنا :

فمن جيد وصفه تصويره لجبل طارق قائلا : (١)

" عَلَمٌ " تَسَامَى غَارِبًا وَسَنَامَا
تَزْهُوْ الكَوَاكِبُ فَوْقَهُ أَعْلَامَا (٢)
يَأْبَى عَلَى غُرِّ السَّحَابِ جَبِيْنُهُ
تَقْبِيْلَهَا ،فَتُقَبِّلُ الأَقْدَامَا

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٨٢ - ٨٣ -٨٤ .

(٢) الغارب : مابين السنام إلى العنق .

وَيَسِيْرُ زَخَّارُ العُبَابِ بِسَفْحِهِ
مُتَطَامِنًا يَحْنِي لَدَيْهِ الْهَامَا
وَتَمُرُّ هَوْ جَاءُ الرِّيَاحِ حِيَالَهُ
حَسْرَى ، عَلَى أَعْتَابِهِ تَتَرَامَى
وَتَرَى " الجَوَارِيَ " لَاتَنَال سَلَامَهَا
إِلاَّ إِذَا أَلْقَتْ عَلَيْهِ سَلَامَا (١)
مَابَالَهُ حَضَنَ (المَضِيْقَ) كَأَنَّهُ
صَبٌّ تَدَلَّهَ فِي المَضِيْقِ غَرَامَا
يَرْعَى شَوَاطِئَهُ بِمُقْلَةِ سَاهِرٍ
عَافَ المَنَامَ ، فَلَا يَذُوْقُ مَنَامَا
هُوَ جَنَّةٌ فِي السِّلْمِ ، وَهْوَ جَهَنَّمٌ
يَوْمَ الوَغَى تُعْلِي العَدُوَّ مِرَامَا
وَأَرَى الجِبَالَ تَفَاوَتَتْ أَقْدَارُهَا
مِثْلَ الرِّجَالِ مَكَانَةً وَمَقَامَا

فقد إستطاع الشاعر فى الأبيات السابقه أن يبدع بخياله هذه الصورة الفنية المعبرة عن شموخ هذا الجبل ، عندما رسم بكلماته لوحة مكتملة تموج بالحركة وتتحرك فيها أسباب الحياة ، مستمدا مادتها من كثرة مشاهداته التى تملّت نفسيته بها من مظاهر الطبيعة وأشكالها، والتى نلمسها فى دقة ملاحظته عند تصويره الدقيق لذلك الجبل المرتفع على المضيق الذى عُرف بإسمه ، ومن خلال ذلك يحاول الشاعر أن يرسم بريشته لوحة يرمز فيها إلى الشموخ والصمود وعلو المكانة ،فها هوذا الجبل

---

(١) المراد بسلامها : التحيه المعروفه بإطلاق المدافع .

الشامخ،وها هي ذى النجوم المتناثرة من فوقه ولايكاد يعلوه شئ سواهـــا بحكم الطبيعة،وها هوذا منظر السحب الكثيفه المحيطة بجزءه السفلـــــي والتىتعجز عن بلوغ قمته ، وها هوذا هدير البحر وحركة الأمواج المتلاطمة التىتتكسر أمامه إلى أن تتلاشى ، وتلك صورة الرياح الهوجاء التـــى تترامى على أعتابه حاسرة بعد أن أنهكها صموده ، وصورة أخرى يلتقطهـــا الشاعر بدقة لمنظر السفن العابرة للمضيق الذى يحتضن هذا الجبل الأشم وقد وفّر لها السلامة والأمان .

ويستعين الشاعر بالتشبيه كى يضفى المزيد من الحركة النابضـــــة والحياة النشطة على صوره عندما يشبه هذا الجبل فى إحتضانه للمضيـــــق وسهره الدائم على رعاية شواطئه بحالة العاشق الذى تعلق قلبه بمعشوقتـــه إلى أن جفاه النوم من جراء ذلك .

وهكذا فقد أخذ الشاعر ينمى الصورة رويدا رويدا إلى أن وصل بهـــــا إلى بعد آخر نلمحه فى البيت الأخير - مما سبق - وفيه يشير إلـــــــى أن الجبال تتفاوت أقدارها فمنها ماهو ذائع الصيت وتملاء شهرتـــــــه الآفاق ومنها ماهو خامل الذكر ولا يتجاوز كونه جبلا،وذلك أمر يشبـــــه إلى حد بعيد تفاوت المكانة والمقدار بين الرجال ، وكأنه جعل ماتقدم من صور جزئيه أطلق لخياله العنان فيها رموزا وإيحاءات تعمل فـــــى خدمة الصورة الكليه التى قصد إليها الشاعر فى نهاية الأبيات ،وتلـــــك ضربات فنية متلاحقه إستطاع أن يعبر فيها عن مقدرة فائقة فى رســـــم الصور الخافقة بروح الحياة والشعور .

ومن مظاهر الطبيعة التى وصفها الشاعر ،تناوله لصورة المظاهـــــر المصاحبة لطلوع الفجر بالتفصيل فى قولـــــه (١)

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص ٢٨٣ .

سَمِعْتُ صِيَاحَ " أَبِـي المُنْـذِرِ "
كَوَعْـظِ الخَطِيْبِ عَلَى المِنْبَـرِ (١)
وَقَدْ لَاحَ لِلأُفْقِ " كِسْرَى " الصَّبَاحِ
بِوَجْهٍ رَقِيْـقِ السَّنَا أَشْقَـرِ
وَوَلَّى نَجَاشِ الدُّجَى " هَارِبـًا
هُرُوْبَ " ابْنِ آوَى " مِنَ "القَسْوَرِ"
وَرَاحَتْ كَوَاكِبُهُ الثَّاقِبَـاتُ
إِلَى الغَرْبِ فِي صَفِّهَا المُدْبِـرِ
كَأَنَّ أَدِيْمَ السَّمَاءِ الصَّقِيْـلِ
- لِمَنْ شَامَهَا - ثَبَجُ الأَبْحُـرِ (٢)
كَأَنَّ النُّجُوْمَ بِآفَاقِهَـا
نَوَاوِيْرُ فِي رَوْضِهَا المُزْهِـرِ (٣)
كَأَنَّ الثُّرَيَا بِأَعْنَانِهَـا
لِجَامٌ مِنَ الوَرِقِ الأَنْضَـرِ
أَوِ النَّرْجِسِ الغَضِّ فِي بَاقَـةٍ
أَوِ الدُّرِّ يَبْهَى عَلَى مُعْصِـرِ (٤)
كَأَنَّ المَجَرَّةَ - فِي طُوْلِهَـا
وَفِي عَرْضِهَا - فِرَقُ العَسْكَـرِ
كَأَنَّ الدَّرَارِيَّ ، حَوْلَ الهِـلَالِ
لآلِـئُ دَارَتْ عَلَى خِنْجَـرِ
هُوَ الدِّيْكُ آذَنَنَا بِالهُبُـوْبِ
مِنَ النَّوْمِ : مِنْ مَوْتِنَا الأَصْغَـرِ

---

(١) يكنى الديك بأبي المنذر ،وأبي حسان ، وأبي بُراثل - بضم الباء .
(٢) ثبج كل شئ معظمه . (٣) النواوير : جمع نوار : الزهر الأبيض.
(٤) المعصر كمنذر : الفتاة في سن البلوغ .

وَقَدْ نُشِرَ النَّاسُ قَبْلَ النُّشُوْرِ
وَغَصَّتْ بِهِمْ سَاحَةُ المَحْشَرِ

وهى صورة تنم على ثراء خياله ، وخبراته ومشاهداته ، وسعة مخزونه الثقافى ، كما تدل على قدرته الفائقة على إيجاد العلاقات الملائمة بين العناصر المختلفه التى يبنى منها تلك الصور المشعة بالألوان والنابضه بالحركة ، ويقدم لنا فيها مشهداً رائعا ليقظة الفجر على صوت (أبى المنذر) الذى يشبه إرتفاع صوته بإرتفاع صوت الخطيب الذى يعظ من فوق المنبر .

ونرى إشراق العقيدة فى نفسه واضحا عندما إستوحى من منظر هبوب الناس من نومهم على صيحة الديك صورة معبرة تذكر بهبوبهم من صوتهم الأكبر فى يوم الحشر . ويفصل الشاعر فى وصف بعض المظاهر الطبيعيه الّتى صاحبت طلوع الفجر، فيصور إنتشار ضوء الصباح الذى غطى الأفق ، وانسحاب الظلام هاربا منه، ويتخيّل على سبيل الإستعاره صورة ملك الفرس (كسرى) بوجهه الرقيق ، المضئ الأشقر، وبملكه الواسع ليدلل على قوة إنتشار ضوء الصباح فى الأفق ،كما يستعير للظلام الهارب صورة (نجاشى الحبشه) الذى لم يستطع الصمود أمام انتشار قوة (كسرى) وولى هاربا - وهنا نلاحظ إحتفاء الشاعر بالصباح - ويشير إلى سرعة ذلك الهروب عندما يشبهه بسرعة هروب (إبن آوى)[1] من (الأسد) ،ويعنى بتفصيل صورة هروب الظلام فيطلعنا على مشهد إنسحاب الكواكب المضيئه هاربة خلف قائدها ،

---

(١) إبن آوى : حيوان برى ،ليلى ، يتبع فصيله الكلبيات ،ويستوطن جنوب شرقى آوروبا وآسيا وإفريقيا ،ويتغذى بالجيف والنبات والحيوان،ويشبه الذئب ولكنه أصغر منه ،والنوع الإفريقى موجود بمصر ، وإن كانت شهرته الذئب - انظر الموسوعه العربيه الميسره ص ١٠ ،الطبعه الثانيه ١٩٧٢ م دار الشعب .

ويصور من يقترب بمناظهر من السماء مجلياً عند طلوع الفجر بمن يقعد لنبج البحر - أى وسطه ومعظمه -.

ويرينا النجوم المتناثرة فى آفاق السماء وكأنها زهر أبيض متناثر فى روضه بهيجه، ويعمل على تكثيف صورة تلك النجوم عندما يصف مجموعة نجوم (الثريا) المتكاثره فى نواحى السماء وكأنها لجام من فضة خالصة براقه ، ويصفها بالنعومة عندما يصورها بالنرجس الطرى الذى جمع فى باقة ، ويصورها بلؤلؤ مضئ على صدر فتاه فى سن البلوغ .

ليدلل على جمال المنظر وروعته، وتعدد التشبيهات هنا لموصوف واحد يدل على نظرة الشاعر إلى الثريا من عدة زوايا، وبأبعاد مختلفه ، ففى المره الأولى رأى لجاما من فضه، وفى الثانية اقترب أكثر فشاهد باقة نرجس غض ،وفى الثالثه دقق أكثر فإذا به يرى حبات جواهر تتلألأ على صدر فتاه فى ميعة العمر .

وبخيال شعرى مقتبس من المخزون الثقافى يصور (المجرّه)[1] فى طولها وعرضها وكأنها فرق من العسكر ، ويصور الكواكب الكبيره الملتفة حول الهلال وكأنها لآلئ دارت على خنجر، وعلى هذا النمط يتناول الشاعر بعض الظواهر والمعانى فيصورها بأكثر من صورة ليوضح لنا بدقه المعالم التى أراد إبرازها .

---

(١) المجرة : شرج السماء ،يقال هي بابها وهى كهيئة القبه (انظر لسان العرب لإبن منظور جـ٤ ص ١٢٩ دار صادر) وفى الموسوعة العربية الميسره ص ١٦٤٨ : تحتوى المجرة على ثلاثين ألف مليون نجم ،أكثرها فى منطقة عريضه تشبه طريقا أبيض فى السماء ،والسبب فى ذلك إنبساط شكل المجره ،وموقع الأرض فى داخلها .

ومن الصور الطريفه التى رسمها الشاعرلفتاة حسناء تقوم بـــــدور النائحة المستأجره قوله :(١)

أَيُّ " نَعْشٍ " سَارَتْ تُشَيِّعُهُ الشَّمْسُ)(م)
وَتَسْعَى وَرَاءَهُ (الجَــوْزَاءُ)
شَغَلَ الحَامِلِيه ظَبْيٌ رَخِيْـــمٌ
لَاعِبٌ بِالعُقُوْلِ كَيْفَ يَشَـــاءُ
حَسْبُكَ اللّٰهُ ، قَدْ نَسِيْنَاكَ المَوْ
تَ ، وَلِلْمَوْتِ حَوْلَنَا ضَوْضَـــاءُ
عَجِبَ النَّاسُ أَنْ يَرَوْا فِى الضُّحَا الْمَا
تِعِ بَدْراً تَحُفُّهُ ظَلْمَـــاءُ
وَمَهَاةً تَحْتَ الأَسَـــى تَتَثَنَّـــى
خُوْطَ بَانٍ تَهُزُّهُ النَّكْبَـــاءُ
كُلَّمَا مَاسَ عِطْفُهَا انْسَدَلَ الشَّعْـــرُ (م)
فَغَطَّـى عَلَى الصَّبَاحِ المَسَـــاءُ
تُرْسِلُ الصَّوْتَ كَالْبُغَامِ وَتَرْنُـــوْ
بِعُيُـوْنٍ تَفْتِيْرُهَا صَهْبَـــــاءُ
وَتُنَدِّي خُدُوْدَهَا بِدُمُـــــوْعٍ
تَعِفُ الحُزْنَ وَهْىَ مِنْـهُ بَـــرَاءُ
تَصْنَعُ الدَّمْعَ صُنْعَهَا الدَلَّ،وَالتَّمْثِيْلُ (م)
فَـتَّ تُجِيْـدُهُ " حَـــوَّاءُ "
بَسَمَاتٌ بَيْنَ الدُّمُوْعِ كَمَا افْتَـــرَّتْ (م)
عَنِ البَرْقِ مُزْنَـةٌ وَطْفَـــاءُ
كَمْ عَفَفْنَا وَفِى الجَوَانِحِ جَمْـــرٌ
يَتَلَظَّى وَفِى الحَشَا رَمْضَـــاءُ

---

(١) ديوان ألحان الأصيل ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

وهى كما نرى صورة حية ناطقة أبدعها الشاعر بخياله بعد أن إنفعل بمنظر تلك الفتاة التى تتصنع الحزن ، ولو بحثنا عن العناصر المادية التى عول عليها فى التقاط هذا المشهد لوجدنا أنها تتألف من : جنازة تسير فى خطا وئيده إلى مدينة الأموات - شمس ساطعة - مجموعة من الكواكب- بدر تحفه الظلماء - مهاة جميله ممشوقة القوام ، ساجية العينين، بيضاء اللون كالصباح فاحمة الشعر كالمساء - نحيب - صوت ظباء - دموع مصطنعه - بسمات دل - جمر يتلظى،وحجارة إشتد عليها وقع الشمس .

ومن هذه العناصر إستطاع أن يبدع لوحة فنية بارعة نلمح من ورائها عمق إحساسه بالجمال وتأمله فى نفسه ،كما نرى فيها دقة التصوير المنظم الذى يدل على سعة خياله؛عندما أخذ يرسم بريشته الإطار العام لهذه الصوره والذى نشاهده فى منظر الجنازة التى أحيطت بالمشيعين وفى أذيالها نوائح يشبههن بكواكب " الجوزاء " ومن بينهن نائحة حسناء يشبهها بالشمس،ويفرد صورة خاصه لتلك الحسناء التى إنعكس سحر جمالها على المشيعين من حولها ،فانشغلوا به ، وسيطر عليهم حتى أنهم نسوا رهبة الموقف المحيط بهم،ويشبه حالهم فى ذلك بدهشة من يرى فى الضحى-المرتفع غاية الإرتفاع - بدرا منيرا تحفه الظلماء، وهنا نلمس عمق إحساسه وقدرته الفائقة على تجسيد الأمور المعنويه .

وبعد انتهائه من إبراز ذلك المنظر العام أخذ بتركيز الصوره على تلك الفتاة،فتتبع كوا من سحرها معتمدا على وسيلة التشبيه فى ذلك؛ فتارة يشبهها بالمهاة، وتثنيها بالغصن الطرى الناعم الذى تمايله الرياح ، ويشبه حركة إنسدال شعرها الأسود على وجهها الأبيض بتغطية الليل على الصباح ، ويزيد فى تركيز الصورة على وجهها فإذا صوتها الرقيق كصوت الظباء ، وإذا حركة إنكسار جفونها شبيهة بالصهباء .

ويرسم مشاعرها بدقة من خلال إمعانه النظر فى وجهها،فيقدم لنا صورة ناطقة لنائحة دمعها زيف وحزنها مصنوع لامطبوع ، وقد وفق فى اختيار التراكيب المعبرة بالصوره عن زيف المشاعر والتى نلمحها فى مثل قوله : تَصْنَعُ الدَّمْعَ - تَصْنَعُ الدَّل - تُنَدِّى خُدُوْدَها بِدُمُوْع - بسمات بين الدموع - التمثيل ...

واستطاع بذلك أن يستخرج لنا تلك الصور التى إنتزعها ببساطه وربط بين اجزائها بإحكام نشعر فيه بسريان العاطفه الرقيقه والإحساس المرهف خلف تلك الصور التى تفضى إلى الصورة العميقه التى أرادها من وراء ما تقدم من صور ، ونلمحها بجلاء فى البيت الأخير الذى نشعر فيه بحجم المعاناة الملازمة له من جراء تجربة الحب الواقعيه التى عرفناها فى فن النسيب من شعره ولمسنا فيها صورة العفة التى تغنى بها .

ومن الصور المفعمة بالإحساس ،الدالة على خصب خياله قوله فى رثاء صديقه الشاعر (محمد الأسمر)[1] :

رَثَـاكَ الصَّدِيْقُ الصَّدُوْقُ الَّـذِى
عَنِ العَهْدِ لِلصَّحْبِ لَايَغْفُـلُ
يَقُدُّ المَرَاثِىَ مِنْ قَلْبِـهِ
كَمَا لَفَحَ المَارِجُ المُشْعَـلُ
سَوَاثِرُ تَشْجُوْ فُؤَادَ الخَلِـىِّ
وَتُزْجِى العَزَاءَ لِمَنْ يَثْكِـلُ

---

(١) ديوان فى ظلال القمر ص ١٨٤ .

فَلَيْتَكَ كُنْتَ لَهُ رَاثِيـــــــــاً
وَيَالَيْتَ أَنَّ الـــرَّدَى يُمْهِـــــلُ

فنلاحظ فى هذه الأبيات براعة الشاعر فى تصوير أحاسيسه وتجسيدهـــــا فى شكل محسوس لمّ فيه العناصر المتفرقه ، كالقلب ، المراثى ، المـــــارج المشعل ، الخليين ، الثكالى ، الشجو ، العزاء ، وتمكن بخياله الخصيب أن يؤلف منها تراكيب حسنة ، وصورا معبره ، نلمح فيها تلك المراثـــــى وقد صارت قطعة من قلبه الملتهب الذى يلقى بشواظ حزنه على كل مـــــن حوله ،ويزيد فى توضيح ذلك مستخدمـا وسيلة التشبيه فى قوله (كَمَا لَفَحَ المَارِجُ المُشْعَلُ) .

ثم يصور عمل تلك المراثى الملتهبه التى يجد فيها قلب الخلى شجـــوا كما تجد فيها قلوب الثكالى عزاء لأنهم سيجدون فيها حزنا وألما يفـــوق ماعندهم،وقد إستطاع بذلك أن يصور لنا ألمه وحزنه الذى كان أشـــــد من طاقته فى التحمل وهذا البعد يوحى لنا بعجزه عن تحمل الموقـــــف وتهالكه أمام الحدث .

وتحمل مراثى الجندى صورا دقيقة متقنه التركيب ، نستشعر فيهـــــا صدق العاطفة وعمق الإحساس ، ونلمس فيها ذات الشاعر الرقيقة الحساســه المتدفقة بالعاطفه التى تفقد السيطرة على نفسها أمام الحدث .
كما نرى فيها قدرته الفائقة على التخيل الذى يظهر فيه مدى التفاعـــل مع الوجدان.ويتخذ من التصوير وسيلة لإخراج أفكاره ومعانيه فـــــى صور ملموسة تجسم إنفعالاته بدقة وتمدها بأسباب الحياه،وشاهدنـــــا على ذلك هذا الحشد من الصور الماثجه بالإحساس والتى تبرزها هـــــذه الأبيات التي قالها فى معرض رثائه لصديقه الشاعر (محمد الهراوى)[1]

---

(١) ديوان ألحان الأصيل ص ١٦٥ .

وقد سبق لنا تحليلها فى فن الرثاء (١)

يَالَذِكْرَى هَاجَتْ بَلَابِلَ صَدْرِى
وَأَعَارَتْ قَلْبِى جَنَاحَىْ " عُقَابِ"
قَلِقٌ تَحْتِىَ الوِسَادُ كَأَنِّى
أَتَنَزَّى عَلَى رُؤُسِ الْحِرَابِ
بَيْنَ لَيْلَيْنِ : مِنْ دُجَىً وَهُمُومٍ
نَاهِضَاتٍ إِلَىَّ مِنْ كُلِّ بَابِ
مَثَّلَا لِىَ الخِضَمَّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ
تَحْتَ مَوْجٍ مُجَلَّلٍ بِسَحَابِ
كُلَّمَا طَارَ فِى السَّمَاءِ شِهَابٌ
طَارَ قَلْبِى وَثْبًا وَرَاءَ الشِّهَابِ
أَوْ ذَكَا البَرْقُ فِى الدُّجُنَّةِ نَارًا
شَبَّ نَارَ الأَحْزَانِ مِلْءَ إِهَابِى
يُسْعِدُ الذِّكْرُ أَهْلَهُ وَأُلَقَّى
ذِكْرَيَاتِى مُحَطَّمَ الأَعْصَابِ

ويصور لنا الشاعر بخياله أثر الحزن على نفسه بعد تلقيه نبأ موت أحد أصدقائه قائلا : (٢)

نَبَأٌ أَتَانِىَ فِى المَسَاءِ ، فَكَانَ لِىْ
مِنْهُ ، وَمِنْ حَلَكِ الدُّجَى لَيْلَانِ
أَهْدَى إِلَى قَلْبِى جَنَاحَ " حَمَامَةٍ "
وَأَطَارَ " بَازَ " النَّوْمِ عَنْ أَجْفَانِى

---

(١) الباب الثانى (فن الرثاء) ص ١٦٣ ، ١٦٤ .
(٢) ألحان الأصيل ص ١٥٩.

وَكَسَالَايَ أَدْمُعِي وَجُمَانَهَا
لَوْنَ العَقِيْقِ ، وصِبْغَةَ العِقْيَانِ
مَرَضٌ عَلَى مَرَضٍ أُذَابَ حُشَاشَتِي
هَلْ لِيْ بِحَمْلِ العِلَّتَيْنِ يَدَانِ ؟
لَا ،قَدْ نَسِيْتُ بِمَنْ أُصِبْتُ مُصِيْبَتِي
وَلَطَالَمَا اسْتَشْفَيْتُ بِالأَحْزَانِ
وَمِنَ الأَسَى آسٍ يُمِدُّكَ بِالأَسَى
وَيُعَالِجُ الأَشْجَانَ بِالأَشْجَانِ

فأتى بصورة حزينه تعتمل فى نفسه - بسبب ذلك العذاب،مركبه من صور جزئيه دقيقه تموج فيها الحركة والألوان والأصوات،فنراها فى تغير لون حبات دموعه المتساقطة الشبيهة بحبات اللؤلؤ المكسية بلون العقيق وصبغة الذهب الخالص،ونسمعها فى ضربات قلبه الخفاق التى تكاد تقتلعه من جوفه وهذه الهيئه شبيهة (بخفق الجناحين للطائر المدوى) .

كما نلحظها فى هيئة ذهاب النوم من عينيه بسرعه بعد تلقيه ذلك النبأ الشبيهة بسرعة طيران الباز المغار،ونلمح سرعة الحركه فى قوله : (وأَطَارَ بَازَ النَّوْمِ) والمعانى النفسيه التى تثيرها هذه الصور التمثيليه أعمق من أن تكون مجرد تشابه شكلى بين طرفين .

ويعمد شاعرنا إلى تصوير مرئياته بعد أن يتأثر وينفعل،فيحاول بخياله الخصيب تقريب الصورة وتبسيطها معتمدا على قدرته فى الربط بين الأشتات المتفرقه التى يؤلف منها دون إغفال عن دور الأحاسيس التى

تمثل الظل الملتمع والمنتظر من وراء الصور،وهذا مانلمحه بوضوح عند تصويره للأمور المعنويه بالأشياء الحسيه ، والشاعر الجيد هو الذى يستطيع أن يشعرنا بمثل ماشعر بعد أن يشدنا إلى التحليق معه فى تلك الصور التى أبدعها بخياله .

وهذه إحدى الصورالتى نشعر فيها بتحسر الشاعر على سرعه إنقضاء الأوقات الجميلة من عمر الإنسان وذهابها إلى غير رجعه مع بقاء صداها المثير للحسرة فى النفس .وفيهايتذكر بحسرة تلك الليالى الجميله التى مازالت لمعة سناها عالقة بنفسه ؛ ويصور تلك اللمعه بدقة عندما يستعين بتشبيهها بملعة الضوءالمنعكس من حدقة العين السوداء خلف نقاب خفيف فى حالة وميضها ، ثم يصور سرعة زوال تلك الليالى بسرعة زوال حبات الهواء الطافية على الأكواب الممتلئه بالسوائل ، ويزيد فى تعميق المشهد عندما يصور سرعة زوالها بالهيئة المحسوسة عن طيف الحبيب حينما يطرقه فى المنام ويسعده بالوصال لفترة وجيزة مايلبث أن يزول بعدها عند إستيقاظه من النوم،وفى كلٍ شعور بالحسرة والحزن من سرعة الإنقضاء، ولنا أن نتأمل روعة الإيحاء فى تعبيره بالألفاظ الحركية فى قوله: يَدْنُوبِهِ الغَمْضُ- وتُقْصِيْهِ رَقْعَةُ الأَهْدابِ. وهذه الصورة نلمسها واضحة حين نستمع إليه قائلا :(١)

وَلَيَالٍ كَأَنَّهَا مِنْ سَنَاهَا
وَمَضَاتُ الأَحْدَاقِ خَلْفَ النِّقَابِ
كَيْفَ مَرَّتْ بِنَا عِجَالاً ؟ فَكَانَتْ
كَحَبَابٍ طَفَا عَلَى الأَكْوَابِ

---

(١) ديوان ألحان الأصيل ص ١٦٤ .

أَوْ كَطَيْفِ الحَبِيْبِ يَدْنُوْبِهِ الغُمْضُ (م)
وَتُقْصِيْهِ رَقْعَةُ الأَهْدَابِ
خُلَسٌ مِنْ بَشَاشَةِ العَيْشِ وَلَّتْ
تَسْتَحِثُّ الخُطَا بِغَيْرِ إِيَابِ

ويرسم الشاعر بخياله مشهدا آخر يرصد فيه حركة مسير الزمن السريعه عندما يصور لنا تلك السرعة التى نشاهدها عند هروب الطائر فزعا بعد إثارته من قبل القانص،وذلك مانراه فى البيت الثانى من قوله :(١)

أَنْتُمْ بَنُوْ زَمَنٍ يَحْدُوْبِكُمْ عَجِلاً
فَسَايِرُوْهُ فَإِنَّ السَّابِقَ العَجِلُ
لِحَظْتُهُ (طَائِرًا) يَهْفُوْ بِأَجْنِحَةٍ
مِنْ خَوْفِ قَانِصِهِ قَدْمَسَّهُ الخَبَلُ

أما الصوره فى غزله فهى رقيقة ، تزخر بالحركه ، وتتماوج فيها الأحاسيس والإنفعالات ، وتكشف لنا عن جانب مهم نشاهد فيه صورة لوجدان الشاعر ، ونستمع إلى ذلك فى قوله واصفا جمال محبوبته :(٢)

أَرَاكِ فَتَعْرُوْنِى لِرُؤْيَاكِ خَشْيَةٌ
كَأَنِّىَ أَتْلُوْ فِى مُحَيَّاكِ مُصْحَفَا
وَأُغْضِى حَيَاءً واحْتِشَامًا لِصُوْرَةٍ
جَلَتْ لِىَ شَطْرَ الحُسْنِ فِى وَجْهِ (يُوْسُفَا)

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ١١١ .

(٢) ديوان ترانيم الليل ص ٢٧٤ .

وَيَسْكُبُ فِى سَمْعِى حَدِيْثُكِ نَشْـــــوَةً
كَأَنِّـى - وَلَمْ أَشْرَبْ - تَعَاطَيْتُ قَرْقَفَـــا
فَأُبْصِرُ بَدْرًا قَدْ عَدَاهُ سَـــــرَارُهُ
وَأَنْشُقُ رَيْحَانًا ، وَأَسْمَعُ مَعْزَفَـــــا
وَتَنْظُرُ فِى عَيْنَيْكِ عَيْنَاىَ عَالَمًـــا
مُوَشًّى بِأَصْبَاغِ الرَّبِيْعِ مُفَوَّفَـــــا
وَدُنْيَا مِنَ الأَفْرَاحِ، وَالرَّاحِ وَالسَّنَا
وَعَيْلَمَ سِحْرٍ بِالطُّيُوْفِ مُغَلَّفَـــــا (١)
شُغِفْتُ بِحُسْنٍ لِلْجِنَانِ انْتِمَـــاؤُهُ
تَأَنَّقَ فِيْهِ بَارِئُ الحُوْرِ وَاحْتَفَـــى

فقد استطاع أن ينقل لنا صورة معبرة عن ذاته عندما تمكن من تصويـــر أثر هذا الجمال بأسلوب متلطف رقيق محتشم ، إبتعد فيه عن التجسيـــــد، وأبدع بخياله رسم أثر تلك الأحاسيس التى تدل على مدى تذوقه للجمـــــال؛ فيطلعنا على أنه يحس عند رؤيتها وسماع حديثها بنشوة تُسكب فى أذنه وتثير مشاعره ، ويصور تلك النشوة الشبيهة بمشهد المخمور الذى يرتعد بعـــــد شرب المسكر نشوانا ، ويرسم لنا ما رآى فى نشوته -التى لم يشرب فيهـــــا الخمر - فيخبرنا أنه شاهد قمرا دائم الضياء واستنشق عبيرا فواحا وسمـــع لحنا موسيقيا عذبا ، ثم ينتقل إلى رسم مشهد يصور فيه نفسه وهو ينظـــر إليها فيغض بصره حياء واحتشاما مستوحيا بخياله جلال حسن سيدنا يوســـف -عليه السلام-، وينقل لنا مشاهد أوحت له بها عيناها الساحرتان فسبـــح

---

(١) العيلم : البحـــر .

بخياله فيها ورأى كونا فسيحايتوشى بألوان الربيع الفاتن ، ودنيا من الأفراح والأنوار والبهجه ، مغلفة ببحور ساحرة من الخيال ، وفى هذا دليل على قدرته الفائقة فى التخيل وتجسيد المشاعر .

وعندما يتغزل الشاعر بجمال محبوبته الحسى فإنه ينقل لنا فى بعض الأحيان صورا ينتزعها من مخزونه الثقافى الذى يعتمد فيه على أدب التراث،وهذا ما نلمحه فى تقليده لبعض الصور التى يحاول فيها إظهار جمال محبوبته فى أحسن منظر ، وتبدو ملامح تلك الصور بجلاء فى الشعر العربى القديم .

ومن ذلك تشبيه وجهها بالبدرفى مثل قوله :(١)

" لِنُعْمَ " مُحَيَّاً أَبْدَعَ الحُسْنُ صُنْعَهُ
يُضِيءُ ـ عَلَى الظَّلْمَاءِ ـ كَالتَمَرِ التَّمِّ

وتشبيه إطلالة وجهها المضئ بإطلالة الصباح ،ونظراتها الحاده التى تشبه حد السيوف العريضة فى قوله :(٢)

تُطِلُّ بِوَجْهٍ كَوَجْهِ الصَّبَاحِ
وَتَرْنُوْ بِلَحْظٍ كَحَدِّ الصَّفَاحِ

وتشبيه نشاطها بنشاط المُهْر وقت المراح فى قوله :(٣)

وَتَأْرِنُ ـ تَحْتَ دَلَالِ الجَمَالِ ـ
كَمَا يَأْرَنُ المُهْرُ وَقْتَ المُرَاحِ

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ٣٠٠ .
(٢) ديوان ترانيم الليل ص ٢٧٢ .
(٣) المصدر السابق .

وتصوير صوتها الجميل بقوله :[١]

وَصَوْتٌ خَفِيضٌ بِهِ بُحَّةٌ
كَأَنَّهُ مُنْخَنَقٍ بِالْجِرَاحِ

ويكمل رسم صورتها من ذلك المخزون الثقافى بأن يشير لجمالها بالبدر، وقدها الممشوق بالبان ، وخدودها الحمراء بالورد ،وثغرها الأحمر بالأقحوان ،وأسنانها الناصعة بالجواهر ،وريقها البارد بالشراب المعتّق فيقول :[٢]

وَالْوَرْدُ خَدُّكِ ، والأَقَاحِى مَبْسِمٌ
يَحْوِى الشَّرَابَ مُعَتَّقًا ، وَالجَوْهَرَا
وَالبَانُ قَدُّكِ ،حَبَّذَا البَانُ الَّذِى
مِنْ فَوْقِهِ بَدْرُ الدُّجُنَّةِ أَسْفَرَا

وفى موضع آخر يعمد الشاعر إلى الإنطلاق بخياله من خلال جزء من التصوير التقليدى الذى يقول فيه أن لها لِمَّةً سوداء كجناح الغراب تغطى جبينها المضئ- ويوفق إلى إبداع لوحة يشبه فيها ماتقدم بمشهد يلتقطه ببراعة من منظرالسحب التي تغطى بعض الضياء من القمر الناصع فيقول :[٣]

لَهَا لِمَّةٌ كَجَنَاحِ الغُرَابِ
تُغَطِّى جَبِيْنًا مُضِئَ النَّوَاحِى
كَمَا حَجَبَ الغَيْمُ بَعْضَ الضِّيَاءِ
مِنَ القَمَرِ المُسْتَنِيْرِ اللَّيَاح

---

(١) المصدر السابق نفسه .
(٢) ديوان فى ظلال القمر ص ٢٦٩ .
(٣) ديوان ترانيم الليل ص ٢٧٢ .

ويتغلغل الشاعر بخياله الممزوج بالإحساس فى بعض الصور التى يقيمه فيها على الحكمة والتأمل ، وهذا مانراه فى هذه الأبيات التى تروى حادثا وقع لعروس حسناء ، تسرب إليها ثعبان فى ليلة جلوتها ، فلدغها لدغة خرت على اثرها ميتة ،ثم انسل هاربا بعد أن آحال الفرح إلى مأتم حل فيه النواح محل الغناء ،ويصور ذلك بقوله :(١)

أَجِبْنِي وَمِثْلُكَ لَايَكْتُمُ
أَأَنْتَ بِهَا كَلِفٌ مُغْرَمُ

سَبَاكَ جَمَالٌ يَهِيْجُ الغَرَامَ
بِقَلْبِ الخَلِيِّ فَيَسْتَسْلِمُ

وَشَفَّكَ حُبٌّ حَمَاكَ الكَرَى
فَبَاتَ عَلَيْكَ الكَرَى يَحْرُمُ

عَذَرْتُكَ إِكَيْفَ يَنَامُ المَشُوْقُ
وَأَضْلَاعُهُ لَهَبٌ مُضْرَمُ

فَغِرْتَ عَلَيْهَا ،وَكَمْ غَيْرَةٍ
يَسِيْلُ عَلَى طَرَفَيْهَا الدَّمُ

فَأَطْفَأْتَ غَيْظَكَ فِى لَذْغَةٍ
تَشِيْطُ بِهَا السَّاقُ وَالمِعْصَمُ

فَأَصْمَيْتَهَا فِى ثِيَابِ الزِّفَافِ
وَعَاجَلَهَا القَدَرُ المُبْرَمُ

وَحَلَّ النُّوَاحُ مَحَلَّ الغِنَاءِ
وَنَابَ عَنِ الفَرَحِ المَأْتَمُ

وَرُبَّ مُحِبٍّ لِفَرْطِ الجَوَى
يُقَارِفُ ذَنْباً وَلَايَعْلَمُ

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص ١٢٦

وَيَأْتِي الْجَرِيْرَةَ - وَهْوَ البَـــرِئُ -
وَيَفْعَـــلُ مَايَفْعَـــلُ الْمُجْـــرِمُ
وَفِي غَفْلَةِ العَقْلِ يَقْضِي عَلَـــى
حَبِيْبِ الفُـؤَادِ وَلَايَرْحَـــــمُ

ولننظر إلى أي حد لعب خياله الشرى فى المجئ من تلك الحادثـــــة - بصورةٍ تحمل بعدا عميقا نلمحه فى الغيره العمياء التى تفقد صاحبها عقلـــه، وتحمله على ظلم أحب الناس لنفسه إلى درجة البطش ، ولقد جنح الشاعـــــر بخياله البارع عندما بث مشاعر الوجد فى ذلك الشعبان المغرم بتلك الفتـاة التي سباه حسنها وأهزله طول السهر والتفكير فيها ، وهنا نلمح صـــــورة لمايمور فى نفس الشاعر من أحاسيس ومايدور بخلده من خواطر ،ويتابع تصوير ذلك العل العاشق الذى اضطرمت نار الغيرة فىنفسه عندما أحس أن محبوبتـــه ستئول إلى غيره ، فما كان منه سوى تسديد لدغة مميتة لها ، أطفأبهـــــا نار غيرته المتأججه ،دون تفكير فيما سيقدم عليه من جرم ، ويصور مشهـــد الفرح الذى انقلب إلى مأتم يضج بالنواح الحزين بعد أن كانت تتعالى فيـه أصوات الغناء المشجى ... وهى صورة تنطق بالصوت وتتماوج بالحركه وتشـــع بالعاطفه .

لقد نقلنا الشاعر فى هذه الصوره بخياله ، واستطاع أن يرينا منظـــر الغيرة العمياء القبيحه التى تمثلت فى الفعلة النكراء التى أقدم عليها ذلك المحب الذى صار مذنبا ، وتمكن أن ينقل إلينا كوامن من مشاعـــــره الدفينة التى نحسها فى قوله :

عَذَرْتُكَ كَيْفَ يَنَـــامُ المَشُـــوْقُ
وَأَضْلَاعُهُ لَهَـــــبٌ مُضْـــرَمُ

وقوله : سَبَاكَ جَمَالٌ يَهِيْجُ الغَرَامَ بِقَلْبِ الخَلِيِّ - وَشَفَّكَ حُبٌّ حَمَاكَ الكَرَى .

ومما سبق يتضح ثراء خيال الشاعر بالصور والأوصاف المختلفه ، التى يستخدمها فى بناء صوره الواضحه المعالم ،والتى تشير إلى قدرته العالية فى الملائمة والربط بين الظواهر المختلفه والمتبادله ، وجعلها تسير فى نسق واحد يكشف لنا حسن تناوله وبديع تركيبه فيها .

الفصل الثانى
منزلته الأدبية :
أ- مدرسته الفنية

ومما تقدم على ضوء الخصائص السابقة نستطيع أن ننظم شاعرنا فى سلك الإتجاه التقليدى المتطور" المحافظين المعتدلين "-الذى كان من أعضائه (أحمد شوقى)،والذى كان من خصائصه - كما أشرنا إلى ذلك فى التمهيد الذى تحدثنا فيه عن حياة الشعر فى عصره بين التقليد والتجديد - الملائمة بين القديم والجديد وهو مايسمى (بالأصالة والمعاصرة) . ففى الأصالة نجد شعراء هذا الإتجاه يتمسكون بمقومات الشعر العربى وشخصيته التى تبدو جلية فى شعرهم الذى يحافظون فيه على الأسلوب والصياغة والمعنى ونصاعة التراكيب ومتانة النسيج وجزالة اللفظ واستقامته ، أما المعاصرة فإنها تتضح فى قدرتهم على مسايرة أذواق العصر فى شتى المجالات الثقافية والإجتماعية والسياسية والانغماس فى صور الحياة وأشكالها وألوانها ، فجددوا فى معانى الشعر وموضوعاته،وفى طريقة التعبير عن عواطفهم ومشاعرهم وفتحوا الباب على مصراعيه لمن أراد الإبداع والتجديد .

وبالعودة إلى الخصائص الأدبية التى رأيناها عند شاعرنا نجد أنه من أدباء هذا الإتجاه ، فهو بيانى من ناحية الأسلوب على النحو الذى لمسناه من تأثره بأدب التراث ؛ يهتم بالألفاظ ويدرك أثر المعانى ، ويلائم بين موضوع القصيدة وصياغتها،لذلك إتسم أسلوبه بالرصانة والإحكام والموسيقى العذبة ، وعدم الخروج عن العمود الشعرى ، وقدألمعنا إلى كثير من الظواهر التى إتسم بها شعره عند دراستنا لتلك الخصائص.وهو إلى جانب قدرته على مسايرة عصره فى طرق المعانى والموضوعات الجديدة ،

والتعبير عن الوجدان ، شاعر رقيق الإحساس رومانسى العاطفة ، ولعل ذلك راجع إلى طبيعته الإنطوائية التى تمتلىء بالحياء والإحساس ، ذلك الإحساس الذى كانت تفيض به نفسه ويبدو واضحا فى نتاجه الشعرى ، وأعظم شاهد لنا فى ذلك ماقاله من شعر فى الرثاء والغزل ؛ وفى الغزل وهو شعر - كما عرفنا - يمثل تجربة حقيقية واقعية خاضها الشاعر نلمح إلى جوار عاطفته الرومانسية بعض السمات التى تؤيد وضعنا له فى (الإتجاه التقليدى المتطور) مثل مجيىء بعض قصائده فى قالب قصصى ، كما أننا نجده فى بعض المعانى قريب من إتجاه الشعر فى عصره .

ب - آراء النقاد فى شعره

قلة هم النقاد الذين تناولوا الأستاذ (على الجندى) وشعره بالرأى، ومع قلة تلك الآراء فهى شيء وجد ، ولابد من الإشارة إليه ؛ فمن خلالها يمكننا أن نحيط بنظرة أولئك الأدباء لفن شاعرنا ومناقشة بعض ماجاء فيها : بادئين برأى الناقد : مصطفى عبد اللطيف السحرتى فى كتابه (الشعر المعاصر ص ٢٠٨) :

إذ يرى الناقد بأن الأستاذ "على الجندى" من أتباع المذهب الاتباعى " الكلاسيكى " الذى يضم كثيرا من شعراء العصر الحديث من أمثال البارودى ، وحافظ ، وشوقى ، وإسماعيل صبرى ، وعلى الجارم ، وعبد المطلب ، ومحمد الأسمر ، ومحمود غنيم وغيرهم (١) .

ويتحدث عن هذا المذهب قائلا : (وهو المذهب السائد فى كثير من البلاد الشرقية ولازالت جمهرة أدباء الشرق تسجد سجدة الإجلال لإتجاهاته وأساليبه . ونعتقد أن الإستمساك بهذا المذهب أثر من رواسب العقل الباطنى، التى لايستطاع التفلت منها إلا بجهاد نفسى عنيف)(٢) .

ويمضى الناقد فى وصف أتباع هذا المذهب بأنهم مطبوعون بالطابع القديم ، سواء فى المنحى الموضوعى ، أو الأسلوبى ويقول : (وهذا التفانى فى محاكاة الإتباعية ، هو بلاريب ، خيانة أدبية للعصر المتحضر الذى نعيش فيه ،

---

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث لمصطفى السحرتى ص ٢٠٨ .
(٢) " " ص ٢٠٧ .

وفناء لشخصية الأدباء ، ولن تنمو ثروتنا الأدبية ، إذا اقتصرنا على هذا الإتجاه ، وسبنا تجاريبنا الشعرية فى قوالب السلفيين)[١] .

ويتابع حديثه قائلا : (ولو رحنا نقيم مقابلة بين شعر كثير من شعراء العصر الحديث ، مثل البارودى ، وحافظ ، وشوقى،وإسماعيل صبرى ، والجارم ، وعبد المطلب ، والهراوى ، والزين ، وعلى الجندى ، والأسمر ، وغنيم ، وغيرهم وغيرهم ، وبين شعراء العرب أو الشعراء المصريين القدامى ، لما وجدنا اختلافا فى المعنى والمبنى ، وربما وجدنا فى شعر القدامى شعرا أعلى وأسمى ، أبقى من شعر هؤلاء المحدثين ... إلى أن يقول : ولانعدو الحق العارم إذا قلنا أن معظم أعمال شعرائنا الكلاسيكية لن تعيش إلا فى بعض أذهان المعاصرين ، ولن يحفل الناقد الفنى بها)[٢] .

هكذا يتحدث الأستاذ "السحرتى" عن أبرز أعلام المدرسة الكلاسيكية مغفلا الدور الإيجابى الذى تحقق على أيديهم فى ذلك العصر ، إذ أن إتجاههم هو الخطوة الأولى ، والركيزة فى تطور الأدب العربى فى العصر الحديث - وقد تحدثت عن ذلك فى التمهيد عن حياة الشعر فى عصره بين التقليد والتجديد - ثم إن الناقد لم يراع التدرج الذى حصل فى شعر أولئك الشعراء عندما وضعهم فى دائرة واحدة تحمل مسمى (التبعية) أو (الكلاسيكية) التى تحاكى الأقدمين فى كلاسيكيتهم الضيقة التى لاتعيش إلا فى جيلها - كما يقول[٣] - ، فشعر البارودى رائد هذا الإتجاه ومن نسج على منواله من

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٠٨ .

(٣) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ٢٠٨ .

معاصريه من أمثال الشاعر محمد عبد المطلب وعلى الجارم يختلف عن شعر شوقى وعلى الجندى ومحمد الأسمر ومحمود غنيم. إذ أن مهمة البارودى هى بعث التراث الأدبى فى شتى عصوره الزاهرة وتحرير الشعر من القيود التى كبلته فى العصر العثمانى ذلك العصر الذى يطلق عليه عصر إنحطاط الادب ، وللبارودى عذره فى مجاراة القدماء لأنه يريد أن يرد إلى الشعر رصانته وجزالته ونصاعته وديباجته المشرقة ، ومع ذلك فإننا نحس ونحن نقرأ للبارودى ببروز شخصيته فى كثير من قصائده .

أما شعر شوقى وصبرى ، وعلى الجندى ، ومحمد الأسمر ، فيمكن لنا أن نقول بأنه مرحلة ثانية تلت عصر البارودى ، وقد أكملت ما انتهى إليه البارودى عندما تمسك شعراؤها بالمحافظة على الأسلوب العربى الرصين من حيث المادة التى اهتموا فيها بجزالة الأسلوب ورصانته .

كما أن هذه المرحلة قد إنفردت عن سابقتها بمواكبة العصر الذى وجدت فيه ، إذ أن كثيرا من شعرائها قد اطلعوا على الآداب الغربية ، فى بداية الإحتكاك بالغرب ، وسواء كان ذلك الإطلاع قريبا أو بعيدا قليلا أو كثيرا فالمهم هو درجة التأثر عندهم ، وقد لمحنا شيئا من ذلك فى تجديد معانى الشعر وموضوعاته لديهم ، وقد إنعكس ذلك على تعبيراتهم عن النزعات الفردية أو الإجتماعية التى يفيض بها الوجدان .

ومن ذلك نجد أن هذه المرحلة قد أخذت فى مسايرة أذواق العصر فى ملائمة منها بين القديم والجديد ، ومع أن الطابع القديم هو الغالب فى شعر هذه المرحلة ، فإننا نستطيع القول بأن إرهاصات الخطوة الأولى نحو الجديد كانت صادرة منها .

أما قول الناقد : " إن معظم أعمال شعرائنا الكلاسيكية لن تعيش إلا فى بعض أذهان المعاصرين ولن يحفل الناقد الفنى بها)[1] فأحب أن أضع إلى جوارها هذه العبارة : كما أن كثيرا من أعمالهم الشعرية مازالت تعيش فى كثير من أذهان المعاصرين وستبقى كذلك بإذن الله . والشاهد مانحن فيه .

وختاما لما سبق أشير إلى أن الناقد لم يستشهد بشيء من شعر الأستاذ على الجندى ، واكتفى بضمه إلى الكلاسيكيين فى سياق حديثه عنهم .

٢ - وهذا رأى آخر يشيد فيه الأستاذ (حمد الجاسر)بجهود الأستاذ على الجندى فى مجمع اللغة العربية ، كما يشيد بتمكنه فى اللغة حتى أصبح أحد علماء اللغة الذين انتخبوا كأعضاء فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى سنة ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م ، كما يذكر بأن الجندى على الرغم من ذلك يعد من فحول الشعراء فى قوله : " فَقَدَ مجمع اللغة العربية فى هذا العام - بل فقدت الأمة العربية بأسرها - خمسة من العلماء البارزين كل واحد منهم له آثاره التى لاتنكر فى مجال إختصاصه ، وممن فقده المجمع هذا العام الأستاذ الشاعر / على السيد الجندى (١٨٩٨ - ١٩٧٣) الذى أنتخب عضوا فى المجمع منذ أربع سنوات ، والأستاذ الجندى مع أنه من علماء اللغة ، وله مؤلفات فى البلاغة والإنشاء ، فهو يعد من فحول الشعراء ، وله دواوين شعرية تحوى قرابة عشرة آلاف بيت وقد توفى فى جمادى الأولى (٢ يونيو ١٩٧٣ م) .[2]

---

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ٢٠٨ .

(٢) مجلة العرب الجزء٥ ،٦ ذو القعدة ،وذو الحجة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م ص ٤٧٣، ٤٧٤ .

٣ — كما أثنى عليه الأستاذ (عباس حسن) فى كلمته التى ألقاها فى حفل إستقبال شاعرنا الذى اختير عضوا فى مجمع اللغة العربية آنذاك — وكان من عادة أعضاء المجمع القدامى الإحتفاء بالأعضاء الجدد المنضمين اليهم ، فينبرى أحدهم ليقدم العضو الجديد — وفى تلك الكلمة يصفه بما هو عليه من سعة المعرفة وكثرة محفوظاته الأدبية مع القدرة الفائقة على الإستشهاد ، كما يثنى على براعته وثبوت قدمه فى نظم الشعر ، ورائع البيان ، ومكانته الأدبية فى هذا الفن الشعرى التى سمت به إلى أسمى مراتب شعراء عصره وأعلامهم (١) .

٤ — ويتحدث الدكتور شوقى ضيف عن شعر " الأستاذ الجندى " فيقول معلقا على ديوانه " أغاريد السحر " : (هى أغاريد نرى فيها صورة نفسه ، وصورة عصره ، إذ سكب فيها تارة أنفاسا من الأعماق ، وأنفاس الأشحان وصميم الوجدان ، وتارة أنفاسا من أصداء الحوادث وملابسات الحياة التى مست قلبه فى رقة أو عنف . وكثيرا ما تصبح أغاريده وئيدة تتهادى ، وخاصة حين يسترسل فى وصف عواطفه ، أما إذا ألم بالمشاعر الوطنية والقومية العربية ؛ فإنه يتحول كالرعد القاصف . ولديه الحنيف نغمات محفوفة بالوقار والجلال يستوحى فيها الذكر الحكيم ، وهدى الرسول الكريم ، ورسالة الإسلام الإنسانية الخالدة) (٢) .

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية حـ ٢٥ رمضان ١٣٨٩ هـ كلمة الأستاذ : عباس حسن فى إستقبال الأستاذ : على السيد الجندى من ص ٢٣٣ إلى ص ٢٣٨ .

(٢) ديوان ترانيم الليل ص ٧ .

ويمضى الأديب فى وصف شعر الجندى من خلال ديوانه الثانى " ألحان الأصيل " قائلا : (لقد مضى فيه يتغنى بمشاعرنا الوطنية والقومية والإسلامية مصورا مجدنا ومفاخرنا وما ينهض به رجالنا العاملون . وتسود فى تضاعيف ألحانه بهذا الديوان نبرة خلقية قويمة ، وخاصة حين يصف الجمال الإنسانى ، إذ تصفو نفسه وتسمو ، مرتفعة عن الحس والمادة . ونراه يطيل فى تصوير مشاعر الأخوة والصداقة تصويرا يمثل الروح المصرية الصافية التى نعرفها من قديم عند البهاء زهير وأضرابه ، والتى تمتاز بالبشر والإيناس والبر والتعاطف مع الإخوان والأصدقاء تعاطفا يستأثر بالقلوب ، ويملك عليها كل شيء من أمرها ، فلا تجد عنه حولا . وخاصة ثانية تتجلى فى هذا الديوان هى من خصائص النفس المصرية ، ونقصد خفة الروح وما يجرى فى الشعر من الدعابة التى لا تفضى إلى سخرية ، ولا إلى إيذاء أو إيلام)[1] .

ويثنى على الشاعر فى ديوانه الثالث " ترانيم الليل " ويسمه بالإحكام عازيا ذلك إلى تقدم الشاعر فى السن ، وكثرة عكوفه على نفسه متعمقا فى تأمله ، ووصف مشاعره وانطباعاته بالرقة والصدق كما يشير إلى كثرة تأملات الشاعر فى هذا الديوان [2] .

وفى نهاية عرضه لفن الشاعر يرى الناقد أن شعره يمتاز " بجزالة الصياغة ورصانتها ومتانتها وقوتها ، وقد تجرى السهولة المفرطة فى بعض جوانب صياغته ، ولكن يظل الرونق لا يفارقها ، وتلازمها العذوبة والسلاسة -

---

(١) ديوان ترانيم الليل ص ٧ .
(٢) " " " ص ٨ ، ٩ ، ١٠ .

وسواء أكانت الصياغة جزلة فخمة ، أو سلسة عذبة ؛ فإنها تظل مستقيمة التراكيب صحيحة التعابير ، فلا نبو ولا شذوذ ، ولا خروج على مقومات اللغة وأوضاعها ، بل إستواء مطرد أحكمته براعة صناع ، تعرف معرفة دقيقة حقوق الصياغة العربية المحكمة . ويوقع الشاعر ترانيمه وألحانه على أوتار قيثارتنا الشعرية الموروثة عن الآباء والأسلاف والتى تهزنا وتروعنا بما تقدمه لنا من غذاء للعقول ، وشفاء للقلوب والنفوس ، لا لأنها تراث الأسلاف والآباء فحسب ، ولكن لأنها أيضا تحمل رحيقا موسيقيا صافيا ، يلذ الآذان ، كما يلذ الأفئدة ، فتصغى إليه منتشية بألحانه وأنغامه)[1] .

ومن ذلك نستطيع القول بأن الأستاذ(شوقى ضيف)قد بنى كلامه عن شاعرنا من خلال معايشته لفنه ، فقال ماقال بعد اطلاع أشبه مايكون بالدراسة ، ولم يكن حديثه عن الشاعر عاما عندما جَلَى فنه وبين منهجه وأبرز مافيه من الظواهر والخصائص التى رأينا شيئا منها فى دراستنا لشعر الجندى .

ومن الدارسين الذين تحدثوا عن الجندى وبعض خصائص شعره الأستاذ (أحمد قبش)الذى يثنى على شاعريته قائلا : (كان الجندى يصوغ المعانى العصرية التى تجيش بها نفسه فى أسلوب فصيح رصين محكم غنى بالنغم والموسيقى ، إنفتحت نفسه على الجمال بمختلف أشكاله وصوره وولعه به وتقصيه أثره فى كل شيء ، وله ملاحظة ثاقبة وحس مرهف وهو معتز بنسبه الذى يتصل بالأمير سليمان بن الأمير داوود بن العاضد الفاطمى ، لايعوق قواعد اللغة ولا يجافى طرائق البيان الأصلى . برىء من التكلف والحشو

---

(١) ترانيم الليل المقدمة بقلم د / شوقى ضيف ص ١٠ .

والمغالطة والتعقيد والغموض ، يصلح شعره للإستشهاد فى كل مناسبة وهو فى كل ذلك يحافظ على النهج القديم ويهاجم دعوة التحرر) .(١)

أما الباحث أنور الجندى فإنه يرى بأن (الأستاذ على الجندى) شاعر مجلى (من مفرق شعره إلى أخمص قدميه ، كأنما قد وكل إليه أمر الشعر العربى كله ، فهو حفظة له ، طوف به ماطوف وعرف قديمه وحديثه ، واستوعب غزله ورثاءه ومديحه وهجاءه على نحو مدهش رائع)(٢) .

وفى موضع آخر يتحدث عن طبيعته النفسية قائلا : (أما طبيعته النفسية : " طبيعة الشاعر الفارس " فقد عاشت معه وعاش معها ، فهو مؤثر للعزلة عزوف عن المجتمعات ، ومع ذلك فهو نابض بالحياة ، متصل فى شعره بكل مايصل النفس بالحياة)(٣).

كما يصفه من خلال نتاجه الشعرى فيقول عنه (هو شاعر عاطفى رقيق الحس أبلغ الرقة ، بارع فى الرثاء : لأنه ينظمه ودموعه تتقطر)(٤) .

ويمضى فى حديثه عن شعر الشاعر فيقول : (بأنه يعد نموذجا رائعا للشعر العربى الحديث ، صيغ بأسلوب يمثل ديباجة البحترى أصدق تمثيل ، وقد سجل الشاعر فيه ماهز نفسه من حوادث ، وما راقها من مناظر ، وما مر بها من آلام وأشجان ، وتغنى بالحب والجمال السامى غناء مهذبا

---

(١) تاريخ الشعر العربى الحديث لأحمد قبش ص ٤٥٣ .
(٢) مفكرون وأدباء من خلال آثارهم لأنور الجندى ص ١٦٥ .
(٣) مجلة الأديب اللبنانية ح ٦ سنة ٢٥ يونيو ١٩٦٦م مقال بعنوان(ترانيم الليل)للأستاذ أنور الجندى ص ٤٥ ، أنظر مفكرون وأدباء لأنور الجندى ص ١٦٦ .
(٤) الشعر العربى المعاصرتطوره وأعلامه للأستاذ أنور الجندى ص ٢٢٠ .

يشجى ويطرب ، ونظم وقائع الحياة فى صورة قصصية مبتكرة ، توشحها الحكم البالغة والآراء الفلسفية والنظريات الإجتماعية ، ودواوينه تمثل مختلف مشاعره كما تمثل تطور شعره فى مراحله المختلفة ؛ من خلال نفسيته الغنية بالحس ، التى تهتز لكل أحداث الحب والجمال والحياة ، وترتبط بالإنسانية والوطن والإسلام والعروبة ولاتنفصل،ويكاد يكون شعره سجلا كاملا لتطور الحياة الفكرية والسياسية والإجتماعية التى عاشها ، ويمثل شخصيته فى أصالته وبلاغته ، وفى نبالة خلقه ووفائه ورقته ، وفى مروءته وارتفاعه عن المادة والحس ، كأنما هو شاعر من أعماق العصر الإسلامى الزاهى)[1] .

وبعد .. فهذه هى الآراء التى قيلت فى (على الجندى) من بعض معاصريه وتناولت فنه الشعرى من عدة جوانب ، وعلى الرغم مما فى بعضها من مبالغات ، فإنه يتراءى لنا فيها شبه الإجماع على أصالته وعلو كعبه فى ميدان الشعر ، وعلى أنه شاعر مجيد مطبوع يتسم برقة الإحساس التى نوه بها أولئك النقاد ، وأشرنا اليها قبل ذلك عند دراستنا التحليلية لشعره ، ولعل فيما تقدم إيحاءا بمنزلة شاعرنا الرفيعة التى تبوأها بوقع شعره وتأثيره فى نفوس سامعيه .

---

(١) مفكرون وأدباء من خلال آثارهم لأنور الجندى ، ص ١٦٩ . بتصرف .

الموازنـــــه

جـ- موازنـة (الجنـدى) بغيره من طبقتـــه

تمهيـــــد :

تلعب الموازنات دوراهاما فى حقل الدراسات الأدبيه ، وتزيد تلك الأهمية بريقا عند عقدها بين الشعراء من خلال إصداراتهم ، إذ بها يتم تقييم نتـــاج كل شاعر بعد معرفه خصائص شعره معرفة دقيقه .

تؤدى فى يسر إلى وضعه فى المكان الملائم له بعيدا عن الهـــــــوى والتعصب ، ومن هنا كانت الموازنات لونا دقيقا من ألوان النقد الهـــادف الذى يسعى فى ذلك إلى إبراز الحقائق من ناحيه والمقارنه بينهما مـــــن ناحية أهم .

وفـى سبيل بناء موازنة تقترب إلى الصواب كان لزاما على أن أتحـــرى الدقة فى اختيار الشعراء الذين يمثل معهم شاعرنا إتجاها واحدا يمكـــن من خلاله إقامة موازنة متساوية الأطراف وبعد بحث وتدقيق اهتديت الـــى اختيار بعض الشعراء الذين أرى أنهم يمثلون مع شاعرنا طبقه واحـــده وهم (محمد الأسمر) ، و (محمود غنيـــم) .

ولليقينى التام بأهمية التعاون بين الدارسين حاولت جاهدا العثـــور على دراسة مفصله لهذين الشاعرين لأقيم موازنة دقيقه ، ولكن دون جـــدوى ومن ثم اعتمدت على نفسى فـــى اقامة هـــذة الموازنـــة مـــن

اثارهمـــــا الشعريـــة وعند ذلك رأيت أن يكون منهجى فى هذه الموازنـة قائما - فى الدرجه الأولى - على التصور الذى خرجت به عنهم بعد اتصالـى بإصداراتهم الشعريه ، والإستنارة ببعض الآراء التى سبقتنى فى تنـــاول جزء يسير من شعر (الأسمر) و (محمود غنيم) والتحقق منها عن قـــرب من خلال نتاجهم الشعرى .

وعلى هذا الأساس وعلى ضوء دراستى السابقة للجندى أتقدم إلـــى الموازنـــه :

١- الجنـــدى و محمد الأسمـــر

كلاهمـــا شاعر مصرى مسلم ، ظهرا فى فتره زمنية واحده [1] ويشتركان فى كثرة الإنتـاج الشعرى ، ولصلتهم الوثيقه بأدب التراث وتأثرهم بـــه أثر كبير فى فنهم الشعرى الذى حافظ على المنهج القديم من حيث وحـــدة القصيده ووحدة الوزن والقافيه ، ويتلاقـى فى شعرهم القديم والجديـــد؛ القديم الذى نراه فى فخامة الألفاظ وجزالة العبارات وإجادة السبـــك، والجديد الذى نلمسه فى إنتقاء الموضوعات والأفكار الجديده وسكبها فـــى تراكيب تمتاز ببساطة الأداء ورقة النغم، وهكذا (فالجندى) و (الأسمـــر) يسيران فى إتجاه واحد هو الإتجاه الذى سمـــى (التقليدى المتطـــور) أو مايسمى (بالمحافظين المعتدلين).

---

(١) عرفنا حياة (الجندى) أما (الأسمر) فقد ولد سنه ١٩٠٠ م وهى نفـس السنه التى ولد بها الجندى - وتوفى سنه ١٩٥٦م.. إلتحق بالأزهـــر وعمل بالتدريس مدة من الزمن ،ثم عين كاتبا بمكتبة الأزهر، فمعاونـــا، فأمينا عاما لها.له ثلاثه دواوين ضخمه هى (تغريدات الصباح) وطبـع سنه ١٩٦٤م ،(وديوان الأسمر) ويضم كل مانظمه الشاعر حتى تاريخ طبعه سنه ١٩٥٠م - (وديوان بين الأعاصير) وقد طبع بعد وفاته وفيه جميـــع القصائد التى قالها بعد سنه ١٩٥٠م) أنظر الشعر العربى المعاصر تطبيوره وأعلامه لأنور الجندى ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

أما من الناحيـــة الفنيـــة :

١- فكلاهما قد قال فى (الوطنيات) واحتل هذا الفن حيزا كبيـــرا من دواوينهم ، وتشابهت موضوعات شعرهم الوطنى والسياسى لوجودهـــم فى فترة زمنية واحده تعرضت فيها بلادهم المصريه لتقلبات سياسيـــة خطيره .

وكنا قد لمسنا مدى تلك الحوادث واضحا عند (الجندى) عندما عبـــر بإقتدار عن حبه لوطنه ، ورأينا صدق عاطفته وحرارتها باديةً فـــى أسلوبه القـــوى المتماسك ، وفى معانيه المشرقه ، وفى صـــــوره النابضة بالحياه ، والتى يسجل بها مشاهد متحركه لتلك الفتره .

كما لمحنا فى (وطنياته) إصراره الدائم على إذكاء الشعور بهـــا والإستعانة بضرب الحكم والأمثال التى تُظهر لنا حماسته وشدة غيرتِـــه الوطنيه .

وأذَكِّر هنا ببعض قصائده فى ذلك مثل (النفخ فى الصور)(١) ، و (لجنة ملنـــر)(٢) ، و (عسف السلطـــة العسكرية)(٣) ، و (أيقـــظ النيام)(٤) ، و (العيد الدامـــى)(٥) ، و (معاهده غيـــرُ ذاتِ موضـــوع)(٦) .

أما (الأسمـــر) : فقد لفت إنتباهى - عند مطالعتى لدواوينـــــه الشعريه - كثرة قصائده الوطنيه ،واحتلالها لأكبر قسم من شعـــــره

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ١٣٩ .
(٢) نفسه ص ١٤٣.
(٣) نفسه ص ١٤٥.
(٤) نفسه ص ٩١ .
(٥) نفسه ص ١٧٤.
(٦) نفسه ص ١٧٠.

ووجدتُ فيها شاعرا وطنياً مخلصاً يرتدى ثوب الشاعر ، فيصف المظاهرات الشعبيه، ويُصور حالة بعض الحكام والوزارات بدقه ، ويتحدث عن شجاعة الشعب ، ووقوفه أعزل ضد الإستعمار الذى لايتوانى فى التنكيل به ، وقلّمَا تمر حادثه أو مناسبة وطنيه إلا وأسهم فيها بدور .

وبموازنته (بالجندى) فى هذا المجال لمستُ تشابها فنياً بينهما فى كثير من القصائد الوطنيه ، من حيث الوضوح ، وتكافؤ الأفكار والصور، وسريان العاطفة فى النص الشعرى ، وجمال الأسلوب ، إلى جانب وحدة القصيده والوزن والقافيه .

ولكن (الأسمر) فى بعض قصائده الوطنيه يَظْهَرُ عَلَى (الجندى) ببساطة الأداء ، ورِقّة النغمه ، فى صياغة جزلة ، حلوة ، متماسكة الوحده وذلك مايتراءى لنا فى مثل قوله من قصيدة (مظاهرة أخرى) [1] التى يصف فيها بعض المظاهرات الوطنية الداميه التى كان يقوم بها طلبة المدارس :

مَلاَحِمُ بالغَدَاةِ ، وبالْعَشِيِّ
رَعَاكَ اللّهُ مِنْ شَعْبٍ أَبِيِّ
مَشى لِلْحَقِ أَعْزَلَ غَيْرَ مَوْتٍ
يُرَدِّدُهُ كَزَمْجَرَةِ الأَتِيِّ [2]
فَوَا أَسَفَا عَلَيْه وَهْوَ يَقْضِيْ
شَهِيْداً بِالرَّصَاصِ وَبِالعُصِيِّ
رَمَاهُ الظَّالِمُوْنَ وَمَا رَمَاهُمْ
فَوَيْلٌ لِلضَّعِيْفِ مِنَ الْقَوِيِّ

---

(١) ديوان الأسمر ص ٩٨ .

(٢) الاتِيّ : السيل .

رَمَاهُ الظَّالِمُوْنَ فَلَوْ تَـــرَاهُ
رَأَيْتَ مَصَارِعَ الزَّهْرِ النَّـــدِيِّ
سَلُوْهُ بَعْدَ مَا ارْتَشَفَ الْمَنَايَـا
أَيَشْعُرُ فِي مَرَاقِدِهِ بِـــرِيِّ
وَلَيْسَ بِظَامِئٍ أَبَداً شَهِيْـــد:
سَقَى الأَوْطَانَ مِنْ دَمِهِ الذَّكِـــيِّ
وَرُبَّتَ نَاشِئَـاتٍ هَاتِفَـــاتٍ
لِمِصْرَ لَقِيْنَ بَغْـيَ الأَجْنَبِـــيِّ
دَهَـاهَا بِالْبَنَادِقِ مُشْرَعَـــاتٍ
وَلَمْ تُخْجِلْـــهُ وَسْوَسَةُ الْحُلِـــيِّ
فَيَانَشْءَ الْبِلادِ فَدَتْكَ نَفْسِـــي
لأَنْتَ سَعَـــادَةُ الوطنِ الشَّقِـــيِّ

كما نلمح علو قدمه فى شعر الوطنيات فى مثل هذه الصورة الواضحه ، التى يوفّق فى إلتقاطها من حوله ببراعه ، ويضعها أمامنا بسهوله كشاهـــــدٍ على ذلك ؛ وفيها يصور جشع المستعمرين وتشبثهم بأرض مصر بعد أن أتخمهم استنزاف خيراتها ، تماماً كما التصق الهرم بها ، وأترك الصورة لتتحدث بأكثر من ذلك فى قوله :(١)

تَشْكُو الْمَجَاعَةَ بِالْوَادِي عَشِيرَتُهُ
والأَجْنَبِيُّ به يَشْكُو مِنَ التُّخَـــمِ
لَوْ لَمْ نَكُنْ رِمَماً فِي النَّاسِ مَاظَفَرَتْ
بِنَا عَصَائِبُ لِلغِرْبَانِ والرَّخَـــمِ

---

(١) ديوان الأسمر ص ٤٥ .

حَطَّتْ جِيَاعاً فَلَمَّا أُتْخِمَتْ نَهَضَتْ
كَيْمَا تَطِيرَ فَمَا اسْتَطَاعَتْ فَلَمْ تَقُمِ
فَهْيَ الْغَدَاةَ بِوَادِي السَّيْلِ جَاثِمَةٌ
مقيمةٌ أَشْبَهُ الأَشْيَاءِ بِالهَرَمِ

٢- أما الرثاء : فكلاهما كان يرثي بالشعر،وفي كثير من الأحيان يكون المرثي واحدا ، وذلك لوجودهم في مجتمع واحد ، وظروف متشابهة. ومن خلال المراثي المبثوثه في شعرهم نلاحظ مقدرتهم الفائقه على التعبير عن مظاهر الأسى والحزن وبيان أثروقع ذلك على النفس ، كما يظهر بجلاء فيها صدق الشعوروسمو العاطفه .

ولكن (الجندي) - في هذا الفن - كان أوسع أفقا ، وأسمى عاطفة، وأرق أسلوبا من (الأسمر) ، ذلك أنه قد برع في تصوير حرارة عاطفته الحاده، الصادقه ،بأسلوب قوي مؤثر في كثير من مراثيه - إن لم يكن كلها- ولقد أقامت المفاضله بينهما في المراثي التي نظموها في مرثيٍ واحد .

ويظهر لنا مدى تفوق (الجندي) في هذا الفن من خلال هاتين القصيدتين اللتين رثيا فيها صديقهما الشاعر (محمد الهراوي) .

وفيها يقول الشاعر (محمد الأسمر) راثيا :(١)

أَقُولُ لِمَنْ لاَمَ عَلَى الحُزْنِ والْبُكَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي فَقَدْتُ صَدِيقِي ؟
أَظَلُّ كَأَنِّي فِي جَحِيمٍ مِنَ الْجَوَى
وإِنْ كُنْتُ فِي دَمْعِي شَبِيهَ غَرِيقِ

---

(١) ديوان الأسمر ص ٦٢٩ - ٦٣٠ .

أَخِـى وَحَبِيْبِى اىُّ رُزْءٍ أصَابَنِـــــى
فَجَفَّ بِحَلْقِـى يَوْمَ نَعْيَكَ رِيْقِـــى
وماكُنتُ أدْرِى أنَّ مَوْتَكَ موشِـــكٌ
وَأنَّكَ مِمَّا حَلَّ غَيْرُ مُفِيْـــــقِ
عَشِيَّةَ لاأَدْرِى فَدَاحَـةَ مَـــا أرَى
وتنفثُ فى المِنْدِيلِ ذَوْبَ عَقِيْـــقِ
فَمَا هِىَ إلَّالَيْلَـةٌ ثمَّ لَيْلَـــةٌ
وَأَصْبَحَ شَادِى الأَيْكِ غَيرَ طَلِيْـــقِ
فَيَاصَاحِبِى مَاجِئْتُكَ اليومَ رَاثِيـًا
رُوَيْدَكَ حَتَّى اسْتَبِيْنَ طَرِيْقِـــى
وَيَامَجْلِسَ (الحِلْمِيَّتَيْنِ) تحيـــةً
إلَيْكَ وَإنْ اصْبَحتَ غَيرَ وَرِيْـــقِ (١)
فَفِيكَ مِنَ الرَّوْضِ المُعَوَّجِ نَفْحَـــةٌ
ومن سَلْسَبِيْلِ الذِّكْرِ كُلُّ رَحِيْـــقِ

إنه يخبرنا فى هذه الأبيات عن حزن تظهر دلائله على ملامحه بوضوح مـــن جَرَّاء فقد هذا الصديق ، كما يشير إلى ذهوله من ذلك ، وإلى زيادة حزنـه عندما يستعرض المواقف التى تذكره بذلك الفقيد .

أما (الجنـدى) فإنه يطلعنا على صورة ذلك الحزن من خلال البوح بأحاسيسه وتجسيد مايعتمل فى نفسه من مشاعر فى هذه الأبيات(٢) التى يكشف فيها عـن رقة عاطفته الحاده ،التى جاء خياله فيها متناسبا مع أفقه الشعـورى

---

(١) كان لبعض أدباء مصر وشعرائها ندوة أدبية بالحلمية الجديدة ثـم بالحلمية القديمة ،-وهما مكانان متجاوران بالقاهره - يجتمعون بهـا ويتناشدون أشعارهم .
(٢) سبق لنا تحليلها فى فن الرثاء .

فى أسلوب رائع يقول فيـــــه [1]

جَهِلَ العَاذِلُوْنَ فِيْكَ مُعَابِـــــى
فَأَطَالُوا مَلاَمَتِى وَعِتَابِـــــى
أَيُّها اللاَّئِمُوْنَ ،عَدُّوا عَنِ اللَّوْ
مِ وُقِيْتُمْ - عَلَى الإِسَاءَةِ - مَابِى
لَوْ بِكُمْ مَابِنَا ، وَبَانَ عَلَيْكُمْ
لَلَبِسْتُمْ بِهِ سَوَادَ (الغُرَابِ)
كُنْتُ أَخْشَى طَوَارِقَ السُّوءِ إلاَّ
طَارِقَ المَوْتِ لَمْ يَقَعْ فِى حِسَابِى
فَجَعَتْنَا الْمَنُوْنُ بِالشَّاعِرِ المُلْهَمِ
آى البَيَانِ وَالإِعْرَابِ
يَالِذِكْرَى هَاجَتْ بَلاَبِلَ صَدْرِى
وَأَعَارَتْ قَلْبِى جَنَاحَىْ (عُقَابِ)
قَلِقٌ تَحْتَ الوِسَادُ كَأَنِّى
أَتَنَزَّى عَلَى رُؤُسِ الحِرَابِ
بَيْنَ لَيْلَيْنِ : مِنْ دُجىً وَهُمُوْمٍ
نَاهِضَاتٍ إِلَىَّ مِنْ كُلِّ بَابِ
مِثْلَ لِىَ الخِضَمَّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ
تَحْتَ مَوجٍ مُجَلَّلٍ بِسَحَابِ
كُلَّمَا طَارَ فِى السَّمَاءِ شِهَابٌ
طَارَ قَلْبِى وَثْبًا وَرَاءَ الشِّهَابِ

---

(١) ديوان أغاريد السحر ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ .

أَوْدَكَا الْبَرْقُ فِي الدُّجُنَّةِ نَاراً
شَبَّ نَارَ الأَحْزَانِ مِلْءَ إِهَابِي
يُسْعِدُ الذِّكْرُ أَهْلَهُ وَأُلَقَّى
ذِكْرَيَاتِي مُحَطِّمَ الأَعْصَابِ

٣- أما المدح :

فكلاهما قد أسهم فيه بنصيب ، ولكن بواعث المديح تختلف بينهما ، وقد عرفنا تلك البواعث فى مدائح الجندى ، والتى كان من أهم ماتمخض عنها إلتزامه بالصدق الفنى ، وبخاصه عند مدح الأعيان وذوى الجاه - الذين قلّ فيهم مدحه - واستبعدنا أن يكون الدافع لذلك هو التكسب بالشعر وخلصنا إلى القول بأنه مدحهم كى لايقال : انه سكت عن ذلك .

أما الأسمر : فقد كانت أماديحه مقصورة على طبقة ذوى الجاه[1] وخاصة الملك (فؤاد الأول) ، فقد أطال الشاعر فى مدحه بقصائد تبدو فيها المبالغة التى تصل إلى حد الإسفاف - فى بعض الأحيان - بسبب عنايته الفائقة فى إختيار الألفاظ والمعانى - وتنميق الصورة وتوشيتها بالمحسنات . واضعا نصب عينيه رضاء الممدوح ومردود ذلك عليه .

وهنا إختلف الدافع فتعثر (الأسمر) ، ولا أظلمه بعد ذلك إن قلت بأنه فى تلك الأماديح قد أرضى نفسه على حساب الأدب .

---

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للسحرتى ص ٢١٠.

وهـذا مثال واضح على ذلك ، من مدح الأسمر (للملك فـاروق) يقول فيه : (١)

حَيْثُمَا سِرْتَ سَارَ مِسْكٌ وَطِيـــــبُ
فَعَلَى الثَّغْـرِ مِنْكَ نَفْحٌ عَجِيْـــبُ
حَلَّ فِيْهِ النَّسِيْـمُ عِطْرَ رِيَـــاضٍ
حِيْنَمَا زَارَهُ الرَّبِيْـعُ الخَصِيْـبُ
كُلُّ عَرْشٍ مِمَّا بَنَـا النَّاسُ بِالأَيْـــ
ـــدِي وَعَرْشُ الحِمَى بَنَتْهُ القُلُوْبُ
أَنْتَ فِيهِ كَالشَّمْسِ فِي الأُفْقِ لَكِـنْ
لَيْسَ يَغْشَى الضِّيَاءَ مِنْكَ غُـرُوبُ
أَبْعَرَ البَحْرُ مِنْكَ بَحْـرًا وَلَكِـــنْ
أَنْتَ عَـذْبٌ وَهْوَ الأُجَاجُ المَشُـوْبُ
يَتَمَنَّى لَوْ كَانَ مِثْلَكَ فِي الفَضْـــ
ـــلِ وَهَيْهَـاتَ ذَلِكَ المَطْلُـــوبُ
قَصَّرَ البَحْرُ عَنْكَ وَهْوَ عَظِيـــمٌ
فَهْوَ مِمَّا بِهِ مَغِيْظٌ غَضُـــوْبُ
لاَ ، بَلِ البَحْرُ رَاقِصُ المَوْجِ لَمَّـا
زُرْتَهُ ، ضَاحِكُ السَّمَـاءِ طَـــرُوبُ

---

(١) ديوان الأسمـــر ص ٤٨ - ٤٩.

٤- أما الغـــزل :

فكلاهما قد خاض فيه ، وقد تعرّفنا على شخصية (الجندى) من خلال قصائده فى الغزل ، وذكرنا بأنه قد خاض تجربة حب واقعيه ، إهتم فيها بالجانب الروحى ، وأن مضمون تجربته يشبه إلى حد كبير مضمون الغزل العـــذرى وذلك من خلال محاولته إظهار غزله بصورة عفيفة يصف فيها مشاعره بعيـــدا عن الإغراق فى الغزل الحسى (١)

وقلنا أن شخصيته العاطفيه قد أثّرت بشكل واضح على صياغته فى الغـــزل فرأينا فى هذا الفن الفاظا رقيقة،عذبة النغمه،كما رأينا أسلوبـــــا قصصيا تصب فيه بعض قصائده الغزليه .

أما الأسمـــر :

فمن خلال قصائده الغزلية المبثوثة فى تضاعيف دواوينه نستطيع القـــول بأن شخصيته الغزلية كانت مضطربه ، وقد حمل إلينا بغزله صورا متناقضـة تؤيد رأينا السابق ، إذ تارة نجده يصوّر نفسه محبا خاضعا كما فى قولـــه من قصيدة (لوم العاذلين) : (٢)

يَلُومُ العَاذِلُوْنَ وَلَـــــــوْ رَآوْهُ
يُسَدِّدُ لَحْظَهُ وجِدُوْا كَوَجْـــدِى (٣)
حَبِيْبِى لاَ عَدِمْتُكَ مِنْ حَبِيْـــــــبٍ
أَمَا لِزَمَانِ وَصْلِكَ مِنْ مَـــــرَدِّ ؟

(١) ذلك أن الجندى قد تورط فى الغزل الحسى ولكن بنسبةٍ ضئيلةٍ جدا كان ينقّاد فيها وراء مخزونه الثقافى الذى يعتمد فيه على حفظه وروايته من أدب التراث .

(٢) ديوان الأسمر ص ٣٣٦.

(٣) وجد - بكسر الجيم - يوجد ،بفتحها : أحب حبا شديدا .

سَأَقْضِي فِي غَدَاةِ غَدٍ شَهِيداً
وجَلَّادِي أَحبُّ النَّاسِ عِنْدِي
لَعَلَّكَ أَنْ تَرِقَّ إِلَى رُفَاتِي
وَتَنْسَى مَرَّةً فَتَزُوْرَ لَحْدِي !

وقوله واصفا أثر الفراق على نفسه :(١)

لَمَّا ، تَوَاعَدْنَا اللِّقاءَ وبَيْنَنَا
ثَلاثُ لَيالٍ بِتُّ مِنهَا عَلى جَمْرِ
وَدِدْتُ لَوْ أَنِي قَادِرٌ فَمَحَوْتُهَا
مِنَ الدَّهرِ حتَّى لاتَكُونَ مِنَ الدَّهْرِ!!

وتارة أخرى يصور نفسه ثائرا .. محذرا من الإنسياق وراء العاطفه - وإن استُميلت - كما فى قوله من قصيدة ((الغَوانِي))(٢) :

هَيْفَاءُ مِثْلُ العَاجِ اشْبَهُ بِالدُّمَى
تَفْتَرُّ عَن عَذْبِ المُقَبَّلِ بَارِقِ
أَنْشَدْتُهَا شِعْرًا عَلَى سَفَرٍ لَنَا
فَرَنَتْ إِلَى وَجْهِي بِطَرْفٍ عَارِقِ
حَاوَرْتُهَا فَشَكَتْ إِلَيَّ غَرَامَهَا
هَيْهَاتَ لَسْتُ مِنَ النِّسَاءِ بِوَاثِقِ !!

---

(١) ديوان الأسمر ص ٣٣٥.

(٢) نفسه ص ٣٤٦.

إِنْ كُنْتِ كَاذِبَةَ الدُّمُوعِ فَـــلَا أَرَى
عَجَبًا ،فَدَمْعُ الْغِيْدِ لَيْـــسَ بِصَـــادِقِ
عَلِقَتْ قُلُوبٌ فِى الشِّبَـــــاكِ وَلَا أَرَى
قَلْبِى وَقَدْ عَـــرَفَ الشِّبَاكَ بِعَالِـــــقِ

وقولـــه محذرا : (١)

حَذَارِ جَمِيْعَ الغَانِيَاتِ فَإِنْ تَمِـــــلْ
إِلَيْهِنَّ ،فَاحْذَرْ مِنْ فُؤَادِكَ ثَمَّـــتِ (٢)

ويؤكِّد خمودَ عاطفته بقولـه : (٣)

سَـــلَا الْقَلْبُ عَنْ غِيْدِ الكِنَانَةِ بَعْدَمَا
ظَنَنْتُ بِأَنَّ الْقَلْبَ عَنْهُنَّ لَايَسْلُـــــــو

كما نراه - فى بعض الأحيان - يولع بالجمال الحسى ،فيتغزل بوسائلـــــه المجسدة فى أى جميله ... كما فى قوله (٤) :

الوَجْهُ كَالْيَاسَمِيْنِ حُسْنًـــــــا
وَرِقَّةً ،،وَالعُيُـــــــوْنُ سُـــوْدُ
يَالَهْفَ نَفْسِى إِذَا تَثَنَّـــــــــى
كَالْغُصْنِ ، وَاهْتَزَّتِ النُّهُـــــــودُ

---

(١) نفسه ص ٣٤٧.
(٢) أصلها ثِمتْ : بسكون التاء ، وهى إسم يشار بها إلى المكان البعيد ، وحرَّكها الشاعر بالكسر هنا للروى .
(٣) ديوان الأسمر ص ٣٤٧ .
(٤) نفسه ص ٣٣٧ .

ومع أن الأسمر كان مضطرب الشخصيه فى هذا الفن ، فإنه يبدو لنا بتماسك أسلوبه ، وبوضوح ألفاظه ومعانيه ،وبحسن إيقاعه،ولكن الجندى يظْهَرُ عليه فى هذا اللون برقة ألفاظه وعذوبة أسلوبه ، وسمو عاطفته .

٢- الجندى ومحمود غنيم (١)

شاعران مصريان اشتركا فى كثير من الأمور المتشابهة؛فهما أبناء جيل واحد ، وعمل واحد ، وثقافه واحدة ، وهذا لايعنى اقامة هذه الموازنة بينهما من أجل هذه العوامل التى اشتركا فيها ، فكم من شعراء غيرهما جمع بينهم مثل ذلك وأكثر وجاء نتاج كل منهم يمثل اتجاها يختلف عن الآخر .

وقد أقمت هذه الموازنة بينهما بعد اتصالى بنتاجهما الشعرى الذى وجدت فيه تشابه النزعات وتماثل الاتجاه وتقارب الطباع ، وهذا كله جعل لنتاجهما الشعرى ملامح متشابهة فى المضمون وفى الشكل الى حد كبير، مما يحملنى الى القول بأن (محمود غنيم) يمثل بنتاجه الشعرى جنبا الى جنب مع (على الجندى) و (محمد الاسمر) الاتجاه التقليدى المتطور .

---

(١)محمود غنيم : شاعر مصرى ولد سنة ١٩٠١م ، ونشأ فى قرية (الشهداء)من أعمال (المنوفية) وتخرج بدار العلوم ، وعمل بمهنة التدريس مدة من الزمن ، ثم شغل وظيفة مفتش للغة العربية بالمدارس الاجنبية بالقاهرة تلك التى تشرف عليها وزارة المعارف المصرية ، وتوفى سنه ١٩٧٢م. وعالج الشعر من صغره ، وفاز بجائزة مجمع اللغة العربية عام١٩٤٧م عن ديوانه ((مرخه فى وادٍ)) كما نال ديوانه الثانى (فى ظلال الثورة) جائزه الدوله التشجيعية عام ١٩٦٢م ، وله تمثيليات شعرية ومسرحيات مدرسية .
انظر(الاعلام للزركلى جـ ٧ ص ١٧٥ ، المستدرك على معجم المؤلفين لعمر كحاله ص ٧٧٧) .

آما من ناحية الفنـــون

فقد تبين لى من دراسة شعر (الجندى) ومن خلال ماوصلت إليه من شعـــر (محمود غنيم) أن لكل منهما طابعا خاصا فى معالجة الشعر ، فالجنـــدى ـ كما عرفنا ـ شاعر يمتاز برقة العاطفة وبرهافة الإحساس وقد انعكـــس ذلك على صياغة شعره الذى لمسنا فيه وضوح المعنى وإشراق الصورة وسلاســة العبارة وسهولة الأسلوب الرصين المحكم .

آما (محمود غنيم) فقد وجدت فيه شاعرا موهوبا يمتاز بدقة التصويـــر الذى تنم على خياله الخصب ، ويهتم كثيرا بالمجتمع من حوله فيتجه بشعـــره إلى الموضوعات الاجتماعيه التى تعالج قضية من القضايا ، وفيه يخاطـــب الكثير من الناس داخل وطنه الذى يعيش فيه ، وغيره ممن يصل إلى مسمعـــه ذلك ، ومن هنا نلمح فى شعره ـ غالبا ـ إلى جانب صدق العاطفة الوضـــوح مع قوة الاداء وسلاسة الاسلوب الذى يحسن فيه انتقاء الألفاظ .

وأبرز شاهد على ذلك قصيدته المشهوره (وقفة على طلل) التى يقـــول فيهـــا (١) :

قَالِى وَلِلنَّجْمِ يَرْعَانِى وَأَرْعَـــــاهُ ؟
أَمْسَى كِلاَنَا يَعَافُ الغَمْضَ جَفْنَـــــاهُ
لِىْ فِيْكَ يَالَيْلُ آهَاتٌ أُرَدِّدُهَـــــا
أَوَّاهُ لَوْ أَجْدَتِ المَحْـــــزُوْنَ أَوَّاهُ

(١) ديوان (صرخه فى واد) لمحمود غنيم ص ٧٨ .

لَاتَحْسَبَنِّى مُحِبًّا يَشْتَكِى وَصَبَـــــًا
أَهْـــوِنْ بِمَا فِى سَبِيْلِ الحُبِّ أَلْقَـــاهُ
إِنِّى تَذَكَّرْتُ - وَالذِّكْرَى مُؤَرِّقَـــةٌ
مَجْدًا تَلِيْدًا بِأَيْدِيْنَا أَضَعْنَـــــاهُ
أَنَّى اتَّجَهْتَ إِلَى الإِسْلَامِ فِى بَلَـدٍ
تَجِدْهُ كَالطَّيْرِ مَقْصُوْصًا جَنَاحَـــــاهُ
وَيْحَ العُرُوْبَةِ كَانَ الكَوْنُ مَسْرَحُهَا
فَأَصْبَحَتْ تَتَوَارَى فِى زَوَايَـــــاهُ
كَمْ صَرَّفَتْنَا يَدٌ كُنَّا نُصَرِّفُهَـــــا
وَبَاتَ يَمْلِكُنَا شَعْبٌ مَلَكْنَـــــاهُ
كَمْ بِالْعِرَاقِ وَكَمْ بِالهِنْدِ ذُوْ شَجَنٍ
شَكَا فَرَدَّدَتِ الأَهْرَامُ شَكْـــــوَاهُ
بَنِى العُمُوْمَةِ إِنَّ القُرْحَ مَكْمَنُـــو
وَمَسَّنَا شَحْنُ فِى الآلَامِ أَشْبَـــــاهُ

وهذا لايعنى أن (الجندى) و (غنيم) مختلفا الاتجاه ، بل لعلـــى أستطيع القول انهما من أبرز الشعراء الذين تنطبق علـــى شعرهم سمات (الاتجاه التقليدى المتطور)- اتجاه المحافظين المعتدلين-الذى سبق لنا الاشارة اليه .

ثم إننا نلمح بجلاء ميل الشاعرين الى نظم الشعر الذى يتسم غالبا بالانسياب فى سهولة ويسر ، بعيـــدا عـــن التعقيد ومـــوارة المعانى وراء الحجب ، ومن هنا فقد جاء شعر كل منهما صورة صادقـــة

---

(١) ديوان (صرخة فى واد) لمحمود غنيم ص ٧٨ .

من عاطفة ناظمه ، وذلك بما يحمل من معنى واضح يؤدى بألفاظ معبرة تزيد من سلاسة العبارة وتدل على إشراق الصورة .

ومثل هذا التقارب نشعر به ونحن نقرأ فى هاتين القصيدتين المعبرتين عن هموم طائفة محدودة الدخل وهم الموظفون،ذلك أن رواتبهم الضئيلة لاتتناسب مع غلاء الأسعار الفاحش الذى حل بعد الحرب ، فيرفع (الجندى) صوته بالشكوى من ذلك فى قصيدته (عَلاوَةُ الغَلاَء) قائلا : (١)

قُلْ " لِلرَّئِيْسِ " إِذَا وَقَفْتَ بِبَابِهِ
أَنْتَ المَلاَذُ مِنَ الزَّمَانِ العَادِى
عَجَزَ المُرَتَّبُ عَنْ قَضَاءِ حَوَائِجٍ
لِمُوَظَّفٍ مُثْرٍ مِنَ الأَوْلاَدِ
فَاْجْعَلْ قَدَيْتُكَ لِلْعَلاَوَةِ " مُلْحَقًا "
تَنْدَى حَلاَوَتُهُ عَلَى الأَكْبَادِ
أَضْحَى " الجُنَيْهُ " عَلَى جَلاَلَةِ قَدْرِهِ
فِى سُوْقِنَا (قِرْشًا) لَدَى النُّقَّادِ
قَدْ كَانَ قَبْلَ اليَوْمِ يَمْشِى رَبَّهُ
وَكَأَنَّهُ (فِرْعَونُ) ذُوْ الأَوْتَادِ
وَاليَوْمَ يَحْمِلُهُ فَيَخْطُوْ مُثْقَلاً
بِالهَمِّ يُصْبِغُ وَجْهَهُ بِسَوَادِ
لاَنَبْتَغِى عَيْشَ النَّعِيْمِ ، وَإِنَّمَا
نَرْضَى مِنَ الدُّنْيَا يَسِيْرَ الزَّادِ

---

(١) ديوان "صرخة فى واد" لمحمود غنيم ص ٢٥٣.

ويشكو (محمود غنيم) مطالبا بالزيادة فى قصيدته (مَنْ للموظف ؟) التى يقول فيهـا :(١)

قُـلْ لِلَّذِيْنَ يَلُوْنَ أَمْرَ الـــوَادِى
مَنْ لِلْمُوَظَّفِ مَنْ لَهُ بِالـــــزَّادِ
الحَرْبُ إِنْ مَسَّتْ سِوَاهُ فَإِنَّهـــــا
عَضَّتْ بِأَنْيَابٍ عَلَيْهِ حِـــــدَادِ
فِئَةٌ بِمِعْرَ جَنَى عَلَيْهَا أَنَّهـــــا
هِيَ وَحْدَهَا مَحْدُوْدَةُ الإِيْـــــرَادِ
مَهَرَ الغَلاَءُ كَبِيْرَهَا وَصَغِيْرَهـــــا
فَالْكُلُّ غَرْثَانُ الجَوَانِحِ صَـــادِى(٢)
وَلَقَدْ تَدَهْوَرَتِ النُّقُوْدُ فَأَصْبَحَـــتْ
عَشَرَاتُهَا فِى رُتْبَةِ الآحَـــــادِ
النَّقْدُ زَيَّفَهُ الغَلاَءُ فَمَالَـــــهُ
قَـدْرٌ فَوَالَهْفِى عَلَى النُّقَّـــــادِ
قَدْ حَالَتِ الأَرْقَامُ عَنْ مَدْلُوْلِهَـــا
حِوَلاً وَضَاعَتْ قِيْمَةُ الأَعْـــــدَادِ
إِنَّا لَزِمْنَا الصَّمْتَ حَتَّى أَحْدَقَـــتْ
مِحَنٌ بِنَا يُنْطِقْنَ كُلَّ جَمَـــــادِ
هَبْنِى صَبَرْتُ عَلَى الطَّوَى مَنْ مُسْعِدِى
بِالصَّبْرِ إِنْ عَضَّ الطَّوَى أَوْلاَدِى ؟

---

(١) ديوان صرخه فى وادٍ لمحمود غنيم ص ٢٥٣.

(٢) غرثان : جوعان ، صاد اسم فاعل من العدى : العطش .

فُلَذٌ مِنَ الأَكْبَادِ بَاتَتْ تَشْتَكِي
اللَّهَ فِي فُلَذٍ مِنَ الأَكْبَادِ
بَاتُوْا وَأَقْصَى هَمِّهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ
شَمُّوْا قَتَارَ اللَّحْمِ فِي الأَعْيَادِ

ونلاحظ أن هاتين القصيدتين تدوران حول فكرة واحده ، وقد اشتركتا في بحر واحد هو (الكامل)، وروى واحد هو (الدال المكسوره) وأكثر من ذلك مانراه في تقارب المعانى ، وتقارب الألفاظ الواضحه التي جعلت الكلام سلسا .

وفى قصيدة (غنيم) نلاحظ ميله إلى الجمع بين قوة الأداء وسلاسته ، فيرفع صوته بالشكوى من تلك الأزمة ، ويعمد إلى تفصيل وبالها على الموظفين بأسلوب مرتفع تظهر فيه الألفاظ المعبره بقوة عن حالهم .

وتلك الألفاظ التى ترتفع النبرة فيها تلازمه فى هذا النص ونلمحها فى قوله : (الحرب - عضّتْ - بأنياب حداد - مَهَرَ الغلاءُ - غَرْثَانُ الجوانح صادٍ - تدهورت - ضاعَت - مِحَنٌ - عَضَّ الطَّوى - فُلَذٌ من الأكباد) وهى مع ارتفاعها تحافظ على الوضوح،كما نلمس قدرة الشاعر على التعبير عن صدق العاطفة بسهولة فى قوله :

فُلَذٌ مِنَ الأَكْبَادِ بَاتَتْ تَشْتَكِي
اللَّهَ فِي فُلَذٍ مِنَ الأَكْبَادِ

أما (الجندى) فإنه يعرض طلبه بأسلوب يتسم بالهدوء،ويبدو أكثر تفاؤلا من سابقه ، وهذا ماجعله يميل إلى الاختصار والاكتفاء بالحديث عن أثر تلك الأزمة بأسلوب رقيق يحوى الكثير من المعانى فى قوله :

عَجِزَ الْمُرَتَّبُ عَنْ قَضَـــاءِ حَوَائِجٍ
لِمُوَظَّفٍ مُتَزَوِّجٍ ـــــــــــــنَ الأَوْلَادِ

وهذا الاسلوب الرقيق يلازمه فى القصيدة كلها ونلمحه فى اختيـــــار مثل هذه الألفـاظ الرقيقة (تَنْدَى حَلاَوَتُه ـ عَيْشُ النَّعِيْم ـ يَسِيْرَ الـــــزَّادِ ـ فَدَيْتُك ـ أَنْتَ المَلاَذُ) .

ولقد تميز تصوير (الجندى) لتدنى قيمة النقود بتأثير الغـــــلاء، عن تصوير (غنيم) لها ومن ثم فقد كانت الصورة عنده فى ذلك أكثر حيويـه وأخصب خيالا عنها فى أبيات (محمود غنيم) .

وهذا مثال آخر يتحد فيه الغرض وتتحد فيه الفكرة بين الشاعريـــــن، حول رثاء أحد قادة مصر وهو الدكتور أحمد ماهر باشا ـ الذى اغتيل سنـــة ١٩٤٥م وكان يتولى منصب رئيس مجلس الوزراء ـ وفيه يقول الجندى من قصيدته (مَصْرَعُ البُطُوْلَة) التى بلغت خمسة وثمانين بيتا ـ :[1]

يَقُوْلُوْنَ لِى : كَفْكِفْ مَدَامِعَكَ الحَرَّى
فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنِّى بِتَسْكَابِهَا أَحْـــرَى
فَلاَ تَسْأَلُوْنِى الصَّبْرَ إِنِّى فَقَدْتُـــهُ
وَأَبْرَحُ مَا يَعْرُو الفَتَى فَقْدَهُ الصَّبْـــرَا
حَلَفْتُ لَقَدْ أَدْمَى فُؤَادِىْ مُصَابُـــهُ
وَسَعَّرَ فِى أَحْنَاءِ أَضْلاَعِىَ الجَمْـــــرَا

---

(١) ديوان ألحان الأصيل ص ١٨٥ إلى ص ١٩٠.

سَكَبْتُ لَهُ دَمْعِى فَلَمَّا جَرَى إِلَـــى
مَدَاهُ ! سَكَبْتُ الدَّمْعَ مِنْ مُهْجَتِى شِعْـرَا
أَذَاعَ بِمَنْعَاهُ النَّعِيُّ ! فَخِلْتُـــهُ
يُؤَذِّنُ فَوْقَ النِّيْلِ : أَنْ بَادِرُوْا الحَشْرَا
لَكَ الوَيْلُ مِنْ مَوْتٍ عَلَى النِّيْلِ لَمْ يَدَعْ
بِهِ سَامِعًا إِلاَّ حَشَا أُذْنَهُ وَقْـــرَا
هَفَا بِالهِضَابِ الرَّاسِيَاتِ فَرَجَّهَـــا
وَأَسْرَى إِلَى الأَفْلَاكِ فَانْتَفَضْتْ ذُعْـــرَا
وَضَمَّتْ لَهُ مِعْرٌ حَشَاهَا كَأَنَّهَـــا
لِمَا رَاعَهَا سَكْرَى ! وَمَاهِىَ بِالسُّكْـــرَى
أَصَخْتُ إِلَى المِذْيَاعِ لَهْفَانَ مُوْجَعًـــا
تُعَلِّلُنِى الأَوْهَامُ أَنْ أَسْمَعَ البُشْـــرَى
أَقُوْلُ : لَعَلَّ العُمْرَ فِيْهِ بَقِيَّـــةٌ
وَهَيْهَاتَ لَمْ تُبْقِ المَنُوْنُ لَهُ عُمْـــرَا
فَلَمَّا اسْتَبَانَ الأَمْرُ صِحْتُ ـ وَفِى الحَشَا
تَبَارِيْحُ جَمْرٍ ـ أَىُّ خَطْبٍ دَهَى مِصْـــرَا
(رَصَاصَاتُ) جُبْنٍ جَدَّلَتْ بَطَلَ الحِمَـــى
وَأَسْهُمُ غَدْرٍ أَرْدَتِ الظَّاهِرَ البَـــرَّا
وَ (ذِئْبٌ) أَعَارَتْهُ المَقَادِيْرُ قُدْرَةً
فَأَنْشَبَ فِى لَيْثِ الشَّرَى النَّابَ وَالظُّفْـــرَا
تَأَبَّطَ شَرًّا تَحْتَ جُنْحٍ مِنَ الدُّجَـــى
فَكَانَ ـ عَلَى شَرِّ تَأَبُّطِهِ ـ شَـــرَّا (١)

---

(١) يشير البيت الى ماحمله الجانى من السلاح خفية .

عَجِبْتُ لَهُ يَمْشِي الضَّرَاءَ لِأَرْوَعٍ
تَعَوَّدَ أَنْ يَلْقَى مَنَازِلَهُ جَهْرَا

رَمَىٰ عَنْ يَدٍ تَبَّتْ وَتَبَّ ! فَمَا رَمَى
مِنَ النَّاسِ فَرْدًا بَلْ رَمَىٰ فَيْلَقًا مَجْرَا

فَيَالَكَ مِنْ (غَدَّارَةٍ) مَا تَرَفَّقَتْ
بِقَلْبِ وَفِيٍّ عَاشَ لَا يَعْرِفُ الغَدْرَا

بَسَطْتَ لَهُ كَفَّ الكَرِيمِ مُصَافِحًا
وَوَجْهًا كَرَيْحَانِ الرُّبَا طَافِحًا بِشْرَا

فَلَوْ كَانَ حُرًّا رَدَّ عَنْكَ سِلَاحَهُ
إِلَى نَحْرِهِ أَوْ خَرَّ يَسْأَلُكَ الغَفْرَا

وَلٰكِنَّهُ قَدْ كَانَ مَخْزَا فُؤَادُهُ
وَفِي النَّاسِ مَنْ تَحْوِي جَوَانِحُهُ الصَّخْرَا

إلى أن يقول :

أفي حَرَمِ (الشُّوَيْرَىٰ) وَتَحْتَ ظِلَالِهَا
فَعَلْتَ - لَحَاكَ اللّٰهُ - فِعْلَتَكَ البِكْرَا

(قُدَارُ ثَمُودٍ) عُدَّ أَشْقَى بَنِي الوَرَى
عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ حَادِثَكَ النُّكْرَا (١)

تَقَلَّدَ طَوْقَ الإِثْمِ فِي عَقْرِ (نَاقَةٍ)
وَأَنْتَ عَقَرْتَ البَأْسَ وَالمَجْدَ وَالفَخْرَا

وفي نفس الغرض يقول (محمود غنيم) من قصيدته (هَرَمٌ يَهْوِي) التي تجاوزت أبياتها الستين : (٢)

---

(١) قدار : عاقر ناقة سيدنا صالح عليه السلام .

(٢) ديوان صرخة في وادٍ ، لمحمود غنيم ص ١٨٥ إلى ص ١٨٩ .

أَرَى هَرَمًا فِى بَهْوِ فِرْعَوْنَ هَاوِيَا ... وَمَازَالَتِ الْأَهْرَامُ شُمًّا كَمَا هِيَا

تَصَدَّعَ رُكْنَاهُ وَخَرَّ أَسَاسُهُ ... وَقَدْ كَانَ مِثْلَ الطَّوْدِ بِالْأَمْسِ رَاسِيَا

أَلَا أَيُّهَا الطَّرْفُ الضَّنِينُ بِمَائِهِ ... دَعِ الدَّمْعَ أَوْ فَاسْكُبْهُ أَحْمَرَ قَانِيَا

مُصَابٌ عَرَا دَارَ النِّيَابَةِ فَجْأَةً ... فَرَوَّعَ أَهْلِيهَا وَهَزَّ الْمَبَانِيَا

رَأَتْ عَلَمًا يَهْوِى فَقَالَتْ : مَنِ الْفَتَى؟ ... فَقِيلَ لَهَا : مَنْ شَادَ رُكْنَكِ عَالِيَا

فَضَجَّتْ مَغَانِيهَا وَضَجَّتْ قِبَابُهَا ... وَمَالَ عَلَيْهِ مِنْبَرُ الدَّارِ حَانِيَا

وَلَاحَ الْإِرَاحَ يُمْسِكُ جَنْبَهُ ... وَلَا قَلْبَ إِلَّا خِلْتُهُ صَارَ دَامِيَا

وَقَلَّبَ كَفَّيْهِ الطَّبِيبُ بِحَسْرَةٍ ... وَسَهْمُ الرَّدَى يُعْيِى الطَّبِيبَ الْمُدَاوِيَا

هُمُ نَضَحُوا بِالْمَاءِ دَامِىَ جُرْحِهِ ... فَفَاحَ عَبِيرُ الْمَاءِ كَالْمِسْكِ ذَاكِيَا

دَمٌ أَرْخَصَتْهُ كَفُّ أَحْمَقَ طَائِشٍ ... وَقَدْ كَانَ إِلَّا فِى فِدَى مِصْرَ غَالِيَا

أَرَى مِصْرَ يَلْهُوْ بِالسِّلَاحِ شَبَابُهَا ... فَيَالِلشَّبَابِ بَاتَ بِالنَّارِ لَاهِيَا

شَبَابَ الْحِمَى لَاتَجْعَلُوا السَّيْفَ بَيْنَنَا ... إِذَا مَا اخْتَصَمْنَا فِى السِّيَاسَةِ قَاضِيَا

شَبَابَ الْحِمَى هَلَّا ادَّخَرْنَا سِلَاحَنَا ... لِنَلْقَى بِهِ يَوْمَ الْكِفَاحِ الْأَعَادِيَا

وَمِنْ نَكَدِ الْأَيَّامِ أَنْ يَحْسَبَ امْرُؤٌ ... أَبَرَّتْنِى مِصْرٍ عَلَى مِصْرَ جَانِيَا

أَلَا أَيُّهَا الرَّامِى لَكَ الْوَيْلُ رَامِيًا ... أَتَهْدِمُ بُنْيَانًا وَتَجْرَحُ آسِيَا

فَجِئْتَ لَعَمْرِى مِصْرَ فِى لَيْثِ غَابِهَا ... وَخَلَّفْتَ حَيَّاتٍ بِهَا وَأَفَاعِيَا

غَدَرْتَ فَتًى لَايَعْرِفُ الْغَدْرَ طَبْعُهُ ... يُلَاقِى عِدَاهُ سَافِرَ الْوَجْهِ بَادِيَا

أَصَبْتَ لَهُ وَجْهًا يَفِيضُ بَشَاشَةً ... وَصَدْرًا مِنَ الْبَغْضَاءِ وَالْحِقْدِ صَافِيَا

فَتًى لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَجَالٌ لِرِيبَةٍ ... فَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ صَوْلَةِ الْجُنْدِ وَاقِيَا

لَقَدْ لَاذَ بِالْإِنْصَافِ طُوْلَ حَيَاتِهِ ... وَمَنْ لَاذَ بِالْإِنْصَافِ لَمْ يَخْشَ عَادِيَا

فالفكرة الأساسية التى طرقها الشاعران واحدة وهى إبراز مشاعر الحزن من خلال رثاء ذلك الزعيم، أما افكارها الجزئيه فتختلف فى جوانب وتتفق فى أخرى .

وإذا تأملنا قصيدة (الجندى) التى أسماها (مصرع البطولة) - إشارة الى مكانة الفقيد الذى امتدت إليه يد الغدر - نلاحظ أنه قد اعتمد فى مطلعها على الاسلوب الخبرى ، ورغم ذلك فقد جاء المطلع مثيرا للانتباه لاستخدامه الحوار السريع الذى ساعده فى التعبير عن رقة الإحساس .

كما نلمح حسن انتقاله من فكرة إلى اخرى، إذ يبدأ القصيدة بالحديث عن صدق عاطفته وقوة تأثره من هذا المصاب، ثم ينتقل إلى تصوير وقع الخبر على نفسه بصور متعدده يجسد فيها إحساسه بالمرارة والحزن والأسى، ولايلبث أن ينتقل إلى وصف الجريمه التى ارتكبها الشاب الطائش ، وهنا تخف موجة الحزن قليلا وتتحول إلى موجة من الغضب الهادر ، فيصورها بدقة ويصف فاعلها باللؤم والخسة والجبن والغدر، وفى المقابل يصف المجنى عليه بالشجاعة والثبات والوفاء والكرم وغير ذلك من الصفات النبيلة التى أكسبته مكانة رفيعة فى نفوس شعبه تستحق منهم مثل هذا الفيض الوجدانى .

ويظهر على صياغة الجندى فى هذه القصيدة لطف تخير الألفاظ الدالة على المعانى بسهولة ، وإحكام نسج العبارة ، ورقة النغم ، وبساطة الأداء .

ونجد فى الأبيات بعض الإشارات التاريخية التى يكثر دورانها على لسانه كقوله : (قدار ثمود) وهو قدار بن سالف ، الذى يقال له أحمر ثمود عاقر ناقة سيدنا صالح عليه السلام .(١)

---

(١) انظر لسان العرب حـ ٥ ص ٨٠ .

وكقوله : (تأبط شرا) إشاره الى الشاعر الجاهلى المعلوك ثابت بن جابر الفهمى ، الذى عاش فى الحجاز بالمنطقة المحيطة بالطائف وجمع عصابة للإغارة على بنى خثعم وهذيل والأزد ، وكان من عصابته الشاعر المشهور (الشنفرى) .

كما أننا نلاحظ أن الصورة عنده فى هذه القصيدة واضحة وتمتاز بتناسب الخيال مع العاطفه وقد اشرنا الى شئ منها سابقا .(١) .

ولو انتقلنا الى قصيدة (محمود غنيم) التى اسماها (هرم يهوى): نلاحظ أنه يستهلها بصورة معبرة عن قوة ادائه وارتفاع أسلوبه، وحسن انتقائه للألفاظ .ومع أنه استخدم فى مطلع الأبيات الاسلوب الخبرى ، فإنه يبدو أقوى تأثيرا من مطلع قصيدة الجندى - السابقة - التى تميز مطلعها بقدرته على التعبير عن رقة الشعور .

أما من ناحية الأفكار الجزئيه التى تضمنتها قصيدة محمود غنيم فهى تتفق إلى حد كبير مع ماجاء فى قصيدة الجندى، إذ أنه يبدؤها بالبكاء بحسرة على ذلك الفقيد، ثم ينتقل إلى تصوير حزن الشعب عليه ومن خلال ذلك يتحدث عن مكانته، ويتعرض للجريمة التى أقدم عليها ذلك الشاب الأحمق، ويوجه النصح إلى شباب الأمة من خلال ذلك الخطأ الذى أودى بحياة إبن بار من أبناء أمته ، ويظهر غضبه وتألمه من تلك الفعله .

أما الصورة الفنيه فى قصيدة (غنيم) فقد تميزت بخيالها البارع ومن ثم كانت أكثر حيوية وأخصب من الصورة التى اهتم فيها الجندى كثيرا بالجانب النفسى الذى يترجم رقة مشاعره بدقة .

فمحمود غنيم بقوله :

أَرَى هَرَمًا فِى بَهْوِ فِرْعَوْنَ هَاوِيًا
وَمَازَالَتِ الأَهْرَامُ شُمًّا كَمَا هِيَا
تَصَدَّعَ رُكْنَاهُ وَخَرَّ أَسَاسُهُ
وَقَدْ كَانَ مِثْلُ الطَّوْدِ بِالأَمْسِ رَاسِيَا

---

(١) البحث ص ١٨٤ ؛

يقدم بخياله صورة رائعه لسقوط هذا الزعيم قتيلا ،مستخدما فى ذلك الاستعارة التى يشبه فيها منظره وهو يخر قتيلا بمنظر الهرم وهو يهوى متحطما ، وفى البيت الثانى يعنى الشاعر بتفصيل الصورة التى استمد مقوماتها المادية من ظواهر الطبيعة من حوله وأحكم ربطها فى هذا المشهد الذى تزيد الحركة من رهبته .

ومع أنه كان بارع الخيال فى رسم هذه الصورة فقد أهمل الجانب النفسى فيها والذى يتم من خلاله نقل صدى تلك المرئيات التى حملها المشهد .

أما صياغته فى هذه القصيدة فإنها تمتاز بالألفاظ المصقولة التى يعلو رنينها ، والعبارات الفخمه المتماسكة النسج التى تزيد من قيوة الأداء وارتفاع الاسلوب .

أما من ناحية الموسيقى : فكلاهما قد حافظ على عمود الشعر فى قصيدته، وقد وفقا فى اختيار الوزن من (الكامل) وهو بحر تطول فيه المقاطع ويتسع لكثير من الخواطر والأفكار ، واستطاع الشاعران من خلال ذلك بث المزيد من الأشجان التى تنفس عنهما حالة الحزن والجزع من هم المصيبة، ولكن عنصر الموسيقى فى قصيدة (محمود غنيم) يبدو واضحا جليا تطرب له الآذان وذلك راجع لما عرفناه فى صياغته .

نظـــره أخيـــره فى الموازنـــه :

وبعد هذه الموازنة التى أقمتها بين هؤلاء الشعراء بما توافرَ لـــى من معلوماتٍ يسيرة ..... وبما خرجتُ به من انطباعٍ بعد تأملٍ طويـــل فى نتاجهم الشعرى - حاولت فيه أن أكون قريبا من الحقيقه - وبمـــا تمخّض عن دراستى للجندى . لاأستطيع القول بأنها موازنة تامة تستوفـــى منها الأحكام ولو رُمْتُ شيئا من ذلك فإنه ينبغى على الأقل أن أنهـــض بدراسة مفصّلة لكل شاعرٍ على حده ... قد تكون مثل دراستنا للجنـــدى وربما بأكثر منها ...

وإنما هى محاولة لم أقصد من ورائها تبريز شاعرنا على غيره بـــل أردت من خلالها التعرف أكثر على منزلته بين الشعراء الذين يمثل معهـــم طبقة واحده .

الخاتمة

و (بعد) هذه المرحلة الطويلة التي رافقت فيها شاعراً من شعـــراء مصـــر في العصر الحديث وهو الأستاذ (على الجندى) .

وبعد أن أدمت النظر زمناً في شعره . أستطيع إيجاز ما حققته هذه الدراسة في النتائج التالية :

١ ـ الكشـــف عـــن شخصيـــة (الجنـــدى) مـــــن خلال التاريـــخ الواضـــح لحيـــاتـــه العامـــة ، بعـــد أن تجـــاوزه الباحثـــون ولم يتعـــرضوا لـــه إلا فـــي أحيـــان قليلـــة ، ولم يأخـــذ مـــن إهتمامهـــم إلا بضـــع أسطر لـــم تنصفـــه .

٢ ـ (الجندى) شاعـــر طَبْـــع لا شاعـــر صنعه ، يصدر في شعره عـــن موهبة فطـــرية ، ولا أثـــر للتكلف والإبتـذال في شعره .

٣ ـ التوصل إلى أن (الجندى) شاعر بيانى الأسلوب ، رومانسى العاطفة .

٤ ـ (الجندى) شاعر تقليدى في كثير من موضوعاته ، وبعض معانيه ، وذلك راجع لثقافته الخاصة التي اعتمد فيها على أدب التراث .

٥ ـ تناول الشاعر كثيراً من الفنون الشعرية بالقول ، ولكنه كان بارعاً في فن (الرثاء) ثم (الغزل) .

٦ ـ إيضاح موقفه الرافض للشعر الحر ، ومهاجمته لدعوة التحرر من القافيه .

٧ ـ الكشف عن ملامح أدب فكاهى يسير على طريقة منظمة تلتقى مع (النقائض والمعارضات) من ناحية الشكل ، وتختلف عنهما من ناحية المضمون وقد أسميناها (مساجلات شعرية) وعللنا لذلك في حينه .

٨ ـ التوصل إلى أن شعر (الجندى) يسير جنباً إلى جنب مع غيره من شعراء طبقته ممثلاً (الإتجاه) التقليدى المتطور الذي لاءم بين أذواق القدامى والمحدثين (الأصالة والمعاصرة) .

٩ ـ الكشف عن ملامح الصورة الفنية في شعره من خلال شرح وتحليل كثير من نتاجه ، وهي ثمرة أعتز بها في هذه الدراسة .

١٠ـ بيان منزلة الشاعر الأدبية من خلال موازنته بغيره من معاصريه من ناحية، ومعرفة آراء النقاد فيه من ناحية أخرى .

ثبت

المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

- أبوالوفاء محمود رمزى نظيم (الشاعر الوطنى الصوفى) لعلى الجندى دار الكتاب العربى / القاهرة ١٩٦٨م .
- الإتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر / تأليف عبد القادر القط / ١٩٧٨ م / مكتبه الشباب / مصر .
- * فى الأدب الحديث / لعمر الدسوقى / ط ٨/١٩٧٣ م / دار الفكر .
- الأدب العربى المعاصر فى مصر / شوقى ضيف / ط ٥ / دار المعارف مصر .
- أدب المهجر / عيسى الشاعورى / ط ٣ /١٩٧٧م / دار المعارف مصر .
- أسرار البلاغة / عبد القاهر الجرجانى / ط ٣ /١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م بيروت / دار الميسره / تحقيق هـ . ريتر .
- الأسلوب / لأحمد الشايب / ط ٧ / ١٣٩٦ هـ / مكتبة النهضه المصريه .
- الأصول الفنيه للأدب / عبدالحميد حسن / مكتبة الأنجلو المصريه .
- أصول النقد الأدبى / لأحمد الشايب / ط ٨ / ١٩٧٢ م / مكتبة النهضة المصرية .
- أطوار الثقافة والفكر فى ظلال العروبة والإسلام / لعلى الجندى مطبعة السعادة / ١٩٥٩م .

---

* رتبت هذه المراجع حسب تسلسل الحروف الهجائيه آخذا فى إعتبارى إسقاط أل التعريف وحروف الجر أثناء الفهرسه .

- أعلام الجيل الأول من شعراء العربيه فى القرن العشرين / أنيس المقدسى / ط ٢ / ١٩٨٠ مؤسسة نوفل / بيروت .
- الأعلام / للزركلى / خير الدين / ط ٦ / ١٩٨٤م / دار العلم للملايين بيروت .
- الإيضاح فى علوم البلاغة / القزوينى / الإمام الخطيب / ط ٥ / ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م / بيروت / تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجى .
- البلاغة الفنيه / لعلى الجندى / ط ٢ /١٩٦٦م / مكتبه الأنجلو المصرية .
- بلاغة الكتاب فى العصر العباسى / د . محمد نبيه حجاب / ط ٢ / ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م مكتبة الطالب الجامعى / مكة المكرمه .
- البلاغة الواضحه (البيان والمعانى والبديع) على الجارم / مصطفى أمين / دار المعارف .
- بناء الصورة الفنيه فى البيان العربى / كامل حسن البصير / مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- بين القمر الطبيعى والصناعى / على الجندى / مطبعة جامعة القاهره / ١٩٥٨ م .
- تاريخ الشعر العربى الحديث / أحمد قبش / دار الجيل / بيروت ١٣٩١ هـ .
- تحرير التحبير، ابن أبى الإصبع المصرى / تحقيق الدكتور حفنى شرف / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية / ١٩٦٣م/ القاهره .
- تطور الأدب الحديث فى مصر / لأحمد هيكل / ط ٤ / ١٩٨٣م / دار المعارف مصر .

- تطور الروايه العربيه الحديثه فى مصر ، لعبد المحسن بدر / ط ٢ / دار المعارف / مصر .
- التفسير النفسى للأدب / عز الدين إسماعيل / ط ٤ / مكتبة غريب مصر .
- تقويم دار العلوم / محمد عبدالجواد / العدد الماسى من سنه ١٨٧٢م - ١٩٤٧م / دار المعارف / مصر .
- جماعة أبولو وأثرها فى الشعر الحديث / عبدالعزيز الدسوقى / ط ١٩٦٠م.
- جماعة الديوان فى النقد / محمد مصايف / ط ٢ / الجزائر / الشركه الوطنية للنشر والتوزيع .
- الجن بين الحقائق والأساطير / مكتبة الأنجلو المصريه ١٩٦٩م .
- حافظ وشوقى / طه حسين / منشورات الخانجى وحمدان / القاهره .
- حديقة الإنشاء / على الجندى / دار الطباعه الأهلية / القاهره /ط ٢ / ١٣٤٨ هـ .
- حركة النقد الحديث والمعاصره فى الشعر العربى / إبراهيم الحاوى / ط ١ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م / مؤسسة الرساله بيروت .
- الحيوان / للجاحظ / أبى عمر / عثمان بن بحر / ط ٢ / مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر / ١٩٦٥ م - ١٣٨٥ هـ / تحقيق عبد السلام هارون .
- خمسة أيام فى دمشق الفيحاء / على الجندى / مطبعة الرساله /القاهرة ١٩٥٩م .
- دراسات فى الشعر العربى المعاصر / شوقى ضيف / ط ٦ / دار المعارف / مصر .

- دلائل الإعجاز / عبدالقاهر الجرجانى / تعليق محمد عبدالمنعم خفاجى / ١٩٦٩م - ١٣٨٩هـ/ مكتبة القاهرة .

- ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى / تحقيق محمد عبد عزام/ دار المعارف / ١٩٦٥م .

- ديوان الأسمر / للشاعر محمد الأسمر / ط ١ / شركة فن الطباعه/ مصر .

- ديوان أغاريد السحر / على الجندى / ط ١ / ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م / دار الفكر العربى .

- ديوان ألحان الأصيل / على الجندى / ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م دار الفكر العربى بمصر .

- ديوان البحترى / دار صعب بيروت .

- ديوان البهاء زهير / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / ومحمد طاهر الجبلاوى / ط ٢ / دار المعارف / مصر .

- ديوان ترانيم الليل / لعلى الجندى / ط ١ / ١٩٦٤ م / دار المعارف مصر .

- ديوان جميل (شعر الحب العذرى) جمع وتحقيق وشرح الدكتور حسين نصار / مكتبة مصر .

- ديوان الخليل (شعر خليل مطران) / مطبعة دار الهلال / القاهره .

- ديوان ذى الرمة / المكتب الإسلامى / للطباعه والنشر / دمشق ط ١ / ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

- ديوان فى ظلال القمر / على الجندى / مطبعة المدنى / القاهرة ١٩٧٧م .
- ديوان الفرزدق / شرح وضبط على فاعور / دار الكتب العلمية بيروت ط ١ / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ديوان المتنبى / بشرح أبى البقاء العكبرى / دار المعرفه / بيروت لبنان .
- ديوان مجنون ليلى / جمع وتحقيق وشرح عبدالستار أحمد فراج / مكتبة مصر .
- رحلة الإمام الشافعى إلى الإمام مالك / على الجندى / دار التحرير للطباعه ١٩٦٩م .
- الروض المربع شرح زاد المستقنع / منصور بن يونس البهوتى / ط ٦ / دار الفكر .
- سجع الحمام فى حكم الإمام / على الجندى / مكتبة الأنجلو المصريه ١٩٦٧م .
- فى سياسة النساء / على الجندى / مطبعه السعادة سنة ١٩٢٩ م .
- سيف الله خالد بن الوليد / على الجندى / مكتبة الأنجلو المصريه ١٩٦٨م .
- الشذا المؤنس فى الورد والنرجس / على الجندى / مكتبة الأنجلو المصريه / ١٩٦١م .
- شرح ديوان أبى تمام / شاهين عطية / دار الكتب العلمية / بيروت ط ١ / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

- شرح ديوان جرير / جمع وشرح محمد إسماعيل الصاوى / طبعة دار الحياه بيروت .
- شعراء الرابطة القلميه / نادره جميل سراج / دار المعارف بمصر ١٩٦٤م .
- شعر الرثاء العربى وأستنهاض العزائم / عبدالرشيد عبدالعزيز سالم ط ١ / ١٩٨٢ / الكويت / وكالة المطبوعات .
- شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى / عباس محمود العقاد /الهيئه العامه لشئون المطابع / ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م .
- الشعراء وإنشاد الشعر / على الجندى / دار المعارف / ١٩٦٩ م .
- الشعر العربى بين الجمود والتطور / محمد عبدالعزيز الكفراوى / ط ٢ / بيروت / لبنان / دار القلم .
- الشعر العربى المعاصر تطوره وأعلامه من ١٨٧٥م - ١٩٤٠ م / أنور الجندى / دار الثقافه / بيروت .
- الشعر العربى المعاصر روائعه ومدخل لقراءته / طاهر أحمد مكى / ط ٣ / ١٩٨٦ م / دار المعارف .
- الشعر العربى المعاصر على ضوء النقد الحديث / مصطفى السحرتى/ ط ٢ / ١٤٠٤ هـ مطبوعات تهامه .
- الشهاب فى الشيب والشباب / الشريف المرتضى الموسوى / المكتبة العركزيه / جامعة أم القرى .
- الشوقيات / أحمد شوقى .

- صرخة فى واد ، ديوان شعر لمحمود غنيم ، مطبعة الاعتماد بمصر ١٩٤٧م .
- صحيح مسلم بشرح النووى / ط ٢ / ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ / دار إحياء التراث العربى / بيروت .
- الصناعتين / لأبى هلال العسكرى / تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم / القاهره ١٩٥٢م .
- الصورة والبناء الشعرى / محمد حسن عبدالله / دار المعارف القاهره .
- الصورة بين البلاغة والنقد / أحمد بسام ساعى / ط ١ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م / مطبعة المنارة .
- الصورة فى الشعر العربى حتى آخر القرن الثانى الهجرى / على البطل ط ١ / دار الأندلس /١٩٨٠ م .
- الصورة الشعريه / ساسين عساف / ١٩٨٥م/ دار مارون عبود .
- الصورة الفنيه فى النقد الشعرى / دراسة فى النظريه والتطبيق / عبدالقادر الرباعى / ط ١ / دار العلوم للطباعه ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م - الرياض .
- طرائف القصص - على الجندى / المطبعه الفنيه الحديثه / ١٩٧٠م .
- العصر العباسى الأول / شوقى ضيف / ط ٢ / دار المعارف / مصر .
- العقد الفريد / الأندلسى / إبن عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ، شرح أحمد الزين / وأحمد أمين /وإبراهيم الأبيارى / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م / دار الكتاب العربى .
- علم البديع / للدكتور عبدالعزيز عتيق / دار النهضه العربيه / بيروت / ط ١٩٧٤م .

- العمدة فى صناعة الشعر ونقده للحسن بن رشيق القيروانى / تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد / ط ٤ / بيروت ١٩٧٢م .
- عيار الشعر / محمد بن طباطبا العلوى / ط١/١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م / شرح وتحقيق عباس عبدالساتر / دار الكتب العلمية / بيروت .
- عيون الاخبار / لابى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبه الدينورى / دار الكتب المصرية ١٣٤٣هـ /١٩٢٥ م .
- غُرر القصص / على الجندى / المطبعة الفنيه الحديثه / ١٩٧٢م .
- فن الأسجاع / على الجندى / طبعة دار الفكر العربى .
- فن التشبيه / على الجندى / مطبعة نهضة مصر / ط ١ / سنه ١٩٥٢م .
- فن الجناس / على الجندى / مطبعة الإعتماد بمصر ١٩٥٤م .
- قرة العين فى رمضان والعيدين / على الجندى / مطابع الأهرام التجاريه / ١٩٦٩م .
- قضايا الشعر المعاصر ،نازك الملائكه / ط ٤ / بيروت / دار العلم للملايين ١٩٧٤م .
- قطوف / على الجندى / مطبعة السعادة / ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م .
- لسان العرب / ابن منظور / أبو الفضل / جمال الدين إبن مكرم/ دار صادر .
- مدخل إلى دراسة المدارس الأدبيه فى الشعر العربى المعاصر/ نسيب نشاوى / مطابع الأديب / دمشق / ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- المستدرك على معجم المؤلفين / عمر رضا كحاله / ط ١ / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م / مؤسسة الرساله / بيروت .

- المستطرف فى كل فن مستظرف / شهاب الدين محمد الأبشيهى / تحقيق عبدالله أنيس الطباع / دار القلم / بيروت .
- مصادر الأدب النسائى فى العالم العربى الحديث / جوزيف زيدان /ط١ ١٩٨٦م / جده .
- المعجم الأدبى / جبور عبدالنور / ط ١ / مارس ١٩٧٩م / دار العلم للملايين / بيروت .
- المفردات فى غريب القرآن / الراغب الأصفهانى / تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / دار المعرفه / بيروت .
- مفكرون وأدباء من خلال آثارهم / أنور الجندى / ط ١ / دار الإرشاد بيروت .
- مناهل الصفاء للنفوس الظماء / على الجندى مكتبة الجامعة الأزهريه ١٩٧٣م .
- مهرجان الشعر الأول / دمشق / المجلس الأعلى لرعايه الفنون والأدب والعلوم الإجتماعيه / ١٩٥٩م .
- نفح الأزهار فى مولد المختار / على الجندى / مطابع الأوفست الشرقية ١٤٠٦هـ .
- النقد الأدبى الحديث / أصوله واتجاهاته/أحمد كمال زكى / دار النهضه العربيه / بيروت / ١٩٨١ م .
- النقد الأدبى الحديث / محمد غنيمى هلال / دار النهضه / مصر للطبع والنشر / القاهره .

- نقد الشعر / لأبى الفرج / قدامة بن جعفر / تحقيق كمال مصطفى/ ط ٣ / ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨ م .

- الوساطة بين المتنبى وخصومه / على بن عبدالعزيز الجرجانى/ ط صبيح .

- المنشورات :

- مجلة الأديب اللبنانيه / حـ ٦ / ١٩٦٦ م ص ٤٥ / حـ٧ ص ٥٦ .

- جريده الأهرام المصريه / بتاريخ ١٩٨٥/٨/٢٥م ص ١٢.

- مجلة العرب / حـ ٥ ،٦ ص ٤٧٤ عدد ١٣٩٣ هـ / الرياض- المملكة العربيه السعوديه / دار اليمامه .

- مجلة مجمع اللغة العربيه بمصر حـ ٢٥/ ١٩٦٦م - ص ٢٣٦ - المكتبة المركزيه/ حـ ٢٥/ ص ٢٧٢ ،/ حـ ٢٤ / ص ٣٣٤ .

- مجلة منبر الإسلام - مجلة شهرية يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهره .

العدد الخامس ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢ م ص ١٠٨ .

العدد السابع ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢ م ص ٩٧ .

العدد الرابع ١٣٩٠ هـ ص ١٧٦ .

محتويات البحث

محتويات البحث

الموضوع		
المقدمة	:	أ ـ د
التمهيد	: حياة الشعر فى العصر الحديث بين التقليد والتجديد :	١ ـ ٢٢
	ـ اتجاه الاحياء التقليدى	٣
	ـ الاتجاه التقليدى المتطور	٧
	ـ الاتجاه التجديدى	١٣
الباب الأول		
التعريف بالشاعر		٢٤ ـ ٨٢
١ـ نسبه ومولده		٢٤
٢ـ نشأته العلمية ووظائفه الرسمية		٢٥ ـ ٢٨
٣ـ طباعه ومجايلاه		٢٩ ـ ٣٥
٤ـ آثاره		٣٦ ـ ٨١
ـ آثاره العلمية		٣٦ ـ ٦٩
ـ جهوده وابحاثه ومحاضراته فى مجمع اللغة العربية		٧٠ ـ ٧٨
ـ آثاره الادبية		٧٩ ـ ٨١
٥ـ وفاته		٨٢

الباب الثانـــــى

شعـــره

الفصل الأول : مقومـات شعـــره ..... ٨٤ -٩٧

أ - الموهبة الفطريـــة ٨٤

ب - ثقافته المنوعـــه ٨٥

ج - أدب التـــــراث ٨٩

الفصل الثاني : فنـــونه الشعريـــه ..... ٩٨ -٢٨٢

١ - النسيـــب ..... ٩٩ -١٤٩

٢ - الرثـــاء ..... ١٥٠ -١٩٠

٣ - الوطنيـات ..... ١٩١ -٢١٧

٤ - المديـــح ..... ٢١٨ -٢٤٣

٥ - الفخـــر ..... ٢٤٤ -٢٥٣

٦ - بكاء الشباب ..... ٢٥٤ -٢٦٤

٧ - المساجلات الشعريه ..... ٢٦٥ -٢٨٢

الباب الثالـــث

خصائصه الفنيه ومنزلته الادبيـــــه

الفصل الاول : خصائصه الادبيـــه ..... ٢٨٤ -٣٨٨

أ - فى الالفـــاظ والاساليـــب ..... ٢٨٤ -٣٣٩

- التكـــرار ٣٢٩

- الجنـــاس ٣٣٠

- السجـــع ٣٣٤

- الحـــوار ٣٣٩

- الحكم والامثال ٣٣٧

ب - فى الافكار والمعانى ..... ٣٤٠ -٣٥٧
المطابقه ٣٥٤
ج - فى الصورة الفنيه ..... ٣٥٨ -٣٨٨
مفهوم الصوره الادبيه بين الامس واليوم . ٣٥٨
عناصر الصوره ٣٦٤
الصوره الفنيه عند الجندى ٣٦٩
الفصل الثانى: منزلته الأدبيه ..... ٣٨٩ - ٤٢٦
أ - مدرسته الفنيه ٣٨٩
ب - آراء النقاد فى شعره ٣٩١
ج - موازنته بغيره من طبقته ٤٠٠
١ - الجندى ومحمد الاسمر ٤٠١
٢ - الجندى ومحمود غنيم ٤١٣
الخاتمة ٤٢٧
ثبت المصادر والمراجع ٤٣١
محتويات البحث ٤٤٢